

الكفاية

في التفسير بالمأثور والدرّاية

تأليف الفقير إلى رحمة ربه

عبدالله خضر حمد

باحث عراقي

الجزء السادس والثلاثون

[سورة التغابن، الآية: ١] - [آخر سورة الجنّ]

منشور إلكترونياً

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى
مراسلة المؤلف -لطفًا وتكرما- على البريد الإلكتروني الآتي، وذلك
لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإياكم لما
يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ}

بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة «التغابن»

«سورة التغابن» هي السورة الرابعة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي معدودة من السابعة والمائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة الجمعة»، وقيل «سورة الصف» بناء على أنها مدنية، وآياتها: ثمان عشرة. وكلماتها: مائتان وإحدى وأربعون. وحروفها ألف وسبعون. فواصل آياتها «من در»، وعلى «الدال» آية واحدة: {حَمِيدٌ} [التغابن : ٦] ^(١).

■ أسماء السورة:

■ اسمها التوقيفي: «سورة التغابن»:

سميت هذه السورة «سورة التغابن»، ولا تعرف بغير هذا الاسم ولم ترد تسميتها بذلك في خبر مأتور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى ما ذكره الثعلبي عن ابن عمر من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مولود يولد إلا وفي تشابيك رأسه مكتوب خمس آيات من فاتحة سورة التغابن» ^(٢).

والظاهر أن منتهى هذه الآيات قوله تعالى: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [التغابن : ٤]، فتأمله. ورواه القرطبي ^(٣) عن ابن عمر ولم ينسبه إلى التعليق فلعله أخذه من تفسير ابن عطية. ووجه التسمية وقوع لفظ: {التَّغَابُنُ} [التغابن : ٩] فيها ولم يقع في غيرها من القرآن ^(٤).

■ مكية السورة ومدنيتها:

وفي مكان نزول السورة، أقوال:

أحدها: أنها مدنية. قاله ابن عباس ^(٥)، وابن الزبير ^(٦)، والحسن ^(٧)، ومجاهد ^(٨)، وعكرمة ^(٩)، وقتادة ^(١٠). وهو قول الجمهور ^(١١).
الثاني: أنها مكية. قاله الضحاك ^(١٢).

الثالث: أنها مكية، إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، قوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ} [التغابن : ١٤]، واللذان بعدها. حكاه ابن الجوزي عن عطاء بن يسار ^(١٣).

وأخرج ابن إسحق وابن جرير عن عطاء بن يسار قال: "نزلت سورة التغابن كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ} [التغابن : ١٤]، نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد فكان إذا أراد الغزو بكوا عليه ورقفوه فقالوا: إلى من تدعنا فيرق ويقم هذه الآيات فيه بالمدينة" ^(١٤).

الرابع: أنها مكية، إلا خمسة آيات منها نزلت بالمدينة، قوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ} [التغابن : ١٤]، إلى آخر السورة. قاله ابن عباس ^(١٥).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٧/١، والتحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٨.

(٢) الكشف والبيان: ٣٢٥/٩.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١٣١ / ١٨.

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٨.

(٥) انظر: الدر المنثور: ١٨١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) انظر: الدر المنثور: ١٨١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(٨) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(٩) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(١١) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤، وتفسير القرطبي: ١٣١/٨.

(١٣) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(١٤) الدر المنثور: ١٨١/٨.

(١٥) انظر: الدر المنثور: ١٨١/٨، وعزاه إلى النحاس.

أخرج النحاس عن ابن عباس قال: "نزلت سورة التغابن بمكة إلا آيات من آخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم جفاء أهله وولده فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن : ١٤]، إلى آخر السورة"^(١).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية، إلا آخرها: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ﴾ [التغابن : ١٤]، إلى آخر السورة"^(٢).

قال القرطبي: "سورة التغابن مدنية في قول الأكثرين"^(٣).

قال ابن عاشور: "هي مدنية في قول الجمهور"^(٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

١- إنه في السورة قبلها ذكر حال المنافقين، وخاطب بعد ذلك المؤمنين، وهنا قسم الناس قسمين مؤمن وكافر.

٢- نهى هناك عن الاشتغال بالأولاد عن ذكر الله، وهنا ذكر أن الأموال والأولاد فتنة.

٣- في السورة السابقة حث على الإنفاق في سبيل الله، وفي ذكر التغابن حث عليه أيضا^(٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها

١- تبدأ سورة التغابن مثل بقية السور المسبحات بالثناء على الله -عزَّ وجلَّ- وتسبِّحه وتمجِّده، وتبيِّن أنَّ الخلائق جميعهم في الأرض وفي السماوات يسبِّحون له -تبارك وتعالى- ويمجِّدونه، وجاءت صيغة التسبيح بفعل المضارع يسبِّح والتي تدلُّ على عظمة الله تعالى وتوحي باستمرارية وديمومية هذا الفعل العظيم، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن : ١]، ويعدُّ هذا الأمر من أعظم مقاصد سورة التغابن.

٢- التوجُّه بتحذير شديد للكافرين والمشركين من تماديهم في الطغيان والكفر والغِي، وتذكُّر كيف كانت عاقبة الأمم السابقة التي كفرت وحادت عن طريق الصواب، وكيف أذاقهم الله عذاباً أليماً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التغابن : ٥]، وتؤكد أنَّ الله جعلهم عبرة للعالمين -تبارك وتعالى-.

٣- الإشارة إلى إنكار الكفار ليوم الحساب والبعث، وينكرون أنَّ الله تعالى سيجمع الخلائق إليه جميعاً في يوم الحساب، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرًا يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَاْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨)﴾ [التغابن : ٦ - ٨].

٤- ومن مقاصد سورة التغابن أنها تؤكد على أنَّ كلَّ ما يصيبُ الشخص ما كان ليصيبه لولا إرادة الله تعالى وكلُّ ذلك بقضائه وقدره، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن : ١١].

٥- تحذير المؤمنين من فتنة المال والولد على دين المرء وإيمانه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن : ١٥].

٦- وتختتم مقاصد سورة التغابن بالحديث عن تقوى الله تعالى وطاعته، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأُنْفِسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَاُولَئِكَ هُمُ

(١) الدر المنثور: ١٨١/٨.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٧/١.

(٣) تفسير القرطبي: ١٣١/١٨.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٨.

(٥) انظر: تفسير المراعي: ١١٨/٢٨.

المُفْلِحُونَ}، وتحضُّ المسلمين على إنفاق المال في جميع وجوه الخير والإحسان ابتغاءَ
مرضاة الله تعالى وعفوه.

■ **الناسخ والمنسوخ:**

السورة خالية عن المنسوخ، وفيها الناسخ: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن : ١٦] ^(١).

■ **فضائل السورة:**

- عن علي بن زيد عن زر عن أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة» ^(٢).
 - عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن" ^(٣).
- هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٧/١.

(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٢٥/٩. [موضوع]، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٧/١٠.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٢٩٠) عن أحمد، عن أيوب بن محمد الوزان، عن الوليد بن الوليد به، وقال: "لم يروه عن ابن ثوبان إلا الوليد القلانسي" والوليد ضعيف.

قال ابن كثير ١٣٥/٨: "أورده ابن عساكر في ترجمة "الوليد بن صالح" وهو غريب جداً، بل منكر". وانظر: تاريخ دمشق (٨٣١/١٧) المخطوط".

القرآن

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)}

[التغابن : ١]

التفسير:

ينزه الله عما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض، له سبحانه التصرف المطلق في كل شيء، وله الثناء الحسن الجميل، وهو على كل شيء قدير.

قوله تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [التغابن : ١]، أي: "ينزه الله عما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يسجد له ما في السموات السبع وما في الأرض من خلقه ويعظمه"^(٢).

قال ابن كثير: "أي : من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها، كما قال : {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} [الإسراء : ٤٤]"^(٣).

قال القشيري: "المخلوقات كلها بجملتها لله سبحانه مسبحة، ولكن لا يسمع تسبيحها من به طرش النكرة. ويقال: الذي طرأ صممه فقد يرجى زواله بنوع معالجة، أما من يولد أصم فلا حيلة في تحصيل سماعه. قال تعالى: {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} [الروم: ٥٢] وقال تعالى: {وَلَوْ عَلَّمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ} [الأنفال: ٢٣]"^(٤).

قال النحاس: "يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} يكون هذا تمام الكلام، وقد يكون متصلاً ويكون له ما في السموات، ويكون {لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ} في موضع الحال، أي: سلطانه وأمره وقضاؤه نافذ فيهما"^(٥).

قال الزمخشري: "قدم الظرفان ليدل بتقدمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل، وذلك لأن الملك على الحقيقة له، لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه، والقائم به، والمهيمن عليه، وكذلك الحمد، لأن أصول النعم وفروعها منه. وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء، وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده"^(٦).

عن ابن عباس: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}، قال: "صلى الله {مَا فِي السَّمَاوَاتِ} ممن خلق، وهم الملائكة، {وَالْأَرْضِ} من شيء فيه رُوح أو لا رُوح فيه"^(٧).
عن الضحاك: {سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} "أنه الصلاة، سميت تسبيحاً لما تتضمنه من التسبيح"^(٨).

عن أبي الأسود الدؤلي، قال: "قال رأس الجالوت: إنما التوراة ككتابكم من الحلال والحرام، إلا أن كلامكم في كتابكم جامع: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}. وفي التوراة: يُسَبِّحُ اللَّهُ الطير والسباع"^(٩).

عن ميمون بن مهران: {سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"^(١٠).
عن المسيب - من طريق الهذيل - قال: "سُبْحَانَ اللَّهِ} إنصاف لله من السوء"^(١١).

(١) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٢) تفسير الطبري: ٤١٥/٢٣.

(٣) تفسري ابن كثير: ١١٥/٨.

(٤) لطائف الإشارات: ٥٩٢/٣.

(٥) إعراب القرآن: ٢٩١/٤.

(٦) الكشف: ٥٤٥/٤.

(٧) تفسير الثعلبي: ١١/٢٦، انظر: النكت والعيون: ٤٦٨/٥، ولم ينسبه، ونحوه في "الوسيط" للواحدى ٤/٢٤٤، ونسبه للمقاتلان، وانظر: تفسير القرطبي ١٧/٢٣٥.

(٨) النكت والعيون: ٤٦٨/٥.

(٩) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٠/١٧١. وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ في العظمة.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٤): ص ٨١/١.

قال ابن الجوزي: "فإن قيل: فما الفائدة في إعادة ذكر التسييح في هذه السورة؟ فالجواب: أن ذلك لاستفتاح السور بتعظيم الله عزّ وجلّ، كما تستفتح ب «بسم الله الرحمن الرحيم» وإذا جلّ المعنى في تعظيم الله، حسن الاستفتاح به" (٢).
قوله تعالى: {لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ} [التغابن : ١]، أي: "له سبحانه التصرف المطلق في كل شيء، وله الثناء الحسن الجميل" (٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: له ملك السموات والأرض وسلطانه ماض قضاؤه في ذلك نافذ فيه أمره، وله حمد كل ما فيها من خلق، لأن جميع من في ذلك من الخلق لا يعرفون الخير إلا منه، وليس لهم رازق سواه فله حمد جميعهم" (٤).
قال ابن كثير: "أي: هو المتصرف في جميع الكائنات، المحمود على جميع ما يخلقه ويفدّه" (٥).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم" (٦).
قوله تعالى: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التغابن : ١]، أي: "وهو - سبحانه - على كل شيء قدير لا يعجزه أمر أراده" (٧).

قال الطبري: "يقول: وهو على كل شيء ذو قدرة، يقول: يخلق ما يشاء، ويميت من يشاء، ويغني من أراد، ويفقر من يشاء ويعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، لا يتعدّر عليه شيء أراده، لأنه ذو القدرة التامة التي لا يعجزه معها شيء" (٨).

قال ابن كثير: "أي: مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع، وما لم يشأ لم يكن" (٩).
قال الشوكاني: "أي: بليغ القدرة، لا يعجزه شيء من الأشياء، يتصرف في ملكه كيف يريد من إنعام وانتقام، ورفع ووضع، وإعطاء ومنع" (١٠).

قال النحاس: "أي: ذو قدرة على ما يشاء يخلق ما يشاء ويحيي ويميت ويعزّ ويذلّ لا يعجزه شيء لأنه ذو القدرة التامة" (١١).
قال ابن إسحاق: "أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نعمة أو عفو فهو قدير" (١٢).

عن عطاء بن أبي رباح، في قوله تعالى: {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى}: "كلمة التقوى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير" (١٣).

القرآن

{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [التغابن : ٢]

-
- (١) أخرجه الهذيل بن حبيب - كما في تفسير مقاتل بن سليمان ٢٨٧ / ٤ - .
(٢) زد المسير: ٢٨٠ / ٤ .
(٣) التفسير الميسر: ٥٥٦ .
(٤) تفسير الطبري: ٤١٥ / ٢٣ .
(٥) تفسير ابن كثير: ١٣٥ / ٨ .
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٧٢) : ص ١٠٨٥ / ٤ . في تفسير قوله تعالى: {وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢] .
(٧) التفسير الوسيط للطنطاوي: ٣٥٤ / ٤ .
(٨) تفسير الطبري: ٤١٥ / ٢٣ .
(٩) تفسير ابن كثير: ١٣٥ / ٨ .
(١٠) فتح القدير: ٣٠٨ / ٥ .
(١١) إعراب القرآن: ٢٩١ / ٤ .
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢١٤) : ص ٥٩ / ١ .
(١٣) أخرجه الطبري ٢٥٦ / ٢٢ ، وذكره ابن الجوزي في "زاد المسير" ٧ / ٤٤٢ ، والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ٢٨٩ / ١٦ .

التفسير:

الله هو الذي أوجدكم من العدم، فبعضكم جاحد لألوهيته، وبعضكم مصدق به عامل بشرعه، وهو سبحانه بصير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم بها.

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ} [التغابن : ٢]، أي: "الله هو الذي أوجدكم من العدم"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: الله {الَّذِي خَلَقَكُمْ} أيها الناس"^(٢).

قوله تعالى: {فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} [التغابن : ٢]، أي: "فبعضكم جاحد لألوهيته، وبعضكم مصدق به عامل بشرعه"^(٣).

اختلف أهل العلم في تفسير قوله تعالى: {فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} [التغابن : ٢]، على

أقوال:

أحدها: معناه: "فمنكم كافر بالله مؤمن بالكوكب، ومنكم من يؤمن بالله كافر بالكوكب، يعني: في شأن الأنواء". قاله عطاء بن أبي رباح^(٤).

الثاني: "فمنكم كافر في السر، مؤمن في العلانية كالمنافق، ومنكم مؤمن في السر كافر في العلانية كعمّار وذويه -رضي الله عنه". قاله الضحاك^(٥).

الثالث: معناه: مؤمن بأن الله خلقه وكافر بأن الله خلقه. رواه عطية عن ابن عباس^(٦)، وبه قال الطبري^(٧)، والزجاج^(٨)، والنحاس^(٩)، وابن كثير^(١٠)، وغيرهم.

قال الزجاج: "ودليل ذلك أقوله سبحانه: {قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْقَةٍ خَلَقَهُ فَفَدَّرَهُ (١٩)} [عبس : ١٧-١٩]، وقال: {أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا} [الكهف : ٣٧]"^(١١).

قال الطبري: "فمنكم كافر بخالقه وأنه خلقه؛ ومنكم مصدق به موقن أنه خالقه أو بارئه"^(١٢).

قال النحاس: "وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ"، أي: مصدق يوقن أنه خالقه وإلهه لا إله له غيره"^(١٣).

قال ابن كثير: "أي: هو الخالق لكم على هذه الصفة، وأراد منكم ذلك، فلا بد من وجود مؤمن وكافر"^(١٤).

الرابع: معناه: "فمنكم مؤمن يكفر، ومنكم كافر يؤمن". رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس^(١).

(١) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٢) تفسير الطبري: ٤١٥/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٤) تفسير الثعلبي: ٤٩٤/٢٦. [ط. دار التفسير].

(٥) تفسير الثعلبي: ٤٩٤/٢٦. [ط. دار التفسير]. ذكره القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ١٨ / ١٣٣، والشوكاني في "فتح القدير" ٢٣٥ / ٥.

وعمار هو ابن ياسر، وكان الكفار يعذبونه ومن فعل فعله، ولا يرفعون عنهم العذاب حتى يسبوا النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويسبوا دينه، فكان يذهب عمار إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يبكي فيخبره الخبر فيقول له -صلى الله عليه وسلم-: "إن عادوا فعد". أي إن عادوا إلى إيذائك، فعد إلى سبي ليرفع عنك العذاب.

وأصل هذا الخبر أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" ٣ / ٢٤٩، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" ١ / ١٤٠، والحاكم في "المستدرک" ٢ / ٤٩٠ من طريق أبي عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه فذكره. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٦) التفسير البسيط: ٤٨٣/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤١٦/٢٣.

(٨) انظر: معاني القرآن: ١٧٩/٥.

(٩) إعراب القرآن: ٢٩١/٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ١٣٥/٨.

(١١) معاني القرآن: ١٧٩/٥.

(١٢) تفسير الطبري: ٤١٦/٢٣.

(١٣) إعراب القرآن: ٢٩١/٤.

(١٤) تفسير ابن كثير: ١٣٥/٨.

الخامس: معناه: خلقكم كفارا وخلقكم مؤمنين. وهذا قول ابن عباس^(٢).
قال ابن عباس: "إن الله سبحانه بدأ خلق آدم مؤمناً وكافراً، كما قال جل ثناؤه: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} [سورة التغابن: ٢]^(٣).
قال ابن عباس: بدأ الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً، ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمناً وكافراً"^(٤).

قال السمعاني: "وهو المعروف، وقد أيد هذا المعنى قوله تعالى: {أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا} [آل عمران: ٣٩]، فأخبر أن الله تعالى خلقه كذلك. وفي الخبر أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله تعالى خلق يحيى سعيداً في بطن أمه، وخلق فرعون كافراً في بطن أمه»^(٥)^(٦).

قال القشيري: "منكم كافر في سابق حكمه سمّاه كافراً، وعلم أنه يكفرو أراد به الكفر، وكذلك كانوا. {وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} في سابق حكمه سمّاه مؤمناً، وعلم في آزاله أنه يؤمن وخلقه مؤمناً، وأراده مؤمناً"^(٧).

عن أبي ذر: "إن المنيّ إذا مكث في الرحم أربعين ليلة، أتى ملك النفوس، فخرج به إلى الجبار في راحته، فقال: أي ربّ عبدك هذا ذكر أم أنثى؟ فيقضي الله إليه ما هو قاض، ثم يقول: أي ربّ أشقي أم سعيد؟ فيكتب ما هو لاق: قال: وقرأ أبو ذرّ فاتحة التغابن خمس آيات"^(٨).
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «السعيد من سعد في بطن أمه»^(٩).

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: "كان عبد الله بن مسعود يخطبنا بالكوفة، فيقول: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه، فقال حذيفة بن أسيد، رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: عجباً من أمر هذا، يقول: السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه فقال عبد الله: يا حذيفة، وما يعجبك من هذا؟ ثم قال: ألا أحدتكم بالشفاء من ذلك؟ ثم رفع الحديث، فقال: «إن ملكاً موكلًا بالرحم، إذا أراد الله عز وجل أن يخلق شيئاً بإذن الله، فيقول: يا رب أجله، فيقضي ربك ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه، فيقضي ربك ويكتب الملك، ثم يقول: شقي أم سعيد؟ فيقضي ربك ويكتب الملك، فيكون كذلك، ما زاد وما نقص»^(١٠).

(١) تفسير الثعلبي: ٤٩٤/٢٦. [ط. دار التفسير]. وذكره ابن الجوزي في "زاد المسير" ٢٨٠/٨.
وعمار هو ابن ياسر، وكان الكفار يعذبونه ومن فعل فعله، ولا يرفعون عنهم العذاب حتى يسبوا النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويسبوا دينه، فكان يذهب عمار إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يبكي فيخبره الخبر فيقول له -صلى الله عليه وسلم-: "إن عادوا فعد". أي إن عادوا إلى إيذائك، فعد إلى سبي ليرفع عنك العذاب.
وأصل هذا الخبر أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" ٢٤٩/٣، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" ١/١٤٠، والحاكم في "المستدرک" ٤٩٠/٢ من طريق أبي عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه فذكره. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: الطبري (١٤٤٧٨): ص ٣٨٢/١٢، وحكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ص ٣٢٦/٩، والسمعاني في "التفسير": ٤٤٨/٥.

(٣) أخرجه الطبري (١٤٤٧٨): ص ٣٨٢/١٢.

(٤) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ص ٣٢٦/٩.

(٥) لم اقف عليه بهذا اللفظ.

(٦) تفسير السمعاني: ٤٤٩/٥.

(٧) لطائف الإشارات: ٥٩٢/٣-٥٩٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٣.

(٩) المعجم الاوسط (٨٤٦٥): ص ٢٢٣/٨.

(١٠) المعجم الاوسط (٢٦٣١): ص ١٠٧/٣.

عن مالك بن أنس -من طريق عبد العزيز بن عبد الله الأويسى- قال: " ما أضلَّ مَنْ كَتَبَ بِالْقَدَرِ! لو لم يكن عليهم حُجَّةٌ إلا قوله تعالى: {خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} لكفى بها حُجَّةٌ"^(١).

عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنَّ الغلام الذي قتله الخضير - عليه السلام - طُيع كافرًا»^(٢).

عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «العبد يُولد مؤمنًا، ويعيش مؤمنًا، ويموت مؤمنًا، والعبد يُولد كافرًا، ويعيش كافرًا، ويموت كافرًا، وإنَّ العبد يَعْمَل بُرْهَةً من دهره بالسَّعادة، ثم يُدرکه ما كُتِب له فيموت شقيًّا، وإنَّ العبد يَعْمَل بُرْهَةً من دهره بالشَّقَاء، ثم يُدرکه ما كُتِب له فيموت سعيدًا»^(٣).

قال الزمخشري: " فإن قلت: كيف أحسن صورهم؟ قلت: جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه، بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور. ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب، كما قال عز وجل في أحسن تقويم. فإن قلت: فكم من دميمة مشوهة الصورة سمح الخلقة تفتحها العيون؟ قلت: لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب، فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا وإضافتها إلى الموفى^(٤) عليها لا تستملح، وإلا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة عن حده. ألا ترى أنك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها، ثم ترى أملح وأعلى في مراتب الحسن منها فينبو عن الأولى طرفك، وتستثقل النظر إليها بعد افتتاحك بها وتهالكك عليها. وقالت الحكماء: شينان لا غاية لهما: الجمال، والبيان"^(٥).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [التغابن : ٢]، أي: " وهو سبحانه بصير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم بها"^(٦).

قال الطبري: " يقول: والله الذي خلقكم بصير بأعمالكم عالم بها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم بها، فاتقوه أن تخالفوه في أمره أو نهيه، فيسطو بكم"^(٧).

قال ابن كثير: أي: " وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال، وهو شهيد على أعمال عباده، وسيجزئهم بها أتم الجزاء"^(٨).

قال النحاس: " أي: عالم بأعمالكم فلا تخالفوا أمره ونهيه فيسطو بكم"^(٩).

القرآن

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [التغابن : ٣]

التفسير:

(١) أخرجه الفريابي في القدر ص ٢١٨، والأجري في الشريعة ٢/٧٢٤، والبيهقي في القضاء والقدر ٣/١٨٥٠ - ١٨٥١ (١٧٢/٢٣٨٠)، ٤/٢٠٥٠ (٢٦٦١)، وابن جرير ١٥/٣٥٧، والثعلبي ٦/١٨٤.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٨/٢٣٥ - ٢٣٦ (٨٥٠١)، وفي الكبير ١٠/٢٢٣ (١٠٥٤٢)، وابن حبان في جزئه ص ٢٣٩ (١٢٥).

قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا عمر بن إبراهيم، تفرد به، شاذ». وقال الهيثمي في المجمع ٧/٢١٣ (١١٩٢٢): «رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار، وفيه عمر بن إبراهيم العبدي، وقد وثقه غير واحد، وقال ابن عدي: حديثه عن قتادة مضطرب. قلت: وهذا منها». وقال ابن حجر في الأمالي المطلقة ص ١٨١ (١٢٦): «هذا حديث حسن غريب».

(٤) يعنى: إلى المتفوق عليها من الصور.

(٥) الكشاف: ٤/٥٤٦-٥٤٧.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٧) تفسير الطبري: ٢٣/٤١٦.

(٨) تفسير ابن كثير: ٨/١٣٥.

(٩) إعراب القرآن: ٤/٢٩١.

خلق الله السموات والأرض بالحكمة البالغة، وخلقكم في أحسن صورة، إليه المرجع يوم القيامة، فيجازي كلا بعمله.

قوله تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} [التغابن : ٣]، أي: "خلق الله السموات والأرض بالحكمة البالغة"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: خلق السموات السبع والأرض بالعدل والإنصاف"^(٢).

قال ابن كثير: أي: بالعدل والحكمة"^(٣).

قال ابن إسحاق: "ابتدع السموات والأرض ولم يكونا إلا بقدرته، لم يستعن على ذلك بأحد من خلقه ولم يشركه في شيء من أمره بسلطانه القاهر وقوله النافذ الذي يقول به لما أراد أن يكون له كن فيكون ففرغ من خلق السموات والأرض في ستة أيام"^(٤).

قوله تعالى: {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} [التغابن : ٣]، أي: "وخلقكم في أحسن صورة"^(٥).

قال مقاتل: "يعني: فأحسن خلقكم"^(٦).

قال الطبري: "يقول: ومثلكم فأحسن مثلكم، وقيل: أنه عني بذلك تصويره آدم، وخلقه إياه بيده"^(٧).

قال ابن كثير: "أي: أحسن أشكالكم، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ} [الانفطار : ٦ - ٨]، وكقوله: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ} الآية [غافر : ٦٤]"^(٨).

قال الزجاج: "معنى {أَحْسَنَ صُوَرَكُمْ}: خلقكم أحسن الحيوان كله. والدليل على ذلك أن الإنسان لا يُسرُّ بأن يكون صورته على غير صورة الأدميين، فالإنسان أحسن الحيوان. وقيل أيضاً «فأحسن صوركم» من أراد الله أن يكون أبيض كان أبيض، ومن أراد أن يكون أسود كان أسود ومن أراد أن يكون دميماً كان دميماً أو تاماً كان تاماً. فأحسن ذلك - عزَّ وجلَّ - وأتى من كل صورة بكل صنف على إرادته"^(٩).

عن ابن عباس: "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ، يعني: آدم خلقه بيده"^(١٠).

قال القشيري: "وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ، لم يقل لشيء من المخلوقات هذا الذي قال لنا"^(١١).

قال السدي: "إذا وقعت النطفة في الرحم (طارَت في الجسد أربعون يوماً) «١» ثم تكون علفة أربعين يوماً، ثم تكون مضغة أربعين يوماً، فإذا بلغ أن يخلق، بعث الله ملكاً يصورها، فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه فيخلط في المضخة، ثم يعجنه بها، ثم يصورها كما يؤمر فيقول: أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ وما رزقه؟ وما عمره؟ وما أثره؟ وما مصائبه؟ فيقول الله تعالى، ويكتب الملك، فإذا مات ذلك الجسد، دفن حيث أخذ ذلك التراب"^(١٢).

(١) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٢) تفسير الطبري: ٤١٦/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٣٥/٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٢٩٥): ص ٢٧١٣-٢٧١٤.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥١/٤.

(٧) تفسير الطبري: ٤١٦/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٣٥/٨-١٣٦.

(٩) معاني القرآن: ١٨٠/٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٣.

(١١) لطائف الإشارات: ٥٩٣/٣.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣١٥٦): ص ٥٩٠/٢، في تفسير قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ

وقرأ أبو رزين: «فَأَحْسَنَ صِيورَكُمْ»^(١).
 قال الأخفش: "بعض العرب يقول: «صُور»، و«صُور». والجيدة: «صُور»"^(٢).
 قوله تعالى: {وَأَلِيهِ الْمَصِيرُ} [التغابن : ٣]، أي: "إليه المرجع يوم القيامة، فيجازي كلا بعمله"^(٣).
 قال الطبري: "يقول: وإلى الله مرجع جميعكم أيها الناس"^(٤).
 قال ابن كثير: "أي : المرجع والمآب"^(٥).

القرآن

{يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤)}

[التغابن : ٤]

التفسير:

يعلم سبحانه وتعالى كل ما في السموات والأرض، ويعلم ما تخفونه -أيها الناس- فيما بينكم وما تظهرونه. والله عليم بما تضرره الصدور وما تخفيه النفوس.

قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [التغابن : ٤]، أي: "يعلم سبحانه وتعالى كل ما في السموات والأرض"^(٦).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يعلم ربكم أيها الناس ما في السموات السبع والأرض من شيء، لا يخفى عليه من ذلك خافية"^(٧).

قال ابن كثير: "أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السماوية والأرضية والنفسية"^(٨).

عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: "خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام، فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى اكتب، فقال القلم: وما أكتب قال:

علمي في خلقي إلى يوم تقوم الساعة، فجر القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة، فذلك قوله تبارك وتعالى للنبي -صلى الله عليه وسلم- {يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}"^(٩).

قوله تعالى: {وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} [التغابن : ٤]، أي: "يعلم ما تخفونه -أيها الناس- فيما بينكم وما تظهرونه"^(١٠).

قال الطبري: "يقول: {وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ} أيها الناس بينكم من قول وعمل، {وَمَا تُعْلِنُونَ} من ذلك فتظهرونه"^(١١).

قال القشيري: "في قوله: {مَا تُسِرُّونَ} أمر بالمراقبة بين العبد وربّه. وفي قوله: {مَا تُعْلِنُونَ} أمر بالصدق في المعاملة والمحاسبة مع الخلق"^(١٢).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [التغابن : ٤]، أي: "والله عليم بما تضرره الصدور وما تخفيه النفوس"^(١٣).

يَسَاءُ} [آل عمران : ٦].

(١) كتاب فيه لغات القرآن للفراء: ١٢٧.

(٢) معاني القرآن: ٥٢٦/٢.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٤) تفسير الطبري: ٤١٦/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٣٦/٨.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٧) تفسير الطبري: ٤١٧/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٣٦/٨.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٣٨٣): ص ١٧٣٨/٩.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(١١) تفسير الطبري: ٤١٧/٢٣.

(١٢) لطائف الإشارات: ٥٩٣/٣.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٥٦.

قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه: والله ذو علم بضمائر صدور عباده، وما تنطوي عليه نفوسهم، الذي هو أخفى من السرّ، لا يعزب عنه شيء من ذلك. يقول تعالى ذكره لعباده: احذروا أن تسروا غير الذي تعلنون، أو تضمروا في أنفسكم غير ما تُبدونه، فإن ربكم لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو محص جميعه، وحافظ عليكم كله"^(١).

قال النحاس: "أي: عالم بضمائر صدوركم وما تنطوي عليه نفوسكم الذي هو أخفى من السر"^(٢).

قال الزمخشري: " نبه بعلمه ما في السماوات والأرض، ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلمونه، ثم بعلمه ذات الصدور: أنّ شيئاً من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه، فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه"^(٣).

عن محمد بن إسحاق -من طريق سلمة- قال: {والله عليم بذات الصدور}، أي: لا يخفى عليه ما في صدورهم مما استخفوا به منكم"^(٤).

عن الحسن: "{إنه عليم بذات الصدور}: يعلم تلك الساعة"^(٥).

فوائد الآيات: [٤-١]:

- ١- تعليم الله تعالى عباده وتعريفهم بجلاله وكماله ليؤمنوا به ويعبدوه ليكملوا ويسعدوا في الحياتين بالإيمان به وبطاعته وطاعة رسوله.
- ٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر إذ المؤمن مؤمن، والكافر كافر مكتوب ذلك في كتاب المقادير، ثم يظهره تعالى في عالم الشهادة قائماً على سننه في خلقه.
- ٣- وجوب مراقبة الله تعالى والحياء منه لأنه عليم بذات الصدور.

القرآن

{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥)} [التغابن : ٥]

التفسير:

ألم يأتكم -أيها المشركون- خبر الذين كفروا من الأمم الماضية قبلكم، إذ حلّ بهم سوء عاقبة كفرهم وسوء أفعالهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم موجه؟

قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} [التغابن : ٥]، أي: "ألم يأتكم -أيها المشركون- خبر الذين كفروا من الأمم الماضية قبلكم"^(٦).

قال مقاتل: " {أَلَمْ يَأْتِكُمْ} يا أهل مكة {نَبَأٌ}، يعني: حديث {الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} أهل مكة: حديث الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم رسلهم"^(٧).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: ألم يأتكم أيها الناس خبر الذين كفروا من قبلكم، وذلك كقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط"^(٨).

قال الزمخشري: "الخطاب لكفار مكة"^(٩).

قال القشيري: "المراد من ذلك هو الاعتبار بمن سلف، ومن لم يعتبر عثر في مهواة من الأمل، ثم لا ينتعش إلّا بعد فوات الأمر من يده"^(١٠).

(١) تفسير الطبري: ٤١٧/٢٣.

(٢) إعراب القرآن: ٢٩١/٤.

(٣) الكشف: ٥٤٧/٤.

(٤) أخرجه الطبري(٨٠٩٦):ص٣٢٥-٣٢٦، و ابن المنذر(١٠٩٢):ص٤٥٨/٢، وابن أبي حاتم(٤٣٧٨):ص٧٩٦/٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٦٧٤):ص٢٠٠١/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥١/٤.

(٨) تفسير الطبري: ٤١٧/٢٣.

(٩) الكشف: ٥٤٧/٤.

(١٠) لطائف الإشارات: ٥٩٤/٣.

قال الراغب: "النَّبَأُ : خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظنّ، ولا يقال للخبر في الأصل نَبَأً حتى يتضمّن هذه الأشياء الثلاثة، وحقّ الخبر الذي يقال فيه نَبَأً أن يتعرّى عن الكذب، كالتواتر، وخبر الله تعالى، وخبر النبيّ عليه الصلاة والسلام، ولتضمّن النّبأ معنى الخبر يقال: أنبأته بكذا كقولك: أخبرته بكذا، ولتضمّنه معنى العلم قيل: أنبأته كذا، كقولك: أعلمته كذا. قال الله تعالى: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ}"^(١).

قوله تعالى: {فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ} [التغابن : ٥]، أي: "إذ حلّ بهم سوء عاقبة كفرهم وسوء أفعالهم في الدنيا"^(٢).

قال الطبري: "فمسّهم عذاب الله إياهم على كفرهم"^(٣).

قال الزجاج: "أي: وذاقوا في الدنيا عظيم السطوات"^(٤).

قال الواحدي: "يعني: ما لحقهم من العذاب في الدنيا"^(٥).

قال ابن كثير: "أي : وخيم تكذيبهم ورديء أفعالهم، وهو ما حلّ بهم في الدنيا من العقوبة والخزي"^(٦).

قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [التغابن : ٥]، أي: "ولهم في الآخرة عذاب أليم موجع"^(٧).

قال الطبري: "يقول: ولهم عذاب مؤلم موجع يوم القيامة في نار جهنم، مع الذي أذاقهم الله في الدنيا وبال كفرهم"^(٨).

قال ابن كثير: "أي : في الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدنيوي"^(٩).

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦)} [التغابن : ٦]

التفسير:

ذلك الذي أصابهم في الدنيا، وما يصيبهم في الآخرة؛ بسبب أنهم كانت تأتيهم رسل الله بالآيات البينات والمعجزات الواضحات، فقالوا منكرين: أبشر مثلنا يرشدوننا؟ فكفروا بالله وجحدوا رسالة رسله، وأعرضوا عن الحق فلم يقبلوه. واستغنى الله، والله غني، له الغنى التام المطلق، حميد في أقواله وأفعاله وصفاته لا يبالي بهم، ولا يضره ضلالهم شيئاً.

قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرٌ يَهْدُونَنَا} [التغابن : ٦]، أي: "ذلك الذي أصابهم في الدنيا، وما يصيبهم في الآخرة؛ بسبب أنهم كانت تأتيهم رسل الله بالآيات البينات والمعجزات الواضحات، فقالوا منكرين: أبشر مثلنا يرشدوننا؟"^(١٠).

قال الطبري: يقول: " هذا الذي نال الذين كفروا من قبل هؤلاء المشركين من وبال كفرهم، والذي أعدّ لهم ربهم يوم القيامة من العذاب، من أجل أنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات الذي أرسلهم إليهم ربهم بالواضحات من الأدلة والإعلام على حقيقة ما يدعونهم إليه، فقالوا لهم:

(١) المفردات في غريب القرآن: ٧٨٨-٧٨٩.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣) تفسير الطبري: ٤١٧/٢٣.

(٤) معاني القرآن: ١٨٠/٥.

(٥) التفسير الوسيط: ٣٠٧/٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٣٦/٨.

(٧) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٨) تفسير الطبري: ٤١٧/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٣٦/٨.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٥٦.

أبشر يهدوننا، استكباراً منهم أن تكون رسل الله إليهم بشرًا مثلهم واستكباراً عن اتباع الحق من أجل أن بشرًا مثلهم دعاهم إليه"^(١).

قال ابن عطية: "ثم ذكر تعالى من مقالة أولئك الماضين ما هو مشبه لقول كفار قريش من استبعاد بعث الله للبشر، ونبوة أحد من بني آدم، وحسد الشخص المبعوث"^(٢).

قال ابن كثير: "استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر، وأن يكون هداهم على يدي بشر مثلهم"^(٣).

قال الزمخشري: "أنكروا أن تكون الرسل بشرًا، ولم ينكروا أن يكون الله حجرًا"^(٤).
قال البيهقي: "لم يقل: «يهدينا»، لأن البشر وإن كان لفظه واحد فإنه في معنى الجمع، وهو اسم الجنس لا واحد له من لفظه، وواحد إنسان، ومعناه ينكرون ويقولون آدمي مثلنا يهدينا"^(٥).

قوله تعالى: {فَكْفَرُوا وَتَوَلَّوْا} [التغابن : ٦]، أي: "فكفروا بالله وجحدوا رسالة رسله، وأعرضوا عن الحق فلم يقبلوه"^(٦).

قال الطبري: "يقول: فكفروا بالله، وجحدوا رسالة رسله الذين بعثهم الله إليهم استكباراً، وأدبروا عن الحق فلم يقبلوه، وأعرضوا عما دعاهم إليه رسلهم"^(٧).

قال السمعاني: "أي: جحدوا وأعرضوا"^(٨).
قال ابن كثير: "أي: كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل"^(٩).

قوله تعالى: {وَاسْتَعْنَى اللَّهُ} [التغابن : ٦]، أي: "واستغنى الله عن طاعتهم وعبادتهم"^(١٠).
قال ابن كثير: "وَاسْتَعْنَى اللَّهُ، أي: عنهم"^(١١).

قال مقاتل: "واستغنى الله عن عبادتهم"^(١٢).
قال الطبري: "يقول: واستغنى الله عنهم، وعن إيمانهم به وبرسله، ولم تكن به إلى ذلك منهم حاجة"^(١٣).

قال السمعاني: "يعني: أن الله غني عن طاعتهم وعبادتهم وتوحيدهم"^(١٤).

قال ابن عطية: "قوله تعالى: {وَاسْتَعْنَى اللَّهُ} عبارة عما ظهر من هلاكهم، وأنهم لن يضرروا الله شيئاً، فبان أنه كان غنياً أزلاً وبسبب ظهور هلاكهم بعد أن لم يكن ظاهراً ساغ استعمال هذا البناء مسنداً إلى اسم الله تعالى، لأن بناء استفعل إنما هو لطلب الشيء وتحصيله بالطلب"^(١٥).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [التغابن : ٦]، أي: "والله غني، له الغنى التام المطلق، حميد في أفعاله وأفعاله وصفاته لا يبالي بهم، ولا يضره ضلالهم شيئاً"^(١٦).

(١) تفسير الطبري: ٤١٨/٢٣.

(٢) المحرر الوجيز: ٣١٨/٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٣٦/٨.

(٤) الكشاف: ٥٤٧/٤.

(٥) تفسير البيهقي: ١٠٣/٥.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٧) تفسير الطبري: ٤١٨/٢٣.

(٨) تفسير السمعاني: ٤٥٠/٥.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٣٦/٨.

(١٠) صفوة التفاسير: ٣٦٩/٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ١٣٦/٨.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥١/٤.

(١٣) تفسير الطبري: ٤١٨/٢٣.

(١٤) تفسير السمعاني: ٤٥٠/٥.

(١٥) المحرر الوجيز: ٣١٨/٥.

(١٦) التفسير الميسر: ٥٥٦.

قال مقاتل: "وَاللَّهُ غَنِيٌّ" عن عبادة خلقه، {حَمِيدٌ} في سلطانه عند خلقه"^(١).
 قال الطبري: "يقول: والله غني عن جميع خلقه، محمود عند جميعهم بجميل أياديهم
 عندهم، وكريم فعاله فيهم"^(٢).
 قال السمعاني: "أي: مستغني عن أفعال العباد، مستحمد إلى خلقه بالإنعام عليهم. ويقال:
 حميد أي: مستحق للحمد. ويقال حميد أي: يحب أن يحمد"^(٣).
 عن الحسن، قوله: {حَمِيدٌ}، قال: "يستحمد إلى خلقه، أي: يعطيهم نعمًا يستدعي بها
 حمدهم"^(٤).
 عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحد أغير من الله، من أجل
 ذلك حرم الفواحش، وما أحد أحب إليه المدح من الله»^(٥).
 فوائد الآيتين: [٥-٦]:

- ١- توبيخ من يستحق التوبيخ وتأنيب من يستحق التأنيب.
- ٢- التكذيب للرسول والكفر بتوحيد الله موجب للعقوبة في الدنيا والعذاب في الآخرة.
- ٣- تقرير نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإثباتها لأن شأنه شأن الرسل من قبله.

القرآن

{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكِ عَلَى اللَّهِ
 يَسِيرٌ} [التغابن : ٧]

التفسير:

ادّعى الذين كفروا بالله باطلا أنهم لن يُخْرَجُوا من قبورهم بعد الموت، قل لهم -أيها الرسول-:
 بلى وربى لَنُخْرَجَنَّ من قبوركم أحياء، ثم لَنُخْبَرَنَّ بالذي عملتم في الدنيا، وذلك على الله يسير
 هَيِّنٌ.

قوله تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا} [التغابن : ٧]، أي: "ادّعى الذين كفروا بالله
 باطلا أنهم لن يُخْرَجُوا من قبورهم بعد الموت"^(١).
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من
 قبورهم بعد مماتهم"^(٢).

قال ابن عطية: "يريد قريشا ثم هي بعد تعم كل كافر بالبعث.. ولا توجد «زعم»
 مستعملة في فصيح من الكلام إلا عبارة عن الكذب، أو قول انفرد به قائله فيريد ناقله أن يبقى
 عهده على الزاعم، ففي ذلك ما ينحو إلى تضعيف الزعم"^(٣).
 قال القرطبي: "أي: ظنوا. «الزعم» هو القول بالظن.. قيل: نزلت في العاص بن وائل
 السهمي مع خباب حسب ما تقدم بيانه في آخر سورة «مريم»^(٤) «(١٠)»^(٥).
 قال البيضاوي: "«الزعم»: ادعاء العلم"^(٦).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥١/٤.

(٢) تفسير الطبري: ٤١٨/٢٣.

(٣) تفسير السمعاني: ٤٥٠/٥-٤٥١.

(٤) البحر المحيط في التفسير: ٦٨١/٢.

(٥) صحيح البخاري (٥٢٢٠): ص ٣٥/٧.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٧) تفسير الطبري: ٤١٨/٢٣.

(٨) المحرر الوجيز: ٣١٩/٥.

(٩) انظر: تفسير الآيات: {أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَاهُ عِنْدَ
 الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا سَتَكُنُّبُ مَا يَقُولُ وَتَمُدُّ لهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَتَرْتُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠)}
 [مريم: ٧٧-٨٠].

(١٠) تفسير القرطبي: ١٣٥/١٨.

(١١) تفسير البيضاوي: ٢١٨/٥.

قال شريح: "لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا"^(١).
قال ابن عمر: " «زعم»: كنية الكذب"^(٢).
قال ابن الجوزي: "وكان مجاهد يكره أن يقول الرجل: زعم فلان"^(٣).
عن مجاهد: "أنه كره (زعموا)؛ لقول الله: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا}^(٤).
عن أبي مسعود أنه قيل له: "ما سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول في (زعموا)؟ قال: سمعته يقول: «بئس مطية الرجل»"^(٥).
وأصل «البعث»: إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بعثته فانبعث، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علق به.. فالبعث ضربان^(٦):
الأول: بشري، كبعث البعير، وبعث الإنسان في حاجة.
الثاني: إلهي، وذلك ضربان:
أحدهما: إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع لا عن اللزوم، وذلك يختص به البارئ تعالى، ولم يقدر عليه أحد.
الثاني: إحياء الموتى، وقد خص بذلك بعض أوليائه، كعيسى صلى الله عليه وسلم وأمثاله، ومنه قوله عز وجل: {فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ} [الروم: ٥٦]، يعني: يوم الحشر.
قوله تعالى: {قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ} [التغابن: ٧]، أي: "قل لهم -أيها الرسول-: بلى وربى لئخرجن من قبوركم أحياء"^(٧).
قال الطبري: "يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا محمد: بلى وربى لتبعثن من قبوركم"^(٨).
قال ابن كثير: "وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه، عز وجل، على وقوع المعاد ووجوده فالأولى في سورة يونس: {وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} [يونس: ٥٣] والثانية في سورة سبأ: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ} الآية [سبأ: ٣]، والثالثة هي هذه: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}^(٩).
قال القشيري: "الموت نوعان: موت نفس، وموت قلب ففي القيامة يبعثون من موت النفس، وأمّا موت القلب فلا بعث منه- عند كثير من مخلصي هذه الطائفة، قال تعالى مخبرا عنهم: {قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا؟} [يس: ٥٢] فلو عرفوه لما قالوا ذلك فموت قلوبهم مسرمد إلى أن تصير معارفهم ضرورية، فهذا الوقت وقت موت قلوبهم"^(١٠).
قوله تعالى: {ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ} [التغابن: ٧]، أي: "ثم لتخبرن بالذي عملتم في الدنيا"^(١١).

(١) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٣٥/١٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٤١٨/٢٣.

(٣) زاد المسير: ٢٩٢/٤.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٨/٤٤٩. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٥) أخرجه أحمد ٣٠٧/٢٨ (١٧٠٧٥)، ٤٠٩/٣٨ (٢٣٤٠٣)، وأبو داود ٣٢٨/٧ (٤٩٧٢).

قال النووي في الأذكار ص ٦٠٠ (١٩٢٦): «إسناد صحيح». وقال ابن حجر في الفتح ١٠/٥٥١: «أخرجه أحمد وأبو داود، ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً، وكان البخاري أشار إلى ضعف هذا الحديث بإخراجه حديث أم هانئ». وقال الحوت الشافعي في أسنى المطالب ص ١٠٦ (٤٦٠): «فيه انقطاع وإرسال». وأورده الألباني في الصحيحة ٥٢٣/٢.

(٦) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ١٣٢.

(٧) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٨) تفسير الطبري: ٤١٨/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٣٦/٨-١٣٧.

(١٠) لطائف الإشارات: ٥٩٤/٣. والفرق واضح بين هذه المقالة وبين ما قاله أصحاب الكهف المؤمنون.

(١١) التفسير الميسر: ٥٥٦.

قال الطبري: "يقول: ثم لتخبرن بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا"^(١).
 قال ابن كثير: "أي: لُخْبِرُنَّ بجميع أعمالكم، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها"^(٢).
 قوله تعالى: {وَذَلِكْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [التغابن: ٧]، أي: "وذلك على الله يسير هين"^(٣).
 قال الطبري: "يقول: وبعثكم من قبوركم بعد مماتكم على الله سهل هين"^(٤).
 قال ابن كثير: "أي: بعثكم ومجازاتكم"^(٥).
 عن السدي: {ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}، "يعني: هين عليه وليس بشديد عليه"^(٦).
 قال ابن عباس، في قوله: {يسير}، يعني: هينا"^(٧).

القرآن

{فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [التغابن: ٨]
 التفسير:

فآمنوا بالله ورسوله -أيها المشركون- واهتدوا بالقرآن الذي أنزله على رسوله، والله بما تفعلون خبير لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأقوالكم، وهو مجازيكم عليها يوم القيامة.
 قوله تعالى: {فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا} [التغابن: ٨]، أي: "فآمنوا بالله ورسوله -أيها المشركون- واهتدوا بالقرآن الذي أنزله على رسوله"^(٨).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فصَدَّقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ الْمَكْتَبُونَ بِالْبَعْثِ، وبإخباره إياكم أنكم مبعوثون من بعد مماتكم، وأنكم من بعد بلائكم تنشرون من قبوركم، وآمنوا بالنور الذي أنزلنا، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"^(٩).

قال القرطبي: "أمرهم بالإيمان بعد أن عرفهم قيام الساعة. {وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا}، وهو القرآن، وهو نور يهتدي به من ظلمة الضلال"^(١٠).
 قال الزجاج: "أي: وبالقرآن الذي هو نُورٌ وكتابٌ مبين"^(١١).
 قال أبو هلال العسكري: "وسُمِّيَ نورا للبيان الذي فيه؛ لأنه يهتدي به كما يهتدي بالنور"^(١٢).

قال النسفي: "لأنه يبين حقيقة كل شيء فيهدي به كما بالنور"^(١٣).
 قال ابن عطية: "هذا دعاء إلى الله تعالى وتبليغ وتحذير من يوم القيامة، و«النور» القرآن ومعانيه"^(١٤).
 عن سعيد بن جبير: "قوله: {آمِنُوا بِاللَّهِ}، يعني: بتوحيد الله"^(١٥).

(١) تفسير الطبري: ٤١٨/٢٣-٤١٩.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٣٦/٨.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٤) تفسير الطبري: ٤١٩/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٣٦/٨.

(٦) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨١/٢.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٢٢٤): ص ٣٠٤٥/٩.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٩) تفسير الطبري: ٤١٩/٢٣.

(١٠) تفسير القرطبي: ١٣٦/١٨.

(١١) معاني القرآن: ١٨٠/٥.

(١٢) الوجوه والنظائر: ٤٨٧.

(١٣) تفسير النسفي: ٤٩٢/٣.

(١٤) المحرر الوجيز: ٣١٩/٥.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦١٠٤): ص ١٠٩٠/٤.

عن قتادة، في قوله: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا" [النساء : ١٧٤]: وهو هذا القرآن^(١).
 عن مجاهد: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا" [النساء : ١٧٤] بينا؛ يعني: القرآن^(٢). وروي
 عن ابن عباس والحسن وابن جريج مثله^(٣).
 قال السعدي: "لما ذكر تعالى إنكار من أنكر البعث، وأن ذلك منهم موجب كفرهم بالله
 وآياته، أمر بما يعصم من الهلكة [ص: ٨٦٧] والشقاء، وهو الإيمان بالله ورسوله وكتابه، وسماه
 الله نوراً، فإن النور ضد الظلمة، وما في الكتاب الذي أنزله الله من الأحكام والشرائع والأخبار،
 أنوار يهتدى بها في ظلمات الجهل المدلهمة، ويمشى بها في حندس الليل البهيم، وما سوى
 الاهتداء بكتاب الله، فهي علوم ضررها أكثر من نفعها، وشرها أكثر من خيرها، بل لا خير فيها
 ولا نفع، إلا ما وافق ما جاءت به الرسل، والإيمان بالله ورسوله وكتابه، يقتضي الجزم التام،
 واليقين الصادق بها، والعمل بمقتضى ذلك التصديق، من امتثال الأوامر، واجتناب المناهي^(٤).
 قوله تعالى: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [التغابن : ٨]، أي: "والله بما تفعلون خبير لا يخفى
 عليه شيء من أعمالكم وأقوالكم، وهو مجازيكم عليها يوم القيامة"^(٥).
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: والله بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة محيط بها، محص
 جميعها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميعها"^(٦).
 قال السعدي: "فيجازيكم بأعمالكم الصالحة والسيئة"^(٧).
 قال النسفي: "فراقبوا أموركم"^(٨).
 عن قتادة، قوله: " { خَبِيرٌ }، قال: " خبير بخلقه"^(٩).

القرآن

{يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفَرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ
 وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) } [التغابن : ٩]
 التفسير:

اذكروا يوم الحشر الذي يحشر الله فيه الأولين والآخرين، ذلك اليوم الذي يظهر فيه العُبن
 والتفاوت بين الخلق، فيغيب المؤمنون الكفار والفاسيقين: فأهل الإيمان يدخلون الجنة برحمة الله،
 وأهل الكفر يدخلون النار بعدل الله. ومن يؤمن بالله ويعمل بطاعته، يمح عنه ذنوبه، ويدخله
 جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، خالدين فيها أبداً، ذلك الخلود في الجنات هو الفوز
 العظيم الذي لا فوز بعده.

قوله تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ} [التغابن : ٩]، أي: "اذكروا يوم الحشر الذي
 يحشر الله فيه الأولين والآخرين"^(١٠).
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: والله بما تعملون خبير {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ}
 الخلائق للعرض"^(١١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٣٢٦): ٤/١١٢٥.

(٢) تفسير ابن أبي زمنين: ٤٢٦/١.

(٣) انظر: التفسير البسيط للواحدى: ٢٠٩/٧.

(٤) تفسير السعدي: ٨٦٦.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٦) تفسير الطبري: ٤١٩/٢٣.

(٧) تفسير السعدي: ٨٦٦.

(٨) تفسير النسفي: ٤٩٢/٣.

(٩) تفسير عبدالرزاق (٢٣٨٩): ص٥٦/٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(١١) تفسير الطبري: ٤١٩/٢٣.

قال السمعاني: "أي: يوم القيامة، وسمي يوم الجمع؛ لأنه يجتمع فيه الأولون والآخرون، ويجتمع أهل السموات وأهل الأرض"^(١).

قال ابن كثير: "هو يوم القيامة، سمي بذلك لأنه يجتمع فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، كما قال تعالى: {ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ} [هود : ١٠٣] وقال تعالى: {قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} [الواقعة : ٤٩، ٥٠]"^(٢).

قال السعدي: "يعني: اذكروا يوم الجمع الذي يجمع الله به الأولين والآخرين، ويقفهم موقفاً هائلاً عظيماً، وينبئهم بما عملوا، فحينئذ يظهر الفرق والتفاوت بين الخلائق، ويرفع أقوام إلى أعلى عليين، في الغرف العاليات، والمنازل المرتفعات، المشتملة على جميع اللذات والشهوات، ويخفض أقوام إلى أسفل سافلين، محل الهم والغم، والحزن، والعذاب الشديد، وذلك نتيجة ما قدموه لأنفسهم، وأسلفوه أيام حياتهم"^(٣).

قال قتادة: "هو يوم القيامة، وهو يوم التغابن: يوم غبن أهل الجنة أهل النار"^(٤).
وقرأ رويس عن يعقوب «يوم نجمعكم»، بالنون اعتباراً بقوله: {أنزلنا} [التغابن : ٨]^(٥).

قوله تعالى: {ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ} [التغابن : ٩]، أي: "ذلك اليوم الذي يظهر فيه الغبن والتفاوت بين الخلق، فيغبن المؤمنون الكفار والفساقين: فأهل الإيمان يدخلون الجنة برحمة الله، وأهل الكفر يدخلون النار بعدل الله"^(٦).

وفي قوله تعالى: {ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ} [التغابن : ٩]، وجوه من التفسير: أحدها: أنه من أسماء يوم القيامة، قاله ابن عباس^(٧)، ومنه قول الشاعر^(٨):
وَمَا أَرْتَجِي بِالْعَيْشِ فِي دَارِ فُرْقَةٍ ... أَلَا إِنَّمَا الرَّاحَاتُ يَوْمَ التَّغَابُنِ
عن ابن عباس، في قوله: "ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ"، من أسماء يوم القيامة، عظمه وحدّره عباده"^(٩).

الثاني: لأنه غبن فيه أهل الجنة أهل النار. قاله ابن عباس-أيضاً-^(١٠)، ومجاهد^(١١)، وقاتادة^(١٢)، ومنه قول الشاعر^(١٣):

لعمرك ما شيء يفوئك نيله ... بغبن ولكن في العقول التغابن
قال الطبري: "يقول: يوم غبن أهل الجنة أهل النار"^(١٤).
قال الزجاج: "يوم التغابن يوم يغبن أهل الجنة أهل النار، ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة من كان في دنون منزلته"^(١٥).

(١) تفسير السمعاني: ٤٥١/٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٣٧/٨.

(٣) تفسير السعدي: ٨٦٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٢٠/٢٣.

(٥) انظر: الكشف والبيان: ٣٢٨/٩.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٠/٢٣.

(٨) الشعر غير منسوب في "النكت والعيون": ٢٣/٦، وتفسير القرطبي: ١٣٦/١٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٢٠/٢٣.

(١٠) الدر المنثور: ١٨٣/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤١٩/٢٣-٤٢٠.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٠/٢٣.

(١٣) الشعر غير منسوب في "النكت والعيون": ٢٣/٦.

(١٤) تفسير الطبري: ٤١٩/٢٣.

(١٥) معاني القرآن: ١٨٠/٥.

قال ابن عطية: "وذلك أن كل واحد ينبعث من قبره وهو يرجو حظاً ومنزلة، فإذا وقع الجزء غين المؤمنون الكافرين لأنهم يحوزون الجنة ويحصل الكفار في النار"^(١).
قال الثعلبي: "«التغابن»: هو «تفاعل» من الغبن، وهو فوت الحظ والمراد"^(٢).
قال السعدي: "أي: يظهر فيه التغابن والتفاوت بين الخلائق، ويغبن المؤمنون الفاسقين، ويعرف المجرمون أنهم على غير شيء، وأنهم هم الخاسرون"^(٣).
قال ابن عباس: "غَبَنَ أَهْلُ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ"^(٤).
قال ابن عباس: "إن قومًا في النار يعذبون وقومًا في الجنة يتنعمون"^(٥).
قال مجاهد: "هو غبن أهل الجنة أهل النار"^(٦).
قال قتادة: "هو يوم القيامة، وهو يوم التغابن: يوم غبن أهل الجنة أهل النار"^(٧).
قال محمد بن كعب: "يوم القيامة؛ يغبن أهل الجنة أهل النار"^(٨).
قال مقاتل بن حيان: "لا غبن أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة، ويُذهب بأولئك إلى النار"^(٩).

عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يدخل أحد النار إلا أرى مقعده من الجنة، لو أحسن ليكون عليه حسرة، ولا يدخل الجنة أحد إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرًا"^(١٠).
الثالث: لأنه يوم غَبَنَ فِيهِ الْمَظْلُومُ الظالمَ ، لأن المظلوم كان في الدنيا مغبوناً فصار في الآخرة غابناً. حكاها الماوردي^(١١).
الرابع: لأنه اليوم الذي أخفاه الله عن خلقه ، و«الغبن»: الإخفاء، ومنه: الغبن في البيع، لاستخفائه ، ولذلك قيل: مَغَابِنَ الْجَسَدِ لما خفي منه. أفاده الماوردي^(١٢).
الخامس: أن الله تعالى سمي لكل أحد من خلقه منزلاً في النار ومنزلاً في الجنة، فمن كان مؤمناً يرث منزلة الكافر في الجنة، ومن كان كافراً يرث منزل المؤمن في النار، وهو معنى التغابن يوم القيامة. حكاها السمعاني^(١٣).
قال الزمخشري: "التغابن: مستعار من تغابن القوم في التجارة، وهو أن يغبن بعضهم بعضاً، لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء، ونزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء. وفيه تهكم بالأشقياء، لأن نزولهم ليس بغبن"^(١٤).
قال المفسرون: "من غبن أهله منازل في الجنة فيظهر يومئذ غبن كل كافر ببركة الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان وتضييعه الأيام"^(١٥).

-
- (١) المحرر الوجيز: ٣١٩/٥.
(٢) انظر: الكشف والبيان: ٣٢٨/٩.
(٣) تفسير السعدي: ٨٦٧.
(٤) الدر المنثور: ١٨٣/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٥) التفسير البسيط للواحدى: ٤٨٤/٢١.
(٦) أخرجه الطبري: ٤١٩/٢٣-٤٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٢٠/٢٣.
(٨) أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ١٠٣/٨ (٢٢٣٠).
(٩) نقلاً عن: تفسير ابن كثير: ١٣٧/٨.
(١٠) المسند(١٠٩٨٠):ص٥٧٨/١٦، وصحيح البخاري(٦٥٦٩):ص١١٧/٨. قال مصطفى البغا: "«ليزداد شكري» اعترافاً بفضل الله تعالى وفرحاً ورضاً بما أولاه من نعمة. «حسرة» زيادة في تعذبه".
(١١) انظر: النت والعيون: ٢٣/٦.
(١٢) انظر: النت والعيون: ٢٣/٦.
(١٣) انظر: تفسير السمعاني: ٤٥٢/٥.
(١٤) الكشاف: ٥٤٨/٤.
(١٥) نقلاً عن: الكشف والبيان: ٣٢٨/٩.

السادس: سمي يوم التغين، لأن المطيع- يومئذ- في غبن، لعدم استكثاره من الطاعة، والعاصي في غبن، لأنه استكثر من الزلة. أفاده القشيري^(١).
قوله تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفَرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ} [التغابن : ٩]، أي: "ومن يؤمن بالله ويعمل بطاعته، يمح عنه ذنوبه"^(٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ومن يصدق بالله ويعمل بطاعته، وينته إلى أمره ونهيه يمح عنه ذنوبه"^(٣).

قال السعدي: "فكانه قيل: بأي شيء يحصل الفلاح والشقاء والنعيم والعذاب؟ فذكر تعالى أسباب ذلك بقوله: {وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} أي: إيمانًا تامًا، شاملًا لجميع ما أمر الله بالإيمان به، {وَيَعْمَلْ صَالِحًا} من الفرائض والنوافل، من أداء حقوق الله وحقوق عباده [يُكْفَرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ]"^(٤).

عن سعيد بن جبير: "قوله: {آمِنُوا بِاللَّهِ}، يعني: بتوحيد الله"^(٥).
عن السدي، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"^(٦).

قوله تعالى: {وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [التغابن : ٩]، أي: "ويدخله جنات تجري من تحت قصورها الأنهار"^(٧).

قال الطبري: "يقول: ويدخله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار"^(٨).
قال السعدي: "فيها ما تشتهي النفس، وتلذ الأعين، وتختاره الأرواح، وتحن إليه القلوب، ويكون نهاية كل مرغوب"^(٩).

قرأ أهل المدينة والشام -ها هنا- وفي السورة التي تليها: «نكفّر» و«ندخله» «بالنون، والباقون بالياء»^(١٠).

عن السدي: "جنات" قال: البساتين"^(١١).
قال مجاهد: "الجنات: حوائط"^(١٢).

عن أبي مالك قوله: "تجري من تحتهم الأنهار"، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"^(١٣).
قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزلت ثمرتها عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعًا"^(١٤).

قوله تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [التغابن : ٩]، أي: "مقيمين في تلك الجنات أبد الحياة، لا يموتون لا يخرجون منها"^(١٥).

قال الطبري: "يقول: لا يبتين فيها أبدًا، لا يموتون، ولا يخرجون منها"^(١٦).

(١) انظر: لطائف الإشارات: ٥٩٥/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣) تفسير الطبري: ٤٢٠/٢٣.

(٤) تفسير السعدي: ٨٦٧.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦١٠٤): ص ١٠٩٠/٤.

(٦) علّقه يحيى بن سلام ٦١٨/٢.

(٧) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٨) تفسير الطبري: ٤٢٠/٢٣.

(٩) تفسير السعدي: ٨٦٧.

(١٠) انظر: الكشف والبيان: ٣٢٨/٩.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٨٢٤): ص ٢٧٩٦/٩.

(١٢) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٣٨): ص ١٩٢٩/٦.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦٧٨): ص ٨٤٥/٣.

(١٥) صفوة التفسير: ٣٧٠/٣.

(١٦) تفسير الطبري: ٤٢٠/٢٣.

عن سعيد بن جبیر، {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: "لا يموتون"^(١).
 عن ابن عباس: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}، قال: لا انقطاع"^(٢).
 قوله تعالى: {ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التغابن : ٩]، أي: "ذلك الخلود في الجنات هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده"^(٣).
 قال الطبري: "يقول: خلودهم في الجنات التي وصفنا النجاء العظيم"^(٤).
 قال سعيد بن جبیر: "يعني: ذلك الثواب الفوز العظيم"^(٥).

القرآن

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبئسَ الْمَصِيرُ (١٠)} [التغابن

: ١٠]

التفسير:

والذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذبوا بدلائل ربوبيته وبراهين ألوهيته التي أرسل بها رسله، أولئك أهل النار ماكنين فيها أبداً، وساء المرجع الذي صاروا إليه، وهو جهنم.
 قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} [التغابن : ١٠]، أي: "والذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذبوا بدلائل ربوبيته وبراهين ألوهيته التي أرسل بها رسله"^(٦).
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: والذين جحدوا وحدانية الله، وكذبوا بأدلتهم وحججه وآي كتابه الذي أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم"^(٧).
 قال السعدي: "أي: كفروا بها من غير مستند شرعي ولا عقلي، بل جاءتهم الأدلة والبيانات، فكذبوا بها، وعاندوا ما دلت عليه"^(٨).

عن قتادة قوله: "{وَالَّذِينَ كَفَرُوا}، قال: المشركون من قريش"^(٩).

عن سعيد بن جبیر، قوله: {بِآيَاتِنَا} يعني: القرآن"^(١٠).

عن السدي: "أما آيات الله، فمحمد صلى الله عليه وسلم"^(١١).

قوله تعالى: {أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا} [التغابن : ١٠]، أي: "أولئك أهل النار ماكنين فيها أبداً"^(١٢).

قال الطبري: "يقول: ماكنين فيها أبداً لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها"^(١٣).

قال السعدي: "الملازمون لها ملازمة الصاحب لصاحبه"^(١٤).

عن أبي مالك في قوله: {أَصْحَابُ النَّارِ}، يعذبون فيها"^(١٥).

عن أنس يرفعه قال: "المخلدون في النار في توأبيت من حديد مطبقة"^(١٦).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٥٠٥): ص ٩٨٤/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٥٠٦): ص ٩٨٤/٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٤) تفسير الطبري: ٤٢٠/٢٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٠٧١): ص ١٢٥٧/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٧) تفسير الطبري: ٤٢٠/٢٣.

(٨) تفسير السعدي: ٨٦٧.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٢٧): ص ٩٤/١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٢٩): ص ٩٤/١.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٢٨): ص ٩٤/١.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(١٣) تفسير الطبري: ٤٢٠/٢٣.

(١٤) تفسير السعدي: ٢٢٤.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٣٠): ص ٩٤/١.

(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٣٢): ص ٩٤/١.

قوله تعالى: {وَبئْسَ الْمَصِيرُ} [التغابن : ١٠]، أي: "وساء المرجع الذي صاروا إليه، وهو جهنم"^(١).

قال الطبري: "يقول: وبئس الشيء الذي يُصَار إليه جهنم"^(٢).
قال السعدي: "لأنها جمعت كل بؤس وشدة، وشقاء وعذاب"^(٣).
قال ابن أبي نجيح: "مصير الكافر إلى النار"^(٤).

فوائد الآيات: [٧-١٠]:

- ١- تقرير البعث والجزاء.
- ٢- تقرير التوحيد والنبوة.
- ٣- بيان كون القرآن نوراً فلا هداية في هذه الحياة إلا به فمن طلبها في غيره ما اهتدى.
- ٤- الترغيب في الإيمان والعمل الصالح وبيان أنهما مفتاح دار السلام.
- ٥- التحذير من الكفر والتكذيب بالقرآن وشرائعه وأحكامه فإن ذلك يقود إلى النار.

القرآن

{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١)}

[التغابن : ١١]

التفسير:

ما أصاب أحدًا شيءٌ من مكروهٍ يحلُّ به إلا بإذن الله وقضائه وقدره. ومن يؤمن بالله يهد قلبه للتسليم بأمره والرضا بقضائه، ويهده لأحسن الأقوال والأفعال والأحوال؛ لأن أصل الهداية للقلب، والجوارح تبع. والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

قوله تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [التغابن : ١١]، أي: "ما أصاب أحدًا شيءٌ من مكروهٍ يحلُّ به إلا بإذن الله وقضائه وقدره"^(٥).

قال الفراء: "يريد: إلا بأمر الله"^(٦).

قال الثعلبي: "بإرادته وقضائه"^(٧).

قال ابن عباس: "بأمر الله"^(٨). قال ابن كثير: "يعني: عن قدره ومشيتته"^(٩).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: لم يصب أحدًا من الخلق مصيبة إلا بقضاء الله وتقدير ذلك عليه"^(١٠).

قال ابن جزي: "يحتمل أن يريد بالمصيبة الرزايا، وخصها بالذكر لأنها أهم على الناس. أو يريد جميع الحوادث من خير أو شر وإذن الله عبارة عن قضائه وإرادته تعالى"^(١١).

قال السعدي: "هذا عام لجميع المصائب، في النفس، والمال، والولد، والأحباب، ونحوهم، فجميع ما أصاب العباد، فبقضاء الله وقدره، قد سبق بذلك علم الله تعالى، وجرى به قلمه، ونفذت به مشيئته، واقتضته حكمته"^(١٢).

قوله تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ} [التغابن : ١١]، أي: "ومن يؤمن بالله يهد قلبه للتسليم بأمره والرضا بقضائه، ويهده لأحسن الأقوال والأفعال والأحوال"^(١).

(١) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٢) تفسير الطبري: ٤٢٠/٢٣.

(٣) تفسير السعدي: ٨٦٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٠٩): ص ١٨٤٢/٦.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٦) معاني القرآن: ١٦١/٣.

(٧) الكشف والبيان: ٣٢٩/٩.

(٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٣٧/٨.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٣٧/٨.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٢١/٢٣.

(١١) التسهيل في علوم التنزيل: ٣٨١/٢.

(١٢) تفسير السعدي: ٨٦٧.

وفي قوله تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ} [التغابن : ١١]، وجوه من التفسير: أحدها : يعني: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. قاله ابن عباس^(٢).

وذكر الأزهري في كتابه أن معنى قوله: {يَهْدِ قَلْبَهُ}، أي: "يجعله مهتديا، وقد أيد هذا القول ما حكى عن ابن جريج أنه قال: من عرف الله فهو مهتدي القلب"^(٣).
الثاني : يعني : يسترجع، يقول: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة : ١٥٦]. قاله سعيد بن جبير^(٤)، ومقاتل بن حيان^(٥)، والفراء^(٦).

قال يحيى بن سلام: "هدى يعني التوفيق..يعني: يوقِّ قلبه إلى الاسترجاع عند المصيبة فسلم ورضي وعرف أنها من الله"^(٧).
قال البيضاوي: "يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها"^(٨).

وفي الحديث المتفق عليه : "عجبا للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن"^(٩).

عبادة بن الصامت يقول : إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، أي العمل أفضل ؟ قال : "إيمان بالله، وتصديق به، وجهاد في سبيله". قال : أريد أهون من هذا يا رسول الله. قال : "لا تتهم الله في شيء، قضى لك به"^(١٠).

الثالث : هو إذا ابتلي صبر ، وإذا أنعم عليه شكر وإذا ظلم غفر ، قاله مجاهد^(١١)، والكلبي^(١٢).
قال ابن قتيبة: "يقال: إذا ابتلي صبراً، وإذا أنعم عليه شكر، وإذا ظلم غفر"^(١٣).
قال الفراء: "يقال: يهد قلبه إذا ابتلي صبراً، وإذا أنعم عليه شكر، وإذا ظلم غفر، فذلك قوله يهد قلبه"^(١٤).

الرابع: أنه يعلم أنه من عند الله ويرضى ويسلم ، قاله علقمة بن قيس^(١٥)، وسعيد بن جبير^(١٦).
قال علقمة بن قيس: "هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيسلم ذلك ويرضى"^(١٧).

قال الطبري: "يقول: ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه: يقول: يوقِّ الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه"^(١٨).

-
- (١) التفسير الميسر: ٥٥٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٢١/٢٣.
(٣) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٥٢/٥.
(٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٣٨/٨.
(٥) رواه عنه القاضي أبو إسحاق الجهضمي في أحكام القرآن (٣٨٨): ص ٢٢٤، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٣٨/٨.
(٦) انظر: معاني القرآن: ١٦١/٣.
(٧) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتهت أسماءه وتصرفت معانيه: ١٠١.
(٨) تفسير البيضاوي: ٢١٨/٥.
(٩) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٩٩) من حديث صهيب الرومي، رضي الله عنه.
(١٠) ((المسند (٣١٨/٥)).
(١١) حكاه عنه النسفي في "التفسير": ٤٩٣/٣.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٦:٢٤، وتفسير القرطبي: ١٣٩/١٨. وورد نحوه عن أهل المعاني وابن عباس، على ما في الفخر ١٦٢/٨. وانظر الطبري ٨٠-٧٩/٢٨. وهو اقتباس من حديث مرفوع أخرجه الطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب من طريق سخيرة، على ما في الفتح الكبير ١٤٥/٣.
(١٣) غريب القرآن: ٤٦٩.
(١٤) معاني القرآن: ١٦١/٣.
(١٥) انظر: تفسير عبدالرزاق (٣٢٢٧): ص ٣١٤/٣.
(١٦) انظر: تفسير السمعاني: ٤٥٢/٥.
(١٧) أخرجه الطبري: ٤٢١/٢٣، وعبدالرزاق في "التفسير" (٣٢٢٧): ص ٣١٤/٣.

قال ابن زنين: "أي: إذا أصابته مصيبة سلم ورضي، وعرف أنها من الله" (٢).
 قال سهل بن عبدالله: "يؤمن بالله أن بلواه من الله يهد قلبه لانتظار الفرج منه" (٣).
 قال مقاتل: "يعني: ومن يصدق بالله في المصيبة، ويعلم أن المصيبة من الله ويسلم لأمر
 الله يهده الله- تعالى- للاسترجاع، فذلك قوله: {يَهْدِ قَلْبَهُ} للاسترجاع. يقول: «إنا لله وإنا إليه
 راجعون، وفي سورة البقرة يقول {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}
 [البقرة: ١٥٧]، للاسترجاع" (٤).

قال ابن كثير: "أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب
 واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوّضه عما فاتته من الدنيا هدى في قلبه، وبقينا صادقاً، وقد
 يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيراً منه" (٥).

قال أبو بكر الوراق: "وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} عند النعمة والرخاء، فيعلم أنها من فضل الله
 {يَهْدِ قَلْبَهُ} للشكر، {وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} عند الشدة والبلاء فيعلم أنها من عند الله {يَهْدِ قَلْبَهُ} للرضا
 والصبر" (٦).

وقال أبو عثمان الجيري: "ومن صحّ إيمانه يَهْدِ قَلْبَهُ لاتباع السنة" (٧).
 قال ابن جزى: "قيل: معناه من يؤمن بأن كل شيء بإذن الله يهد الله قلبه للتسليم والرضا
 بقضاء الله، وهذا أحسن إلا أن العموم أحسن منه" (٨).

قال السعدي: "والشأن كل الشأن، هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام، أم لا
 يقوم بها؟ فإن قام بها، فله الثواب الجزيل، والأجر الجميل، في الدنيا والآخرة، فإذا آمن أنها من
 عند الله، فرضي بذلك، وسلم لأمره، هدى الله قلبه، فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب، كما
 يجري لمن لم يهد الله قلبه، بل يرزقه الثبات عند ورودها والقيام بموجب الصبر، فيحصل له
 بذلك ثواب عاجل، مع ما يدخر الله له يوم الجزاء من الثواب كما قال تعالى: {لَمَّا يُوقَى
 الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} وعلم من هذا أن من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب، بأن لم
 يلحظ قضاء الله وقدره، بل وقف مع مجرد الأسباب، أنه يخذل، ويكله الله إلى نفسه، وإذا وكل
 العبد إلى نفسه، فالنفس ليس عندها إلا الجزع والهلع الذي هو عقوبة عاجلة على العبد، قبل
 عقوبة الآخرة، على ما فرط في واجب الصبر. هذا ما يتعلق بقوله: {وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}
 في مقام المصائب الخاص، وأما ما يتعلق بها من حيث العموم اللفظي، فإن الله أخبر أن كل من
 آمن أي: الإيمان المأمور به، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره
 وشره، وصدق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من القيام بلوازمه وواجباته، أن هذا السبب الذي قام به
 العبد أكبر سبب لهداية الله له في أحواله وأقواله، وأفعاله وفي علمه وعمله.

وهذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان، كما قال تعالى في الأخبار: أن المؤمنين
 يثبتهم الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأصل الثبات: ثبات القلب وصبره، ويقينه عند ورود كل
 فتنة، فقال: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} فأهل الإيمان أهدى
 الناس قلوباً، وأثبتهم عند المزعجات والمقلقات، وذلك لما معهم من الإيمان" (٩).

(١) تفسير الطبري: ٤٢١/٢٣.

(٢) تفسير ابن أبي زنين: ٣٩٨/٤.

(٣) تفسير التستري: ٣٦.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥٢/٤-٣٥٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٣٧/٨.

(٦) نقلا عن: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٢٩/٩.

(٧) نقلا عن: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٢٩/٩.

(٨) التسهيل في علوم التنزيل: ٣٨١/٢.

(٩) تفسير السعدي: ٨٦٧.

وقرأ عكرمة: «يَهْدِ قَلْبَهُ»، بفتح الدال ورفع قلبه على أن الأصل فيه يهدي قلبه، من الهدوء أي: يسكن ويطمئن، فأبدل من الهمزة ألفاً ثم حذفها للجزم^(١).

وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه:

الأول: الهداية التي عمّ بجنسها كلّ مكلف من العقل، والفتنة، والمعارف الضرورية التي أعمّ منها كلّ شيء بقدر فيه حسب احتمالها كما قال: {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: ٥٠].

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على السنة الأنبياء، وإنزال القرآن ونحو ذلك، وهو المقصود بقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} [الأنبياء: ٧٣].

الثالث: التوفيق الذي يختصّ به من اهتدى، وهو المعنى بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى} [محمد: ١٧] ، وقوله: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ} [التغابن: ١١] ، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ} [يونس: ٩] ، وقوله: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: ٦٩] ، {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} [مريم: ٧٦] ، {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} [البقرة: ٢١٣] ، {وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: ٢١٣].

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة المعنى بقوله: {سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِالهُمِّ} [محمد: ٥] ، {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ} [الأعراف: ٤٣] إلى قوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} [الأعراف: ٤٣].

وهذه الهدايات الأربع مترتبة، فإن من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة، ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التي قبلها، ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله. ثم ينعكس، فقد تحصل الأولى ولا يحصل له الثاني ولا يحصل الثالث، والإنسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات، وإلى الأول أشار بقوله: {وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: ٥٢] ، {يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} [السجدة: ٢٤] ، {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} [الرعد: ٧] ، أي: داع، وإلى سائر الهدايات أشار بقوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص: ٥٦] وكلّ هداية ذكر الله عزّ وجلّ أنه منع الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة، وهي التوفيق الذي يختصّ به المهتدون، والرابعة التي هي الثواب في الآخرة، وإدخال الجنة. نحو قوله عزّ وجلّ: {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا} [آل عمران: ٨٦] ، إلى قوله: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [آل عمران: ٨٦] وكقوله: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الكَافِرِينَ} [النحل/ ١٠٧] ، وكلّ هداية نفاها الله عن النبيّ صلى الله عليه وسلم وعن البشر، وذكر أنهم غير قادرين عليها فهي ما عدا المختصّ من الدعاء وتعريف الطريق، وذلك كإعطاء العقل، والتوفيق، وإدخال الجنة، كقوله عزّ ذكره: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [البقرة: ٢٧٢] ، {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى} [الأنعام: ٣٥] ، {وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَاتِهِمْ} [النمل: ٨١] ، {إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ} [النحل: ٣٧] ، {وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: ٣٦] ، {وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ} [الزمر: ٣٧] ، {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦] وإلى هذا المعنى أشار بقوله تعالى: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [يونس: ٩٩] ، وقوله: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ} [الإسراء/ ٩٧] ، أي: طالب الهدى ومتحرّيه هو الذي يوقفه ويهديه إلى طريق الجنة لا من ضاده، فيتحرّى طريق الضلال والكفر كقوله: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الكَافِرِينَ} [التوبة: ٣٧] ، وفي أخرى: {الظَّالِمِينَ} [التوبة: ١٠٩] ، وقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: ٣] الكاذب الكفار: هو الذي لا يقبل هدايته، فإن ذلك راجع إلى هذا وإن لم يكن لفظه موضوعاً لذلك، ومن لم يقبل هدايته لم يهدده، كقولك: من لم يقبل هديتي لم أهد له، ومن لم يقبل عطيتي لم أعطه، ومن رغب عني لم أرغب فيه، وعلى هذا النحو: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [التوبة: ٣].

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢٩٣/٤، والكشف والبيان: ٣٢٩/٩، والبحر المحيط: ٢٧٥/٨.

[١٠٩] وفي أخرى: {الفاسيقين} [التوبة: ٨٠] وقوله: {أَقْمَنَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى} [يونس: ٣٥] ، وقد قرئ: «يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى»، أي: لا يهدي غيره ولكن يهدي. أي: لا يعلم شيئاً ولا يعرف أي لا هداية له، ولو هدي أيضاً لم يهتد، لأنها موات من حجارة ونحوها، وظاهر اللفظ أنه إذا هدي اهتدى لإخراج الكلام أنها أمثالكم كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ} [الأعراف: ١٩٤] وإنما هي أموات، وقال في موضع آخر: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ} [النحل: ٧٣] ، وقوله عز وجل: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ} [الإنسان: ٣] ، {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد: ١٠] ، {وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الصفات: ١١٨] فذلك إشارة إلى ما عرف من طريق الخير والشر، وطريق الثواب والعقاب بالعقل والشرع وكذا قوله: {قَرِيبًا هَدَى وَقَرِيبًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} [الأعراف: ٣٠] ، {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦] ، {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن: ١١] فهو إشارة إلى التوفيق الملقى في الروح فيما يتحرّاه الإنسان وإياه عنى بقوله عز وجل: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى} [محمد: ١٧] وهدى الهداية في مواضع بنفسه، وفي مواضع باللام، وفي مواضع بالي، قال تعالى: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}

[آل عمران: ١٠١] ، {وَأَجْنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام: ٨٧] وقال: {أَقْمَنَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ} [يونس: ٣٥] ، وقال: {هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزْكَى وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} [النازعات: ١٨ - ١٩].

وما عدى بنفسه نحو: {وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [النساء: ٦٨] ، {وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الصفات: ١١٨] ، {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاحة: ٦] ، {أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْتَدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ} [النساء: ٨٨] ، {وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا} [النساء: ١٦٨] ، {أَقَانَتْ تَهْدِي الْعُمَى} [يونس: ٤٣] ، {وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [النساء: ١٧٥] (١).
قوله تعالى: {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التغابن: ١١] ، أي: "والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من ذلك" (٢).

قال الطبري: "يقول: والله بكل شيء ذو علم بما كان ويكون وما هو كائن من قبل أن يكون" (٣).

القرآن

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢)} [التغابن: ١٢]

التفسير:

وأطيعوا الله -أيها الناس- وانقادوا إليه فيما أمر به ونهى عنه، وأطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم، فيما بلغكم به عن ربه، فإن أعرضتم عن طاعة الله ورسوله، فليس على رسولنا ضرر في إعراضكم، وإنما عليه أن يبلغكم ما أرسل به بلاغاً واضح البيان.
قوله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [التغابن: ١٢] ، أي: "وأطيعوا الله -أيها الناس- وانقادوا إليه فيما أمر به ونهى عنه، وأطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم، فيما بلغكم به عن ربه" (٤).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ} أيها الناس في أمره ونهيه {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} صلى الله عليه وسلم" (١).

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب: ٨٣٥-٨٣٨، قد نقل ابن القيم هذه الهدايات الأربع في عدة مواضع من كتبه. انظر مثلاً: بدائع الفوائد ٢/٣٥-٣٧.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٣) تفسير الطبري: ٤٢٢/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٧.

قال ابن كثير: "أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع، وفعل ما به أمر وترك ما عنه نهى وزجر"^(٢).

قال السعدي: "أي: في امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فإن طاعة الله وطاعة رسوله، مدار السعادة، وعنوان الفلاح"^(٣).

قال عطاء بن ابي رباح: "طاعة الله: إتباع كتابه، وطاعة الرسول: اتباع سنته"^(٤).
قوله تعالى: {قَاتِنُ تَوَلَّيْتُمْ فَأَيُّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ} [التغابن: ١٢]، أي: "فإن أعرضتم عن طاعة الله ورسوله، فليس على رسولنا ضرر في إعراضكم، وإنما عليه أن يبلغكم ما أرسل به بلاغًا واضح البيان"^(٥).

قال الطبري: يقول: "فإن أدبرتم عن طاعة الله وطاعة رسوله مستكبرين عنها، فلم تطيعوا الله ولا رسوله {فَأَيُّكُمْ} فليس {عَلَى رَسُولِنَا} محمد إلا {الْبَلَّغُ الْمُبِينُ} أنه بلاغ إليكم لما أرسلته به يقول جل ثناؤه: فقد أعذر إليكم بالإبلاغ والله ولي الانتقام ممن عصاه، وخالف أمره، وتولى عنه"^(٦).

قال ابن كثير: "أي: إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حمل من البلاغ، وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة"^(٧).

قال السعدي: "قَاتِنُ تَوَلَّيْتُمْ} أي عن طاعة الله وطاعة رسوله، {فَأَيُّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ} أي: يبلغكم ما أرسل به إليكم، بلاغًا يبين لكم ويتضح وتقوم عليكم به الحجة، وليس بيده من هدايتكم، ولا من حسابكم من شيء، وإنما يحاسبكم على القيام بطاعة الله وطاعة رسوله، أو عدم ذلك، عالم الغيب والشهادة"^(٨).

قال الزمخشري: "قَاتِنُ تَوَلَّيْتُمْ} فلا عليه إذا توليتم، لأنه لم يكتب عليه طاعتكم، إنما كتب عليه أن يبلغ ويبين فحسب"^(٩).

قال الزهري: "من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم"^(١٠).

القرآن

{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون (١٣)} [التغابن: ١٣]

التفسير:

الله وحده لا معبود بحق سواه، وعلى الله فليعتمد المؤمنون بوحدانيتها في كل أمورهم.

قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [التغابن: ١٣]، أي: "الله وحده لا معبود بحق سواه"^(١١).

قال الطبري: يقول جل ثناؤه: معبودكم أيها الناس معبود واحد لا تصلح العبادة لغيره ولا معبود لكم سواه"^(١٢).

قال ابن كثير: "خَبِرٌ عن التوحيد، ومعناه معنى الطلب، أي: وحدوا الإلهية له، وأخلصوها لديه"^(١٣).

(١) تفسير الطبري: ٤٢٢/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٣٨/٨.

(٣) تفسير السعدي: ٨٦٧.

(٤) تفسير القرآن من الجامع لان وهب (١٢): ص ١٢/٩.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٦) تفسير الطبري: ٤٢٢/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٣٨/٨.

(٨) تفسير السعدي: ٨٦٧.

(٩) الكشاف: ٥٤٩/٤.

(١٠) رواه البخاري في صحيحه معلقًا (٥٠٣/١٣) "فتح".

(١١) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(١٢) تفسير الطبري: ٤٢٢/٢٣.

(١٣) تفسير ابن كثير: ١٣٨/٨.

قال السعدي: "أي: هو المستحق للعبادة والألوهية، فكل معبود سواه فباطل"^(١)
 عن محمد بن إسحاق: "لا إله إلا هو"، قال: ليس معه غيره شريكا في أمره"^(٢)
 عن كعب، قال: "لا إله إلا الله": كلمة الإخلاص"^(٣)
 قوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التغابن : ١٣]، أي: "وعلى الله فليعتمد
 المؤمنون بوحدانيته في كل أمورهم"^(٤).

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: وعلى الله أيها الناس فليتوكل المصدقون بوحدانيته"^(٥)
 قال ابن كثير: أي: "وتوكلوا عليه، كما قال تعالى: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} [المزمل : ٩]"^(٦).

قال السعدي: "أي: فليعتمدوا عليه في كل أمر نابههم، وفيما يريدون القيام به، فإنه لا
 يتيسر أمر من الأمور إلا بالله، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالاعتماد على الله، ولا يتم الاعتماد على
 الله، حتى يحسن العبد ظنه بربه، ويثق به في كفايته الأمر الذي اعتمد عليه به، وبحسب إيمان
 العبد يكون توكله، فكلما قوي الإيمان قوي التوكل"^(٧).

قال الزمخشري: "بعث لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على التوكل عليه
 والتقوى به في أمره، حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه"^(٨).

قال ابن إسحاق: "وَعَلَى اللَّهِ"، أي: لا على الناس فليتوكل المؤمنون"^(٩)
 قال محمد بن إسحاق: يقول الله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}، أي: من كان به
 ضعف من المؤمنين أو وهن، فليتوكل علي أعنه على أمره وأدفع عنه، حتى أبلغ به وأقويه على
 نيته"^(١٠).

والتوكل: "هو الاعتماد على الله. قال تعالى: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} التوكل على
 الله في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها، وهو
 من أعلى المقامات لوجهين: أحدهما قوله إن الله يحب المتوكلين، والآخر الضمان الذي في قوله:
 ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وقد يكون واجبا لقوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ} فجعله شرطا في الإيمان، والظاهر قوله جل جلاله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون، فإن
 الأمر محمول على الوجوب"^(١١).

واعلم أن الناس في التوكل على ثلاث مراتب^(١٢):
 الأولى: أن يعتمد العبد على ربه، كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في
 نصيحته له، وقيامه بمصالحه.

الثانية: أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه، فإنه لا يعرف سواها، ولا يلجأ إلا إليها.
 الثالثة: أن يكون مع ربه، كالميت بين يدي الغاسل قد أسلم نفسه إليه بالكلية.

فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه بخلاف صاحب الثانية، وصاحب الثانية
 له حظ من المراد والاختبار بخلاف صاحب الثالثة، وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخالص

(١) تفسير السعدي: ٨٦٧.
 (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٣٤): ص ٦/٢٠١٠.
 (٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٣٦٤): ص ٥/١٥٨٦.
 (٤) التفسير الميسر: ٥٥٧.
 (٥) تفسير الطبري: ٤٢٢/٢٣.
 (٦) تفسير ابن كثير: ١٣٨/٨.
 (٧) تفسير السعدي: ٨٦٧.
 (٨) الكشف: ٥٤٩/٤.
 (٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٢٧): ص ٣/٨٠٣.
 (١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٠٧٩): ص ٣/٧٥٠.
 (١١) انظر: كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتخلي بالأصل المفيد»، عمر العرباوي الحملاوي:
 ٢٤٨.
 (١٢) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

الذي في قوله عز وجل: {وَالَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى: أحدها أنه لا ثاني له، فهو نفي للعدد، والآخر أنه لا شريك له، والثالث أنه لا يتبعض، ولا ينقسم.

وبين أهل العلم: أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها وجرت سنته في خلقه بها^(١).

فوائد الآيات: [١١-١٣]:

- ١- تقرير عقيدة القضاء والقدر.
- ٢- وجوب الصبر عند نزول المصيبة والرضا والتسليم لله تعالى في قضائه وحكمه، ومن تكن هذه حاله يهد الله قلبه^٣ ويرزقه الصبر وعظيم الأجر ويلطف به في مصيبته وإن هو استرجع قائلاً إنا لله وإنا إليه راجعون أخلفه الله عما فقدته وأجره.
- ٣- وجوب طاعة الله وطاعة رسوله في الأمر والنهي.
- ٤- تقرير التوحيد.
- ٥- وجوب التوكل على الله تعالى وهو فعل المأمور وترك المنهي وتفويض الأمر لله بعد ذلك. ولن يكون إلا خيراً بإذن الله تعالى.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤)} [التغابن: ١٤]

التفسير:

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، إن من أزواجكم وأولادكم أعداء لكم يصدونكم عن سبيل الله، ويثبطونكم عن طاعته، فكونوا منهم على حذر، ولا تطيعوهم، وإن تتجاوزوا عن سيئاتهم وتعرضوا عنها، وتسترها عليهم، فإن الله غفور رحيم، يغفر لكم ذنوبكم؛ لأنه سبحانه عظيم الغفران واسع الرحمة.

سبب النزول:

قال ابن عباس: "هؤلاء رجال أسلموا، فأرادوا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا الناس قد فقهوا في الدين، هموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله جل ثناؤه: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ} .. الآية"^(٢).

قال إسماعيل بن أبي خالد: "كان الرجل يسلم، فيلومه أهله وبنوه، فنزلت: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ}"^(٣).

عن عطاء بن يسار قال: "نزلت سورة التغابن كلها بمكة، إلا هؤلاء الآيات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ}، نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، كان ذا أهل وولد، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه، فقالوا: إلى من تدعنا؟ فبرق ويقيم، فنزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ}، الآية كلها بالمدينة في عوف بن مالك وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة"^(٤).

قال مقاتل: "نزلت في الأشجع، {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ}، يعني: إذا أمرتكم بالإثم، وذلك أن الرجل كان إذا أراد الهجرة قال له أهله، وولده ننشدك الله أن تذهب وتدع أهلك وولدك ومالك، نضيع بعدك، ونصير عيالا بالمدينة لا معاش لنا فيثبطونه، فمنهم من يقيم، ومنهم

(١) انظر: "جامع العلوم والحكم" لابن رجب: ٤٩٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٢٥/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢٣.

من يهاجر ولا يطيع أهله، فيقول: تثبتونا عن الهجرة، لئن جمعنا الله وإياكم لنعاقبكنم، ولا نصلكم، ولا تصيبون منا خيراً، يقول الله: فاحذروهم أن تطيعوهم في ترك الهجرة^(١).
قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [التغابن : ١٤]، أي: "يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله"^(٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله"^(٣).
قال ابن عباس: "ما أنزل الله آية في القرآن، يقول فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، إلا كان على شريفها وأميرها"^(٤).

عن معن وعون، أو أحدهما: "أن رجلاً أتى عبد الله بن مسعود فقال: أعهد إلي فقال: إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، فأرعها سمعك، فإنه خير يأمره أو شر ينهى عنه"^(٥).
قوله تعالى: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن : ١٤]، أي: "إن من أزواجكم وأولادكم أعداء لكم يصدونكم عن سبيل الله، ويثبطونكم عن طاعته، فكونوا منهم على حذر، ولا تطيعوهم"^(٥).

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن الأزواج والأولاد: إن منهم من هو عدو الزوج والوالد، بمعنى: أنه يلتهى به عن العمل الصالح، كقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون : ٩]"^(٦).

قال السعدي: "هذا تحذير من الله للمؤمنين، من الاعتزاز بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، والعدو هو الذي يريد لك الشر، ووظيفتك الحذر ممن هذه وصفه والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد، فنصح تعالى عباده أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد، ولو كان فيها ما فيها من المحذور الشرعي ورغبتهم في امتثال أوامره، وتقديم مرضاته بما عنده من الأجر العظيم المشتمل على المطالب العالية والمحاب الغالية، وأن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية"^(٧).

وفي قوله تعالى: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن : ١٤]، وجوه من التفسير:

أحدها: أنه أراد قومًا أسلموا بمكة فأرادوا الهجرة فمنعهم أزواجهم وأولادهم منها وثبطوهم عنها، فنزل ذلك فيهم؛ قاله ابن عباس^(٨)، وعكرمة^(٩).

قال ابن عباس: "كان الرجل إذا أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة تمنعه زوجته وولده، ولم يألوا يثبطوه عن ذلك، فقال الله: إنهم عدو لكم فأحذروهم واسمعوا وأطيعوا، وامضوا لشأنكم، فكان الرجل بعد ذلك إذا منع وثبط مرًا بأهله وأقسم، والقسم يمين ليفعلن وليعاقبن أهله في ذلك، فقال الله جل ثناؤه: {وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصَفَّحُوا وَتَعَفُّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}"^(١٠).

قال عكرمة: "كان الرجل يريد أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول له أهله: أين تذهب وتدعنا؟ قال: وإذا أسلم وفقه، قال: لأرجعن إلى الذين كانوا ينهون عن هذا الأمر فلا فعلن ولا فعلن، فأنزل الله جل ثناؤه: {وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصَفَّحُوا وَتَعَفُّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}"^(١١).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥٣/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٣) تفسير الطبري: ٤٢٢/٢٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٥): ص ١٩٦/١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٧): ص ١٩٦/١.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٣٩/٨.

(٨) تفسير السعدي: ٨٦٨.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٣/٢٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٣/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٣-٤٢٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٣.

قال الضحاك: " هذا في أناس من قبائل العرب كان يسلم الرجل أو نفر من الحي، فيخرجون من عشائهم ويدعون أزواجهم وأولادهم وأبائهم عامدين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتقوم عشائهم وأزواجهم وأولادهم وأبائهم، فيناشدونهم الله أن لا يفارقوهم، ولا يؤثروا عليهم غيرهم، فمنهم من يرق ويرجع إليهم، ومنهم من يمضي حتى يلحق بنبي الله صلى الله عليه وسلم" (١).

وقال قتادة: " ينهاون عن الإسلام، ويبتطئون عنه، وهم من الكفار فاحذروهم" (٢).
قال الطبري: أي: " يصدونكم عن سبيل الله، ويبتطونكم عن طاعة الله {فاحذروهم} أن تقبلوا منهم ما يأمرونكم به من ترك طاعة الله" (٣).

قال الفراء: " نزلت لما أمر الناس بالهجرة من مكة إلى المدينة، فكان الرجل إذا أراد أن يهاجر تعلقت به امرأته وولده، فقالوا: أين تضعنا، ولمن تتركنا؟ فيرحمهم، ويقيم متخلفاً عن الهجرة" (٤).

الثاني: من أزواجكم وأولادكم من لا يأمر بطاعة الله ولا ينهى عن معصيته، قاله قتادة (٥).
قال قتادة: " منهم من لا يأمر بطاعة الله، ولا ينهى عن معصيته، وكانوا يبتطئون عن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الجهاد" (٦).

الثالث: أن منهم من يأمر بقطيعة الرحم ومعصية الرب، ولا يستطيع مع حبه ألا يطيعه، وهذا من العداوة؛ قاله مجاهد (٧).

وقال مقاتل بن سليمان: " نبئت أن عيسى عليه السلام قال: من اتخذ أهلاً ومالاً وولداً كان

الرابع: أن منهم من هو مخالف للدين، فصار بمخالفة الدين عدواً، وهو معنى قول ابن زيد (٨).
قال ابن زيد: " عدواً لكم في دينكم، فاحذروهم على دينكم" (٩).

الخامس: من حملك من أزواجك وأولادك على جمع الدنيا والركون إليها فهو عدو لك، ومن حثك على بذلها وإنفاقها، وذلك على القناعة والتوكل فليس بعدو لك. قاله سهل (١٠).

قال سهل: " وحكي عن الحسن أنه قال: يا ابن آدم، لا يغرنك من حولك من السباع الضارية ابنك وحليتك وكلائك وخادمك، أما ابنك فمثل الأسد في الشدة والصولة، ينازعك فيما في يدك وأما حليتك، فمثل الكلبة في الهرير والبصبة، تهر أحياناً وتبصبص أحياناً وأما كلائك، فو الله لدرهم يقع في ميراث أحدهم، أحب إليه من أن لو كنت أعتقت رقبة وأما خادمك، فمثل الثعلب في الحيل والسرقة.

وأقول لك يا ابن آدم، اتق الله، فلا توقر ظهرك بصلاحهم، فإنما لك خطوات إلى منزل القابل لأربعة أذرع في ذراعين، فإذا وضعوك هناك انصرفوا عنك وصرفوا النيات، وضربوا الدفوف، وضحكوا بالقهقهة، وأنت تحاسب بما في أيديهم" (١١).

عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل رسول الله

(١) أخرجه الطبري: ٤٢٥/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢٣.

(٣) تفسير الطبري: ٤٢٣/٢٣.

(٤) معاني القرآن: ١٦١/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٤/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢٣.

(٧) انظر تفسير الطبري: ٤٢٤/٢٣.

(٨) نقلاً عن: النكت والعيون: ٢٤/٦.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٢٥/٢٣.

(١١) انظر: تفسير التستري: ١٦٩، والنكت والعيون: ٢٥/٦.

(١٢) تفسير التستري: ١٦٩.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهُمَا فَرَفَعَهُمَا فَوَضَعَهُمَا فِي حِجْرِهِ ثُمَّ قَالَ: "صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}، رَأَيْتُ هَذَيْنِ قَلَمٌ أَصْبِرُ، ثُمَّ أَخَذَ فِي خَطْبَتِهِ" اللفظ لأبي كريب عن زيد^(١).

عن الأشعث بن قيس قال: «قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة، فقال لي: "هل لك من ولد؟" قلت: غلام ولد لي في مخرجي إليك من ابنة جمد، وكوددت أن بمكانه: شبع القوم. قال: "لا تقولن ذلك، فإن فيهم قرّة عين، وأجرًا إذا قبضوا"، ثم قال: "ولئن قلت ذلك: إنهم لمجينة مخزنة"^(٢).

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الولد ثمرة القلوب، وإنهم مجينة مبخلة مخزنة"^(٣). قال السمعاني: "معناه: أنه يحمل على البخل والجبن والحزن"^(٤).

عن أبي مالك الأشعري؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس عدوك الذي إن قتلته كان فورًا لك، وإن قتلتك دخلت الجنة، ولكن الذي لعله عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك، ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكت يمينك"^(٥).

قوله تعالى: {وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التغابن: ٤١]، أي: "وإن تتجاوزوا عن سيئاتهم وتعرضوا عنها، وتستروها عليهم، فإن الله غفور رحيم، يغفر لكم ذنوبكم؛ لأنه سبحانه عظيم الغفران واسع الرحمة"^(٦).

قال الطبري: "يقول: إن تعفوا أيها المؤمنون عما سلف منهم من صدّهم إياكم عن الإسلام والهجرة وتصفحوا لهم عن عقوبتكم إياهم على ذلك، وتغفروا لهم غير ذلك من الذنوب {فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} لكم لمن تاب من عباده، من ذنوبكم، {رَحِيمٌ} بكم أن يعاقبكم عليها من بعد توبتكم منها"^(٧).

قال مقاتل: "ثم أمرهم بالعفو والصفح والتجاوز"^(٨).

قال السعدي: "ولما كان النهي عن طاعة الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحنز منهم، والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك، من المصالح ما لا يمكن حصره، فقال: {وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، لأن الجزاء من جنس العمل.

فمن عفا الله عنه، ومن صفح الله عنه، ومن غفر الله له، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده كما يحبون وينفعهم، نال محبة الله ومحبة عباده، واستوثق له أمره"^(٩).

القرآن

{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥)} [التغابن: ١٥]

التفسير:

ما أموالكم ولا أولادكم إلا بلاء واختبار لكم. والله عنده ثواب عظيم لمن أثر طاعته على طاعة غيره، وأدى حق الله في ماله.

(١) أخرجه الطبري: ٤٢٥/٢٣.

(٢) المسند (٢١١/٥).

(٣) مسند البزار برقم (١٨٩٢) "كشف الأستار" قال الهيثمي في المجمع (١٥٥/٨): "وفيه عطية العوفي وهو ضعيف" المجينة: مظنة للجبن، والمبخلة: سبب للبخل، والمخزنة: سبب للحزن.

(٤) تفسير السمعاني: ٤٥٣/٥.

(٥) المعجم الكبير (٢٩٤/٣) وفيه ضعف وانقطاع.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٧) تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٣.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥٣/٤.

(٩) تفسير السعدي: ٨٦٨.

قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} [التغابن : ١٥]، أي: "ما أموالكم ولا أولادكم إلا بلاء واختبار لكم"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ما أموالكم أيها الناس وأولادكم إلا فتنة، يعني: بلاء عليكم في الدنيا"^(٢).

قال قتادة: "يقول: بلاء"^(٣).

قال مقاتل: "يعنى: بلاء وشغل عن الآخرة"^(٤).

قال ابن أبي زمنين: "أي: اختبار؛ لينظر كيف تعملون"^(٥).

قال الثعلبي: "بلاء واختبار يحملكم على الكسب من الحرام والمنع عن الحق"^(٦).

قال السمعاني: "أي: بلاء ومحنة، ومعنى البلاء والمحنة من الأموال والأولاد أنه يشتغل بهم عن طاعة الله تعالى، ويحمله طلب المال ورضا الأولاد على معصية الله تعالى"^(٧).

قال ابن قتيبة: "أي: إغرام؛ كما يقال: قُينَ فلان بالمرأة وشُغِفَ بها. وأصل «الفتنة»: البلوى والاختبار"^(٨).

قال ابن كثير: "أي: اختبار وابتلاء من الله لخلقهِ. ليعلم من يطيعه ممن يعصيه"^(٩).

قال سهل: "إن أعطاك الله المال تشاغلته بحفظه، وإن لم يعطك تشاغلته بطلبه، فمتى تتفرغ له"^(١٠).

قال القشيري: "«فِتْنَةٌ»، لأنهم يشغلونكم عن أداء حقّ الله فما تبق عن الله مشغولا بجمعه فهو غير ميمون عليك. ويقال: إذا جمعتم الدنيا لغير وجهه فإنكم تشغلون بذلك عن أداء حقّ مولاكم، وتشغلكم أولادكم، فتبتقون بهم عن طاعة الله- وتلك فتنة لكم ... ترومون إصلاحهم. فتفسدون أنتم وهم لا يصلحون!"^(١١).

قال الزمخشري: "إنّ من الأزواج أزواج يعادين بعولتهنّ ويخاصمنهم ويجلبن عليهم، ومن الأولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والأذى، {فَأَحْذَرُوهُمْ} الضمير للعدوّ أو للأزواج والأولاد جميعا. أي: لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدوّ، فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشراًهم"^(١٢).

وروى علي بن معبد في «الطاعة والمعصية» عن إسحاق بن أبي يحيى عن عبد الملك عن بكير قال: «ينادي مناد يوم القيامة: أين الذين أكلت عيالهم حسناتهم قوموا فان قبلكم الانبعاث»^(١٣).

قال ابن زيد، في قوله: {وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} [الأنفال : ٢٨]، قال: "«فتنة»: الاختبار، اختبارهم. وقرأ: {وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [سورة الأنبياء: ٣٥]"^(١٤).

- (١) التفسير الميسر: ٥٥٧.
- (٢) تفسير الطبري: ٤٢٦/٢٣.
- (٣) أخرجه الطبري: ٤٢٦/٢٣.
- (٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥٣/٤.
- (٥) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٩٩/٤.
- (٦) الكشف والبيان: ٣٣٠/٩.
- (٧) تفسير السمعاني: ٤٥٣/٥.
- (٨) غريب القرآن: ٤٦٩.
- (٩) تفسير ابن كثير: ١٣٩/٨.
- (١٠) تفسير التستري: ١٦٩.
- (١١) لطائف الإشارات: ٥٩٦/٣.
- (١٢) الكشاف: ٥٥٠/٤.
- (١٣) نقلا عن: تخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي: ٤٢/٤.
- (١٤) أخرجه الطبري: (١٥٩٣٥): ص ٤٨٧/١٣.

قال عبد الله: "ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنه، إن الله يقول: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [سورة الأنفال: ٢٨]، فليستعذ بالله من مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ" (١).

عن أبي الضحى، قال: "قال رجل وهو عند عمر: اللهم، إني أعوذ بك من الفتنه -أو الفتن-. فقال عمر: أتحب أن لا يرزقك الله مالًا ولا ولدًا؟! أَيْكُمْ اسْتِعَاذَ مِنَ الْفِتَنِ فَلَيْسَتْعِذَ مِنْ مُضِلَّاتِهَا" (٢).

عن محمد بن سيرين، قال: قال ابن عمر لرجل: إنك تحب الفتنه. قال: أنا؟ قال: نعم. فلما رأى ابن عمر ما داخل الرجل من ذاك قال: تحب المال والولد" (٣).

قالت الحكماء: "أدخل «من» التبويض في ذكر الأزواج والأولاد حيث أخبر عن عداوتهم، لأن كلهم ليسوا بأعداء ولم يذكر «من» في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، لأنها لا تخلو عن الفتنه واشتغال القلب بها" (٤).

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]، أي: "والله عنده ثواب عظيم لمن أثر طاعته على طاعة غيره، وأدى حق الله في ماله" (٥).

قال الطبري: "يقول: والله عنده ثواب لكم عظيم، إذا أنتم خالفتم أولادكم وأزواجكم في طاعة الله ربكم، وأطعتم الله عز وجل، وأديتم حق الله في أموالكم، والأجر العظيم الذي عند الله الجنة" (٦).

قال ابن كثير: "أي: يوم القيامة ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾" (٧).

قال الواحدي: أي: "ثواب جزيل وهو الجنة، والمعنى: لا تعصوه بسبب الأولاد، ولا تؤثرهم على ما عند الله من الأجر العظيم" (٨).

عن أبي هريرة: "﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، قال: الجنة" (٩).

عن قتادة: "﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، وهي الجنة" (١٠).

عن سعيد بن جبير في قول الله: ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، يعني: جزاء وافرا" (١١).

القرآن

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]

التفسير:

فابدلوا -أيها المؤمنون- في تقوى الله جهدكم وطاقتكم، واسمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم سماع تدبر وتفكر، وأطيعوا أوامره واجتنبوا نواهيه، وأنفقوا مما رزقكم الله يكن خيرا لكم. ومن سلم من البخل ومنع الفضل من المال، فأولئك هم الظافرون بكل خير، الفائزون بكل مطلب.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، أي: "فابدلوا -أيها المؤمنون- في تقوى الله جهدكم وطاقتكم" (١٢).

(١) أخرجه الطبري: (١٥٩١٢): ص ٤٧٥/١٣.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٤٣/١٥.

(٣) الدر المنثور: ١٨٤/٨، وعزاه إلى وكيع في الغرر.

(٤) الكشف والبيان: ٣٣٠/٩.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٦) تفسير الطبري: ٤٢٦/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٣٩/٨.

(٨) التفسير الوسيط: ٣٠٩/٤.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٩٨٦): ص ١٦٨٥/٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٢٦/٢٣.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٩٨٧): ص ١٦٨٥/٥.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٥٧.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: واحذروا الله أيها المؤمنون وخافوا عقابه، وتجنبوا عذابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، والعمل بما يقرب إليه ما أطقتم وبلغه وسعكم"^(١).
قال الزجاج: "أي: ما أمكنكم الجهاد والهجرة مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فلا يفتننكم الميل إلى الأموال والأولاد عن ذلك"^(٢).

قال ابن أبي زمنين: {مَا اسْتَطَعْتُمْ}، أي: "ما أطقتم"^(٣).

قال الربيع: اتقوا الله جهدكم"^(٤).

عن عُمارة المَعُولِي، قال: "قلت للحسن [البصري]: قوله - عز وجل -: {فاتقوا الله ما استطعتم}؟ قال: تأتي أجهد جهدك"^(٥).

قال الزمخشري: "مَا اسْتَطَعْتُمْ}، جهدكم ووسعكم، أي: ابذلوا فيها استطاعتكم"^(٦).

قال ابن كثير: "أي: جهدكم وطاقتكم. كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه"^(٧)^(٨).

قال ابن عطية: "قال قتادة وفريق من الناس: إن قوله: {فاتقوا الله ما استطعتم} ناسخ لقوله: {اتقوا الله حق تقاته} [آل عمران: ١٠٢]، وروى أن الأمر بحق التقاة نزل، فشق ذلك على الناس حتى نزل: {مَا اسْتَطَعْتُمْ}، وذهبت فرقة منهم أبو جعفر النحاس إلى أنه لا نسخ في الآيتين، وأن قوله: {حَقَّ تَقَاتِهِ} [آل عمران: ١٠٢] مقصده «فيما استطعتم»، ولا يعقل أن يطيع أحد فوق طاقته واستطاعته، فهذه على هذا التأويل مبينة لتلك، وتحتل هذه الآية أن يكون: {فاتقوا الله} مدة استطاعتكم التقوى، وتكون: {مَا} ظرفاً للزمان كله كأنه يقول: حياتكم وما دام العمل ممكناً"^(٩).

عن سعيد بن جبير في قوله: "{اتقوا الله حق تقاته ولا تمونن إلا وأنتم مسلمون}" قال: لما نزلت الآية اشند على القوم العمل، فقاموا حتى ورمت عراقبيهم وتقرحت جباههم، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين: {فاتقوا الله ما استطعتم} فنسخت الآية الأولى"^(١٠).

عن قتادة، في قوله: "{اتقوا الله حق تقاته}"، قال: نسختها: {فاتقوا الله ما استطعتم}"^(١١).
عن قتادة، قوله: "{فاتقوا الله ما استطعتم وأسمعوا وأطيعوا}"، هذه رخصة من الله، والله رحيم بعباده، وكان الله جل ثناؤه أنزل قبل ذلك: {اتقوا الله حق تقاته}، وحق تقاته أن يطاع فلا يعصى، ثم خفف الله تعالى ذكره عن عباده، فأنزل الرخصة بعد ذلك فقال: {فاتقوا الله ما استطعتم وأسمعوا وأطيعوا}، فيما استطعت يا ابن آدم، عليها بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما استطعتم"^(١٢).

قوله تعالى: {وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا} [التغابن: ١٦]، أي: "واسمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم سماع تدبر وتفكر، وأطيعوا أوامره واجتنبوا نواهيه"^(١٣).

(١) تفسير الطبري: ٤٢٦/٢٣.

(٢) معاني القرآن: ١٨٢/٥.

(٣) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٩٩/٤.

(٤) نقلاً عن: التفسير الوسيط للواحي: ٣٠٩/٤.

(٥) أخرجه أبو إسحاق المالكي في أحكام القرآن ص ٢٢٧.

(٦) الكشف: ٥٥٠/٤.

(٧) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٨) وصحيح مسلم برقم (١٣٣٧).

(٨) تفسير ابن كثير: ١٤٠/٨.

(٩) المحرر الوجيز: ٣٢١/٥.

(١٠) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٤٠/٨.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٢٧/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٢٧/٢٣.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٥٧.

قال الطبري: "يقول: واسمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه"^(١).

قال الزمخشري: "وَأَسْمَعُوا ما توعظون به، {وَأَطِيعُوا} فيما تأمرون به وتنهون عنه"^(٢).

قال السعدي: " {وَأَسْمَعُوا} أي: اسمعوا ما يعظكم الله به، وما يشرعه لكم من الأحكام، واعلموا ذلك وانقادوا له {وَأَطِيعُوا} الله ورسوله في جميع أموركم"^(٣).

قال ابن كثير: "أي: كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله، ولا تحيدوا عنه يمناً ولا يسرة، ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا تتخفوا عما به أمرتم، ولا تركبوا ما عنه زجرتم"^(٤).

قال القرطبي: "وقد تغلغل في هذه الآية الحجاج حين تلاها وقصرها على عبد الملك بن مروان فقال: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتِطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا} هي لعبد الملك بن مروان أمين الله وخليفته، ليس فيها مثنوية، والله لو أمرت رجلاً أن يخرج من باب المسجد فخرج من غيره لحل لي دمه. وكذب في تأويلها بل هي للنبي صلى الله عليه وسلم أولاً ثم لأولي الأمر من بعده. دليله: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء: ٥٩]"^(٥).

قوله تعالى: {وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ} [التغابن: ١٦]، أي: "، وأنفقوا مما رزقكم الله يكن خيراً لكم"^(٦).

قال الطبري: "يقول: وأنفقوا مالا من أموالكم لأنفسكم تستنقذوها من عذاب الله، والخير في هذا الموضع المال"^(٧).

قال ابن كثير: "أي: وابدلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات، وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن إليكم، يكن خيراً لكم في الدنيا والآخرة، وإن لا تفعلوا يكن شراً لكم في الدنيا والآخرة"^(٨).

قال السعدي: " {وَأَنْفِقُوا} من النفقات الشرعية الواجبة والمستحبة، يكن ذلك الفعل منكم خيراً لكم في الدنيا والآخرة، فإن الخير كله في امتثال أوامر الله تعالى وقبول نصائحه، والانقياد لشرعه، والشر كله، في مخالفة ذلك"^(٩).

قال الزمخشري: " {خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ} نصب بمحذوف، تقديره: انتوا خيراً لأنفسكم، وافعلوا ما هو خير لها وأنفع، وهذا تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر، وبيان لأن هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا"^(١٠).

قوله تعالى: {وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [التغابن: ١٦]، أي: "ومن سلم من البخل ومنع الفضل من المال، فأولئك هم الظافرون بكل خير، الفائزون بكل مطلب"^(١١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ومن يوقه الله شح نفسه، وذلك اتباع هواها فيما نهى الله عنه، فهؤلاء الذين وقوا شح أنفسهم، المنجحون الذين أدركوا طلباتهم عند ربهم"^(١٢).

(١) تفسير الطبري: ٤٢٧/٢٣.

(٢) الكشاف: ٥٥٠/٤.

(٣) تفسير السعدي: ٨٦٨.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٤١/٨.

(٥) تفسير القرطبي: ١٤٦/١٨.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٧) تفسير الطبري: ٤٢٧/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٤١/٨.

(٩) تفسير السعدي: ٨٦٨.

(١٠) الكشاف: ٥٥١/٤.

(١١) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(١٢) تفسير الطبري: ٤٢٧/٢٣، ٤٢٨.

قال السعدي: " فمن وقاه الله شر شح نفسه بأن سمحت نفسه بالإنفاق النافع لها {فَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} لأنهم أدركوا المطلوب، ونجوا من المرهوب، بل لعل ذلك شامل لكل ما أمر به العبد، ونهي عنه، فإنه إن كانت نفسه شحيحة، لا تنقاد لما أمرت به، ولا تخرج ما قبلها، لم يفلح، بل خسر الدنيا والآخرة، وإن كانت نفسه نفساً سمحة، مطمئنة، منشحة لشرع الله، طالبة لمرضاة، فإنها ليس بينها وبين فعل ما كلفت به إلا العلم به، ووصول معرفته إليها، والبصيرة بأنه مرض الله تعالى، وبذلك تفلح وتنجح وتفوز كل الفوز" (١).

قال الحسن البصري: "وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ" إنها النفقة في سبيل الله" (٢).

قال ابن عيينة: "الشح: الظلم" (٣).

قال السمعاني: " الشح: البخل، وقيل: هو أقبح البخل، وحقيقته: الحرص على منع الخير" (٤).

قال ابن عمر: "ليس الشح أن يمنع الرجل ماله، وإنما الشح أن يطمع الرجل إلى ما ليس له" (٥).

عن ابن عباس، قوله: "وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ"، يقول: هوى نفسه حيث يتبع هواه ولم يقبل الإيمان" (٦).

عن ابن مسعود: "وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ"، قال: أن يعمد إلى مال غيره فيأكله" (٧).

عن عطاء: "وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"، قال: في النفقة" (٨).

القرآن

{إِنْ تُقْرَضُوا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧)} [التغابن : ١٧]

التفسير:

إن تنفقوا أموالكم في سبيل الله بإخلاص وطيب نفس، يضاعف الله ثواب ما أنفقتم، ويغفر لكم ذنوبكم. والله شكور لأهل الإنفاق بحسن الجزاء على ما أنفقوا، حلِيم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

قوله تعالى: {إِنْ تُقْرَضُوا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفَهُ لَكُمْ} [التغابن : ١٧]، أي: "إن تنفقوا أموالكم في سبيل الله بإخلاص وطيب نفس، يضاعف الله ثواب ما أنفقتم" (٩).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وإن تنفقوا في سبيل الله، فتحسنوا فيها النفقة، وتحسبوا بإنفاقكم الأجر والثواب يضاعف ذلك لكم ربكم، فيجعل لكم مكان الواحد سبع مئة ضعف إلى أكثر من ذلك مما يشاء من التضعيف" (١٠).

قال ابن كثير: "أي : مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه، ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه، ونزل ذلك منزلة القرض له، كما ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول : «من يقرض

(١) تفسير السعدي: ٨٦٨.

(٢) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤ / ٤٠٠ -.

(٣)

(٤) تفسير السمعاني: ٤٨٦ / ١.

(٥) نقلا عن "الكشف والبيان": ٣٣٠ / ٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٢٧ / ٢٣ - ٤٢٨.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٢٧ / ٢٣ - ٤٢٨.

(٨) الدر المنثور: ١٨٥ / ٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٩) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٢٨ / ٢٣.

غير ظلوم ولا عديم»^(١)، ولهذا قال: {يُضَاعِفُهُ لَكُمْ} كما تقدم في سورة البقرة: {فِيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} [البقرة: ٢٤٥]»^(٢).

قال الزجاج: "فأقترض عزًّا وجلًّا مما رزق وأعطى تفضلاً وامتحانا"^(٣).
قال الزمخشري: "ذكر القرض: تلطف في الاستدعاء، {يُضَاعِفُهُ لَكُمْ} يكتب لكم بالواحدة عشرا وأو سبعمائة إلى ما شاء من الزيادة"^(٤).

قال السعدي: "رغب تعالى في النفقة فقال: {إِنْ تُرَضُّوا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا} وهو كل نفقة كانت من الحلال، إذا قصد بها العبد وجه الله تعالى وطلب مرضاته، ووضعها في موضعها {يُضَاعِفُهُ لَكُمْ} النفقة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة"^(٥).

قال الحسن البصري: "كل ما في القرآن من القرض الحسن فهو التظوع"^(٦).
قوله تعالى: {وَيَغْفِرْ لَكُمْ} [التغابن: ١٧]، أي: "ويغفر لكم ذنوبكم"^(٧).
قال الطبري: "فيصفح لكم عن عقوبتكم عليها مع تضعيفه نفقتكم التي تنفقون في سبيله"^(٨).

قال ابن كثير: "أي: ويكفر عنكم السيئات"^(٩).
قال السعدي: أي: "بسبب الإنفاق والصدقة ذنوبكم، فإن الذنوب يكفرها الله بالصدقات والحسنات: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}"^(١٠).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: "أن الله تبارك وتعالى إنما سمي نفسه «العفو»، ليعفو، و«العفور»، ليعفر"^(١١).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} [التغابن: ١٧]، أي: "والله شكور لأهل الإنفاق بحسن الجزاء على ما أنفقوا، حلِيم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه"^(١٢).

قال الطبري: "يقول: والله ذو شكر لأهل الإنفاق في سبيله، بحسن الجزاء لهم على ما أنفقوا في الدنيا في سبيله، حلِيم عن أهل معاصيه بترك معاجلتهم بعقوبته"^(١٣).

قال الزجاج: "يشكر لكم ما عملتم ويحلّم عنكم عند استحقاقكم العقوبة على ذنوبكم"^(١٤).
قال ابن كثير: "وَاللَّهُ شَكُورٌ، أي: يجزي على القليل بالكثير {حلِيم}، أي: يعفو يصفح ويغفر ويستتر، ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات"^(١٥).

قال ابن عطية: "قوله تعالى: {وَاللَّهُ شَكُورٌ} إخبار بمجرد شكره تعالى على الشيء اليسير، وأنه قد يحط به عن من يشاء الحوب العظيم لا رب غيره"^(١٦).

قال السعدي: "لا يعاجل من عصاه، بل يمهله ولا يهمله، {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى} والله تعالى شكور يقبل من

(١) صحيح مسلم برقم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٤١/٨.

(٣) معاني القرآن: ١٨٢/٥.

(٤) الكشاف: ٥٥١/٤.

(٥) تفسير السعدي: ٨٦٨.

(٦) تفسير الثعلبي: ٢٤٣/٩.

(٧) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٨) تفسير الطبري: ٤٢٨/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٤١/٨.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٦٨.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٧٩): ص ٩٦٣/٣.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(١٣) تفسير الطبري: ٤٢٨/٢٣.

(١٤) معاني القرآن: ١٨٢/٥.

(١٥) تفسير ابن كثير: ١٤١/٨.

(١٦) المحرر الوجيز: ٣٢١/٥.

عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه الكثير من الأجر، ويشكر تعالى لمن تحمل من أجله المشاق والأثقال، وأنواع التكاليف الثقال، ومن ترك شيئاً لله، عوضه الله خيراً منه" (١).
قال الحسن: "الحليم: الرحيم" (٢).
عن قتادة: "إنه كان حليماً" عن خلقه، فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض" (٣).

القرآن

{عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)} [التغابن : ١٨]

التفسير:

وهو سبحانه العالم بكل ما غاب وما حضر، العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله.
قوله تعالى: {عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [التغابن : ١٨]، أي: "وهو سبحانه العالم بكل ما غاب وما حضر" (٤).
قال الطبري: "يقول: عالم ما لا تراه أعين عباده ويغيب عن أبصارهم وما يشاهدونه فيروونه بأبصارهم" (٥).
قال الزجاج: "يعلم ما تُكِنُّه الصدورُ مما لا تعلمه الحفظة، ويعلم ما تسقط من ورقةٍ وما قطرٌ من قطرِ المطرِ" (٦).
قال السعدي: "أي: ما غاب عن العباد من الجنود التي لا يعلمها إلا هو، وما يشاهدونه من المخلوقات" (٧).
قال الحسن: "الشهادة: ما قد رأيت من خلقه، والغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه" (٨).
قوله تعالى: {الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [التغابن : ١٨]، أي: "وهو سبحانه العالم بكل ما غاب وما حضر" (٩).
قال الطبري: " {الْعَزِيزُ}، يعني: الشديد في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره ونهيه، {الْحَكِيمُ} في تدبيره خلقه، وصرفه إياهم فيما يصلحهم" (١٠).
قال السعدي: " {الْعَزِيزُ} الذي لا يغالب ولا يمانع، الذي قهر كل الأشياء، {الْحَكِيمُ} في خلقه وأمره، الذي يضع الأشياء مواضعها" (١١).
قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء" (١٢)، الحكيم: في عذره وحقته إلى عباده" (١٣).
قال أبو العالية: " {عزیز} في نعمته إذا انتقم" (١٤). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك" (١٥).
عن أبي العالية: " {حكيم}، قال: حكيم في أمره" (١).

(١) تفسير السعدي: ٨٦٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٤٢): ص ٢٠٥٨/٦.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٥٦/١٧.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٥) تفسير الطبري: ٤٢٨/٢٣.

(٦) معاني القرآن: ١٨٢/٥.

(٧) تفسير السعدي: ٨٦٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٠٤): ص ١٨٦٤/٦-١٨٦٥.

(٩) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٢٨/٢٣.

(١١) تفسير السعدي: ٨٦٨.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٤): ص ١٦٦٤/٥.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٦): ص ١٦٦٤/٥.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣): ص ١٦٦٤/٥.

(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

قال محمد بن جعفر بن الزبير " الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده" (٢).

فوائد الآيات: [١٤-١٨]:

- ١- بيان أن من بعض الزوجات والأولاد عدواً فعلى المؤمن أن يحذر ذلك ليسلم من شرهم.
- ٢- الترغيب في العفو والصفح والمغفرة على من أساء أو ظلم.
- ٣- التحذير من فتنة المال والولد ووجوب التيقظ حتى لا يهلك المرء بولده وماله.
- ٤- وجوب تقوى الله بفعل الواجبات وترك المنهيات في حدود الطاقة البشرية.
- ٥- الترغيب في الإنفاق في سبيل الله تعالى والتحذير من الشح فإنه داء خطير.

«آخر تفسير سورة (التغابن)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٢): ص ١٧٦٤/٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٣): ص ١٧٦٤/٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الطلاق»

«سورة الطلاق» هي السورة الخامسة والستون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الإنسان»، وآياتها خمس عشرة في عد البصرة، واثننا عشرة عند الباقيين. وكلماتها مائتان وأربعون. وحروفها ألف وستون. والمختلف فيها ثلاث آيات: {مَخْرَجًا} [الطلاق : ٢]، و {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [الطلاق : ٢]، {يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [الطلاق : ١٠]، فواصل آياتها على «الألف»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الطلاق»:

شاعت تسميتها في المصاحف وفي كتب التفسير وكتب السنة: سورة الطلاق ولم ترد تسميتها بهذا في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم موسوم بالقبول. وسميت سورة الطلاق، لأنها بيّنت احكام الطلاق والعدة فيها، وافتتحت بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ} [الطلاق : ١]، قال المهامي: سميت به لبيانها كيفية الطلاق السني وما يترتب عليه من العدة والنفقة والسكنى^(٢).

■ ثانياً:- اسمها الاجتهادي: «سورة النساء الصغرى»:

ذكر السيوطي في «الإتقان»^(٣) أن عبد الله بن مسعود سماها سورة «النساء القصرى» أخذاً مما أخرجه البخاري وغيره عن محمد بن سيرين، قال: "كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى، وكان أصحابه يعظمونه، فذكروا له فذكر آخر الأجلين، فحدثت بحديث سبيعة بنت الحارث، عن عبد الله بن عتبة، قال: فضم لي بعض أصحابه، قال محمد: ففطنت له فقلت: إني إذا لجريء إن كذبت على عبد الله بن عتبة وهو في ناحية الكوفة، فاستحيا وقال: لكن عمه لم يقل ذلك، فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته فذهب يحدثني حديث سبيعة، فقلت: هل سمعت عن عبد الله فيها شيئاً؟ فقال: كنا عند عبد الله فقال: أتجعلون عليها التعليل، ولا تجعلون عليها الرخصة، لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق: ٤]^(٤).

وفي «الإتقان»^(٥) أن الداودي^(٦) أنكر أن تدعى هذه السورة بالقصرى للتنزه عن وصف القرآن بصفة نقص، وتعقبه ابن حجر بأنه ردّ للأخبار الثابتة بلا مستند، والقصر والطول أمر نسبي، أي: ليس مشعرا بنقص على الإطلاق^(٧).

قال ابن عاشور: "وابن مسعود وصفها بالقصرى احترازاً عن السورة المشهورة باسم سورة النساء التي هي السورة الرابعة في المصحف التي أولها: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء : ١]. وأما قوله «الطولى» فهو صفة لموصوف محذوف، أي: بعد السورة الطولى، يعني: سورة البقرة، لأنها أطول سور القرآن، ويتعين أن ذلك مراده لأن سورة البقرة هي التي ذكرت فيها عدة المتوفى عنها. وقد يتوهم أن سورة البقرة تسمى سورة النساء

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٧/١، والتحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٨

(٢) تفسير المهامي: ٣٤٧/٣.

(٣) انظر الإتقان: ١٩٥/١. وذكر هذه التسمية مقاتل بن سليمان في "التفسير": ١: ٥١٣، ويحيى بن سلام في "التصريف لتفسير القرآن مما اشتمت أسماءه وتصرفت معانيه": ٢٣٣، والفراء في "معاني القرآن": ١٦٢/٣، وابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٩٥/٤.

(٤) صحيح البخاري (٤٩١٠): ص ١٥٦/٦.

(٥) انظر الإتقان: ١٩٥/١.

(٦) الداودي: احمد بن سعيد الداودي، أبو جعفر، وهو ممن ينقل عنه ابن التين، انظر: مقدمة القسطلاني: ٧١/١، وكشف الظنون: ٥٤٥/١.

(٧) انظر: فتح الباري: ٦٥٦/٨.

الطولى من مقابلتها بسورة النساء القصرى في كلام ابن مسعود. وليس كذلك كما تقدم في سورة النساء^(١).

ووجه تسميتها بسورة النساء القصرى، لأنها بيّنت بعض الأحكام الخاصة بالنساء وهي أحكام الطلاق وما يتعلق بها، وخصت بالقصرى تمييزاً لها عن سورة النساء، وهذا الاسم من اجتهاد الصحابي ابن مسعود-رضي الله عنه- إذ وصفها بالقصرى احترازاً عن السورة المشهورة باسم النساء، وليس توقيفياً من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

■ مكية السورة ومدنيتها:

نزلت «سورة الطلاق» على النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد الهجرة إلى المدينة المنورة فهي من السور المدنية.

عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الطلاق بالمدينة"^(٢).

قال الفيروزآبادي: "السورة مدنية بالاتفاق"^(٣).

قال ابن عاشور: "هي مدنية بالاتفاق"^(٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها- أنه قال في السورة السابقة: {إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ} [التغابن : ١٤]، وكانت هذه العداوة قد تفضى إلى الطلاق- أرشد هنا إلى أحكام الطلاق والانفصال عن الأزواج على أجمل وجه، فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلُّوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١)} [الطلاق : ١]^(٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها

جاءت مقاصد سورة الطلاق تفصيلاً كالتالي:

١- الحديث عن الطلاق كموضوع يصعب جداً فيه اجتناب تعدي حدود الله، إلا إذا التزم الأطراف بتقوى الله ومراقبته، لأن في الطلاق تراكم عداوات وإشاعات وأمور نفسية ومادية ومعنوية ومصالح دنيوية ومسؤوليات جسام تتطلب تضحيات مالية وتحتاج إلى صبر وروية وتقوى دائمة لله وتوكل ومراقبة.

٢- استخدام موضوع الطلاق من أجل تسهيل فهم مقصدها المتعلقة بالإيمان والتقوى واتباع أوامر الله عن طريق ربطه مع خلق السماوات والأرض وتنزيل الأمر بينهما من أجل أن يعلموا أن الله هو الخالق القدير المحيط بكل شيء علماً فينقوه ويطيعوا أمره.

٣- التأكيد على ضرورة تقوى الله والتوكل عليه في العبادة والإنفاق، هي لمصلحة المؤمن كفرد والمجتمع كجماعة فالكل مستفيد بعكس التعدي والشح فهما يضران بالمؤمن كفرد وبالمجتمع كجماعة.

٤- بيان أن الله تعالى حد حدوداً وقدّر مقادير وأحدث أموراً يجب الالتزام بها، وتقوى الله في تطبيقها، لتكون دليلاً على الإيمان، وبأن الله على كل شيء قدير وأنه قد أحاط بكل شيء علماً.

٥- تقرير الحكمة من بعث الله لنبيه محمد لكي يخرج الناس من الظلمات إلى النور: بأن يتلوا عليهم ماضيهم من أبناء القرى، ويأمرهم في حاضرهم بالإيمان والعمل الصالح، وينبئهم عن مستقبلهم وبما هم مقبلون عليه من الابتلاء بالأعمال والحساب والجزاء.

(١) التحرير والتنوير: ٢٨/٢٩٢.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٨/١٨٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/٤٦٩.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٨/٢٩٢.

(٥) انظر: تفسير المراعي: ٢٨/١١٨.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان طلاق السنة، وأحكام العدة، والتوكل على الله تعالى في الأمور، وبيان نفقة النساء حال الحمل والرضاع، وبيان عقوبة المتعدين وعذابهم، وأن التكليف على قدر الطاقة، وللصالحين الثواب والكرامة، وبيان إحاطة العلم، والقدرة، في قوله: {لَتَعْلَمُوا} [الطلاق : ١٢] الآية"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة خالية عن المنسوخ. وفيها الناسخ: {وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ} [الطلاق : ٢]^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن طاووس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في الجمعة بسورة الجمعة و {يا أيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ}^(٣).
 - عن علي بن زيد عن زر عن أبي قال: «من قرأ سورة {يا أيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ} مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٤).
- هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٩/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٩/١.

(٣) الدر المنثور: ١٨٨/٨، وعزاه إلى عبد الرزاق في المصنف وسعيد بن منصور.

(٤) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣١/٩. [موضوع]، وانظر: فضائل القرآن للمستغفري (١٢٣٢): ص ٧٨٦/٢، والكشاف: ٥٦١/٤، وتفسير البيضاوي: ٢٧٢٣/٥.

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١)} [الطلاق : ١]

التفسير:

يا أيها النبي إذا أردتم -أنت والمؤمنون- أن تطلقوا نساءكم فطلقوهن مستقبلات لعدتهن -أي في طهر لم يقع فيه جماع، أو في حمل ظاهر- واحفظوا العدة؛ لتعلموا وقت الرجعة إن أردتم أن تراجعوهن، وخافوا الله ربكم، لا تخرجوا المطلقات من البيوت التي يسكنن فيها إلى أن تنقضي عدتهن، وهي ثلاث حيضات لغير الصغيرة والأيسة والحامل، ولا يجوز لهن الخروج منها بأنفسهن، إلا إذا فعلن فعلة منكرة ظاهرة كالزنى، وتلك أحكام الله التي شرعها لعباده، ومن يتجاوز أحكام الله فقد ظلم نفسه، وأوردها مورد الهلاك. لا تدري -أيها المطلق-: لعل الله يحدث بعد ذلك الطلاق أمراً لا تتوقعه فراجعها.

سبب النزول:

قال السدي: "نزلت في عبد الله بن عمر، وذلك أنه طلق امرأته حائضاً، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراجعها، ويمسكها حتى تطهر، ثم تحيض حيضة أخرى، فإذا طهرت طلقها إن شاء قبل أن يجامعها، فإنها العدة التي أمر الله بها"^(١).

عن أنس قال: "طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة، فأنت أهلها، فأنزل الله، عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ} فقيل له: راجعها فإنها صوامة قوامة، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة"^(٢).

وذكره ابن جرير الطبري عن قتادة مرسلًا^(٣)، وقد ورد من غير وجه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها.

عن ابن شهاب، أخبرني سالم: "أن عبد الله بن عمر أخبره: أنه طلق امرأة له وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: "الراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرًا قبل أن يمسه، فتلك العدة التي أمر الله، عز وجل"^(٤).

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ} [الطلاق : ١]، أي: "يا أيها النبي إذا أردتم -أنت والمؤمنون- أن تطلقوا نساءكم فطلقوهن مستقبلات لعدتهن -أي في طهر لم يقع فيه جماع، أو في حمل ظاهر-"^(٥).

قال الطبري: "يقول: إذا طلقتم نساءكم فطلقوهن لطهرهن الذي يحصيانه من عدتهن، طاهرًا من غير جماع، ولا تطلقوهن بحيضهن الذي لا يعتد به من قرئهن"^(٦).

قال ابن كثير: "خُوطب النبي صلى الله عليه وسلم أولاً تشريعاً وتكريماً، ثم خاطب الأمة تبعاً فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ}..ومن هنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه إلى طلاق سنة وطلاق بدعة، فطلاق السنة: أن يطلقها طاهرًا من غير جماع،

(١) أسباب النزول للواحدي: ٤٥٦، بدون سند. والحديث أخرجه البخاري في الطلاق (٥٣٣٢) موصولاً وتعليقاً (٥٢٦٤)، وأخرجه مسلم في الطلاق (١ م / ١٤٧١) ص ١٠٩٣، وأبو داود في الطلاق (٢١٨٠) من طريق الليث به، وأخرجه ابن ماجه في الطلاق (٢٠١٩) من طريق عبيد الله عن نافع به.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٣٢/٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٦/٢٣، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٤٥٦.

(٤) صحيح البخاري برقم (٤٩٠٨)، ورواه مسلم برقم (١٤٧١)، ولفظه: "فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء".، وانظر: المسند (٢٦/٢، ٤٣، ٥١، ٥٤، ٥٨) وسنن أبي داود برقم (٢١٧٩) وسنن النسائي (١٣٨/٦) وسنن ابن ماجه برقم (٢٠٢٣).

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٦) تفسير الطبري: ٤٣١/٢٣.

أو حاملاً قد استبان حملها. والبدعي : هو أن يطلقها في حال الحيض، أو في طهر قد جامعها فيه، ولا يدري أحملت أم لا ؟ وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة، وهو طلاق الصغيرة والأيسة، وغير المدخول بها، وتحريم الكلام في ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع^(١).
قال الضحاك: "العدة: القرء، والقرء: الحيض. والظاهر: الطاهر من غير جماع، ثم تستقبل ثلاث حيض"^(٢).

عن الضحاك، قوله: "فَطْلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ"، يقول: طَلَّقَهَا طَاهِرًا مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ"^(٣).
قال قتادة: "العدة: أن يطلقها طاهرًا من غير جماع تطليقة واحدة"^(٤).
عن عبد الله، قال: "الطلاق للعدة طاهرًا من غير جماع"^(٥).
عن مجاهد: "فَطْلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ"، قال: لَطَهْرَهُنَّ"^(٦).
عن مجاهد: "فَطْلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ"، قال: طَاهِرًا فِي غَيْرِ جَمَاعٍ"^(٧).
قال الحسن: "طاهرًا من غير حيض، أو حاملاً قد استبان حملها"^(٨).
قال ابن سيرين: "يطلقها وهي طاهر من غير جماع، أو حبل يستبين حملها"^(٩).
قال السدي: "طاهرًا في غير جماع، فإن كانت لا تحيض، فعند غرة كل هلال"^(١٠).
قال ابن زيد: "إذا طلقها للعدة كان ملئها بيدك، من طلق للعدة جعل الله له في ذلك فسحة، وجعل له ملئًا إن أراد أن يرتجع قبل أن تنقضي العدة ارتجع"^(١١).
عن عكرمة، عن ابن عباس: "أنه كان يرى طلاق السنة طاهرًا من غير جماع، وفي كل طهر، وهي العدة التي أمر الله بها"^(١٢).

ابن عباس قوله: "فَطْلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ"، يقول: لا يطلقها وهي حائض، ولا في طهر قد جامعها فيه، ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة، فإن كانت تحيض فعدتها ثلاث حيض، وإن كانت لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر، وإن كانت حاملاً فعدتها أن تضع حملها"^(١٣).

عن مجاهد: "أن رجلاً سأل ابن عباس فقال: إنه طلق امرأته مئة، فقال: عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، ولم تنتق الله فيجعل لك مخرجًا، وقرأ هذه الآية: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}، وقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلُّوهُنَّ فِي قُبُلِ عَدَّتِهِنَّ}"^(١٤).
عن مجاهد، قال: "كنت عند ابن عباس، فجاءه رجل فقال: إنه طلق امرأته ثلاثًا، فسكت حتى ظننا أنه رادها عليه، ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الحموقة، ثم يقول: يا ابن عباس يا ابن عباس، وإن الله عز وجل قال: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}، وإنك لم تنتق الله فلا أجد لك مخرجًا، عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، قال الله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلُّوهُنَّ فِي قُبُلِ عَدَّتِهِنَّ}"^(١٥).

(١) تفسير ابن كثير: ١٤٢/٨-١٤٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٣.

(١٥) أخرجه الطبري: ٤٣٣-٤٣٢/٢٣.

عن الحكم، قال: "سمعت مجاهدًا يحدث عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾، قال ابن عباس: في قبل عدتهن" (١).

عن الحسن وابن سيرين: "فيمن أراد أن يطلق ثلاث تطليقات جميعاً في كلمة واحدة، أنه لا بأس به بعد أن يطلقها في قبل عدتها، كما أمره الله؛ وكان يكره أن يطلق الرجل امرأته تطليقة، أو تطليقتين، أو ثلاثاً، إذا كان بغير العدة التي ذكرها الله" (٢).

عن معمر، عن قتادة، في قوله: "﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾"، قال: إذا طهرت من الحيض في غير جماع، قلت: كيف؟ قال: إذا طهرت فطلقها من قبل أن تمسها، فإن بدا لك أن تطلقها أخرى تركتها حتى تحيض حيضة أخرى، ثم طلقها إذا طهرت الثانية، فإذا أردت طلاقها الثالثة أمهلتها حتى تحيض، فإذا طهرت طلقها الثالثة، ثم تعتد حيضة واحدة، ثم تنكح إن شاءت" (٣).

عن معمر، قال: "وقال ابن طاوس: إذا أردت الطلاق فطلقها حين تطهر، قبل أن تمسها تطليقة واحدة، لا ينبغي لك أن تزيد عليها، حتى تخلو ثلاثة قروء، فإن واحدة تبينها" (٤).

عن ابن عمر، قال: "طلقت امرأتي وهي حائض؛ قال: فأتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك، فقال: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا حَتَّى تَطْهَرَ، ثُمَّ تَحِيضَ، ثُمَّ تَطْهَرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يُجَامِعَهَا، وَإِنْ شَاءَ أَمْسَكَهَا، فَإِنَّهَا الْعِدَّةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»" (٥).

عن نافع، عن ابن عمر: "أنه طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهَرَ، ثُمَّ تَحِيضَ، ثُمَّ تَطْهَرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَهَا، فَبَيْنَكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ»" (٦).

عن سعيد بن عبد العزيز: "سئل عن قول الله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾، قال: طلاق السنة أن يطلق الرجل امرأته وهي في قبل عدتها، وهي طاهر من غير جماع واحدة، ثم يدعها، فإن شاء راجعها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة، وإن أراد أن يطلقها ثلاثاً طلقها واحدة في قبل عدتها، وهي طاهر من غير جماع، ثم يدعها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى، ثم يدعها، حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى، ثم لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره" (٧).

قوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ [الطلاق : ١]، أي: "واحفظوا العدة؛ لتعلموا وقت الرجعة إن أردتم أن تراجعوهن" (٨).

قال الطبري: "يقول: وأحصوا هذه العدة وأقراءها فاحفظوها" (٩).

قال ابن كثير: "أي: احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها؛ لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الأزواج" (١٠).

عن السدي، قوله: "﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾"، قال: احفظوا العدة" (١١).

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق : ١]، أي: "وخافوا الله ربكم، لا تخرجوا المطلقات من البيوت التي يسكنن فيها إلى أن تنقضي عدتهن، وهي ثلاث حيضات لغير الصغيرة والأيسة والحامل" (١٢).

(١) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٩) تفسير الطبري: ٤٣٦/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ١٤٣/٨.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢٣.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٥٨.

قال الطبري: "يقول: وخافوا الله أيها الناس ربكم فاحذروا معصيته أن تتعدوا حده، لا تخرجوا من طلقتم من نساكنم لعدتهن من بيوتهن التي كنتم أسكنتموهن فيها قبل الطلاق حتى تنقضي عدتهن"^(١).

قال ابن كثير: "أي: في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه، فليس للرجل أن يخرجها، ولا يجوز لها أيضا الخروج لأنها معتقلة لحق الزوج أيضا"^(٢).
عن السدي، قوله: "وَأَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ"، حتى تنقضي عدتهن"^(٣).

عن ابن جريج، قال: قال عطاء: "إن أذن لها أن تعتد في غير بيته، فتعتد في بيت أهلها، فقد شاركها إذن في الإثم. ثم تلا: {لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ}، قال: قلت هذه الآية في هذه؟ قال: نعم"^(٤).

عن نافع: "أن عبد الله بن عمر كان يقول في هذه الآية: {لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ}، قال: خروجها قبل انقضاء العدة. قال ابن عجلان عن زيد بن أسلم: إذا أتت بفاحشة أخرجت"^(٥).

عن الضحاك في قوله: "وَأَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ}، قال: ليس لها أن تخرج إلا بإذنه، وليس للزوج أن يخرجها ما كانت في العدة، فإن خرجت فلا سكنى لها ولا نفقة"^(٦).

عن ابن عباس، قوله: "وَأَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ"، قال: هي المطلقة لا تخرج من بيتها، ما دام لزوجها عليها رجعة، وكانت في عدة"^(٧).
عن قتادة: "وَأَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ"، وذلك إذا طلقها واحدة أو اثنتين لها ما لم يطلقها ثلاثاً"^(٨).

قوله تعالى: {وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ} [الطلاق: ١]، أي: "ولا يجوز لهن الخروج منها بأنفسهن، إلا إذا فعلن فعلة منكرة ظاهرة كالزنى"^(٩).
قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: لا تخرجوهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة أنها فاحشة لمن عاينها أو علمها"^(١٠).

قال ابن كثير: "أي: لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة، فتخرج من المنزل، والفاحشة المبينة تشمل الزنا"^(١١).

وفي قوله تعالى: {وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ} [الطلاق: ١]، وجوه:
أحدها: أن الفاحشة يعني: الزنا، والإخراج هو إخراجها لإقامة الحد، قاله ابن مسعود^(١٢)، وابن عباس^(١٣)، وسعيد بن المسيب، والشعبي^(١٤)، والحسن^(١٥)، وابن سيرين^(١)، ومجاهد^(٢).

(١) تفسير الطبري: ٤٣٧/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٤٣/٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٣٨-٤٣٧/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ١٤٣/٨.

(١٢) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.

(١٣) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٣.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٣.

وعكرمة^(٣)، وسعيد بن جبير^(٤)، وأبو قلابة^(٥)، وأبو صالح^(٦)، والضحاك^(٧)، وزيد بن أسلم^(٨)، وابنه^(٩)، وعطاء الخراساني^(١٠)، والسدي^(١١)، وسعيد بن أبي هلال^(١٢).
 عن صالح بن مسلم، قال: سألت عامراً قلت رجل طلق امرأته تطليقة أخرجها من بيتها؟ قال: إن كانت زانية^(١٣).

قال ابن زيد: "فجعل الله سبيلهنّ الرجم، فهي لا ينبغي لها أن تخرج من بيتها إلا أن تأتي بفاحشة مبينة، فإذا أتت بفاحشة مبينة أخرجت إلى الحدّ فرجمت، وكان قبل هذا للمحصنة الحبس تحبس في البيوت لا تترك تنكح، وكان للبكرين الأذى قال الله جلّ ثناؤه: {وَالَّذَانَ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَأَدُوهُمَا} يا زان، يا زانية، {فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا}، قال: ثم نسخ هذا كله، فجعل الرجم للمحصنة والمحصن، وجعل جلد مئة للبكرين، قال: ونسخ هذا^(١٤).

والثاني: أنه البذاء على أحمائها، وهذا قول عبد الله بن عباس^(١٥)، والشافعي^(١٦).

قال ابن عباس: "الفاحشة المبينة أن تبدو على أهلها"^(١٧).

الثالث: كل معصية لله، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً^(١٨).

الرابع: أن الفاحشة خروجهن، ويكون تقدير الآية: إلا أن يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن، قاله ابن عمر^(١٩)، والسدي^(٢٠).

قال ابن عمر: "خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة"^(٢١).

الخامس: أن ذلك نشوزها على زوجها، فيطلقها على النشوز، فيكون لها التحول حينئذ من بيتها. قاله قتادة^(٢٢).

قال قتادة: "إلا أن يطلقها على نشوز، فلها أن تحول من بيت زوجها"^(٢٣).

قال الطبري: "الصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: عنى بالفاحشة في هذا

الموضع: المعصية، وذلك أن الفاحشة هي كلّ أمر قبيح تعدى فيه حدّه، فالزنى من ذلك،

(١) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٣.

(٣) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.

(٤) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.

(٥) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.

(٦) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.

(٧) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.

(٨) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٩/٢٣.

(١٠) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.

(١١) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.

(١٢) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٣٩/٢٣.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٩/٢٣.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٢٩/٦.

(١٧) أخرجه الطبري: ٤٣٩/٢٣.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٩/٢٣.

(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٣.

(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٣.

(٢١) أخرجه الطبري: ٤٤٠/٢٣.

(٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٣.

(٢٣) أخرجه الطبري: ٤٤٠/٢٣.

والسرق والبذاء على الأحماء، وخروجها متحوّلة عن منزلها الذي يلزمها أن تعتدّ فيه منه، فأى ذلك فعلت وهي في عدتها، فلزوجها إخراجها من بيتها ذلك، لإتيانها بالفاحشة التي ركبتها"^(١).
قوله تعالى: {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} [الطلاق : ١]، أي: "وتلك أحكام الله التي شرعها لعباده"^(٢).

قال الطبري: يقول: " وهذه الأمور التي بينتها لكم من الطلاق للعدّة، وإحصاء العدّة، والأمر باتقاء الله، وأن لا تخرج المطلقة من بيتها، إلا أن تأتي بفاحشة مبينة حدود الله التي حدّها لكم أيها الناس فلا تعتدوها"^(٣).

قال ابن كثير: " أي : شرائعه ومحارمه"^(٤).

قال الضحاك: " يقول: تلك طاعة الله فلا تعتدوها"^(٥).

قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} [الطلاق : ١]، أي: "ومن يتجاوز أحكام الله فقد ظلم نفسه، وأوردها مورد الهلاك"^(٦).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: ومن يتجاوز حدود الله التي حدّها لخلقه فقد ظلم نفسه: يقول: فقد أكسب نفسه وزراً، فصار بذلك لها ظالماً، وعليها متعدّياً"^(٧).

قال ابن كثير: " {وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ}، أي : يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا ياتمر بها، {فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}، أي : يفعل ذلك"^(٨).

قال الضحاك: " يقول: من كان على غير هذه فقد ظلم نفسه"^(٩).

قوله تعالى: {لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} [الطلاق : ١]، أي: "لا تدري -أيها المطلّق-: لعل الله يحدث بعد ذلك الطلاق أمراً لا تتوقعه فتراجعها"^(١٠).

قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه: لا تدري ما الذي يحدث؟ لعل الله يحدث بعد طلاقكم إياهن رجعة"^(١١).

قال ابن كثير: " أي : إنما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة، لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله في قلبه رجعتها، فيكون ذلك أيسر وأسهل"^(١٢).

عن الزهري: " أن فاطمة بنت قيس كانت تحت أبي حفص المخزومي، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر علياً على بعض اليمن، فخرج معه، فبعث إليها بتطبيقه كانت لها، وأمر عياش بن أبي ربيعة المخزومي، والهارث بن هشام أن ينفقا عليها، فقالا لا والله ما لها علينا نفقة، إلا أن تكون حاملاً فأنت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكرت ذلك له، فلم يجعل لها نفقة إلا أن تكون حاملاً واستأذنته في الانتقال، فقالت: أين انتقل يا رسول الله؟ قال: "عند ابن أم مكتوم"، وكان أعمى، تضع ثيابها عنده، ولا يبصرها؛ فلم تزل هنالك حتى أنكحها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسامة بن زيد حين مضت عدتها، فأرسل إليها مروان بن الحكم يسألها عن هذا الحديث، فأخبرته، فقال مروان: لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة، وسنأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها، فقالت فاطمة: بيني وبينكم الكتاب، قال الله جلّ ثناؤه: {فَطْلُقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ} حتى بلغ {لَعَلَّ

(١) تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٣) تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٤٤/٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٧) تفسير الطبري: ٤٤١/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٤٤/٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(١١) تفسير الطبري: ٤٤١/٢٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ١٤٤/٨.

اللَّهِ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا، قالت: فأمر يحدث بعد الثلاث، وإنما هو في مراجعة الرجل امرأته، وكيف تحبس امرأة بغير نفقة؟^(١)
عن الضحاك في قوله: "لَعَلَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا، يقول: لعلَّ الرجل يراجعها في عدتها"^(٢).

قال الضحاك: "هذا ما كان له عليها رجعة"^(٣).
عن السدي: "لا تُدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا، قال: الرجعة"^(٤).
عن سفيان: "لَعَلَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا، قال: لعله يراجعها"^(٥).
قال ابن زيد: "لعلَّ الله يحدث في قلبك تراجع زوجتك؛ قال: قال: ومن طلق للعدة جعل الله له في ذلك فسخة، وجعل له ملكًا إن أراد أن يرتجع قبل أن تنقضي العدة ارتجع"^(٦).
عن قتادة: "لا تُدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا، أي: مراجعة"^(٧).
عن قتادة، قوله: "لَعَلَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا، قال: هذا في مراجعة الرجل امرأته"^(٨).

قال قتادة: "يراجعها في بيتها هذا في الواحدة والثنتين، هو أبعد من الزنى"^(٩).
وقال الحسن: "هذا في الواحدة والثنتين، وما يحدث الله بعد الثلاث"^(١٠).
قال أيوب: "سمعت الحسن وعكرمة يقولان: المطلقة ثلاثاً، والمتوفى عنها لا سكنى لها ولا نفقة؛ قال: فقال عكرمة لَعَلَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا، فقال: ما يحدث بعد الثلاث"^(١١).
فوائد الآية:

- ١- بيان السنة في الطلاق وهي أن يطلقها في طهر لم يمسهَا في بجماع.
- ٢- أن يكون الطلاق واحدة لا اثنتين ولا ثلاثاً.
- ٣- وجوب إحصاء العدة ليعرف الزوج متى تنقضي عدة مطلقته لما يترتب على ذلك من أحكام الرجعة والنفقة والإسكان.
- ٤- حرمة إخراج المطلقة من بيتها الذي طلقت فيه إلى أن تنقضي عدتها إلا أن ترتكب فاحشة ظاهرة كزناً أو بذاءة أو سوء خلق وقبيح معاملة فعندئذ يجوز إخراجها.

القرآن

{فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)} [الطلاق : ٢-٣]

التفسير:

فإذا قاربت المطلقات نهاية عدتهن فراجعوهن مع حسن المعاشرة، والإنفاق عليهن، أو فارقوهن مع إيفاء حقهن، دون المضارة لهن، وأشهدوا على الرجعة أو المفارقة رجلين عدلين منكم، وأدوا -أيها الشهود- الشهادة خالصة لله لا لشيء آخر، ذلك الذي أمركم الله به يوعظ به من كان

(١) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢٣-٤٤٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٢٣-٤٤٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٢٣.

يؤمن بالله واليوم الآخر. ومن يخف الله فيعمل بما أمره به، ويجتنب ما نهاه عنه، يجعل له مخرجاً من كل ضيق، ويبسر له أسباب الرزق من حيث لا يخطر على باله، ولا يكون في حسبانته. ومن يتوكل على الله فهو كافيه ما أهمه في جميع أموره. إن الله بالغ أمره، لا يفوته شيء، ولا يعجزه مطلوب، قد جعل الله لكل شيء أجلاً ينتهي إليه، وتقديراً لا يجاوزه. سبب النزول:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: نزلت هذه الآية: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق : ٢ - ٣]، في رجل من أشجع، كان فقيراً خفيف ذات اليد كثير العيال، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له: «اتق الله واصبر» فرجع إلى أصحابه فقالوا: ما أعطاك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما أعطاني شيئاً وقال لي: «اتق الله واصبر» فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ابن له بغنم له كان العدو أصابوه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنها وأخبره خبرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلها» فنزلت: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق : ٢ - ٣]^(١).

قوله تعالى: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} [الطلاق : ٢]، أي: "فإذا قاربت المطلقات نهاية عدتهن فراجعوهن مع حسن المعاشرة، والإنفاق عليهن"^(٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فإذا بلغ المطلقات اللواتي هنّ في عدة أجلهنّ وذلك حين قرب انقضاء عددهنّ، فأمسكوهنّ برجة تراجعوهنّ، إن أردتم ذلك بمعروف، يقول: بما أمرك الله به من الإمساك وذلك بإعطائها الحقوق التي أوجبها الله عليه لها من النفقة والكسوة والمسكن وحسن الصحبة"^(٣).

قال ابن كثير: "يقول تعالى : فإذا بلغت المعتدات أجلهنّ، أي : شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك، ولكن لم تفرغ العدة بالكلية، فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها، وهو رجعها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده. {بِمَعْرُوفٍ}، أي : محسناً إليها في صحبتها"^(٤).

عن الضحاك، قوله: " {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ}، يقول: إذا انقضت عدتها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة، أو ثلاثة أشهر إن لم تكن تحيض، يقول: فراجع إن كنت تريد المراجعة قبل أن تنتقض العدة بإمساك بمعروف، والمعروف أن تحسن صحبتها، {أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ}، والتسريح بإحسان: أن يدعها حتى تمضي عدتها، ويعطيها مهراً إن كان لها عليه إذا طلقها، فذلك التسريح بإحسان، والمتعة على قدر الميسرة"^(٥).

عن السدي، قوله: " {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ}، قال: إذا طلقها واحدة أو ثنتين، يشاء أن يمساكها بمعروف، أو يسرحها بإحسان"^(٦).

قوله تعالى: {أَوْ قَارُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} [الطلاق : ٢]، أي: "أو فارقوهن مع إيفاء حقهن، دون المضارة لهن"^(٧).

قال الطبري: يقول: "أو اتركوهن حتى تنتقض عددهنّ، فتبين منكم بمعروف، يعني بإيفائها ما لها من حق قبله من الصداق والمتعة على ما أوجب عليه لها"^(٨).

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرک" (٣٨٢٠): ص ٥٣٤/٢، وصححه وتعقبه الذهبي: بل منكر وعباد رافضي جبل وعبيد متروك قاله الأزدي.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٣) تفسير الطبري: ٤٤٣/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٤٥/٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٨) تفسير الطبري: ٤٤٣/٢٣.

قال ابن كثير: " وإما أن يعزم على مفارقتها {بمَعْرُوفٍ}، أي : من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف، بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن" (١).

قوله تعالى: {وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ} [الطلاق : ٢]، أي: " وأشهدوا على الرجعة أو المفارقة رجلين عدلين منكم" (٢).

قال الطبري: يقول: " وأشهدوا على الإمساك إن أمسكتموهنّ، وذلك هو الرجعة ذوي عدل منكم، وهما اللذان يرضى دينهما وأمانتهما" (٣).

قال ابن كثير: " أي : على الرجعة إذا عَزَمْتُمْ عليها" (٤).

عن السديّ، قوله: " {وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ}، قال: على الطلاق والرجعة" (٥).

قال ابن عباس: " إن أراد مراجعتها قبل أن تنقضي عدتها، أشهد رجلين كما قال الله {وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ}، عند الطلاق وعند المراجعة، فإن راجعها فهي عنده على تطليقتين، وإن لم يراجعها فإذا انقضت عدتها فقد بانّت منه بواحدة، وهي أملك بنفسها، ثم تنزّوج من شاءت، هو أو غيره" (٦).

قال إبراهيم النخعي: " العَدْلُ في المسلمين: مَنْ لم تَظْهَر منه رِيبَةٌ" (٧).

عن محمد بن سيرين: " أن رجلاً سأل عمران بن حصين عن رجل طلق ولم يُشْهَد، وراجع ولم يُشْهَد. قال: بنسما صنع؛ طلق في بدعة، وارتجع في غير سنة، فليُشْهَد على طلاقه وعلى مُراجعتِهِ، وليستغفر الله" (٨).

عن إبراهيم النَّخَعِي -من طريق أبي مَعْشَر-: " في رجل طلق امرأته فأشْهَد، ثم راجعها ولم يُشْهَد. قال: لم يكن يَكْرَهُ ذلك تائماً، ولكن كان يَخَافُ أن يَجْحَدَ" (٩).

عن عامر الشعبي -من طريق الشيباني-: " أنه سُئِلَ عن رجل طلق امرأته، ثم راجعها، فَيَجْهَلُ أن يُشْهَد؟ قال: يُشْهَد إذا علم" (١٠).

عن عامر الشعبي -من طريق مُغْيِرَةَ-: " في الرجل يُطَلِّق امرأته، ثم يُجامعها قبل أن يُشْهَد على رَجْعَتِهَا. قال: كيف تقول -يا مُغْيِرَةَ- في رجل فعل بامرأة قوم ليس منها بسبيل؟! " (١١).

عن طاووس بن كيسان -: " من طريق سليمان التيمي - قالوا: الجماع رَجْعَةٌ؛ فليُشْهَد " (١٢).

- عن الحسن البصري -من طريق يونس-: " في الرجل يُطَلِّق امرأته، ثم يَعْشَاهَا ولم يُشْهَد. قال: غَشِيَانُهُ لَهَا مِرَاجَعَةٌ؛ فليُشْهَد " (١٣).

-
- (١) تفسير ابن كثير: ١٤٥/٨ .
(٢) التفسير الميسر: ٥٥٨ .
(٣) تفسير الطبري: ٤٤٤/٢٣ .
(٤) تفسير ابن كثير: ١٤٥/٨ .
(٥) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٣ .
(٦) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٣ .
(٧) الدر المنثور: ١٦٨/٨، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد.
(٨) أخرجه عبد الرزاق (١٠٢٥٥ - ١٠٢٥٧).
(٩) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٥١٧ /٩ (١٨٠٧٤) باب: ما قالوا في الإشهاد على الرجعة إذا طلق ثم راجع.
(١٠) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٥١٧ /٩ (١٨٠٧٢) وهو تحت باب: ما قالوا في الإشهاد على الرجعة إذا طلق ثم راجع.
(١١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٥١٧ /٩ (١٨٠٧٣) وهو تحت باب: ما قالوا في الإشهاد على الرجعة إذا طلق ثم راجع.
(١٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٥١٧ /٩ (١٨٠٧٦) وهو تحت باب: ما قالوا في الإشهاد على الرجعة إذا طلق ثم راجع.
(١٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٥١٧ /٩ (١٨٠٧٥) وهو تحت باب: ما قالوا في الإشهاد على الرجعة إذا طلق ثم راجع.

عن الحكم بن عتيبة-من طريق أبي غنينة، عن أبيه-: "في رجل يُراجع امرأته ولا يُشهد. قال: فليشهد على رجعتها"^(١).

عن الحكم بن عتيبة-من طريق شعبة-: "في رجل طلق امرأته، فحنت وقد غشيها في عدتها، وقد علم بذلك بعد انقضاء العدة. قال: غشيانها لها مراجعة"^(٢).

عن عطاء، قال: "النكاح بالشهود، والطلاق بالشهود، والمراجعة بالشهود"^(٣).
عن قتادة: "أن سليمان بن يسار حدث: أن عمر بن عبد العزيز قال: ما رأيت مثل القسامة قط أُقيدَ بها، والله يقول: {وَأَشْهَدُوا نَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ}. وقالت الأسباط: {وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا لغيبٍ حافظين} [يوسف: ٨١]. وقال الله: {إِذَا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: ٨٦]"^(٤).

قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ} [الطلاق: ٢]، أي: "وأدوا-أيها الشهود- الشهادة خالصة لله لا لشيء آخر"^(٥).

قال الطبري: "يقول: وأشهدوا على الحق إذا استشهدتم، وأدوها على صحة إذا أنتم دُعيتم إلى أدائها"^(٦).

قال مقاتل: "قال للشهود: {وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ} على وجهها"^(٧).

قال السدي: "أشهدوا على الحق"^(٨).

قال الضحاك: "إذا أشهدتم على شيء فأقيموه"^(٩).

قال الشافعي: "يقوم بها على والديه وولده، والقريب والبعيد، وللبييض القريب والبعيد، ولا يكتف عن أحد ولا يحابي بها ولا يمنعها أحداً، ثم تنفرع الشهادات فيجتمعون ويختلفون فيما يلزم منها وما لا يلزم"^(١٠).

عن عبد الله بن عباس: أن رجلاً سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الشهادة. فقال: «لا تشهد إلا على مثل الشمس، أو دَعَّ»^(١١).

قوله تعالى: {ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [الطلاق: ٢]، أي: "ذلك الذي أمركم الله به يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر"^(١٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: هذا الذي أمرتكم به، وعرفتكم من أمر الطلاق، والواجب لبعضكم على بعض عند الفراق والإمساك عظة منا لكم، نعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فيصدق به"^(١٣).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٥١٨ / ٩ (١٨٠٧٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٥١٨ / ٩ (١٨٠٨٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٠٢٦٣). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٢٦٥ / ١٤ - ٢٦٦ (٢٨٣٨٥).

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٦) تفسير الطبري: ٤٤٤/٢٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦٤/٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٣ - ٤٤٥.

(٩) الدر المنثور: ١٦٩/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٠) تفسير الإمام الشافعي: ١٣٧٧/٣.

(١١) أخرجه الحاكم ١١٠ / ٤ (٧٠٤٥) بنحوه، من طريق محمد بن سليمان بن مسمول، عن عبد الله بن سلمة بن وهرام، عن طاووس اليماني، عن ابن عباس به. وأورده الثعلبي ٢ / ٢٩٣. وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وقال الذهبي في التلخيص: «واه». وقال البيهقي في السنن الكبرى ١٠ / ٢٦٤ (٢٠٥٧٩): «محمد بن سليمان بن مسمول هذا تكلم فيه الحميدي، ولم يرو من وجه يُعتمد عليه». وقال ابن حزم في المحلى ٨ / ٥٣٤: «هذا خبر لا يصح سنده؛ لأنه من طريق محمد بن سليمان بن مسمول، وهو هالك، عن عبيد الله بن سلمة بن وهرام، وهو ضعيف، لكن معناه صحيح». وقال ابن حجر في بلوغ المرام ٢ / ١٩٢ (١٤٠٥): «إسناد ضعيف، وصححه الحاكم فأخطأ». س.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٥٨.

قال ابن كثير: "أي : هذا الذي أمرناكم به من الإشهاد وإقامة الشهادة، إنما يأتى به من يؤمن بالله وأنه شرع هذا، ومن يخاف عقاب الله في الدار الآخرة، ومن ها هنا ذهب الشافعي - في أحد قولي - إلى وجوب الإشهاد في الرجعة، كما يجب عنده في ابتداء النكاح. وقد قال بهذا طائفة من العلماء، ومن قال بهذا يقول : إن الرجعة لا تصح إلا بالقول ليقع الإشهاد عليها"^(٢).

عن السدي: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، قَالَ: يُؤْمِنُ بِهِ"^(٣).
قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} [الطلاق : ٢]، أي: "ومن يخف الله فيعمل بما أمره به، ويجتنب ما نهاه عنه، يجعل له مخرجًا من كل ضيق"^(٤).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: من يخف الله فيعمل بما أمره به، ويجتنب ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجًا بأن يعرفه بأن ما قضى فلا بد من أن يكون، وذلك أن المطلق إذا طلق، كما ندبه الله إليه للعدة، ولم يراجعها في عدتها حتى انقضت ثم تتبعها نفسه، جعل الله له مخرجًا فيما تتبعها نفسه. بأن جعل له السبيل إلى خطبتها ونكاحها، ولو طلقها ثلاثًا لم يكن له إلى ذلك سبيل"^(٥).

قال ابن كثير: "أي : ومن يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجًا"^(٦).

عن عكرمة: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا"، قال: من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجًا"^(٧).

عن قتادة: "يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا"، قال: من شُبّهت الأمور، والكرب عند الموت"^(٨).
عن ابن عباس، قوله: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا"، يقول: نجاته من كل كرب في الدنيا والآخرة"^(٩).

عن الربيع بن خثيم: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا"، قال: من كل شيء ضاق على الناس"^(١٠).

قال أبو العالية الرياحي: "مَخْرَجًا" من كل شدة"^(١١).
عن عبد الله، في قوله: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا"، قال: يعلم أنه من عند الله، وأن الله هو الذي يعطي ويمنع"^(١٢).

قال مسروق: "المخرج أن يعلم أن الله تبارك وتعالى لو شاء أعطاه وإن شاء منعه"^(١٣).
عن الضحاك، قوله: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا"، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا، قال: يعني بالمخرج واليسر إذا طلق واحدة ثم سكت عنها، فإن شاء راجعها بشهادة رجلين عدلين، فذلك اليسر الذي قال الله، وإن مضت عدتها ولم يراجعها، كان خاطبًا من الخطاب، وهذا الذي أمر الله به، وهكذا طلاق السنة فأما من طلق عند كل حيضة فقد أخطأ السنة، وعصى الرب، وأخذ بالعسر"^(١٤).

(١) تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٤٥/٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٥) تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٤٦/٨.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢٣.

(١١) تفسير البيهقي: ١٥٠/٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٤٦-٤٤٥/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢٣.

عن السديّ، قوله: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا"، قال: يطلق للسنة، ويراجع للسنة؛ زعم أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له عوف الأشجعيّ، كان له ابن، وأن المشركين أسروه، فكان فيهم، فكان أبوه يأتي النبي صلى الله عليه وسلم، فيشكوا إليه مكان ابنه، وحالته التي هو بها وحاجته، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر ويقول له: إن الله سيجعل له مخرجا، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا إذا انفلت ابنه من أيدي العدو، فمرّ بغنم من أغنام العدو فاستاقها، ف جاء بها إلى أبيه، وجاء معه بغنّى قد أصابه من الغنم، فنزلت هذه الآية: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} (١).

عن سالم بن أبي الجعد: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا"، قال: نزلت في رجل من أشجع جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مجهود، فسأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أتق الله واصبر"، قال: قد فعلت، فأتى قومه، فقالوا: ماذا قال لك؟ قال: "أتق الله واصبر"، فقلت: قد فعلت حتى قال ذلك ثلاثا، فرجع فإذا هو بابنه كان أسيرا في بني فلان من العرب، ف جاء معه بأعنز فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن ابني كان أسيرا في بني فلان، وإنه جاء بأعنز فطابت لنا؟ قال: "نعم" (٢).

قوله تعالى: {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق : ٣]، أي: "وييسر له أسباب الرزق من حيث لا يخطر على باله، ولا يكون في حسابه" (٣).

قال الطبري: "يقول: ويسبب له أسباب الرزق من حيث لا يشعر، ولا يعلم" (٤).

قال ابن كثير: "أي: من جهة لا تخطر بباله" (٥).

عن مسروق: " {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}، قال: من حيث لا يدري" (٦).

عن قتادة: " {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}، من حيث لا يرجو ولا يؤمل" (٧). وفي رواية: "لا يأمل ولا يرجو" (٨).

عن شئير بن شكل قال: "سمعت عبد الله بن مسعود يقول: إن أجمع آية في القرآن: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} [النحل : ٩٠] وإن أكثر آية في القرآن فرجا: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} (٩).

عن أبي ذر قال: "جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو عليّ هذه الآية: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} حتى فرغ من الآية، ثم قال: "يا أبا ذر، لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم". وقال: فجعل يتلوها ويردها علي حتى نعتت، ثم قال: "يا أبا ذر، كيف تصنع إن أخرجت من المدينة؟". قلت: إلى السعة والدّعة أنطلق، فأكون حمامة من حمام مكة. قال: "كيف تصنع إن أخرجت من مكة؟". قال: قلت: إلى السعة والدّعة، وإلى الشام والأرض المقدسة. قال: "وكيف تصنع إن أخرجت من الشام؟". قلت: إذا - والذي بعثك بالحق - أضع سيفي على عاتقي. قال: "أخير من ذلك؟". قلت: أوخير من ذلك؟ قال: "تسمع وتطيع، وإن كان عبدا حبشيا" (١٠).

(١) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢٣-٤٤٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٤٧/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٤) تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٤٦/٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٣-٤٤٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٣.

(٩) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٤٦/٨.

(١٠) المسند (١٧٨/٥).

عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب"^(١).

قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق : ٣]، أي: "ومن يتوكل على الله فهو كافيهِ ما أهمّه في جميع أمورهِ"^(٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ومن يتق الله في أمورهِ، ويفوضها إليه فهو كافيهِ"^(٣).
عن الشعبي، قال: "تجالس شئير بن شكل ومسروق، فقال شئير: إما أن تحدّث ما سمعت من ابن مسعود فأصدّقك، وإما أن أحدث فتصدّقني؟ قال مسروق: لا بل حدّث فأصدّقك، فقال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أكبر آية في القرآن تفوضاً"^(٤): {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}، قال مسروق: صدقت"^(٥).

عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله إليها"^(٦).

عن عبدالله، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قمناً أن لا تُسهّل حاجته، ومن أنزلها بالله أتاه الله برزق عاجل، أو بموت أجل"^(٧).

عن عبد الله: " {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}، قال: ليس بمتوكل الذي قد فُضيت حاجته، وجعل فضل من توكل عليه على من لم يتوكل أن يكفر عنه سيئاته، ويُعظم له أجراً"^(٨).

عن عبد الله بن عباس : أنه حدّثه أنه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا غلام، إني معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف"^(٩).

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ} [الطلاق : ٣]، أي: "إن الله بالغ أمره، لا يفوته شيء، ولا يعجزه مطلوب"^(١٠).

قال الطبري: "إن الله بالغ أمره بكل حال توكل عليه العبد أو لم يتوكل عليه"^(١١).

قال ابن كثير: "أي : منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريد ويشاؤه"^(١٢).

قال مقاتل: "فيما نزل به من الشدة والبلاء"^(١٣).

(١) المسند (٢٤٨/١).

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٣) تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٣.

(٤) قال المحقق: "كذا في الأصل، ولم أجد في المعاجم هذا المصدر ولا فعله، ولعله محرف عن "التفويض"، وهو رد الأمر كله إلى الله، وهو المفهوم من معنى حديث ابن مسعود هذا".

(٥) أخرجه الطبري: ٤٤٩/٢٣.

(٦) رواه ابن ابي حاتم كما في " تفسير ابن كثير" ١٤٨/٨، ورواه الطبراني في المعجم الصغير (١١٦/١) ومن طريقه الخطيب في تاريخه (١٩٧/٧) من طريق جعفر بن محمد البغدادي، عن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق به، وقال الطبراني : "لم يروه عن هشام إلا الفضيل، تفرد به إبراهيم بن الأشعث" وقال الهيثمي في المجمع (٣٠٤/١٠) : "وفيه إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل وهو ضعيف، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال : يغرب ويخطئ ويخالف، وبقيه رجاله ثقات".

(٧) المسند (٤٤٢/١).

(٨) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٣-٤٤٩.

(٩) المسند (٢٩٣/١) وسنن الترمذي برقم (٢٣٢٦).

(١٠) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(١١) تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ١٤٨/٨.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦٤/٤.

عن مسروق: " {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ}، توكل عليه أو لم يتوكل عليه، غير أن المتوكل يُكْفَرُ عنه سيئاته، ويُعْظِمُ له أَجْرًا" (١).
 قوله تعالى: {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق : ٣]، أي: "قد جعل الله لكل شيء أجلا ينتهي إليه، وتقديرًا لا يجاوزه" (٢).
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: قد جعل الله لكل شيء من الطلاق والعدة وغير ذلك حدًا وأجلًا وقدرًا يُنتهي إليه" (٣).
 قال مقاتل: أي: "من الشدة والرخاء {قَدْرًا}، يعني: متى يكون هذا الغني فقيرًا؟ ومتى يكون هذا الفقير غنيًا؟ فقدر الله ذلك كله، لا يقدم ولا يؤخر" (٤).
 قال ابن كثير: " {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} كقوله: {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} [الرعد : ٨]" (٥).

قال ابن أبي زمنين: "أي: منتهى ينتهي إليه" (٦).
 قال الثعلبي: "حدًا وأجلًا ينتهي إليه" (٧).
 عن مسروق: " {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}، قال: أجلا" (٨). وفي رواية: "منتهى" (٩).
 عن السدي، قوله: " {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}، قال: الحيض في الأجل والعدة" (١٠).
 قال عبد الرحمن بن نافع: "لما نزلت: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}، قال أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: حسبنا الله إذا توكلنا عليه فنحن ننسى ما كان لنا ولا نحفظه، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ}، يعني: منكم وعليكم" (١١).
 فوائد الآيتين: [٢-٣]:

- ١- لا تصح الرجعة إلا في العدة فإن انقضت العدة فلا رجعة وللمطلقة أن تتزوج من شاءت هو أو غيره من ساعة انقضاء عدتها.
- ٢- لا تحل المراجعة للإضرار، ولكن للفضل والإحسان وطيب العشرة.
- ٣- مشروعية الإشهاد على الطلاق والرجعة معاً.
- ٤- يشترط في الشهود العدالة، فإذا خفت العدالة في الناس استكثر من الشهود.
- ٥- وعد الله الصادق بالفرج القريب لكل من يتقه سبحانه وتعالى، والرزق من حيث لا يرجو.
- ٦- تقرير عقيدة القضاء والقدر.
- ٧- كفاية الله لمن توكل عليه.

قال الربيع: "إنَّ الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل كفاه، ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به نجاه، ومن دعاه أجاب له، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ} [التغابن : ١١]، {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق : ٣]، {إِنْ تُفْرَضُوا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفْهُ لَكُمْ} [التغابن : ١٧] {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [آل عمران : ١٠١]، {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} [البقرة : ١٨٦]" (١٢).

(١) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٣) تفسير الطبري: ٤٤٩/٢٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦٤/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٤٨/٨.

(٦) تفسير ابن أبي زمنين: ٤٠٢/٤.

(٧) الكشف والبيان: ٤٤٨/٩.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٤٩/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٤٩/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٤٩/٢٣.

(١١) نقلا عن "الكشف والبيان في تفسير القرآن": ٣٣٨/٩.

(١٢) نقلا عن "الكشف والبيان في تفسير القرآن": ٣٣٨/٩.

القرآن

{وَاللَّائِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)} [الطلاق : ٤]

التفسير:

والنساء المطلقات اللاتي انقطع عنهن دم الحيض؛ لكبر سنهن، إن شككنتم فلم تدرن ما الحكم فيهن؟ فعديتهن ثلاثة أشهر، والصغيرات اللاتي لم يحضن، فعديتهن ثلاثة أشهر كذلك. وذوات الحمل من النساء عدتهن أن يضعن حملهن. ومن يخف الله، فينفذ أحكامه، يجعل له من أمره يسراً في الدنيا والآخرة.
سبب النزول:

قال مقاتل: "قال رجل للنبي- صلى الله عليه وسلم- حين نزلت: {وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة : ٢٢٨]، فما عدة المرأة التي لا تحيض؟ وقال خلاد الأنصاري: ما عدة من لم تحض من صغر؟ وما عدة الحبلية؟ فأنزل الله- عز وجل- في اللاتي قعدن عن المحيض: {وَاللَّائِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ} [الطلاق : ٤]"^(١).

عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: "لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد من عدد النساء قالوا: قد بقي عدد من النساء لم يذكرن الصغار والكبار، ولا من انقطعت عنهن الحيض، وذوات الأحمال فأنزل الله عز وجل الآية التي في سورة النساء: {وَاللَّائِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق : ٤]"^(٢).

قوله تعالى: {وَاللَّائِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ} [الطلاق : ٤]، أي: "والنساء المطلقات اللاتي انقطع عنهن دم الحيض؛ لكبر سنهن، إن شككنتم فلم تدرن ما الحكم فيهن؟ فعديتهن ثلاثة أشهر"^(٣).

قال الطبري: يقول: "واللائي يسنن من المحيض من نساكن إن ارتبتم بالحكم فيهن، وفي عددهن، فلم تدرن ما هن، فإن حكم عددهن إذا طلقن، وهن ممن دخل بهن أزواجهن، فعديتهن ثلاثة أشهر"^(٤).

قال ابن كثير: "يقول تعالى مبيناً لعدة الأيسة - وهي التي قد انقطع عنها الحيض لكبرها - : أنها ثلاثة أشهر، عوضاً عن الثلاثة قروء في حق من تحيض، كما دلت على ذلك آية «البقرة»^(٥)»^(٦).

قال قتادة: "وهن اللواتي قعدن من المحيض فلا يحضن، واللائي لم يحضن هن الأبيكار التي لم يحضن، فعديتهن ثلاثة أشهر"^(٧).

قال السدي: "يقول: التي قد ارتفع حيضها، فعديتها ثلاثة أشهر"^(٨).
عن الضحاك في قوله: {وَاللَّائِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ}،... الآية، قال: القواعد من النساء"^(٩).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦٥/٤.

(٢) أخرجه الحاكم في "المستدرک" ص ٥٣٤/٢، وصححه ووافقه الذهبي، قلت: إسناده منقطع: عمرو بن سالم لم يسمع أبي بن كعب [تهذيب التهذيب ١٢ / ١٨١] والحديث أخرجه البيهقي في السنن (٧ / ٤١٤)، وأخرجه الطبري (٤٥١/٢٣)، وزاد نسبه في الدر (٦ / ٢٣٤) لإسحاق بن راهويه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٤) تفسير الطبري: ٤٥٢/٢٣.

(٥) هي الآية ٢٢٨.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٤٩/٨.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٣.

وفي معنى: «الريية» -ها هنا-، ثلاثة أقوال:
أحدها: إن ارتبتم فيهن بالدم الذي يظهر منهن لكبرهن فلم تعرفوا أحيض هو أم استحاضة، فعدتهن ثلاثة أشهر، قاله مجاهد^(٢)، والزهرى^(٣). وآخرون.
قال مجاهد: "إن لم تعلموا التي قعدت عن الحيضة، والتي لم تحض، فعدتهن ثلاثة أشهر"^(٤).

عن الزهرى: "إن ارتبتم، قال: في كبرها أن يكون ذلك من الكبر، فإنها تعتد حين ترتاب ثلاثة أشهر؛ فأما إذا ارتفعت حيضة المرأة وهي شابة، فإنه يتأني بها حتى ينظر حامل هي أم غير حامل؟ فإن استبان حملها، فأجلها أن تضع حملها، فإن لم يستبين حملها، فحتى يستبين بها، وأقصى ذلك سنة"^(٥).

قال ابن زيد: "إن ارتبت أنها لا تحيض وقد ارتفعت حيضتها، أو ارتاب الرجال، أو قالت هي: تركتني الحيضة، فعدتهن ثلاثة أشهر إن ارتاب، فلو كان الحمل انتظر الحمل حتى تنقضي تسعة أشهر، فخاف وارتاب هو، وهي أن تكون الحيضة قد انقطعت، فلا ينبغي لمسلمة أن تحبس، فاعتدت ثلاثة أشهر، وجعل الله جل ثناؤه أيضاً للتي لم تحض الصغيرة ثلاثة أشهر"^(٦).

عن أبي معبد، قال: "سئل سليمان عن المرتابة، قال: هي المرتابة التي قد قعدت من الولد تطلق، فتحيض حيضة، فيأتي إبان حيضتها الثانية فلا تحيض؛ قال: تعتد حين ترتاب ثلاثة أشهر مستقبلة؛ قال: فإن حاضت حيضتين ثم جاء إبان الثالثة فلم تحض اعتدت حين ترتاب ثلاثة أشهر مستقبلة، ولم يعتد بما مضى"^(٧).

الثاني: إن ارتبتم بحكم عددهن فلم تعلموا بماذا يعتدون، فعدتهن ثلاثة أشهر. اختاره الطبري^(٨)، قال ابن كثير: "وهو أظهر في المعنى"^(٩).

عن عمرو بن سالم، قال: "قال أبي بن كعب: يا رسول الله إن عددًا من عدد النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار، وأولات الأحمال، فأنزل الله: {وَاللَّائِي يَيْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}"^(١٠).

الثالث: معنى ذلك: إن ارتبتم مما يظهر منهن من الدم، فلم تدروا أدم حيض، أم دم مستحاضة من كبر كان ذلك أو علة؟ وهذا قول قتادة^(١١)، وعكرمة^(١٢).

عن عكرمة، قال: إن من الريية: المرأة المستحاضة، والتي لا يستقيم لها الحيض، تحيض في الشهر مراراً، وفي الأشهر مرة، فعدتها ثلاثة أشهر، وهو قول قتادة^(١٣).

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: عني بذلك: إن ارتبتم فلم تدروا ما الحكم فيهن، وذلك أن معنى ذلك لو كان كما قاله من قال: إن ارتبتم بدمائهن فلم تدروا أدم حيض، أو استحاضة؟ لقليل: إن ارتبتم لأنهن إذا أشكل الدم عليهن فهن المرتابات بدماء

(١) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٠/٢٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٠/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٥٠/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٥٠/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٥١-٤٥٠/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٢/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٤٩/٨.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٢-٤٥١/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٢-٤٥١/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٥٢-٤٥١/٢٣.

أنفسهن لا غيرهن، وفي قوله: {إِنْ ارْتَبْتُمْ} وخطابه الرجال بذلك دون النساء الدليل الواضح على صحة ما قلنا من أن معناه: إن ارتبتم أيها الرجال بالحكم فيهن؛ وأخرى وهو أنه جل ثناؤه قال: {وَاللَّائِي يَيْسُنُّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ}، واليائسة من المحيض هي التي لا ترجو محيضاً للكبر، ومحال أن يقال: واللائي يئسن، ثم يقال: ارتبتم بيأسهن، لأن اليأس: هو انقطاع الرجاء والمرتاب بيأسها مرجو لها، وغير جائز ارتفاع الرجاء ووجوده في وقت واحد، فإذا كان الصواب من القول في ذلك ما قلنا، فبين أن تأويل الآية: واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم بالحكم فيهن، وفي عددهن، فلم تدروا ما هنّ، فإن حكم عددهن إذا طلقن، وهنّ ممن دخل بهن أزواجهنّ، فعدتهن ثلاثة أشهر^(١).

قوله تعالى: {وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنْ} [الطلاق : ٤]، أي: "والصغيرات اللاتي لم يحضن، فعدتهن ثلاثة أشهر كذلك"^(٢).

قال الطبري: "يقول: وكذلك عدد اللائي لم يحضن من الجوّاري لصغر إذا طلقهنّ أزواجهنّ بعد الدخول"^(٣).

عن الضحاك: " {وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنْ}: لم يبلغن المحيض، وقد مُسِسْن، عدتهن ثلاثة"^(٤).

عن السدي: " {وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنْ}، قال: الجوّاري"^(٥).

قوله تعالى: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلُهُنَّ} [الطلاق : ٤]، أي: "وذوات الحمل من النساء عدتهن أن يضعن حملهن"^(٦).

قال الطبري: "في انقضاء عدتهن أن يضعن حملهن، وذلك إجماع من جميع أهل العلم في المطلقة الحامل،"^(٧).

وفي قوله تعالى: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلُهُنَّ} [الطلاق : ٤]، وجهان من

التفسير:

أحدهما: أنه عام في المطلقات والمتوفى عنهنّ.

قال ابن كثير: "يقول تعالى: ومن كانت حاملا فعدتها بوضعها، ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفوق ناقة في قول جمهور العلماء من السلف والخلف، كما هو نص هذه الآية الكريمة، وكما وردت به السنة النبوية"^(٨).

عن أبي بن كعب، قال: "لما نزلت هذه الآية: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلُهُنَّ}، قال: قلت: يا رسول الله، المتوفى عنها زوجها والمطلقة، قال: "نعم"^(٩). وفي رواية: "أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها"^(١٠).

عن قيس أن ابن مسعود قال: "من شاء لاعتته، ما نزلت: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلُهُنَّ}، إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها، وإذا وضعت المتوفى عنها فقد حلت؛ يريد بآية المتوفى عنها: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا}"^(١١).

(١) تفسير الطبري: ٤٥٢/٢٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٣) تفسير الطبري: ٤٥٢/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٧) تفسير الطبري: ٤٥٣/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٤٩/٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٣. وهذا الحديث لا يصح عند التحقيق ولو صح لكان ناصا في محل النزاع.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢٣.

وفي رواية: "«من شاء قاسمته نزلت سورة النساء الفُصْرِي بعدها»، يعني: بعد أربعة أشهر وعشرًا"^(١).

عن محمد بن سيرين، قال: "لقيت أبا عطية مالك بن عامر، فسألته عن ذلك، يعني عن المتوفى عنها زوجها إذا وضعت قبل الأربعة أشهر والعشر، فأخذ يحدثني بحديث سبيعة، قلت: لا هل سمعت من عبد الله في ذلك شيئاً؟ قال: نعم، ذكرت ذات يوم أو ذات ليلة عند عبد الله، فقال: أرأيت إن مضت الأربعة أشهر والعشر ولم تضع أقد أحلت؟ قالوا: لا قال: أفتجعلون عليها التغليف، ولا تجعلون لها الرخصة، فو الله لأنزلت النساء الفُصْرِي بعد الطُولِي"^(٢).

عن الشعبي، قال: "ذكر عبد الله بن مسعود آخر الأجلين، فقال: من شاء قاسمته بالله أن هذه الآية التي أنزلت في النساء الفُصْرِي نزلت بعد الأربعة الأشهر، ثم قال: أجل الحامل أن تضع ما في بطنها"^(٣).

قال الشعبي: "من شاء حالفته لأنزلت النساء الفُصْرِي بعد الأربعة الأشهر والعشر التي في سورة البقرة"^(٤).

عن مغيرة، قال: "قلت للشعبي: ما صدق أن علياً رضي الله عنه كان يقول: آخر الأجلين أن لا تتزوج المتوفى عنها زوجها حتى يمضي آخر الأجلين؛ قال الشعبي: بلى وصدق أشد ما صدقت بشيء قط؛ وقال علي رضي الله عنه إنما قوله: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} المطلقات، ثم قال: إن علياً رضي الله عنه وعبد الله كانا يقولان في الطلاق بحلول أجلها إذا وضعت حملها"^(٥).

عن السدي: "وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ"، قال: للمرأة الحُبلى التي يطلقها زوجها وهي حامل، فعدتها أن تضع حملها"^(٦).

قال قتادة: "فإذا وضعت ما في رحمها فقد انقضت عدتها، ليس المحيض من أمرها في شيء إذا كانت حاملاً"^(٧).

الثاني: أن ذلك خاص في المطلقات، وأما المتوفى عنها فإن عدتها آخر الأجلين، وذلك قول مروى عن علي وابن عباس رضي الله عنهما"^(٨).

عن يحيى قال: "أخبرني أبو سلمة قال: جاء رجل إلى ابن عباس - وأبو هريرة جالس - فقال: أفنتي في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة. فقال: ابن عباس آخر الأجلين. قلت أنا: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}، قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي - يعني أبا سلمة - فأرسل ابن عباس غلامه كريبا إلى أم سلمة يسألها، فقالت: قُتِلَ زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت، فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو السنابل فيمن خطبها"^(٩).

عن المسور بن مخرمة: "أن سبيعة الأسلمية تُوفي عنها زوجها وهي حامل، فلم تمكث إلا ليالي حتى وضعت، فلما تَعَلَّتْ من نفاسها حُطِبَتْ، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النكاح، فأذن لها أن تُنكح فنكحت"^(١٠).

(١) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٥/٢٣، وتفسير ابن كثير: ١٤٩/٨، والإشراف على مذاهب العلماء ص ٢٨١، وفتح الباري: ٤٧٤/٩.

(٩) صحيح البخاري برقم (٤٩٠٩).

(١٠) المسند (٣٢٧/٤) وصحيح البخاري برقم (٥٣٢٠) وسنن النسائي (١٩٠/٦) وسنن ابن ماجه برقم (٢٠٩٢) كلهم من هذا الطريق الذي ساقه الإمام أحمد، وأما مسلم وأبو داود فهو هذا الطريق الآتي بعده،

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : أن أباه كتب إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل على سُبَيْعَةَ بنت الحارث الأُسْمِيَّة فيسألها عن حديثها و عما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استفتته. فكتب عمر بن عبد الله يخبره أن سُبَيْعَةَ أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة - وكان ممن شهد بدرًا - فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تُنْشَب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تَعَلَّت من نفاسها تجملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بَعَكْ فقال لها : مالي أراك متجملة ؟ لعلك تُرَجِّين النكاح، إنك والله ما أنت بناكح حتى تَمُرَ عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سُبَيْعَةُ : فلما قال لي ذلك جَمَعْتُ عليّ ثيابي حين أمسيتُ فَأَتَيْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حَلَلْتُ حين وضعتُ حملي، وأمرني بالتزويج (٥) إن بدا لي" (١).

عن محمد - هو ابن سيرين - قال : كنت جالسا في ناس بالكوفة في مجلس للأنصار عظيم فيهم عبد الرحمن بن أبي ليلى، فذكروا شأن سُبَيْعَةَ، فذكرت عن عبد الله بن عتبة بن مسعود في معنى قول ابن عون: حتى تضع، قال ابن أبي ليلى: لكن عمه لا يقول ذلك، فرفعت صوتي وقلت: إني لجريء أن أكذب على عبد الله بن عتبة وهو في ناحية الكوفة؟ قال: فلقيت مالكا، قلت: كيف كان ابن مسعود، يقول في شأن سُبَيْعَةَ؟ قال: قال: «أتجعلون عليها التعلُّظ ولا تجعلون لها الرخصة، لأنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى» (٢).

قال الطبري: "الصواب من القول في ذلك أنه عام في المطلقات والمتوفى عنهن، لأن الله جلّ وعزّ، عمّ بقوله بذلك فقال: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} ولم يخص بذلك الخبر عن مطلقة دون متوفى عنها، بل عمّ الخبر به عن جميع أولات الأحمال، إن ظنّ ظانّ أن قوله: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} في سياق الخبر عن أحكام المطلقات دون المتوفى عنهن، فهو بالخبر عن حكم المطلقة أولى بالخبر عنهن، وعن المتوفى عنهن، فإن الأمر بخلاف ما ظنّ، وذلك أن ذلك وإن كان في سياق الخبر عن أحكام المطلقات، فإنه منقطع عن الخبر عن أحكام المطلقات، بل هو خبر مبتدأ عن أحكام عدد جميع أولات الأحمال المطلقات منهنّ وغير المطلقات، ولا دلالة على أنه مراد به بعض الحوامل دون بعض من خبر ولا عقل، فهو على عمومها لما بيّنا" (٣).

قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} [الطلاق : ٤]، أي: "ومن يخف الله، فينفذ أحكامه، يجعل له من أمره يسرا في الدنيا والآخرة" (٤).

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: ومن يخف الله فرهبه، فاجتنب معاصيه، وأدى فرائضه، ولم يخالف إذنه في طلاق امرأته، فإنه يجعل الله له من طلاقه ذلك يسرا، وهو أن يسهل عليه إن أراد الرخصة لاتباع نفسه إياها الرجعة ما دامت في عدتها وإن انقضت عدتها، ثم دعت نفسه إليها قدر على خطبتها" (٥).

قال البيضاوي: " {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ}، في أحكامه فيراعي حقوقها. يسهل عليه أمره ويوفقه للخير" (٦).

قال ابن كثير: " أي : يسهل له أمره، وييسره عليه، ويجعل له فرجا قريبا ومخرجًا عاجلا" (٧).

صحيح مسلم برقم (١٤٨٤) وسنن أبي داود برقم (٢٣٠٦).

(١) صحيح مسلم برقم (١٤٨٤) وصحيح البخاري برقم (٥٣١٩)، (٣٩٩١).

(٢) سنن النسائي (٣٥٢١)، وتفسير الطبري: ٤٥٣/٢٣-٤٥٤.

(٣) تفسير الطبري: ٤٥٥/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٥) تفسير الطبري: ٤٥٥/٢٣.

(٦) تفسير البيضاوي: ٢٢١/٥.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٥٢/٨.

القرآن

{ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥)} [الطلاق : ٥]

التفسير:

ذلك الذي دُكر من أمر الطلاق والعدة أمر الله الذي أنزله إليكم -أيها الناس-؛ لتعملوا به. ومن يَخَفِ الله فينتقه باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، يمح عنه ذنوبه، ويجزل له الثواب في الآخرة، ويدخله الجنة.

قوله تعالى: {ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ} [الطلاق : ٥]، أي: "ذلك الذي دُكر من أمر الطلاق والعدة أمر الله الذي أنزله إليكم -أيها الناس-؛ لتعملوا به"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: هذا الذي بيّنت لكم من حكم الطلاق والرجعة والعدة، أمر الله الذي أمركم به، أنزله إليكم أيها الناس، لتأتمروا له، وتعملوا به"^(٢).

قال ابن كثير: "أي : حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(٣).

قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ} [الطلاق : ٥]، أي: "ومن يَخَفِ الله فينتقه باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، يمح عنه ذنوبه"^(٤).

قال الطبري: "يقول: ومن يخف الله فينتقه باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، يمح الله عنه ذنوبه وسيئات أعماله"^(٥).

قال القرطبي: " {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ}، أي: يعمل بطاعته. {يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ} من الصلاة إلى الصلاة، ومن الجمعة إلى الجمعة"^(٦).

قال ابن كثير: "أي : يذهب عنه المحذور"^(٧).

قوله تعالى: {وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا} [الطلاق : ٥]، أي: "ويجزل له الثواب في الآخرة، ويدخله الجنة"^(٨).

قال مقاتل: "يعنى: الجزاء، يعنى: يضاعفه له"^(٩).

قال القرطبي: "أي: في الآخرة"^(١٠).

قال الطبري: "يقول: ويجزل له الثواب على عمله ذلك وتقواه، ومن إعظامه له الأجر عليه أن يدخله جنته، فيخلده فيها"^(١١).

قال ابن كثير: "أي: "ويجزل له الثواب على العمل اليسير"^(١٢).

فوائد الآيتين: [٤-٥]:

١- بيان العدة وهي كالتالي:

٢- متوفى عنها زوجها وهي غير حامل عدتها: أربعة أشهر وعشر ليال.

٣- متوفى عنها زوجها وهي حامل: عدتها وضع حملها.

٤- مطلقة لا تحيض لكبر سنها أو لصغر سنها وقد دخل بها: عدتها ثلاثة أشهر.

(١) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٢) تفسير الطبري: ٤٥٦/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٥٢/٨.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٥) تفسير الطبري: ٤٥٦/٢٣.

(٦) تفسير القرطبي: ١٦٦/١٨.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٥٢/٨.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦٥/٤.

(١٠) تفسير القرطبي: ١٦٦/١٨.

(١١) تفسير الطبري: ٤٥٦/٢٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ١٥٢/٨.

- ٥- مطلقة تحيض عدتها ثلاثة قروء أي حيض تبتدئ بالحیضة التي بعد الطهر الذي طلقت فيه.
أو ثلاثة أطهار كذلك الكل واسع ولفظ القراء مشترك دال على الحيض وعلى الطهر.
٦- بيان أن أحكام الطلاق والرجعة والعدد مما أوحى الله به وأنزله في كتابه فوجب العمل به ولا يحل تبديله أو تغييره باجتهاد أبداً.
٧- فضل التقوى وأنها باب كل يسر وخير في الحياة الدنيا والآخرة.

القرآن

{أَسْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بِبَيْنِكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَسُدِّرْهُنَّ لَهُ أُخْرَىٰ (٦)} [الطلاق : ٦]

التفسير:

أسكنوا المطلقات من نساكنكم في أثناء عدتهن مثل سكاكنكم على قدر سعتهن وطاقتكم، ولا تلحقوا بهن ضرراً؛ لتضيّقوا عليهن في المسكن، إن كان نساؤكن المطلقات ذوات حمل، فأنفقوا عليهن في عدتهن حتى يضعن حملهن، فإن أرضعن لكم أولادهن منكم بأجرة، فوفوهن أجورهن، وليأمر بعضكم بعضاً بما عرف من سماحة وطيب نفس، وإن لم تنفقوا على إرضاع الأم، فسُدِّرْهُنَّ لِلأب مَرْضَعَةً أُخْرَىٰ غير الأم المطلقة.

قوله تعالى: {أَسْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ} [الطلاق : ٦]، أي: "أسكنوا المطلقات من نساكنكم في أثناء عدتهن مثل سكاكنكم على قدر سعتهن وطاقتكم"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: اسكنوا مطلقات نساكنكم من الموضع الذي سكنتم من سعتهن التي تجدون؛ وإنما أمر الرجال أن يعطوهن مسكناً يسكنه مما يجدونه، حتى يقضين عدتهن"^(٢).

قال السدي: "المرأة يطلقها، فعليه أن يسكنها، وينفق عليها"^(٣).

عن السدي، قوله: " {مِنْ وَجْدِكُمْ}، قال: من ملككم، من مقدرتكم"^(٤).

عن ابن عباس، قوله: " {أَسْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ}، يقول: من سعتهن"^(٥).
وروي عن مجاهد وقتادة، مثله^(٦).

قال سعيد بن جبیر: " فإن لم تجد إلا ناحية بيتك فأسكنها فيه"^(٧).

قال ابن زيد: " من مقدرتك حيث تقدر، فإن كنت لا تجد شيئاً، وكنت في مسكن ليس لك، فجاء أمر أخرجك من المسكن، وليس لك مسكن تسكن فيه، وليس تجد فذاك، وإذا كان به قوّة على الكراء فذاك وجده، لا يخرجها من منزلها، وإذا لم يجد وقال صاحب المسكن: لا أنزل هذه في بيتي فلا وإذا كان يجد، كان ذلك عليه"^(٨).

قوله تعالى: {وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ} [الطلاق : ٦]، أي: "ولا تلحقوا بهن ضرراً؛ لتضيّقوا عليهن في المسكن"^(٩).

قال الطبري: يقول: "ولا تضاروهن في المسكن الذي تسكنونهن فيه، وأنتم تجدون سعة من المنازل أن تطلبوا التضييق عليهن، لتضيّقوا عليهن في المسكن مع وجودكم السعة"^(١).

(١) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٢) تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٣-٤٥٧.

(٦) انظر: المصدر نفسه: ٤٥٧/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٥٩.

قال السعدي: "أي: لا تضاروهن عند سكاهان بالقول أو الفعل، لأجل أن يملن، فيخرجن من البيوت قبل تمام العدة فتكونوا، أنتم المخرجين لهن، وحاصل هذا أنه نهى عن إخراجهن، ونهاهن عن الخروج، وأمر بسكاهان، على وجه لا يحصل عليهن ضرر ولا مشقة، وذلك راجع إلى العرف"^(٢).

قال مقاتل بن حيان: "يعني: يضارها لتفتدي منه بمالها أو تخرج من مسكنه"^(٣).
عن مجاهد: "وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيِهِنَّ"، قال: في المسكن"^(٤).
عن السدي: "قوله: "وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيِهِنَّ"، قال: لتضيقوا عليهن مساكنهن حتى يخرجن"^(٥).

قال سفيان: "ليس ينبغي له أن يضارها ويضيق عليها مكانها، {حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} هذا لمن يملك الرجعة، ولمن لا يملك الرجعة"^(٦).

وقال الثوري، عن منصور، عن أبي الضحى: {وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيِهِنَّ} قال: يطلقها، فإذا بقي يومان راجعها"^(٧).

قوله تعالى: {وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيِهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق: ٦]، أي: "وإن كان نساؤكم المطلقات ذوات حمل، فأنفقوا عليهن في عدتهن حتى يضعن حملهن"^(٨).
قال الطبري: يقول: "وإن كان نساؤكم المطلقات أولات حمل وكنّ بائنات منكم، فأنفقوا عليهن في عدتهن منكم حتى يضعن حملهن"^(٩).

قال الزمخشري: "فإن قلت: فإذا كانت كل مطلقة عندهم تجب لها النفقة، فما فائدة الشرط في قوله: {وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيِهِنَّ}، قلت: فائدته أن مدة الحمل ربما طالت فظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحائل، فنفي ذلك الوهم"^(١٠).

قال القرطبي: "لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة ثلاثاً أو أقل منهن حتى تضع حملها. فأما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال علي وابن عمر وابن مسعود وشريح والنخعي والشعبي وحماد وابن أبي ليلى وسفيان والضحاك: ينفق عليها من جميع المال حتى تضع. وقال ابن عباس وابن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم: لا ينفق عليها إلا من نصيبها"^(١١).

قال السمعاني: "من لم يوجب النفقة للمبتوتة الحامل استدل بهذه الآية: {وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيِهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}، وقال: إن الله تعالى: شرط في وجوب النفقة للمبتوتات أن يكن حوامل. ومن أوجب النفقة لهن قال: قوله: {وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيِهِنَّ} [الطلاق: ٦]، أي: في ترك الإنفاق على العموم في المبتوتات"^(١٢).

قد اختلف الفقهاء في المبتوتة، هل لها سكنى، ونفقة في مدة العدة، أم لا؟ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المبتوتة المطلقة ثلاثاً لها السكنى، دون النفقة، واحتجوا بأن الله تعالى عمّ بالسكنى المطلقات كلهن، وخص بالنفقة أولات الأحمال خاصة قال: {فَأَنْفِقُوا عَلَيِهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}.

(١) تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٣.

(٢) تفسير السعدي: ٨٧١.

(٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٥٣/٨.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢٣.

(٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٥٣/٨.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٩) تفسير الطبري: ٤٥٨/٢٣.

(١٠) الكشف: ٥٥٩/٤.

(١١) تفسير القرطبي: ١٦٨/١٨.

(١٢) تفسير السمعاني: ٤٦٥/٥.

قاله ابن المسيب^(١)، وسليمان بن يسار^(٢)، وعطاء^(٣)، والشعبي^(٤)، والحسن^(٥)، وهذا مذهب مالك^(٦)، والشافعي^(٧)، والأوزاعي^(٨)، وابن أبي ليلى^(٩)، وأبو عبيدة^(١٠).
الثاني: لا سكنى لها ولا نفقة. قاله الحسن^(١١)، وحامد^(١٢)، وأحمد^(١٣)، وإسحاق^(١٤)، وأبو ثور^(١٥).

واحتجوا بحديث فاطمة بنت قيس أخت الضحّاك بن قيس حين أرسل زوجها المخزومي طلاقها فلم يجعل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة وقال لها: إنما النفقة إذا كانت له عليك الرجعة، وأمرها أن تعتدّ في بيت ابن أم مكتوم^(١٦).

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: "حدثتني فاطمة بنت قيس أخت الضحّاك بن قيس أن أبا عمرو المخزومي، طلقها ثلاثاً فأمر لها بنفقة فاستقلتها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه نحو اليمن، فانطلق خالد بن الوليد في نفر من بني مخزوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند ميمونة، فقال: يا رسول الله إن أبا عمرو طلق فاطمة ثلاثاً، فهل لها من نفقة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس لها نفقة"، فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن انتقلي إلى بيت أم شريك وأرسل إليها أن لا تسبقيني بنفسك، ثم أرسل إليها أن أم شريك يأتيها المهاجرون الأولون، فاننتقلي إلى ابن أم مكتوم، فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد^(١٧).

الثالث: لها السكنى والنفقة حاملاً كانت أو حائلاً، وهذا قول عائشة - رضي الله عنها-^(١٨). وبه قال سفيان^(١٩)، وأبو حنيفة^(٢٠).

- (١) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
- (٢) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
- (٣) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
- (٤) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
- (٥) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
- (٦) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٤٠/٩، وزاد المسير: ٣٠١/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
- (٧) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٤٠/٩، وزاد المسير: ٣٠١/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
- (٨) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٤٠/٩، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
- (٩) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٤٠/٩، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
- (١٠) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٤٠/٩، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
- (١١) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
- (١٢) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
- (١٣) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٤٠/٩، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
- (١٤) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
- (١٥) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٤٠/٩.
- (١٦) الحديث أخرجه مسلم ١٤٨٠ ح ٣٦ وأبو داود ٢٢٨٤ والنسائي ٧٥-٧٦ وأحمد ٤١٢/٦ والشافعي ١٧٧-١٨١ و١٩ و٥٤ وابن حبان ٤٢٩٠ وابن الجارود ٧٦٠ والطبراني ٢٤/٩١٣ والبيهقي ٧/١٣٥ و١٧٧ و١٨١ و٤٧١ من طرق عن مالك به. وأخرجه مسلم ١٤٨٠ ح ٣٨ وأبو داود ٢٢٨٥ و٢٢٨٦ و٢٢٨٧ والنسائي ٦/١٤٥ والطبراني ٢٤/٩٢٠ وابن حبان ٤٢٥٣ والبيهقي ٧/١٧٨ من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة به. وأخرجه مسلم ١٤٨٠ ح ٤٨ والنسائي ٦/١٥٠ والترمذي ١١٣٥ وابن ماجه ٢٠٣٥ وأحمد ٦/٤١١ وابن حبان ٤٢٥٤ والطبراني ٢٤/٩٢٩ والبيهقي ٧/١٣٦ و٤٧٣ من طرق عن سفيان عن أبي بكر بن أبي الجهم عن فاطمة بنت قيس به مطوّلاً ومختصراً. وأخرجه مالك في «الموطأ» ٢/٥٨٠ والبخاري في «شرح السنة» ٢٣٧٨ عن عبد الله بن يزيد به.
- (١٧) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٣.
- (١٨) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٤٠/٩.
- (١٩) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٤٠/٩، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
- (٢٠) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٤٠/٩، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.

وروي عن إبراهيم، قال: "كان عمر وعبد الله يجعلان للمطلقة ثلاثاً: السكنى، والنفقة، والمتعة. وكان عمر إذا ذكر عنده حديث فاطمة بنت قيس أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتد في غير بيت زوجها، قال: ما كنا لنجيز في ديننا شهادة امرأة"^(١).

وعن عيسى بن قرطاس، قال: "سمعت علي بن الحسين يقول في المطلقة ثلاثاً: لها السكنى، والنفقة، والمتعة، فإن خرجت من بيتها فلا سكنى ولا نفقة ولا متعة"^(٢).

عن إبراهيم، قال: للمطلقة ثلاثاً: السكنى والنفقة"^(٣).

قال إبراهيم: "إذا طلق الرجل ثلاثاً، فإن لها السكنى والنفقة"^(٤).

قال الطبري: "الصواب من القول في ذلك عندنا أن لا نفقة للمبتوتة إلا أن تكون حاملاً لأن الله جل ثناؤه جعل النفقة بقوله: {وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن} للحوامل دون غيرهن من البائئات من أزواجهن ولو كان البوائت من الحوامل وغير الحوامل في الواجب لهن من النفقة على أزواجهن سواء، لم يكن لخصوص أولات الأحمال بالذكر في هذا الموضع وجه مفهوم، إذ هن وغيرهن في ذلك سواء، وفي خصوصهن بالذكر دون غيرهن أدل الدليل على أن لا نفقة لبائت إلا أن تكون حاملاً"^(٥).

واختلفوا في الحامل، والمتوقى عنها زوجها، على قولين:

أحدهما: أن نفقتها من جميع المال، قاله ابن مسعود^(٦)، وابن عمر^(٧)، وأبو العالية^(٨)، والشعبي^(٩)، وشريح^(١٠)، وإبراهيم^(١١)، وبه قال مالك^(١٢)، وابن أبي ليلى^(١٣)، والثوري^(١٤).

الثاني: أن نفقتها في مال نفسها، قاله ابن عباس^(١٥)، وابن الزبير^(١٦)، والحسن^(١٧)، وسعيد بن المسيب^(١٨)، وعطاء^(١٩)، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه^(٢٠). وعن أحمد كالقولين^(٢١).

عن ابن عباس، في قوله: "{وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن}"، فهذه المرأة يطلقها زوجها، فيبنت طلاقها وهي حامل، فيأمره الله أن يسكنها، وينفق عليها حتى تضع، وإن أرضعت فحتى تطم، وإن أبان طلاقها، وليس بها حمل، فلها السكنى حتى تنقضي عدتها ولا نفقة، وكذلك المرأة يموت عنها زوجها، فإن كانت حاملاً أنفق عليها من نصيب ذي

(١) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٣.

(٥) تفسير الطبري: ٤٥٩/٢٣-٤٦٠.

(٦) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

(٧) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

(٨) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

(٩) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

(١٠) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

(١١) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

(١٢) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

(١٣) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

(١٤) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

(١٥) نظر: تفسير الطبري: ٤٥٨/٢٣-٤٥٩، وزاد المسير: ٣٠٢/٤.

(١٦) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

(١٧) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

(١٨) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

(١٩) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

(٢٠) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

(٢١) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

بطنها إذا كان ميراث، وإن لم يكن ميراث أنفق عليها الوارث حتى تضع وتقطم ولدها كما قال الله عز وجل: {وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ}، فإن لم تكن حاملا فإن نفقتها كانت من مالها^(١).
قوله تعالى: {فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} [الطلاق : ٦]، أي: "، فإن أرضعن لكم أولادهن منكم بأجرة، فوفوهن أجورهن"^(٢).

قال الطبري: يقول: "فإن أرضع لكم نساؤكم البوائن منكم أولادهن الأطفال منكم بأجرة، فآتوهن أجورهن على رضاعهن إياهم"^(٣).
قال الزجاج: "أي: فأعطوهن أجره رضاعهن"^(٤).

قال ابن كثير: "أي : إذا وضعن حملهن وهن طوالق، فقد بنَّ بانقضاء عدتهن، ولها حينئذ أن ترضع الولد، ولها أن تمتنع منه، ولكن بعد أن تغذيه باللبن - وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للولد غالبًا إلا به - فإن أرضعت استحققت أجر مثلها، ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجرة"^(٥).

عن جوبير، عن الضحاك: "أنه قال في الرضاع: إذا قام على شيء فأمَّ الصبي أحقَّ به، فإن شاءت أرضعته، وإن شاءت تركته إلا أن لا يقبل من غيرها، فإذا كان كذلك أُجبرت على رضاعه"^(٦).

قال قتادة: "ي أحقَّ بولدها أن تأخذه بما كنت مسترضعًا به غيرها"^(٧).
عن السدي: "فإن أرضعن لكم فآتوهنَّ أجورهنَّ"، قال: ما تراضوا عليه {على الموسع قدره وعلى المقتر قدره}^(٨).

عن منصور، عن إبراهيم: "في الصبي إذا قام على ثمن فأمه أحق أن ترضعه، فإن لم يجد له من يرضعه أُجبرت الأم على الرضاع"^(٩).

عن سفيان: "فآتوهنَّ أجورهنَّ"، قال: إن أرضعت لك بأجر فهي أحق من غيرها، وإن هي أبت أن ترضعه ولم تواتك فيما بينك وبينها عاسرتك في الأجر فاسترضع له أخرى"^(١٠).
قوله تعالى: {وَأْتَمِرُوا بِبَيْنِكُمْ بِمَعْرُوفٍ} [الطلاق : ٦]، أي: "وليأمر بعضكم بعضًا بما عرف من سماحة وطيب نفس"^(١١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وليقبل بعضكم أيها الناس من بعض ما أمركم بعضكم به بعضا من معروف"^(١٢).

قال ابن كثير: "أي : ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف، من غير إضرار ولا مضارة، كما قال تعالى في سورة "البقرة": {لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلِدُهَا} [البقرة : ٢٣٣]"^(١٣).

قال الزجاج: "قيل في التفسير: إنه الكسوة والدنار، والمعروف - واللّه أعلم - أن لا يقصر الرجل في نفقة المرضع التي ترضع ولده إذا كانت هي والدته لأن الوالدة أرأف بولدها

(١) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢٣-٤٥٩.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٣) تفسير الطبري: ٤٦٠/٢٣.

(٤) معاني القرآن: ١٨٦/٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٥٣/٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٣-٤٦١.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٣-٤٦١.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٣-٤٦١.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٣-٤٦١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٣-٤٦١.

(١١) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(١٢) تفسير الطبري: ٤٦١/٢٣.

(١٣) تفسير ابن كثير: ١٥٣/٨.

من غيرها به، فلا تقصرُ في رضاعه والقيام بشأنه، فحق كل واحد منهما أن يَأتمر في الولد بمعروف" (١).

قال السعدي: "أي: وليأمر كل واحد من الزوجين ومن غيرهما الآخر بالمعروف، وهو كل ما فيه منفعة ومصلحة في الدنيا والآخرة، فإن الغفلة عن الائتثار بالمعروف، يحصل فيه من الشر والضرر، ما لا يعلمه إلا الله، وفي الائتثار تعاون على البر والتقوى، ومما يناسب هذا المقام، أن الزوجين عند الفراق وقت العدة، خصوصاً إذا ولد لهما ولد في الغالب يحصل من التنازع والتشاجر لأجل النفقة عليها وعلى الولد مع الفراق، الذي في الغالب ما يصدر إلا عن بغض، ويتأثر منه البغض شيء كثير، فكل منهما يؤمر بالمعروف، والمعاشرة الحسنة، وعدم المشاققة والمخاصمة، وينصح على ذلك" (٢).

قال الزمخشري: "يقال: انتمر القوم وتأمروا، إذا أمر بعضهم بعضاً. والمعنى: وليأمر بعضكم بعضاً، والخطاب للأباء والأمهات بمَعْرُوفٍ بِجَمِيلٍ وهو المسامحة، وأن لا يماكس الأب ولا تعاسر الأم، لأنه ولدهما معاً، وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه" (٣).

عن السدي، قوله: "وَأَتَمَّرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ"، قال: اصنعوا المعروف فيما بينكم" (٤).
عن سفيان: "وَأَتَمَّرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ"، حث بعضهم على بعض" (٥).
قوله تعالى: {وَإِنْ تَعَاسَرْتُمُ فَسُدُّوا لَهُ أُخْرَى} [الطلاق: ٦]، أي: "وإن لم تنفقوا على إرضاع الأم، فسُدُّوا للأب مرضعة أخرى غير الأم المطلقة" (٦).

قال الطبري: "يقول: وإن تعاسر الرجل والمرأة في رضاع ولدها منه، فامتنت من رضاعه، فلا سبيل له عليها، وليس له إكراهها على إرضاعه، ولكنه يستأجر للصبى مرضعة غير أمه البائنة منه" (٧).

قال ابن كثير: "أي: وإن اختلف الرجل والمرأة، فطلبت المرأة أجره الرضاع كثيراً ولم يجبهها الرجل إلى ذلك، أو بذل الرجل قليلاً ولم توافقه عليه، فليسترضع له غيرها. فلو رضيت الأم بما استوجرت عليه الأجنبية فهي أحق بولدها" (٨).

قال الزجاج: "معناه: فليرضع الوالد غير والد الصبي، وهذا خبر في معنى الأمر لأن لفظ {فَسُدُّوا لَهُ أُخْرَى} لفظ الخبر ومعناه: فليرضع. ومثله في لفظ الخبر ومعنى الأمر قوله: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنِ}، معناه: وليرضعن أولادهنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنِ" (٩).

قال الزمخشري: "أي: فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه، وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاصرة، كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى: سيقضيه غيرك، تريد: لن تبقى غير مقضية وأنت ملوم، وقوله له أي للأب، أي: سيجد الأب غير معاصرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه" (١٠).

قال السعدي: "وهذا حيث كان الولد يقبل ثدي غير أمه، فإن لم يقبل إلا ثدي أمه، تعينت لإرضاعه، ووجب عليها، وأجبرت إن امتنعت، وكان لها أجره المثل إن لم يتفقا على مسمى، وهذا مأخوذ من الآية الكريمة من حيث المعنى، فإن الولد لما كان في بطن أمه مدة الحمل، ليس له خروج منه، عين تعالى على وليه النفقة، فلما ولد، وكان يمكن أن يتقوت من أمه ومن

(١) معاني القرآن: ١٨٦/٥.

(٢) تفسير السعدي: ٨٧١.

(٣) الكشف: ٥٥٩/٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٧) تفسير الطبري: ٤٦١/٢٣-٤٦٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٥٣/٨.

(٩) معاني القرآن: ١٨٧/٥.

(١٠) الكشف: ٥٥٩/٤.

غيرها، أباح تعالى الأمرين، فإذا كان بحالة لا يمكن أن يتقوت إلا من أمه كان بمنزلة الحمل، وتعينت أمه طريقاً لقوته" (١).

قال السدي: "إن أبت الأم أن ترضع ولدها إذا طلقها أبوه التمس له مرضعة أخرى، الأم أحق إذا رضيت من أجر الرضاع بما يرضى به غيرها، فلا ينبغي له أن ينتزع منها" (٢).

قال سفيان: "إن هي أبت أن ترضعه ولم تواتك فيما بينها وبينك عاسرتك في الأجر، فاسترضع له أخرى" (٣).

عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد في قول الله: {وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضُوا لَهُ أُخْرَى لِيُنْفِقَ دُونَ سَعَةِ مَنْ سَعَتْهُ وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ}، قال: فرض لها من قدر ما يجد، فقالت: لا أَرْضِي هَذَا؛ قال: وهذا بعد الفراق، فأما وهي زوجته فإنها ترضع له طائفة ومكرهة إن شاءت وإن أبت، فقال لها: ليس لي زيادة على هذا إن أحببت أن ترضعي بهذا فأرضعي، وإن كرهت استرضعت ولدي، فهذا قوله: {وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضُوا لَهُ أُخْرَى} (٤).

القرآن

{لِيُنْفِقَ دُونَ سَعَةِ مَنْ سَعَتْهُ وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا

آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧)} [الطلاق : ٧]

التفسير:

لينفق الزوج مما وسع الله عليه على زوجته المطلقة، وعلى ولده إذا كان الزوج ذا سعة في الرزق، ومن ضيق عليه في الرزق وهو الفقير، فلينفق مما أعطاه الله من الرزق، لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني، سيجعل الله بعد ضيق وشدة سعة وغنى.

قوله تعالى: {لِيُنْفِقَ دُونَ سَعَةِ مَنْ سَعَتْهُ} [الطلاق : ٧]، أي: "لينفق الزوج مما وسع الله عليه على زوجته المطلقة، وعلى ولده إذا كان الزوج ذا سعة في الرزق" (٥).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: لينفق الذي بانته منه امرأته إذا كان ذا سعة من المال، وغني من سعة ماله وغناه على امرأته البائنة في أجر رضاع ولده منها، وعلى ولده الصغير" (٦).

قال ابن كثير: "أي: لينفق على المولود والده، أو وليه، بحسب قدرته" (٧).

قال الزمخشري: "لينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه، يريد: ما أمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات، كما قال: {وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُسَبِّحِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرَهُ} (٨).

قال السعدي: "أي: لينفق الغني من غناه، فلا ينفق نفقة الفقراء" (٩).

قال الزجاج: "أمر أهل التوسعة أن يُوسَّعوا على نساءهم المرضعات أولادهنَّ على قدر سعتهن" (١٠).

عن مجاهد: " {لِيُنْفِقَ دُونَ سَعَةِ مَنْ سَعَتْهُ}، قال: على المطلقة إذا أرضعت له" (١١).

عن السدي: " {لِيُنْفِقَ دُونَ سَعَةِ مَنْ سَعَتْهُ}، قال: من سعة موجدته" (١).

(١) تفسير السعدي: ٨٧١.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٦) تفسير الطبري: ٤٦٢/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٥٣/٨.

(٨) الكشاف: ٥٦٠/٤.

(٩) تفسير السعدي: ٨٧١.

(١٠) معاني القرآن: ١٨٧/٥.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٦٣/٢٣.

قال سفيان: "يقول: من طاقته"^(٢).

قال ابن زيد: "فرض لها من قدر ما يجد"^(٣).

عن أبي سنان، قال: "سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن أبي عبيدة، فقيل له: إنه يلبس الغليظ من الثياب، ويأكل أخشن الطعام، فبعث إليه بألف دينار، وقال للرسول: انظر ما يصنع إذا هو أخذها، فما لبث أن لبس ألين الثياب، وأكل أطيب الطعام، فجاء الرسول فأخبره، فقال رحمه الله: تأول هذه الآية: {لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ}"^(٤).

عن أبي مالك الأشعري - واسمه الحارث - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة نفر، كان لأحدهم عشرة دنانير، فتصدق منها بدينار. وكان لآخر عشر أواق، فتصدق منها بأوقية. وكان لآخر مائة أوقية، فتصدق منها بعشر أواق". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هم في الأجر سواء، كل قد تصدق بعشر ماله، قال الله تعالى: {لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ}"^(٥).

وقرى: «لينفق»، بالنصب، أي: شرعنا ذلك لينفق^(٦).

قوله تعالى: {وَمَن قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ} [الطلاق : ٧]، أي: "ومن ضيق عليه في الرزق وهو الفقير، فلينفق مما أعطاه الله من الرزق"^(٧).
قال الطبري: "يقول: ومن ضيق عليه رزقه فلم يوسع عليه، فلينفق مما أعطاه الله على قدر ماله، وما أعطى منه"^(٨).

عن السدي: "وَمَن قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ}، قال: من قدر عليه رزقه"^(٩).

عن ابن جريج: "وَمَن قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ} قال: فَنَرَّ {فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ} قال: أعطاه"^(١٠).
قوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا} [الطلاق : ٧]، أي: "لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني"^(١١).

قال الطبري: "يقول: لا يكلف الله أحداً من النفقة على من تلزمه نفقته بالقرابة والرحم إلا ما أعطاه، إن كان ذا سعة فمن سعته، وإن كان مقدوراً عن رزقه فمما رزقه الله على قدر طاقته، لا يكلف الفقير نفقة الغني، ولا أحد من خلقه إلا فرضه الذي أوجبه عليه"^(١٢).
قال السعدي: "وهذا مناسب للحكمة والرحمة الإلهية حيث جعل كلا بحسبه، وخفف عن المعسر، وأنه لا يكلفه إلا ما آتاه، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، في باب النفقة وغيرها"^(١٣).
عن هشيم: "لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاهها، قال: إلا ما افترض عليها"^(١٤).
قال سفيان: "يقول: إلا ما أطاقت"^(١٥).

(١) أخرجه الطبري: ٤٦٣/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٦٣/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٦٣/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٦٣/٢٣.

(٥) المعجم الكبير (٢٩٢/٣) وفي إسناده ضعف وانقطاع كما تقدم مراراً، قال ابن كثير ١٥٤/٨: "هذا غريب من هذا الوجه".

(٦) انظر: الكشاف: ٥٦٠/٤.

(٧) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٨) تفسير الطبري: ٤٦٢/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٦٣/٢٣.

(١٠) الدر المنثور: ٢٠٨/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١١) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(١٢) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٣.

(١٣) تفسير السعدي: ٨٧١.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢٣.

(١٥) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢٣.

قال السدي: "يقول: لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني"^(١).
قال ابن زيد: "لا يكلفه الله أن يتصدق وليس عنده ما يتصدق به، ولا يكلفه الله أن يزكي
وليس عنده ما يزكي"^(٢).

قوله تعالى: {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} [الطلاق : ٧]، أي: "سيجعل الله بعد ضيق
وشدة سعة وغنى"^(٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {سَيَجْعَلُ اللَّهُ} للمقل من المال المقدر عليه رزقه من
بعد شدة رخاء، ومن بعد ضيق سعة، ومن بعد فقر غنى"^(٤).

قال الزجاج: "أعلم الله المؤمنين أنهم وإن كانوا في حال ضيقة، وقيل كان الغالب على
أكثرهم في ذلك الوقت في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الفقر والفاقة فأعلمهم عز
وجل أنه سيوسر المسلمون - ففتح الله عليهم بعد ذلك وجعل يسراً بعد عسر"^(٥).

عن سفيان: "سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}، بعد الشدة الرخاء"^(٦).
قال ابن كثير: هذا "وعد منه تعالى، ووعدده حق، لا يخلفه، وهذه كقوله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ
العُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا} [الشرح : ٥، ٦]"^(٧).

قال السدي: "وهذه بشارة للمعسرين، أن الله تعالى سيزيل عنهم الشدة، ويرفع عنهم
المشقة، {فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا} (٥) إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا} [الشرح : ٥-٦]"^(٨).

عن معمر، قال: "سألت الزُّهريَّ عن الرجل لا يجد ما ينفق على امرأته يفرق بينهما
قال: يستأني له ولا يفرق بينهما، وتلا: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} [الشرح : ٥-٦]"^(٩).

عن شهر بن حوشب، قال: "قال أبو هريرة: بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا
يفدران على شيء، فجاء الرجل من سفره، فدخل على امرأته جائعاً قد أصاب مَسْغَبَةً شديدة،
فقال لامرأته: عندك شيء؟ قالت: نعم، أبشر، أتاك رزق الله، فاستحثها، فقال: ويحك! ابتغي
إن كان عندك شيء. قالت نعم، هنيئة - ترجو رحمة الله - حتى إذا طال عليه الطوى، قال:
ويحك! قومي فابتغي إن كان عندك شيء فائتيني به، فإني قد بلغت وجهت. فقال: نعم، الآن
يُضْح التَّنور فلا تعجل. فلما أن سكت عنها ساعة وتحينت أن يقول لها، قالت من عند نفسها:
لو قمت فنظرت إلى تنوري؟ فقامت فنظرت إلى تنورها ملآن من جنوب الغنم، ورحيها
تطحن. فقامت إلى الرحي فنفضتها، واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم.
قال أبو هريرة: فوالذي نفس أبي القاسم بيده، هو قول محمد صلى الله عليه وسلم: "لو أخذت
ما في رحيها ولم تنفضها لطحننا إلى يوم القيامة"^(١٠).

عن أبي هريرة قال: "دخل رجل على أهله، فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى
البرية، فلما رأت امرأته قامت إلى الرحي فوضعتها، وإلى التنور فسجرت، ثم قالت: اللهم
ارزقنا. فنظرت، فإذا الجفنة قد امتلأت، قال: وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً، قال: فرجع
الزوج قال: أصبتم بعدى شيئاً؟ قالت امرأته: نعم، من ربنا. قام إلى الرحي، فذكر ذلك للنبي

(١) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٤) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٣.

(٥) معاني القرآن: ١٨٧/٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢٣-٤٦٥.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٥٤/٨.

(٨) تفسير السدي: ٨٧١.

(٩) الدر المنثور: ٢٠٨/٨، وعزاه إلى عب الرزاق.

(١٠) المسند (٤٢١/٢).

صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "أما إنه لو لم ترفعها، لم تزل تدور إلى يوم القيامة"^(١).
فوائد الآيتين: [٦-٧]:

- ١- وجوب السكن والنفقة للمطلقة طلاقاً رجعيّاً.
- ٢- وجوب السكنى والنفقة للمطلقة الحامل حتى تضع حملها.
- ٣- وجوب السكنى والنفقة للمتوفى عنها زوجها وهي حامل.
- ٤- المطلقة البائن والمبتوتة لم يقض لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفقة ولا سكنى لحديث فاطمة^(٢) بنت قيس أخت الضحاك، ومن الفضل الذي ينبغي أن لا ينسى إن كانت محتاجة إلى سكن أو نفقة أن يسكنها مطلقها وينفق عليها مدة عدتها. وأجره عظيم لأنه أحسن والله يحب المحسنين.
- ٥- النفقة الواجبة تكون بحسب حال المطلق غنى وقرراً والقاضي يقدرها أن تشاحا.
- ٦- المطلقة طلاقاً بائناً إن أرضعت ولداً لها أجرة إرضاعها حسب اتفاق الطرفين الأم والأب.
- ٧- بيان القاعدة العامة وهي أن لا تكلف نفس إلا وسعها.

القرآن

{وَكَايُنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩)} [الطلاق : ٨-٩]

التفسير:

وكثير من القرى عصى أهلها أمر الله وأمر رسوله وتمادوا في طغيانهم وكفرهم، فحاسبناهم على أعمالهم في الدنيا حساباً شديداً، وعدبناهم عذاباً عظيماً منكرًا، فتجرعوا سوء عاقبة عتوهم وكفرهم، وكان عاقبة كفرهم هلاكاً وخسراناً لا خسران بعده.

قوله تعالى: {وَكَايُنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا} [الطلاق : ٨]، أي: "وكثير من القرى عصى أهلها أمر الله وأمر رسوله وتمادوا في طغيانهم وكفرهم، فحاسبناهم على أعمالهم في الدنيا حساباً شديداً"^(٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وكايُن من أهل قرية طغوا عن أمر ربهم وخالفوه، وعن أمر رسل ربهم، فتمادوا في طغيانهم وعتوهم، ولجوا في كفرهم، فحاسبناهم على نعمتنا عندها وشكرها حساباً شديداً، يقول: حساباً استقصينا فيه عليهم، لم نعف لهم فيه عن شيء، ولم نتجاوز فيه عنهم"^(٤).

عن السدي، قوله: {وَكَايُنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ}، قال: غَيَّرَتْ وَعَصَتْ"^(٥).

قال ابن زيد: "العتو هاهنا الكفر والمعصية، عتوا: كفراً، وعتت عن أمر ربها: تركته ولم تقبله"^(٦)، قوله: {فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا}، قال: لم نعف عنها الحساب الشديد الذي ليس فيه من العفو شيء"^(٧).

عن ابن عباس، قوله: {فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا}، يقول: لم نرحم"^(٨).

(١) المسند (٥١٣/٢).

(٢) وصف المالكية حديث فاطمة بالغرابة، وأن عمر رضي الله عنه لم يقل به، وقال: لا نترك كتاب الله لقول امرأة يعني أن الآية عامة في كل مطلقة لا فرق بين البائن وغيرها، فالسكنى والنفقة للجميع وهو أرحم وأعظم أجراً والله أعلم.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٤) تفسير الطبري: ٤٦٥/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢٣-٤٦٦.

وروي عمرو بن أبي سلمة، قال: "سمعت عمر بن سليمان يقول في قوله: {وَكَايْنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهَا}، قال: قرية عَدَّتْ في الطلاق" (٢).
قوله تعالى: {وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا ثَكْرًا} [الطلاق : ٩]، أي: "وعذبناهم عذابًا عظيمًا منكرًا" (٣).

قال الطبري: "يقول: وعذبناها عذابًا عظيمًا منكرًا، وذلك عذاب جهنم" (٤).
قوله تعالى: {فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا} [الطلاق : ٩]، أي: "فتجرعوا سوء عاقبة عتوهم وكفرهم" (٥).

قال الطبري: "يقول: فذاقت هذه القرية التي عتت عن أمر ربها ورسله، عاقبة ما عملت وأنت من معاصي الله والكفر به" (٦).

قال الزجاج: "أي: ثقل عاقبة أمرها" (٧).

قال ابن كثير: "أي: غب مخالفتها، وندموا حيث لا ينفعهم الندم" (٨).

عن السدي، قوله: "فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا"، قال: عقوبة أمرها" (٩).

قال قتادة: "يقول: عاقبة أمرها" (١٠).

قال مجاهد: "جزاء أمرها" (١١).

قال عطاء الخراساني: "فَذَاقَتْ جِزَاءَ أَمْرِهَا" (١٢).

قال ابن زيد: "ذاقت عاقبة ما عملت من الشر، الوبال: العاقبة" (١٣).

قال ابن عباس: "يعني: ب«وبال أمرها»: جزاء أمرها الذي قد حل" (١٤).

قال ابن قتيبة: "الأمر: الذنب، قال الله تعالى: {فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا} [الطلاق : ٩]، أي جزاء ذنبها" (١٥).

قال القشيري: "من زرع الشوك لم يجن الورد، ومن أضع حق الله لا يطاع في حظ نفسه. ومن اجتراً بمخالفة أمر الله فليصبر على مقاساة عقوبة الله" (١٦).

قوله تعالى: {وَكَايْنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهَا} [الطلاق : ٩]، وكان عاقبة كفرهم هلاكًا وخسرانًا لا خسران بعده" (١٧).

قال الزجاج: "يعني: في الآخرة" (١٨).

قال ابن كثير: "أي: في الدار الآخرة، مع ما عجل لهم في الدنيا" (١٩).

(١) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٤) تفسير الطبري: ٤٦٦/٢٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٦) تفسير الطبري: ٤٦٦/٢٣.

(٧) معاني القرآن: ١٨٧/٥.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٥٥/٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٣.

(١٢) أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١١٦.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٣.

(١٥) تأويل مشكل القرآن: ٢٧٧.

(١٦) لطائف الإشارات: ٦٠٢/٣.

(١٧) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(١٨) معاني القرآن: ١٨٨/٥.

(١٩) تفسير ابن كثير: ١٥٥/٨.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وكان الذي أعقب أمرهم، وذلك كفرهم بالله وعصيانهم إياه خسرًا: يعني غنًا، لأنهم باعوا نعيم الآخرة بخسيس من الدنيا قليل، وأثروا اتباع أهوائهم على اتباع أمر الله"^(١).

القرآن

{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (١١)} [الطلاق : ١٠-١١]

التفسير:

أعدَّ الله لهؤلاء القوم الذين طغوا، وخالفوا أمره وأمر رسله، عذابًا بالغ الشدة، فخافوا الله واحذروا سخطه يا أصحاب العقول الراجحة الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه. قد أنزل الله إليكم -أيها المؤمنون- ذكرًا يذكركم به، وينبهكم على حظكم من الإيمان بالله والعمل بطاعته. وهذا الذكر هو الرسول يقرأ عليكم آيات الله موضحات لكم الحق من الباطل؛ كي يخرج الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن يؤمن بالله ويعمل عملاً صالحًا، يدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكنين فيها أبدًا، قد أحسن الله للمؤمن الصالح رزقه في الجنة.

قوله تعالى: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا} [الطلاق : ١٠]، أي: "أعدَّ الله لهؤلاء القوم الذين طغوا، وخالفوا أمره وأمر رسله، عذابًا بالغ الشدة"^(٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: أعد الله لهؤلاء القوم الذين عتوا عن أمر ربهم ورسوله عذابًا شديدًا، وذلك عذاب النار الذي أعدَّه لهم في القيامة"^(٣).

قوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [الطلاق : ١٠]، أي: "فخافوا الله واحذروا سخطه يا أصحاب العقول الراجحة"^(٤).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فخافوا الله، واحذروا سخطه بأداء فرائضه، واجتنبوا معاصيه يا أولي العقول"^(٥).

قال ابن كثير: "أي : الأفهام المستقيمة، لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الألباب"^(٦).

قال السعدي: "أي: يا ذوي العقول، التي تفهم عن الله آياته وعبره، وأن الذي أهلك القرون الماضية بتكذيبهم، أن من بعدهم مثلهم، لا فرق بين الطائفتين"^(٧).

قال الزجاج: "معنى: «أُولِي الْأَلْبَابِ» أصحاب العقول، وواحد «أُولِي الْأَلْبَابِ»: دُوْلِبُّ، أي: ذو عقل"^(٨).

عن السدي، قوله: "فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ"، قال: يا أولي العقول"^(٩).

قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا} [الطلاق : ١٠]، أي: "أي أنتم يا معشر المؤمنين الذي صدقتم بالله ورسوله"^(١).

(١) تفسير الطبري: ٤٦٧-٤٦٦/٢٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٣) تفسير الطبري: ٤٦٧/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٥) تفسير الطبري: ٤٦٧/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٥٥/٨.

(٧) تفسير السعدي: ٨٧٢.

(٨) معاني القرآن: ١٨٨/٥.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٣.

قال الطبري: "يقول: الذين صدقوا الله ورسوله"^(٢).
 قوله تعالى: {قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا} [الطلاق : ١٠]، أي: "قد أنزل الله إليكم -أيها
 المؤمنون- ذكراً يذكركم به، وينبهكم على حظكم من الإيمان بالله والعمل بطاعته"^(٣).
 قال الطبري: "قد أنزل الله إليكم يا أولي الألباب ذكراً من الله لكم يذكركم به، وينبهكم
 على حظكم من الإيمان بالله، والعمل بطاعته"^(٤).
 اختلف أهل التفسير في المعنى بـ«الذكر» و«الرسول» في هذا الموضع، على قولين:
 أحدهما: أن الذكر هو القرآن، والرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-. قاله السدي^(٥).
 قال ابن عطية: "أبين الأقوال عندي معنى أن يكون الذكر للقرآن والرسول محمد،
 والمعنى بعث رسولا، لكن الإيجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول ونحو هذا المنحى
 السدي"^(٦).
 قال ابن كثير: "قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا} يعني: القرآن. كقوله {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا
 لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر : ٩]"^(٧).
 عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قول الله عز وجل: {قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا}،
 قال: القرآن روح من الله، وقرأ: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} إلى آخر الآية، وقرأ: {قَدْ
 أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا}، قال: القرآن، وقرأ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ} قال:
 بالقرآن، وقرأ {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ}، قال: القرآن، قال: وهو الذكر، وهو الروح"^(٨).
 الثاني: أن الذكر: هو الرسول. حكاه الطبري^(٩).
 قال الطبري: "الصواب من القول في ذلك أن الرسول ترجمة عن الذكر، ذلك نصب
 لأنه مردود عليه على البيان عنه والترجمة"^(١٠).
 قال ابن عطية: "قال بعض حذاق المتأولين الذكر: اسم من أسماء النبي صلى الله عليه
 وسلم. واحتج بهذا القاضي ابن الباقلاني في تأويل قوله تعالى: {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ
 مُحَدَّثٍ} [الأنبياء: ٢]"^(١١).
 قوله تعالى: {رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ} [الطلاق : ١١]، أي: "وهذا الذكر هو
 الرسول يقرأ عليكم آيات الله موضحات لكم الحق من الباطل"^(١٢).
 قال الطبري: يقول: "رسولا يتلو عليكم آيات الله التي أنزلها عليه مبيِّنات لمن سمعها
 وتدبرها أنها من عند الله"^(١٣).
 قال الزجاج: "من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، لأن أدلة الكفر مظلمة غير بيَّنة، وأدلة
 الإسلام واضحة بيَّنة"^(١٤).
 قال السمعاني: "قوله: {يَتْلُو}، يقال: هو محمد، ويقال: هو جبريل عليه السلام"^(١٥).

(١) صفوة التفسير: ٣٧٨/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٤٦٧/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٤) تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٧/٢٣.

(٦) المحرر الوجيز: ٤٣٧/٥.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٥٥/٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٣-٤٦٨.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٣.

(١١) المحرر الوجيز: ٤٣٧/٥.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(١٣) تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٣.

(١٤) معاني القرآن: ١٨٨/٥.

(١٥) تفسير السمعاني: ٤٦٨/٥.

قوله تعالى: {لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [الطلاق : ١١]، أي: "كي يخرج الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: قد أنزل الله إليكم أيها الناس ذكراً رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات، كي يخرج الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه من الكفر -وهي الظلمات-، إلى النور، يعني: إلى الإيمان"^(٢).

قال ابن كثير: "أي: من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم وقد سمي الله تعالى الوحي الذي أنزله نورا لما يحصل به من الهدى كما سماه روحا لما يحصل به من حياة القلوب فقال: تعالى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى : ٥٢]"^(٣).

قال مجاهد: "من الظلمات إلى النور" [الأحزاب: ٤٣] قال: «يعني من الضلالة إلى الهدى»^(٤).

قوله تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الطلاق : ١١]، أي: "ومن يؤمن بالله ويعمل عملاً صالحاً، يدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار"^(٥).

قال الطبري: "يقول: ومن يصدق بالله ويعمل بطاعته يدخله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار"^(٦).

قال السعدي: "فيها من النعيم المقيم، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"^(٧).

عن السدي، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"^(٨).

عن السدي: "جنات" قال: البساتين"^(٩).

قال مجاهد: "الجنات: حوائط"^(١٠).

عن أبي مالك قوله: "تجري من تحتهم الأنهار"، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"^(١١). قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزلت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعاً"^(١٢).

قوله تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الطلاق : ١١]، أي: "ماكثين فيها أبداً"^(١٣).

قال مقاتل: "يعني: مقيمين فيها أبداً"^(١٤).

(١) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٢) تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٥٥/٨.

(٤) تفسير مجاهد: ٦٤٨.

(٥) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٦) تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٣.

(٧) تفسير السعدي: ٨٧٢.

(٨) علقه يحيى بن سلام ٦١٨/٢.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٨٢٤): ص ٢٧٩٦/٩.

(١٠) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٣٨): ص ١٩٢٩/٦.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦٧٨): ص ٨٤٥/٣.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦٧/٤.

قال الطبري: "يقول: ما كثر مقيم في البساتين التي تجري من تحتها الأنهار أبداً، لا يموتون، ولا يخرجون منها أبداً"^(١).

عن سعيد بن جبير: "خَالِدِينَ فِيهَا، يعني: لا يموتون"^(٢).

قوله تعالى: {قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا} [الطلاق : ١١]، أي: "قد أحسن الله للمؤمن الصالح رزقه في الجنة"^(٣).

قال مقاتل: "يعني: به الجنة"^(٤).

قال الطبري: "يقول: قد وسع الله له في الجنات رزقاً، يعني بالرزق: ما رزقه فيها من المطاعم والمشارب، وسائر ما أعدّ لأوليائه فيها، فطيبه لهم"^(٥).

قال الزجاج: "أي: رزقه الله الجنة التي لا ينقطع نعيمها، ولا يزول"^(٦).

قال السعدي: "ومن لم يؤمن بالله ورسوله، فأولئك أصحاب النار، هم فيها خالدون"^(٧).

قال القشيري: "الرزق الحسن ما كان على حدّ الكفاية لا نقصان فيه تتعطل الأمور بسببه، ولا زيادة فيه تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرصه"^(٨).

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)} [الطلاق : ١٢]

التفسير:

الله وحده هو الذي خلق سبع سموات، وخلق سبعاً من الأرضين، وأنزل الأمر مما أوحاه الله إلى رسله وما يدبر به خلقه بين السموات والأرض؛ لتعلموا -أيها الناس- أن الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته.

قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ} [الطلاق : ١٢]، أي: "الله وحده هو الذي خلق سبع سموات"^(٩).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ} لا ما يعبد المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تقدر على خلق شيء"^(١٠).

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثاً على تعظيم ما شرع من الدين القويم {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ} كقوله تعالى إخباراً عن نوح أنه قال لقومه {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} [نوح : ١٥] وقال تعالى {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} [الإسراء : ٤٤]"^(١١).

قوله تعالى: {وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ} [الطلاق : ١٢]، أي: "وخلق سبعاً من الأرضين"^(١٢).

قال الطبري: "يقول: وخلق من الأرض مثلهنّ لما في كلّ واحدة منهنّ مثل ما في السموات من الخلق"^(١٣).

(١) تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٥٩): ص ٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠): ص ١٨٣٣/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦٧/٤.

(٥) تفسير الطبري: ٤٦٩/٢٣.

(٦) معاني القرآن: ١٨٨/٥.

(٧) تفسير السعدي: ٨٧٢.

(٨) لطائف الإشارات: ٦٠٢/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٦٩/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ١٥٦/٨.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(١٣) تفسير الطبري: ٤٦٩/٢٣.

قال ابن كثير: "أي: سبعا أيضا، كما ثبت في الصحيحين: «من ظلم قيدَ شبرٍ من الأرض طوّفه من سبع أرضين»^(١)، وفي صحيح البخاري: «خُصِفَ به إلى سبع أرضين»^(٢)»^(٣).

قال الزجاج: "ففي كل سماء وكل أرض خلق من خلقه، وأمر نافذٌ من أمره"^(٤). عمرو بن عليّ ومحمد بن المنثي، قالا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي الضحى، عن ابن عباس، قال في هذه الآية: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ"، قال عمرو: قال: في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق. وقال ابن المنثي: في كل سماء إبراهيم"^(٥).

عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ}، قال: لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها"^(٦).

عن سعيد بن جبير، قال: "قال رجل لابن عباس {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ}... الآية، فقال ابن عباس: ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر"^(٧).

عن عبد الله، قال: "خلق الله سبع سموات غلظ كل واحدة مسيرة خمس مئة عام، وبين كل واحدة منهن خمس مئة عام، وفوق السبع السموات الماء، والله جل ثناؤه فوق الماء، لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم. والأرض سبع، بين كل أرضين خمس مئة عام، وغلظ كل أرض خمس مئة عام"^(٨).

عن مجاهد، قال: "هذه الأرض إلى تلك مثل الفسطاط ضربته في فلاة، وهذه السماء إلى تلك السماء، مثل حلقة رميت بها في أرض فلاة"^(٩).

عن الربيع بن أنس، قال: "السماء أولها موج مكوف؛ والثانية صخرة؛ والثالثة حديد؛ والرابعة نحاس؛ والخامسة فضة؛ والسادسة ذهب، والسابعة ياقوتة"^(١٠).

عن مجاهد، قال: "هذا البيت الكعبة رابع أربعة عشر بيتًا في كل سماء بيت، كل بيت منها حذو صاحبه، لو وقع وقع عليه، وإن هذا الحرم حرمي بناؤه من السموات السبع والأرضين السبع"^(١١).

قال قتادة: "خلق سبع سموات وسبع أرضين في كل سماء من سمائه، وأرض من أرضه، خلق من خلقه وأمر من أمره، وقضاء من قضائه"^(١٢).

عن قتادة قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس مرة مع أصحابه، إذ مرت سحابة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أتدرون ما هذا؟ هذه العنان، هذه روابيا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يعبدونه؛ قال: "أتدرون ما هذه السماء؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "هذه السماء موج مكوف، وسقف محفوظ؛ ثم قال: "أتدرون ما فوق ذلك؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "فوق ذلك سماء أخرى"، حتى عد سبع سموات وهو يقول: "أتدرون ما بينهما؟ خمس مئة سنة؛ ثم قال: "أتدرون ما فوق ذلك؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "فوق ذلك العرش"، قال: "أتدرون ما بينهما؟" قالوا: الله ورسوله أعلم قال: "بينهما خمس مئة سنة؛ ثم قال: "أتدرون ما هذه

(١) صحيح البخاري برقم (٢٤٥٣) وصحيح مسلم برقم (١٦١٢) من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٤٥٤) من حديث ابن عمر، رضي الله عنه.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٥٦/٨.

(٤) معاني القرآن: ١٨٩/٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٦٩/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٦٩/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٦٩/٢٣-٤٧٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٣.

الأرض؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "تحت ذلك أرض"، قال: أتدرون كم بينهما؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "بينهما مسيرة خمسمائة سنة، حتى عد سبع أرضين، ثم قال: "والذي نفسي بيده لو دلي رجل بحبل حتى يبلغ أسفل الأرضين السابعة لهبط على الله"، ثم قال: {هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم} (١).

عن قتادة، قال: "التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض، فقال بعضهم لبعض: من أين جئت؟ قال أحدهم: أرسلني ربي من السماء السابعة، وتركته؛ ثم، قال الآخر: أرسلني ربي من الأرض السابعة وتركته؛ ثم، قال الآخر: أرسلني ربي من المغرب وتركته ثم" (٢).

عن عثمان بن أبي دهرس قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال: "ما لكم لا تتكلمون؟" فقال: "وا نتفكر في خلق الله عز وجل قال "فكذلك فافعلوا تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها ساحتها - أو قال ساحتها نورها - مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قط" قالوا فأين الشيطان عنهم؟ قال "ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق؟" قالوا أمن ولد آدم؟ قال "لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق؟" (٣).

قوله تعالى: {يُنزِّلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ} [الطلاق: ١٢]، أي: "، وأنزل الأمر مما أوحاه الله إلى رسله وما يدبر به خلقه بين السموات والأرض" (٤).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ينزل أمر الله بين السماء السابعة والأرض السابعة" (٥).

قال الزمخشري: "أي: يجرى أمر الله وحكمه بينهن، وملكه ينفذ فيهن.. وقيل: هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره" (٦).
قال ابن قتيبة: "الأمر: الوحي" (٧).

قال مقاتل: "يعني: الوحي من السماء العليا إلى الأرض السفلى" (٨).
قال سعيد بن جبير: "السماء مكشوفة، والأرض مكشوفة" (٩).
عن مجاهد، قوله: "يُنزِّلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ"، قال: بين الأرض السابعة إلى السماء السابعة" (١٠).

قال أهل المعاني: "هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والشتاء والصيف ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاتها وأنواعها، وينقلهم من حال إلى حال" (١١).

قال ابن كيسان: "وهذا على مجال اللغة واتساعها، كما يقول للموت أمر الله، وللرياح والسحاب ونحوها" (١٢).

(١) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٣-٤٧١.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٧١/٢٣.

(٣) الحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٠٨/٢) وعزاه لابن أبي الدنيا، قال ابن كثير: "هذا حديث مرسل وهو منكر جداً وعثمان بن أبي دهرس ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال: روى عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص وعنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سليم الطائفي وابن المبارك سمعت أبي يقول ذلك". [انظر: تفسير ابن كثير: ١٥٧/٨، والجرح والتعديل: ١٤٩/٦].

(٤) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٥) تفسير الطبري: ٤٧١/٢٣.

(٦) الكشف: ٥٦١/٤.

(٧) تأويل مشكل القرآن: ٢٧٧.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦٧/٤.

(٩) الدر المنثور: ٢١٠/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٧١/٢٣.

(١١) نقلا عن: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٤٢/٩.

وقال قتادة: "في كل أرض من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه، وأمر من أمره، وقضاء من قضائه"^(٢).

عن ابن عباس: أن نافع بن الأزرق سأله هل تحت الأرضين خلق؟ قال: نعم. قال: فما الخلق؟ قال: إما ملائكة أو جن"^(٣).

عن الحسن البصري، في الآية، قال: "بين كلّ سماء وأرض خلقٌ وأمرٌ"^(٤).
وقرى: «ينزل الأمر»^(٥).

قوله تعالى: {لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الطلاق : ١٢]، أي: "لتعلموا أيها الناس- أن الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء"^(٦).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ينزل قضاء الله وأمره بين ذلك كي تعلموا أيها الناس كنه قدرته وسلطانه، وأنه لا يتعدّر عليه شيء أرادته، ولا يمتنع عليه أمر شاءه؛ ولكنه على ما يشاء قدير"^(٧).

قوله تعالى: {وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق : ١٢]، أي: "ولتعلموا أن الله قد أحاط بكل شيء علماً، فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته"^(٨).

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: ولتعلموا أيها الناس أن الله بكل شيء من خلقه محيط علماً، لا يعزّب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر: يقول جلّ ثناؤه فحافوا أيها المخالفون أمر ربكم عقوبته، فإنه لا يمنعه من عقوبتكم مانع، وهو على ذلك قادر، ومحيط أيضاً بأعمالكم، فلا يخفى عليه منها خاف، وهو محصيها عليكم، ليجازيكم بها، يوم تجزى كلّ نفس ما كسبت"^(٩).

قال الزجاج: " {علماً} منصوب على المصدر المؤكّد، لأن معنى: قد علم كل شيء علماً"^(١٠).

فوائد الآيات: [٨-١٢]:

- ١- التحذير من ترك الأحكام الشرعية وإهمالها والعبث بها.
 - ٢- بيان منة الله على هذه الأمة بإنزال القرآن عليها وإرسال الرسول إليها.
 - ٣- بيان أن الكفر ظلمة وأن الإيمان نور.
 - ٤- بيان عظمة الله تعالى وسعة علمه.
- «آخر تفسير سورة (الطلاق)، والحمد لله وحده»
نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) نقلا عن: الكشف والبيان في تفسير القرآن": ٣٤٢/٩.

(٢) نقلا عن: الكشف والبيان في تفسير القرآن": ٣٤٢/٩.

(٣) نقلا عن: الكشف: ٥٦١/٤.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٣٠٠ / ٢، وانظر: الدر المنثور: ٢١٠/٨، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد.

(٥) انظر: الكشف: ٥٦١/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٧) تفسير الطبري: ٤٧١/٢٣-٤٧٢.

(٨) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٩) تفسير الطبري: ٤٧١/٢٣-٤٧٢.

(١٠) معاني القرآن: ١٨٩/٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «التحريم»

«سورة التحريم» هي السورة السادسة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي معدودة الخامسة بعد المائة في عداد نزول سور القرآن نزلت بعد سورة الحجرات وقبل سورة الجمعة، وعدد آياتها اثنتا عشرة. وكلماتها مائتان وأربعون. وحروفها ألف وستون. وفواصل آياتها: «منار»، على الألف آية فحسب: {أُبْكَارًا} [التحريم: ٥] ^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة التحريم»:

سميت «سورة التحريم» في كتب السنة وكتب التفسير وأكثر المصاحف، ووجه تسميتها لتحريم النبي-صلى الله عليه وسلم- شيئاً على نفسه، وافتتاح السورة بعنابه بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)} [التحريم: ١].

■ ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول والثاني والثالث: «سورة المتحرم، سورة لم تحرم، سورة التحريم»:

وقع تسمية السورة بالاسمين الأول والثاني في الإتيان ^(٢)، وذكرها ابن الجوزي في تفسيره ^(٣)، وكذلك الألوسي ^(٤).

ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها بهذا اللفظ: {لِمَ تُحَرِّمُ} [التحريم: ١]، وهو النبي-

صلى الله عليه وسلم-.

وقد وقع الاسم الثالث في "الدر المنثور"، إذ أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة التحريم بالمدينة" ^(٥). قال السيوطي: "ولفظ ابن مردويه: «سورة التحريم»" ^(٦).

■ الاسم الرابع: «سورة النبي»:

أورده بعض المفسرين كالزمخشري ^(٧)، وابن الجوزي ^(٨)، والقرطبي ^(٩)، وغيرهم، كما عدها السخاوي ^(١٠)، والبقاعي ^(١١)، اسماً آخر للسورة.

ووجه تسميتها بـ«سورة النبي»، لأنها ذكرت لفظ «النبي» في أول آية من آياتها في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التحريم: ١]، وحديثها كان عن النبي-صلى الله عليه وسلم-.

وذكر ابن الجوزي ^(١٢)، والألوسي ^(١٣)، أن هذه السورة تسمى «سورة النساء»، وقال الألوسي: "إن ابن الزبير سماها «سورة النساء»" ^(١٤).

ولم أقف عليه عند أحد من المفسرين غيرهما، وهذه الأسماء الثلاثة هي اجتهادية من

المفسرين ولم يثبت فيها نص من النبي-صلى الله عليه وسلم-.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧١/١، والتحرير والتنوير: ٣٤٣/٢٨

(٢) انظر: الإتيان في علوم القرآن: ٤١/١.

(٣) انظر: زاد المسير: ٣٠٢/٨.

(٤) انظر: روح المعاني: ٣٤١/١٤.

(٥) الدر المنثور: ٢١٣/٨.

(٦) الدر المنثور: ٢١٣/٨.

(٧) انظر: الكشف: ٥٦٢/٤.

(٨)

(٩) انظر "تفسير القرطبي: ١٧٧/١٨.

(١٠) انظر: جمال القراء: ٩٢.

(١١) انظر: مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٩٩/٣.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٣٠٢/٨.

(١٣) انظر: روح المعاني: ٣٤١/١٤.

(١٤) انظر: روح المعاني: ٣٤١/١٤.

■ مكية السورة ومدنيتها:

- في مكان نزول السورة قولان:
أحدهما: أنها أنزلت بمدينة. قاله ابن عباس^(١).
عن ابن عباس قال: نزلت سورة التحريم بالمدينة^(٢).
الثاني: أن أولها إلى تمام عشر آيات مدنية، وما بعدها أنزلت بمكة. حكي ذلك عن قتادة^(٣).
قال ابن عاشور: "ولعله أراد إلى عشر آيات، أي: أن الآية العاشرة من المكي إذ من البعيد أن تكون الآية العاشرة مدنية والحادية عشرة مكية"^(٤).
قال القرطبي: "سورة التحريم مدنية في قول الجميع"^(٥).
قال ابن الجوزي: "هي مدنية كلها بإجماعهم"^(٦).
قال الفيروزآبادي: "السورة مدنية بالاتفاق"^(٧).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

- ١- أن سورة الطلاق في حسن معايشة النساء والقيام بحقوقهن، وهذه السورة فيما حصل منهن مع النبي صلى الله عليه وسلم تعليماً لأُمَّته أن يحذروا أمر النساء، وأن يعاملوهن بسياسة اللين كما عاملهن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وأن ينصحوهن نصحا مؤثراً.
٢- أن كتيههما افتتحا بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم.
٣- أن تلك في خصام نساء الأمة، وهذه في خصومة نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أفردين بالذكر تعظيماً لمكانتهن^(٨).

■ أغراض السورة ومقاصدها

- لقد تناول موضوعات ومضامين سورة التحريم الشؤون التشريعية، وتعالج قضايا وأحكاما تتعلق ببيت النبوة وبأمهات المؤمنين الطاهرات في إطار تهيئة البيت المسلم والنموذج الأكمل للأسر السعيدة، وقد احتوت السورة على ثلاثة موضوعات رئيسية، كما يأتي:
- ١- وجه الله تعالى المؤمنين في سورة التحريم بوقاية أنفسهم وأهلهم من النار، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتشديد والإغلاظ على الكفار والمنافقين، وذكر الله تعالى أيضاً أمثلة للنساء اللواتي لم يكن قربهن من العباد الصالحين عاملاً لتغييرهن إلى الأفضل، وكل ذلك زيادة في التهديد والوعيد للتأمر الذي كان بين المتظاهرتين وإفشاء سر الزوجية، وبيان خطورة ذلك وما يترتب عليه، كما ورد في سورة التحريم تلميح بطلاق الرسول عليه الصلاة والسلام لجميع زوجاته، حيث قال الله تعالى: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِمَّنْ} [التحريم: ٥].
- ٢- الإشارة إلى حادثة حقيقية حصلت مع النبي صلى الله عليه وسلم، كان فيها قد حرم على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له. فعاتبه الله بأنه لا ينبغي المجاملة في الدين، ولا تحريم ما

(١) انظر: الدر المنثور: ٢١٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٢١٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣) انظر: الإتيقان في علوم القرآن: ٤٤/١، قال السيوطي: "وقال أبو بكر بن الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي حدثنا حجاج ابن منهال نبأنا هشام عن قتادة قال: "نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والرعد والنحل والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والحديد والرحمن والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق ويأيتها النبي صلى الله عليه وسلم لم تحرم إلى رأس العشر وإذا زلزلت وإذا جاء نصر الله وسائر القرآن نزل بمكة".

(٤) التحرير والتنوير: ٣٤٣/٢٨.

(٥) تفسير القرطبي: ١٧٧/١٨.

(٦) زاد المسير: ٣٠٤/٤.

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٩/١.

(٨) انظر: تفسير المراعي: ١٥٤/٢٨.

- أحله الله، أو تحليل ما حرمه الله لأجل أي مخلوق كان، ولا ينبغي المجاملة في اتباع الحلال واجتناب الحرام، لأن الله هو مولاكم وشرع لكم الحلال والحرام بعلمه وحكمته.
- ٣- أكدت السورة على أن أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريره تعدّ من مصادر التشريع للأمة، لذلك بيّنت الآيات أن الامتناع عن المباح دون الاستناد إلى مصلحة معتبرة سابقة تشريعية قد يكون من الأمور التي تؤدي بالأمة إلى الوقوع في الحرج، لذا أمر الرسول بالرجوع عمّا حرّم على نفسه.
- ٤- مخاطبة كل فئات الناس وأمرهم بالعمل للأخرة: ذلك بأن كل مؤمن مسؤول عن وقاية نفسه أولاً ثم وقاية وحفظ أهله بما يحفظ به نفسه ومن نار وقودها الناس والحجارة. وأن الكافرون قد خسروا بكفرهم وبما كانوا يعملون ولن ينفعهم أن يعتذروا يوم الحساب. وأن يتوب المؤمنون توبة نصوحة لكي يغفر لهم ويفوزوا بالجنة. وأن يجاهد النبي -وهو القائد- الكفار والمنافقين والغلظة عليهم فهؤلاء مصيرهم إلى النار.
- ٥- ضرب الله الأمثال بالقصص عن امرأتين مؤمنتين هما امرأة فرعون ومريم ابنة عمران حافظتا على إيمانها تحت أصعب الظروف، وأخريان كافرتين امرأة نوح وامرأة لوط لم يؤمنا في أحسن الظروف الإيمانية وهن زوجات أنبياء مرسلين
- ٦- بدأت سورة التحريم بالإشارة إلى أمرين مهمين، وانتهت بالإشارة لكلا الأمرين أيضاً؛ الأول منهما ما ذكره الله تعالى في بداية السورة من أمثال الآداب المتمثلة بالثيبات والأبكار الأخيار، ثم عطف في آخر السورة عليها، وزاد أيضاً على ذلك أن الحسن يكون في الذوات والأعيان، فذكر آسيا امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وبيّن أنّهما في الجنة التي تعدّ دار القرار.

قال الفيروزآبادي: "عظم مقصود السورة: عتاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - في التحريم والتحليل قبل ورود وحى سماوي، وتعيير الأزواج الطاهرات على إيذانه وإظهار سره، والأمر بالتحرز والتجنب من جهنم، والأمر بالتوبة النصوح، والوعد بإتمام النور في القيامة، والأمر بجهاد الكفار بطريق السياسة، ومع المنافقين بالبرهان والحجة، وبيان أن القرابة غير نافعة بدون الإيمان والمعرفة، وأن قرب المفسدين لا يضر مع وجود الصدق والإخلاص، والخبر عن الفتوة، وتصديق مريم بقوله: {وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا} [التحريم: ١٢]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة، لا ناسخ فيها ولا منسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة يا أيها النبي لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ أعطاه الله توبةً نصوحاً»^(٣).

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧١/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧١/١.

(٣) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٤٣/٩. وقد مرّ أنه حديث موضوع.

القرآن

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) }
[التحریم : ١]

التفسير:

يا أيها النبي لم تمنع نفسك عن الحلال الذي أحله الله لك، تبتغي إرضاء زوجاتك؟ والله غفور لك، رحيم بك.

اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة على ثلاثة أقوال:

أحدها : ما روى عروة عن عائشة قالت: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء، ويحب العسل، وكان إذا صلى العصر أجاز على نسائه فيدنون منهن، فدخل على حفصة، فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك، فقال لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالن له، فذكرت ذلك لسودة، قلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك، فقول لي له: يا رسول الله، أكلت مغافير^(١)، فإنه سيقول: لا، فقول لي: ما هذه الرياح، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد عليه أن يوجد منه الريح، فإنه سيقول: سقتني حفصة شربة عسل، فقول لي له: جرت نحل العرفط^(٢)، وسأقول ذلك: وقوليه أنت يا صفية، فلما دخل على سودة، قلت: تقول سودة: والذي لا إله إلا هو، لقد كدت أن أبادره بالذي قلت لي وإنه لعلى الباب، فرقا منك، فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله، أكلت مغافير؟ قال: «لا» قلت: فما هذه الرياح؟ قال: «سقتني حفصة شربة عسل» قلت: جرت نحل العرفط، فلما دخل علي قلت له مثل ذلك، ودخل على صفية فقالت له مثل ذلك، فلما دخل على حفصة قالت له: يا رسول الله، ألا أسقيك منه؟ قال: «لا حاجة لي به» قالت: تقول سودة: سبحان الله، لقد حرمناه، قالت: قلت لها: اسكتي^(٣).

وعن ابن جريج، قال: زعم عطاء، أنه سمع عبيد بن عمير، يقول: سمعت عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلا، فتواصيت أنا وحفصة: أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فنقل: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير، فدخل على إحدهما، فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له» فنزلت { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ } [التحریم: ١] - إلى - { إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ } [التحریم: ٤]، لعائشة وحفصة: { وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ } [التحریم: ٣] لقوله: «بل شربت عسلا»^(٤).

(١) المغافير: شيء حلو يشبه العسل. انظر: "اللسان" (غفر) ٦ / ٣٢٧٦. والمغافير: صمغ يسيل من شجر العرفط حلو غير أن رائحته ليست بطيبة. "اللسان" ٢ / ٧٤٩ (عرفط).

(٢) جرت النحلة أي أكل ورعت، وهو لحسها إياه ثم تعسله، ولا يقال جرس بمعنى رعى إلا للنحل. والعرفط (بضم العين والفاء وتسكين الراء): شجر خبيث الريح، وهو من أخبت المراعي، وقيل: هو شجر الطلح، وله صمغ كريحه الرائحة، فهذا أكلته النحل حصل في عسلها من ريحه وهو المغافير. "اللسان" ١ / ٤٤٠ (جرس) ٢ / ٧٤٩ (عرفط).

قال الجوهرى: "الجرس والجرس: الصوت الخفي. ويقال: سمعت جرس الطير، إذا سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله. وفي الحديث: " فيسمعون جرس طير الجنة ". قال الاصمعي: كنت في مجلس شعبة قال: " فيسمعون جرس طير الجنة " بالشين، فقلت: " جرس "، فنظر إلى فقال: خذوها عنه فإنه أعلم بهذا منا". [الصحيح "جرس": ص ٩١١-٩١٢]

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٦٩٧٢ عن عبيد بن إسماعيل بن عن عائشة. وأخرجه مسلم ١٤٧٤ ح ٢١ وأبو داود ٣٧١٥ وأبو يعلى ٤٨٩٦ من طرق عن أبي أسامة به. وأخرجه الواحدى في «أسباب النزول» ٨٣٢ من طريق علي بن مسهر عن هشام بن عروة به.

(٤) صحيح البخاري (٥٢٦٧): ص ٤٤/٧، وأخرجه مسلم في الطلاق باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق رقم (١٤٧٤).

عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد، قال: "نزلت هذه الآية في شراب: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ}"^(١).

عن ابن أبي مليكة، قال: "نزلت في شراب"^(٢).

قال الحافظ: "وأخرج ابن مردويه من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس أنّ شرب العسل كان عند سودة، وأنّ عائشة وحفصة هما اللتان توطأنا على وفق ما في رواية عبيد بن عمير وإن اختلفا في صاحبة العسل"^(٣).

قال الحافظ: ووقع في تفسير السدّي أنّ شرب العسل كان عند أم سلمة، أخرجه الطبري وغيره، وهو مرجوح لإرساله وشدوذه"^(٤).

الثاني: أنها نزلت في شأن مارية أم إبراهيم خلا بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بيت حفصة بنت عمر وقد خرجت لزيارة أبيها، فلما عادت وعلمت عتبت على النبي -صلى الله عليه وسلم- فحرمها على نفسه أرضاء لحفصة، وأمرها أن لا تخبر أحداً من نسائه، فأخبرت به عائشة لمصافاة كانت بينهما وكانت تتظاهران على نساء النبي -صلى الله عليه وسلم- أي: تتعاونان، فحرم مارية وطلق حفصة واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوماً، وكان جعل على نفسه أن يُحرمهن شهراً، فأنزل الله هذه الآية، فراجع حفصة واستحل مارية وعاد إلى سائر نسائه، قاله عمر بن الخطاب^(٥)، وابن عباس^(٦)، والحسن^(٧)، وقتادة^(٨)، والشعبي^(٩)، ومسروق^(١٠)، وزيد بن أسلم^(١١)، والكلبي^(١٢)، وهو ناقل السيرة.

عن ابن عباس، قال: "قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: من المرأتان؟ قال: عائشة، وحفصة. وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية، أصابها النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة في يومها، فوجدته حفصة، فقالت: يا نبي الله لقد جئت إليّ شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك بمثله في يومي وفي دوري، وعلى فراشي، قال: "ألا ترضين أن أحرّمها فلا أقرّبها؟" قالت: بلى، فحرمها، وقال: لا تدكّري ذلك لأحدٍ"، فذكرته لعائشة، فأظهره الله عزّ وجلّ عليه، فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ} ... الآيات كلها، فبلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كفر يمينه، وأصاب جاريته"^(١٣).

قال ابن عباس: "كانت حفصة وعائشة متحابتين وكانتا زوجتي النبي صلى الله عليه وسلم، فذهبت حفصة إلى أبيها، فتحدثت عنده، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى جاريته، فظلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة، فوجدتها في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرة شديدة، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته، ودخلت حفصة فقالت: قد رأيت من كان عندك، والله لقد سوّئتني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "والله لأرضينك فأني مسرّ إليك سرّاً فأحفظيه"؛ قالت: ما هو؟ قال: "إني أشهدك أنّ

(١) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢٣.

(٣) أنيس السّاري في تخريج وتّحقيق الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٥٨٢٦): ص ١١٥٢/١١.

(٤) أنيس السّاري في تخريج وتّحقيق الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٥٨٢٨): ص ١١٥٢/١١-١١٥٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٩/٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٣، ٤٧٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٣-٤٧٩.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٣-٤٧٩.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٥/٢٣-٤٧٦.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٥/٢٣-٤٧٦.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٥/٢٣.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٩/٦.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢٣.

سُرِّيَّتِي هَذِهِ عَلَيَّ حَرَامٌ رِضًا لَكَ"، كانت حفصة وعائشة تظاهران على نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فانطلقت حفصة إلى عائشة، فأسرت إليها أن أبشري إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حرم عليه فتاته، فلما أخبرت بسرّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أظهر الله عزّ وجلّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنزل الله على رسوله لما تظاهرتا عليه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ} ... إلى قوله: {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (١).

قال مسروق: "ألى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحرم، فعوتب في التحريم، وأمر بالكفارة في اليمين" (٢).

عن أنس، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت له أمة يطؤها، فلم تنزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه، فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحريم: ١] إلى آخر الآية (٣).

عن زيد بن أسلم: "أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه؛ قال: فقالت: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي، فجعلها عليه حراما؛ فقالت: يا رسول الله كيف تحرّم عليك الحلال؟، فحلف لها بالله ألا يصيبها، فأنزل الله عزّ وجلّ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ}، قال زيد: فقوله أنت عليّ حرام لغو" (٤).

الثالث: ما رواه عكرمة، عن ابن عباس قال: "نزلت هذه الآية: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ}؟ في المرأة التي وهبت نفسها للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (٥).

قال عكرمة: "نزلت في المرأة التي وهبت نفسها للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقال لها أم شريك فأبى النبي -عليه السلام- أن يصلها لأجل امرأته" (٦).

قال ابن كثير: "هذا قول غريب، والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل" (٧).

قال السمعاني: "في الآية قولان معروفان: أظهر القولين: أنها نزلت في تحريم رسول الله على نفسه مارية القبطية.. وهو قول عامة المفسرين، عن ابن عباس في رواية: «أن الآية وردت في الواهبة نفسها للنبي» (٨). وهو قول شاذ" (٩).

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحريم: ١]، أي: "يا أيها النبي لِمَ تمنع نفسك عن الحلال الذي أحله الله لك" (١٠).

قال السعدي: "هذا عتاب من الله لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين حرم على نفسه سريته "مارية" أو شرب العسل، مراعاة لخطر بعض زوجاته، في قصة معروفة، فأنزل الله [تعالى] هذه الآيات {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ}، أي: يا أيها الذي أنعم الله عليه بالنبوة والوحي والرسالة {لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} من الطيبات، التي أنعم الله بها عليك وعلى أمتك" (١١).

قال الصابوني: "الخطاب بلفظ النبوة مشعرٌ بالتوقير والتعظيم، والتنويه بمقامه الرفيع الشريف، فلم يخاطبه باسمه العلم كما خاطب سائر الرسل بقوله «يا إبراهيم، يا نوح، يا عيسى بن مريم» وإنما خاطبه بلفظ النبوة أو الرسالة، وذلك أعظم دليل وبرهان على أنه صلوات الله

(١) أخرجه الطبري: ٤٧٧/٢٣-٤٧٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٣.

(٣) السنن الكبرى للنسائي (٨٨٥٧): ص ١٥٧/٨.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢٣.

(٥) روه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٦٠/٨.

(٦) الكشف والبيان: ٣٤٤/٩-٣٤٥.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٦٠/٨.

(٨) ونقله عنه أيضا الماوردي في "النكت والعيون": ٣٨.

(٩) تفسير السمعاني: ٤٧٠/٥.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(١١) تفسير السعدي: ٨٧٢.

عليه أفضل الأنبياء والمرسلين ومعنى الآية: يا أيها الموحى إليه من السماء، المنبأ بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، لما تمنع نفسك ما أحلَّ الله لك من النساء؟!^(١).

قال ابن كثير: "ومن هاهنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجود الكفارة على من حرم جاريتها أو زوجته أو طعاماً أو شراباً أو ملبساً أو شيئاً من المباحات، وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة. وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية، إذا حرم عينيهما أو أطلق التحريم فيهما في قوله، فأما إن نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الأمة، نفذ فيهما"^(٢).

واختلف أهل العلم، هل حرّمها على نفسه بيمين ألى بها أم لا، على قولين: أحدهما: أنه حلف يميناً حرّمها بها، فعوتب في التحريم وأمر بالكفارة في اليمين، قاله الحسن^(٣)، والضحاك^(٤)، وقتادة^(٥)، والشعبي^(٦)، وزيد بن أسلم^(٧)، وابنه^(٨). عن زيد بن أسلم: "قال لها: أنت عليّ حرام، والله لا أطوك"^(٩). قال الشعبي: "حلف بيمين مع التحريم، فعاتبه الله في التحريم، وجعل له كفارة اليمين"^(١٠).

عن قتادة: "أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرّمها يعني جاريتها، فكانت يميناً"^(١١). قال قتادة: "كان حرم فتاته القبطية أم ولده إبراهيم يقال لها مارية في يوم حفصة، وأسرّ ذلك إليها، فأطلعت عليه عائشة، وكانتا تظاهران على نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأحلَّ اللهُ له ما حرّم على نفسه، فأمر أن يكفر عن يمينه، وعوتب في ذلك، فقال: لَقَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحْلَةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قال قتادة: وكان الحسن يقول حرّمها عليه، فجعل اللهُ فيها كفارة يمين"^(١٢).

قال الضحاك: "كانت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتاة، فغشيها، فبصرت به حفصة، وكان اليوم يوم عائشة، وكانتا متظاهرتين، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اَكْتُمِي عَلَيَّ وَلَا تَذْكُرِي لِعَائِشَةَ مَا رَأَيْتِ"، فذكرت حفصة لعائشة، فغضبت عائشة، فلم تزل بنبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى حلف أن لا يقربها أبداً، فأنزل اللهُ هذه الآية، وأمره أن يكفر يمينه، ويأتي جاريتها"^(١٣).

عن ابن جرير، قال: "قلت لعطاء [بن أبي رباح]: الرجل يقول لامرأته: أنت عليّ حرام. قال: يمين. ثم تلا: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ} الآية. قلت: وإن كان أراد الطلاق، قد علم مكان الطلاق. قال: وإن قال: أنت عليّ كالدّم، أو كلحم الخنزير، فهو كقوله: هي عليّ حرام"^(١٤).

عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد في قوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ} قال: إنه وجدّت امرأة من نساء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع

(١) صفوة التفاسير: ٣٨٣/٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٦٠/٨.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٩/٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٣-٤٧٧.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٧٨/٢٣-٤٧٩.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٣-٤٧٧.

(١٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٦/٣٩٩ (١١٣٥٧).

جاريته في بيتها، فقالت: يا رسول الله أنى كان هذا الأمر، وكنت أهونهنّ عليك؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اسكّتي لا تُدكري هذا لأحد، هي عليّ حرامٌ إن قرئتها بعد هذا أبداً"، فقالت: يا رسول الله وكيف تحرّم عليك ما أحلّ الله لك حين تقول: هي عليّ حرام أبداً؟ فقال: والله لا أتيتها أبداً فقال الله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} ... الآية، قد غفرت هذا لك، وقولك والله: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (١).

الثاني: أنه حرّمها على نفسه من غير يمين، فكان التحريم موجباً لكفارة اليمين، قاله ابن عباس (٢).

عن سعيد بن جبير: "أن ابن عباس كان يقول: في الحرام يمين تكفرها. وقال ابن عباس: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}، يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم حرّم جاريته، فقال الله جلّ ثناؤه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} ... إلى قوله: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ}، فكفر يمينه، فصير الحرام يميناً" (٣).

قوله تعالى: {تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ} [التحریم : ١]، أي: "تبتغي إرضاء زوجاتك؟" (٤).
زوجاتك؟" (٤).

قال الزمخشري: "تَبْتَغِي" إما تفسير لـ«تحرّم». أو حال، أو استئناف، وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحلّ الله لأن الله عزّ وجلّ إنما أحلّ ما أحلّ لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله، فإذا حرّم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة" (٥).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التحریم : ١]، أي: "والله غفور لك، رحيم بك" (٦).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: والله غفور يا محمد لذنوب التائبين من عباده من ذنوبهم، وقد غفر لك تحريمك على نفسك ما أحله الله لك، رحيم بعباده أن يعاقبهم على ما قد تابوا منه من الذنوب بعد التوبة" (٧).

قال الزمخشري: "وَاللَّهُ غَفُورٌ" قد غفر لك ما زلت فيه، {رَحِيمٌ} قد رحمك فلم يؤاخذك به" (٨).

قال السعدي: "هذا تصريح بأن الله قد غفر لرسوله، ورفع عنه اللوم، ورحمه، وصار ذلك التحريم الصادر منه، سبباً لشرع حكم عام لجميع الأمة" (٩).

القرآن

{قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢)} [التحریم : ٢]

التفسير:

قد شرع الله لكم -أيها المؤمنون- تحليل أيمانكم بأداء الكفارة عنها، وهي: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام. والله ناصركم ومتولي أموركم، وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم، الحكيم في أقواله وأفعاله.
سبب النزول:

(١) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٧٨/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(٥) الكشاف: ٥٦٣/٤-٥٦٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(٧) تفسير الطبري: ٤٨٠/٢٣-٤٨١.

(٨) الكشاف: ٥٦٤/٤.

(٩) تفسير السعدي: ٨٧٢.

عن عمر بن الخطاب، قال: "قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لحفصة: «لا تُحدّثي أحدًا، وإنّ أمّ إبراهيم عليّ حرام». فقالت: أتحرّم ما أحلّ الله لك؟! قال: «فوالله، لا أقربها» فلم يُقربها نفسها حتى أخبرت عائشة؛ فأنزل الله: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾^(١).
عن عائشة، قالت: "لمّا حلف أبو بكر أن لا يُنفق على مسطح؛ فأنزل الله: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ فأحلّ يمينه، وأنفق عليه"^(٢).

عن مسروق بن الأجدع الهمداني، وعامر الشعبي -من طريق داود- قالوا: "آلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أمته وحرّمها؛ فأنزل الله: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾، وأنزل: ﴿لَمْ تَحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾"^(٣).

عن الضحاك بن مزاحم، قال: "كان قومٌ حلفوا على تحريم الحلال، فقالوا: أما إذ حلّفنا وحرّمنا على أنفسنا فإنه ينبغي لنا أن نبرّ. فقال الله: ﴿أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ [البقرة: ٢٢٤]. ولم يجعل لها كفارة؛ فأنزل الله: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحلّ الله لك﴾، ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾. فأمر النبي - عليه السلام - بالكفارة؛ لتحريم ما حرّم على نفسه الجارية التي كان حرّمها على نفسه، أمره أن يكفّر يمينه ويعاود جاريته، ثم أنزل الله: ﴿لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ [البقرة: ٢٢٥]^(٤).

عن زيد بن أسلم: "أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - حرّم أمّ إبراهيم، فقال: «هي عليّ حرام». فقال: «والله لا أقربها» فنزلت: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾^(٥).
قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [التحریم: ٢]، أي: "قد شرع الله لكم -أيها المؤمنون- تحليل أيمانكم بأداء الكفارة عنها، وهي: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام"^(٦).

قال الطبري: "يقول: "قد بين الله عزّ وجلّ لكم تحلة أيمانكم، وحدّها لكم أيها الناس"^(٧).
قال ابن قتيبة: "أي: أوجب لكم الكفارة"^(٨).

قال السعدي: "أي: قد شرع لكم، وقد ما به تتحل أيمانكم قبل الحنث، وما به الكفارة بعد الحنث، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعبدوا﴾ إلى أن قال: ﴿فكفارتها إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلّفتم﴾. فكل من حرم حلالا عليه، من طعام أو شراب أو سرية، أو حلف يمينًا بالله، على فعل أو ترك، ثم حنث أو أراد الحنث، فعليه هذه الكفارة المذكورة"^(٩).

عن مسروق بن الأجدع الهمداني -من طريق الشعبي-: "أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - حرّم جاريته، وآلى منها، فجعل الحلال حرامًا، وقال في اليمين: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾"^(١٠).

(١) أخرجه الهيثم بن كليب في مسنده -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ١٥٩ - ، والضياء في المختارة ١/ ٢٩٩ - ٣٠٠ (١٨٩)، من طريق نافع، عن ابن عمر، عن عمر.

قال ابن كثير: «هذا إسناد صحيح، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة، وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج».

(٢) أخرجه الحارث بن أبي أسامة -كما في المطالب العالية (٤١٥٧) - .

(٣) أخرجه ابن سعد ٨/ ١٨٦ .

(٤) الدر المنثور: ١/ ٦٤٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٥) أخرجه ابن سعد ٨/ ١٨٦ .

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٠ .

(٧) تفسير الطبري: ٢٣/ ٤٨١ .

(٨) غريب القرآن: ٤٧٢ .

(٩) تفسير السعدي: ٨٧٢ .

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٣/ ٤٧٦ .

- عن محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم - من طريق أبي الحُوَيْرِث - قال: ... {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك} فكان ذلك التحريم حلالاً، ثم قال: {قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم} فكفر رسولُ الله عن يمينه حين آلى^(١).

عن ميمون بن مهران، في قوله: {تَحَلَّةُ أَيْمَانِكُمْ}، قال: يقول: "قد أحللتُ لك ما ملكتُ يمينك، فلم تُحرّم ذلك وقد قرّضتُ لك تحلّة اليمين تُكفّر بها يمينك؟! كل ذلك في هذا"^(٢).
قوله تعالى: {وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ} [التحریم : ٢]، أي: "والله ناصركم ومتولي أموركم"^(٣).
قال الطبري: "يتولاكم بنصره أيها المؤمنون"^(٤).

قال السعدي: "أي: متولي أموركم، ومربيكم أحسن تربية، في أمور دينكم ودنياكم، وما به يندفع عنكم الشر، فلذلك فرض لكم تحلة أيمانكم، لتبرأ ذممكم"^(٥).

قوله تعالى: {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [التحریم : ٢]، أي: "وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم، الحكيم في أقواله وأفعاله"^(٦).

قال الطبري: "وَهُوَ الْعَلِيمُ} بمصالحكم، {الحكيم} في تدبيره إياكم، وصرّفكم فيما هو أعلم به"^(٧).

قال السعدي: "الذي أحاط علمه بظواهركم وبواطنكم، وهو الحكيم في جميع ما خلقه وحكم به، فلذلك شرع لكم من الأحكام، ما يعلم أنه موافق لمصالحكم، ومناسب لأحوالكم"^(٨).

عن محمد بن إسحاق، قوله: "عليم}، أي: عليم بما تخفون"^(٩)، "قوله: {حكيم}، في عذره وحقته إلى عباده"^(١٠).

عن أبي العالية في قوله: "حكيم}، قال: حكيم في أمره"^(١١).

القرآن

{وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) } [التحریم : ٣]

التفسير:

وإذ أسرأ النبي إلى زوجته حفصة - رضي الله عنها - حديثاً، فلما أخبرته به عائشة رضي الله عنها، وأطلعته الله على إفشائها سره، أعلم حفصة بعض ما أخبرته به، وأعرض عن إعلامها بعضه تكريماً، فلما أخبرها بما أفشيت من الحديث، قالت: من أخبرك بهذا؟ قال: أخبرني به الله العليم الخبير، الذي لا تخفى عليه خافية.

سبب النزول:

عن أبي هريرة، قال: "دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمارية القبطية سرّيته بيت حفصة، فوجدتها معه، فقالت: يا رسول الله، في بيتي من بين بيوت نسائك! قال: «فإنها عليّ حرام أن أمسها، واكتمي هذا عليّ». فخرجت حتى أتت عائشة، فقالت: ألا أبشرك! قالت: بماذا؟ قالت: وجدت مارية مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيتي، فقلت: يا رسول الله، في بيتي من بين بيوت نسائك! فكان أول السرور أن حرّمها على نفسه، ثم قال لي: «يا حفصة،

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠ / ١٧٨.

(٢) الدر المنثور: ٢١٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(٤) تفسير الطبري: ٤٨١/٢٣.

(٥) تفسير السعدي: ٨٧٢.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(٧) تفسير الطبري: ٤٨١/٢٣.

(٨) تفسير السعدي: ٨٧٢.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٤٣): ص ٢١٠٤/٧.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٤٥): ص ٢١٠٤/٧.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٤٤): ص ٢١٠٤/٧.

ألا أبتشرك». فأعلمني أنّ أباك يلي الأمر من بعده، وأنّ أبي يليه بعد أبيك، وقد استكتمني ذلك، فاكتميه. فأنزل الله: {يا أيها النبيّ لم تحرم} إلى قوله: {عفور رحيم} أي: لما كان منك، إلى قوله: {وإذ أسرّ النبيّ إلى بعض أزواجه حديثاً} (١)

قوله تعالى: {وإذ أسرّ النبيّ إلى بعض أزواجه حديثاً} [التحریم : ٣]، أي: "وإذ أسرّ النبيّ إلى زوجته حفصة - رضي الله عنها - حديثاً" (٢).

قال الطبري: "والحديث الذي أسرّ إليها في قول هؤلاء هو قوله لمن أسرّ إليه ذلك من أزواجه تحريم فتاته، أو ما حرّم على نفسه مما كان الله جلّ ثناؤه قد أحله له، وحلّفه على ذلك وقوله: «لا تذكرني ذلك لأحد»" (٣).

عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قوله: {وإذ أسرّ النبيّ إلى بعض أزواجه حديثاً}، قوله لها: لا تذكرني" (٤).

عن محمد بن جبير بن مطعم - من طريق أبي الحويرث - قال: "وإذ أسرّ النبيّ إلى بعض أزواجه حديثاً، يعني: حفصة" (٥).

قال ميمون بن مهران: "أسرّ إليها: «إنّ أبا بكر خليفتي من بعدي»" (٦).
قال الضحاك: "أسرّ إلى حفصة بنت عمر أنّ الخليفة من بعده أبو بكر، ومن بعد أبي بكر عمر" (٧).

عن الضحّاك بن مزاحم، قال: أتى النبيّ - صلى الله عليه وسلم - جارية له في يوم عائشة، وكانت عائشة وحفصة متحابّتين، فأطلعت حفصة على ذلك، فقال لها: «لا تُخبري عائشة بما كان منّي، وقد حرّمها عليّ». فأفشت حفصة سرّ النبيّ - صلى الله عليه وسلم -؛ فأنزل الله: {يا أيها النبيّ لم تحرم} الآيات" (٨).

قوله تعالى: {فلما نبتت به} [التحریم : ٣]، أي: "فلما أخبرت بذلك السرّ عائشة - رضي الله عنها - وأفشته لها" (٩).

قال الطبري: "فلما أخبرت بالحديث الذي أسرّ إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صاحبته" (١٠).

قوله تعالى: {وأظهره الله عليه} [التحریم : ٣]، أي وأطلع الله نبيه بواسطة جبريل الأمين على إفشائها للسرّ" (١١).

قال الطبري: يقول: "وأظهر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم على أنها قد أنبتت بذلك صاحبته" (١٢).

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣ / ١٣ - ١٤ (٢٣١٦) مطولاً، والعقيلي في الضعفاء الكبير ٤ / ١٥٥ (١٧٢٤) في ترجمة موسى بن جعفر الأنصاري، وابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ٤ / ٦٠ - من طريق موسى بن جعفر بن أبي كثير، عن عمّه، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة به.

قال العقيلي: «موسى بن جعفر الأنصاري مجهول بالنقل، لا يُتابع على حديثه، ولا يصحّ إسناده». وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ٤ / ٢٠١ (٨٨٥٣) في ترجمة موسى بن جعفر الأنصاري: «هذا باطل». وقال الهيثمي في المجمع ٧ / ١٢٦ - ١٢٧ (١١٤٢٥): «رواه الطبراني في الأوسط من طريق موسى بن جعفر بن أبي كثير، عن عمّه، قال الذهبي: مجهول، وخبره ساقط». قال السيوطي: «سند ضعيف».

(٢) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(٣) تفسير الطبري: ٤٨١/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢٣.

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠ / ١٧٨.

(٦) أخرجه ابن عساکر ٣٠ / ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٧) أخرجه أبو نعیم (١٧٧ - فضائل الخلفاء الأربعة).

(٨) الدر المنثور: ٢١٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) صفوة التفاسير: ٣٨٤/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٨١/٢٣.

(١١) صفوة التفاسير: ٣٨٤/٣.

قوله تعالى: {عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ} [التحریم : ٣]، أي: "أي أعلمها وأخبرها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببعض الحديث الذي أفشته معاتباً لها، ولم يخبرها بجميع ما حصل منها حياءً منه وتكرماً"^(٢).

قال الطبري: "عَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَفْصَةَ، يَعْنِي: مَا أَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهَا صَاحِبَتِهَا، وَتَرَكَ أَنْ يَخْبِرَهَا بِبَعْضِ"^(٣).

قال الصابوني: "فإن من عادة الفضلات التغافل عن الزلات، والتقصير في اللوم والعتاب"^(٤).

عن ابن زيد: "فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ، وَكَانَ كَرِيمًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"^(٥).

عن علي بن أبي طالب، قال: "ما استقصى كريم قط؛ لأن الله تعالى يقول: {عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ}"^(٦).

عن محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم -من طريق أبي الحُوَيْرِث- قال: "فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ {حِينَ أَخْبَرَتْ عَائِشَةَ} وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ {يَعْنِي: حَفْصَةَ، لَمَّا أَخْبَرَهُ اللهُ {قَالَتْ} حَفْصَةَ: {مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ}"^(٧).

عن مجاهد بن جبر، في قوله: {عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ} قال: الذي عَرَفَ أَمْرَ مَارِيَةَ، وَأَعْرَضَ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّ أَبَاكَ وَأَبَاها يَلِيَانِ النَّاسَ بَعْدِي». مَخَافَةَ أَنْ يَفْشُو"^(٨).

قال الحسن البصري: ما استقصى كريم قط، قال الله تعالى: {عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ} وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لمَّا رأى الكراهية في وجه حفصة أراد أن يتراضاها؛ فأسرَّ إليها شيئين: تحريم الأمة على نفسه، وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر - رضي الله عنهم -، فأخبرت به حفصة عائشة، وأطلع الله تعالى نبيّه عليه"^(٩).

عن عطاء الخراساني -من طريق شيخ- قال: ما استقصى حليم قط؛ ألم تسمع إلى قوله: {عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ}"^(١٠).

وقرى: «عَرَفَ»، بتخفيف الراء، بمعنى: عرف لحفصة بعض ذلك الفعل الذي فعلته من إفشائها سره، وقد استكتمتها إياه، أي: غضب من ذلك عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجازاها عليه؛ من قول القائل لمن أساء إليه: لأعرفن لك يا فلان ما فعلت، بمعنى: لأجازينك عليه؛ قالوا: وجازاها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك من فعلها بأن طلقها"^(١١).

قوله تعالى: {فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ} [التحریم : ٣]، أي: "فلما أخبرها بما أفشيت من الحديث"^(١٢).

قال السمعاني: "أي: أخبرها"^(١٣).

قال الطبري: "يقول: فلما خبر حفصة نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما أظهره الله عليه من إفشائها سر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عائشة"^(١٤).

(١) تفسير الطبري: ٤٨٢-٤٨١/٢٣.

(٢) صفوة التفاسير: ٣٨٤/٣.

(٣) تفسير الطبري: ٤٨٢-٤٨١/٢٣.

(٤) صفوة التفاسير: ٣٨٤/٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢٣.

(٦) الدر المنثور: ٢١٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٧٨/١٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٢٢) ص: ٣٣٦٢/١٠، وانظر: الدر المنثور: ٢١٨/٨.

(٩) تفسير الثعلبي ٣٤٦/٩ مختصراً، وتفسير البغوي ١٦٤/٨.

(١٠) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٣٦١).

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٢/٢٣.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(١٣) تفسير السمعاني: ٤٧٣/٥.

(١٤) تفسير الطبري: ٤٨٢/٢٣.

قوله تعالى: {قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا} [التحریم : ٣]، أي: "قالت: مَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا؟"^(١).
قال الطبري: "يقول: قالت حفصة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا الْخَبْرَ وَأَخْبَرَكَ بِهِ"^(٢).

قال السمعاني: "أي: مَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا"^(٣).
قال ابن زيد: "ولم تشكَّ أَنْ صَاحِبَتِهَا أَخْبَرَتْ عَنْهَا"^(٤).
قوله تعالى: {قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} [التحریم : ٣]، أي: "قال: أَخْبَرَنِي بِهِ اللهُ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ، الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ"^(٥).
قال الطبري: يقول: "قال محمد نبيَّ الله لحفصة: خبرني به العليم بسرائر عبادته، وضمانر قلوبهم، الخبير بأمرهم، الذي لا يخفى عنه شيء"^(٦).
قال السمعاني: "أي: الله، فإنه العليم بالأمر، الخبير بما في الصدور"^(٧).
قال السعدي: "الذي لا تخفى عليه خافية، يعلم السر وأخفى"^(٨).

القرآن

{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [التحریم : ٤]
التفسير:

إن ترجعا -يا حفصة وعائشة- إلى الله فقد وجد منكما ما يوجب التوبة حيث مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من إفشاء سرّه، وإن تتعاوننا عليه بما يسوءه، فإن الله وليه وناصره، وجبريل وصالح المؤمنين، والملائكة بعد نصره الله أعوان له ونصراء على مَنْ يُوْذِيهِ وَيُعَادِيهِ.

قوله تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحریم : ٤]، أي: "إن ترجعا -يا حفصة وعائشة- إلى الله فقد وجد منكما ما يوجب التوبة حيث مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من إفشاء سرّه"^(٩).

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: إن تتوبا إلى الله أيتها المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اجتنابه جاريته، وتحريمها على نفسه، أو تحريم ما كان له حلالا مما حرّمه على نفسه بسبب حفصة"^(١٠).
قال الزمخشري: " {إِنْ تَتُوبَا}: خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات، ليكون أبلغ في معاتبتهما"^(١١).

قال السعدي: "الخطاب للزوجتين الكريمتين من أزواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة وحفصة رضي الله عنهما، كانتا سبباً لتحريم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نفسه ما يحبه، فعرض الله عليهما التوبة، وعاتبهما على ذلك، وأخبرهما أن قلوبهما قد صغت، أي: مالت

(١) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(٢) تفسير الطبري: ٤٨٢/٢٣-٤٨٣.

(٣) تفسير السمعاني: ٤٧٣/٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٨٣/٢٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(٦) تفسير الطبري: ٤٨٣/٢٣.

(٧) تفسير السمعاني: ٤٧٣/٥.

(٨) تفسير السعدي: ٨٧٢.

(٩) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٨٣/٢٣.

(١١) الكشاف: ٥٦٦/٤.

وانحرفت عما ينبغي لهن، من الورع والأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم واحترامه، وأن لا يشفقن عليه"^(١).

قال ابن عباس: "يقول: زاغت قلوبكما، يقول: قد أثمت قلوبكما"^(٢).

عن قتادة: "فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا، أي: مالت قلوبكما"^(٣).

قال الضحاك: "قول: زاغت"^(٤).

قال سفيان: "زاغت قلوبكما"^(٥).

عن مجاهد، قال: كنا نرى أن قوله: {فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا}: شيء هين، حتى سمعت قراءة ابن مسعود: «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ زَاغَتْ قُلُوبُكُمَا»^(٦).

قال ابن زيد: "سرهما أن يجتنب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريتيه، وذلك لهما موافق، {صَعَتْ قُلُوبُكُمَا} إلى أن سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(٧).

قوله تعالى: {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ} [التحریم : ٤]، أي: "وإن تتعاوننا على النبي -صلى الله عليه وسلم- بما يسوءه"^(٨).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره للتي أسرَّ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه، والتي أفشت إليها حديثه، وهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما"^(٩).

قال السعدي: "أي: تعاوننا على ما يشق عليه، ويستمر هذا الأمر منكن"^(١٠).

عن الضحاك: "وإن تظاهراً عليه"، يقول: على معصية النبي صلى الله عليه وسلم وأذاه"^(١١).

قال ابن زيد: "قال ابن عباس لعمر: يا أمير المؤمنين إنني أريد أن أسالك عن أمر وإني لأهابك، قال: لا تهبني، فقال: من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: عائشة وحفصة"^(١٢).

قال عمر بن الخطاب: "لما اعتزل نبي الله صلى الله عليه وسلم نساءه، دخلت عليه وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت: يا رسول الله ما شقَّ عليك من شأن النساء، فلئن كنت طلقتهنَّ فإن الله معك وملائكته، وجبرائيل وميكائيل، وأنا وأبو بكر معك، وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام، إلا رجوت أن يكون الله مصدق قولي، فنزلت هذه الآية، آية التخبير: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ}، {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} ... الآية، وكانت عائشة ابنة أبي بكر وحفصة تتظاهران على سائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم"^(١٣).

عن ابن عباس قال: "لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر ابن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- اللتين قال الله تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا} حتى حج عمر وحجبت معه، فلما كنا ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة، فتبرز، ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضأ، فقلت يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي -

(١) تفسير السعدي: ٨٧٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٨٣/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٨٣/٢٣-٤٨٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٣.

(٨) صفة التفاسير: ٣/٣٨٥.

(٩) تفسير الطبري: ٤٨٤/٢٣.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٧٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٨٥/٢٣-٤٧٦.

صلى الله عليه وسلم - اللتان قال الله تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} فقال عمر: واعجباً لك يا ابن عباس! قال الزهري: كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه عنه، قال: هي حفصة وعائشة، قال: ثم أخذ يسوق الحديث، قال: كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، قال: وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي، قال: فتغضبت يوماً على امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعك! فوالله إن أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، قال: فانطلقت فدخلت على حفصة، فقلت: أتراجعني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ قالت: نعم، قلت: وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل؟ قالت نعم، قلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أفتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله، فإذا هي قد هلكت؟ لا تراجعني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا تسألينه شيئاً، وسليني ما بدا لك؟ ولا يغررك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله منك، يريد عائشة، قال: وكان لي جارٌّ من الأنصار، وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فينزل يوماً وأنزل يوماً، فيأتيني بخبر الوحي وغيره وأتية بمثل ذلك، قال: وكنا نتحدث أن غسان تتعل الخيل لتغزونا، فنزل صاحبي يوماً، ثم أتاني عشاء فضرب بابي، ثم ناداني، فخرجت إليه، فقال: حدث أمر عظيم! قلت: وماذا، أ جاءت غسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأطول، طلق الرسول نساءه، فقلت: قد خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا كائناً، حتى إذا صليت الصبح شددت عليّ ثيابي، ثم نزلت، فدخلت على حفصة وهي تبكي، فقلت: أطلقن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فقالت: لا أدري، هو هذا معتزل في هذه المشربة، فأتيت غلاماً له أسود فقلت: استأذن لعمر، فدخل الغلام ثم خرج إليّ، فقال: قد ذكرتك له فصمت، فانطلقت حتى أتيت المنبر، فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم، فجلست قليلاً، ثم غلبنني ما أجد، فأتيت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فدخل الغلام ثم خرج عليّ فقال: قد ذكرتك له فصمت: فخرجت فجلست إلى المنبر، ثم غلبنني ما أجد، فأتيت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فدخل ثم خرج إليّ فقال: قد ذكرتك له فصمت، فوليت مدبراً، فإذا الغلام يدعوني، فقال: ادخل فقد أذن لك، فدخلت فسلمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإذا هو متكيء على رمل حصير [ح وحدثناه يعقوب في حديث صالح قال: رمال حصير]، قد أثر في جنبه، فقلت: أطلقت يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساءك؟ فرفع رأسه إليّ وقال: "لا"، فقلت: الله أكبر، لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، فتغضبت على امرأتي يوماً فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعك! فوالله إن أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، فقلت: قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر، أفتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت؟ فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقلت: يا رسول الله، فدخلت على حفصة فقلت لا يغررك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منك، فتبسم أخرى، فقلت: استأنسُ يا رسول الله؟ قال: "نعم"، فجلست فرفعت رأسي في البيت، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر إلا أهبةً ثلاثاً، فقلت: ادع يا رسول الله أن يوسع على أمتك، فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله، فاستوى جالساً، ثم قال: "أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا"، فقلت استغفر لي يا رسول الله، وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن، حتى عاتبه الله عزّ وجل" (١).

قوله تعالى: {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاكَ} [التحریم : ٤]، أي: "فإن الله وليه وناصره" (٢).
قال الطبري: "يقول: فإن الله هو وليه وناصره" (١).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٢): ص ٢٦١/١-٢٦٣.
(٢) التفسير الميسر: ٥٦٠.

قال يحيى بن سلام: "يعني: وليه في العون له"^(٢).
قال أحمد الكرجي القصاب: "قوله: {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ}، بعد ذكر التظاهر دليل واضح
أن «المولى» هو: «الناصر»، لا «المالك»، إذ لو كان مالكا لما شاركه فيه جبريل، وصالح
المؤمنين، فهو - الآن - رد على الرافضة فيما يحملون عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم:
«من كنت مولاه فعلي مولاه»، أنها ولاية النصر، لا ولاية التملك، وهذا من حماقات الرافضة
التي لا تشكل على عالم، ولا جاهل، فلم ابتاع إذا - ليت شعري - الجواري والمماليك بالأثمان
الغالية إن كان على زعمهم مالكمهم، ومالك ساداتهم! بل لم أصدق حراره إن كن بالملك
جواريه، أم لم فعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبله الذي ورث الولاية عنه، واستحقا
به؟! إن هذا لأقبح مقال، وأجدره بطرق المحال، نعوذ بالله من الضلال"^(٣).
قوله تعالى: {وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} [التحريم : ٤]، أي: "وجبريل كذلك وليه
وناصره، والصالحون من المؤمنين"^(٤).
قال الطبري: يقول: "وخيار المؤمنين أيضا مولاه وناصره"^(٥).
وفي قوله تعالى: {وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} [التحريم : ٤]، وجوه من التفسير:
أحدها : أنهم الأنبياء ، قاله قتادة^(٦)، وزيد بن أسلم^(٧)، وسفيان^(٨)، والعلاء بن زياد العدوي^(٩).
الثاني : أبو بكر وعمر، قال الضحاك وعكرمة : "لأنهما كانا أبوي عائشة وحفصة وقد كانا
عونا له عليهما"^(١٠).
عن مجاهد، قوله: " {وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ}، قال: أبو بكر وعمر"^(١١).
عن الضحاك، قوله: " {وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ}، قال: أبو بكر وعمر"^(١٢).
قال الضحاك: " خيار المؤمنين أبو بكر الصديق وعمر"^(١٣).
عن عكرمة، وميمون بن مهران -من طريق فرات- قال: "أبو بكر، وعمر"^(١٤).
الثالث: أنه عمر -رضي الله عنه- . قاله الحسن^(١٥)، وسعيد بن جبير^(١٦).
عن سعيد بن جبير في قوله: " {وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ}، قال: نزلت في عمر خاصة"^(١٧).
الرابع : أنه علي -رضي الله عنه-^(١٨).
قال ابن أبي حاتم: "وبسند ضعيف عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله: {وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ}، قال: «هو علي بن أبي طالب»"^(١٩).

-
- (١) تفسير الطبري: ٤٨٦/٢٣.
(٢) لتصريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٣٧.
(٣) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام: ٣٦٥/٤-٣٦٦.
(٤) صفوة التفسير: ٣٨٥/٣.
(٥) تفسير الطبري: ٤٨٦/٢٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٧/٢٣.
(٧) الدر المنثور: ٢١٩/٨، وعزاه إلى ابن عساكر.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٧/٢٣.
(٩) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٤٨/٩.
(١٠) نقلا عن: النكت والعيون: ٤١/٦.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٣.
(١٤) عزاه السيوطي إلى ابن عساكر. وأخرجه ابن عساكر ٢٣٣/٣٠ عن ميمون بن مهران وحده.
(١٥) الدر المنثور: ٢١٩/٨، وعزاه إلى ابن عساكر.
(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٩٢٤):ص١٠/٣٣٦٢.
(١٧) تفسير ابن أبي حاتم(١٨٩٢٤):ص١٠/٣٣٦٢.
(١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٩٢٣):ص١٠/٣٣٦٢، والنكت والعيون: ٤١/٦.
(١٩) تفسير ابن أبي حاتم(١٨٩٢٣):ص١٠/٣٣٦٢.

عن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب: "حدثني رجل ثقة يرفعه إلى علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الله تعالى: {وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ}، هو علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-«^(١). قال ابن كثير "إسناده ضعيف. وهو منكر جداً"^(٢).

عن أسماء بنت عميس قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «وصالح المؤمنين هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه»^(٣).

الخامس: أبو بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم-. وهذا قول الحسن البصري^(٤).

السادس: أنهم أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، قاله السدي^(٥).

وقال الكلبي: "هم المخلصون الذين ليسوا بمنافقين"^(٦).

السابع: أنهم الملائكة، قاله ابن زيد^(٧).

الثامن: أنهم خيار المؤمنين -على العموم-. قاله الضحاك^(٨).

قال النحاس: "اختلفوا في «صالح المؤمنين»، فمن أصح ما قيل فيه: إنه لكل صالح من المؤمنين، ولا يخص به واحد إلا بتوقيف، وقد روي أنه يراد به عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو كان الداخل في هذه القصة المتكلم فيها، ونزل القرآن ببعض ما قاله في هذه القصة، وقيل: هو أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقيل: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه"^(٩).

قال الطبري: "الصواب من القول في ذلك عندي: أن قوله: {وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ}، وإن كان في لفظ واحد، فإنه بمعنى الجميع، وهو بمعنى قوله: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}، فالإنسان وإن كان في لفظ واحد، فإنه بمعنى الجميع، وهو نظير قول الرجل: لا تقرين إلا قارئ القرآن، يقال: قارئ القرآن، وإن كان في اللفظ واحداً، فمعناه الجمع، لأنه قد أذن لكل قارئ القرآن أن يقريه، واحداً كان أو جماعة"^(١٠).

قوله تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [التحريم: ٤]، أي: "والملائكة بعد نصره الله أعوان له ونصراء على من يؤذيه ويعاديه"^(١١).

قال الطبري: "يقول: والملائكة مع جبريل وصالح المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعوان على من أذاه، وأراد مساءته. والظهير في هذا الموضع بلفظ واحد في معنى جمع"^(١٢).

قال مقاتل: "يعني: أعوانا للنبي -صلى الله عليه وسلم- عليكما إن تظاهرتما عليه"^(١٣).

قال الزجاج: "أي: والملائكة أيضاً نصراً للنبي -صلى الله عليه وسلم-"^(١٤).

قال ابن زيد: "وبدأ بصالح المؤمنين ها هنا قبل الملائكة، قال: {وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ}"^(١).

(١) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٤٨/٩، وانظر: تفسير القرطبي: ١٨ / ١٨٩، شواهد التنزيل: ٢ / ٣٤١.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٦٧/٨.

(٣) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٤٨/٩، وانظر: فتح الباري: ١٠ / ٣٥٣.

(٤) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٦٤/٨.

(٥) حكاه الماوردي في "النكت والعيون": ٤١/٦.

(٦) حكاه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٤٨/٩.

(٧) حكاه الماوردي في "النكت والعيون": ٤١/٦.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٣-٤٨٧.

(٩) معاني القرآن: ٣٠٣/٤.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٨٧/٢٣.

(١١) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(١٢) تفسير الطبري: ٤٨٧/٢٣.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٧٧/٤.

(١٤) معاني القرآن: ١٩٣/٥.

قال السعدي: " وفي هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد المرسلين، حيث جعل الباري نفسه الكريمة، وخواص خلفه، أعواناً لهذا الرسول الكريم" (٢).

القرآن

{عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلَمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥)} [التحریم : ٥]

التفسير:

عسى ربُّه إن طلقنَّ -أيتهن الزوجات- أن يزوجه بدلا منكن زوجات خاضعات لله بالطاعة، مؤمنات بالله ورسوله، مطيعات لله، راجعات إلى ما يحبه الله من طاعته، كثيرات العبادة له، صائمات، منهنَّ الثيبات، ومنهنَّ الأبكار.

سبب النزول:

عن أنس، عن عمر، قال: "بلغني عن بعض أمهاتنا، أمهات المؤمنين شدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذاهن إياه، فاستقرت بهن امرأة امرأة، أعظها وأنهاها عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقول: إن أبيتنَّ أبدله الله خيرا منكن، حتى أتيت، حسبت أنه قال على زينب، فقالت: يا ابن الخطاب، أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ فأمسكت، فأنزل الله: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ} (٣).

قوله تعالى: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ} [التحریم : ٥]، أي: أي حق واجب على الله إن طلقنَّ رسوله، أن يعطيه -عليه السلام- بدلكنَّ زوجات صالحات خيرا وأفضل منكن" (٤).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: عسى ربَّ محمد إن طلقنَّ يا معشر أزواج محمد صلى الله عليه وسلم أن يبده منكن أزواجا خيرا منكن" (٥).

قال السعدي: " أي: فلا ترفعن عليه، فإنه لو طلقن، لم يضق عليه الأمر، ولم يكن مضطرا إلیکن، فإنه سيلقى ويبده الله أزواجا خيرا منكن، دينا وجمالا وهذا من باب التعليق الذي لم يوجد، ولا يلزم وجوده، فإنه ما طلقهن" (٦).

عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن: عسى ربه إن طلقهن أن يبده أزواجا خيرا منكن، قال: فنزل كذلك" (٧).

قال ابن كثير: " وقد تقدّم أن عمر-رضي الله عنه- وافق القرآن في أماكن، منها في نزول الحجاب، ومنها في أسارى بدر، ومنها قوله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله: {وَآخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ} [البقرة : ١٢٥] (٨).

وقرى: «يبده أزواجا»، بتشديد الدال، من التبديل (٩).

قوله تعالى: {مُسْلِمَاتٍ} [التحریم : ٥]، أي: "خاضعات مستسلمات لأمر الله تعالى وأمر رسوله" (١٠).

(١) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢٣-٤٨٨.

(٢) تفسير السعدي: ٨٧٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٨٨/٢٣.

(٤) صفوة التفاسير: ٣٨٥/٣.

(٥) تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٣.

(٦) تفسير السعدي: ٨٧٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٨٨/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٦٥/٨.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٣.

(١٠) صفوة التفاسير: ٣٨٥/٣.

قال الطبري: " يقول: خاضعات لله بالطاعة"^(١).
قال السعدي: أي: " القيام بالشرائع الظاهرة"^(٢).
قوله تعالى: {مُؤْمِنَاتٍ} [التحریم : ٥]، أي: " مصدقات بالله وبرسوله"^(٣).
قال السعدي: " الإيمان، وهو: القيام بالشرائع الباطنة، من العقائد وأعمال القلوب"^(٤).
قوله تعالى: {قَائِمَاتٍ} [التحریم : ٥]، أي: " مطيعات لما يُؤمن به، مواظباتٍ على الطاعة"^(٥).

قال الطبري: " يقول: مطيعات لله"^(٦).
عن قتادة، وابن زيد: "قَائِمَاتٍ"، قال: مطيعات"^(٧).
قال السعدي: " القنوت: هو دوام الطاعة واستمرارها"^(٨).
قوله تعالى: {تَائِبَاتٍ} [التحریم : ٥]، أي: " تائباتٍ من الذنوب، ولا يصرن على معصية"^(٩).

قال الطبري: " يقول: راجعات إلى ما يحبه الله منهنّ من طاعته عما يكرهه منهنّ"^(١٠).
قال السعدي: " {تَائِبَاتٍ} عما يكرهه الله، فوصفهن بالقيام بما يحبه الله، والتوبة عما يكرهه الله"^(١١).

قوله تعالى: {عَابِدَاتٍ} [التحریم : ٥]، أي: " متعبدات لله تعالى يكثرن العبادة، كأنّ العبادة امتزجت بقلوبهن حتى صارت سجية لهن"^(١٢).
قال الطبري: " يقول: متذللات لله بطاعته"^(١٣).

قوله تعالى: {سَائِحَاتٍ} [التحریم : ٥]، أي: " مسافراتٍ مهاجراتٍ إلى الله ورسوله"^(١٤).
وفي قوله تعالى: {سَائِحَاتٍ} [التحریم : ٥]، وجهان من التفسير:
أحدهما : صائمات، وهو قول أم المؤمنين عائشة^(١٥)، وابن مسعود^(١٦)، وأبي هريرة^(١٧)، وابن عباس^(١٨)، والحسن^(١٩)، وإبراهيم النخعي^(٢٠)، وأبي عبد الرحمن السلمي^(٢١)، وابن

(١) تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٣.

(٢) تفسير السعدي: ٨٧٢.

(٣) تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٣.

(٤) تفسير السعدي: ٨٧٢.

(٥) صفوة التفاسير: ٣٨٥/٣.

(٦) تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٨٩/٢٣.

(٨) تفسير السعدي: ٨٧٢.

(٩) صفوة التفاسير: ٣٨٥/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٣.

(١١) تفسير السعدي: ٨٧٢.

(١٢) صفوة التفاسير: ٣٨٥/٣-٣٨٦.

(١٣) تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٣.

(١٤) صفوة التفاسير: ٣٨٦/٣.

(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٧٣١٣):ص١٤/٥٠٥-٥٠٦.

قال المحقق: "إبراهيم بن يزيد الخوزي " ، متروك الحديث ، مضى برقم : ٧٤٨٤ ، ١٦٢٥٩ .
و " الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث " ، ثقة ، مضى برقم : ١٦٢٥٩ ، ولم يدرك أن يروي عن عائشة ، فهو مرسل عن عائشة . فهذا خير ضعيف الإسناد جدا .

(١٦) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٩٦):ص١٤/٥٠٤، وتفسير ابن ابي حاتم(١٠٠٢٨):ص١٨٨٩/٦.

(١٧) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٨٨):ص١٤/٥٠٣.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٣.

(١٩) انظر: تفسير الطبري(١٧٣٠٤):ص١٤/٥٠٤، والنكت والعيون: ٤٢/٦.

(٢٠) انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٥/٨.

(٢١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ١٨٩٠/٦ حكاه دون ذكر السند.

جبير^(١)، وأبي الحسن^(٢)، وأبي عياض^(٣)، وعطاء^(٤)، وقتادة^(٥)، والضحاك^(٦)، ووهب بن منبه^(٧)،
والربيع بن أنس^(٨)، وأبي عمرو العدي^(٩)، والسدي^(١٠)، وبه قال الفراء^(١١)، وأبو عبيدة^(١٢)،
وابن قتيبة^(١٣)، والطبري^(١٤)، والزجاج^(١٥).

قال ابن كثير: "فهذه أصح الأقوال وأشهرها"^(١٦).

قال أبو أحمد السامري بسنده إلى ابن عباس: "يعني: صائمت بلغة هذيل"^(١٧).

قال السجستاني: "السياحة في هذه الأمة الصوم"^(١٨).

قال الفراء: "نرى أن الصائم إنما سمي سائحاً لأن السائح لا زاد معه، وإنما يأكل حيث
يجد، فكأنه أخذ من ذلك. والله أعلم"^(١٩).

قال ابن قتيبة: "ويرى أهل النظر: أنه إنما سمي الصائم سائحاً: تشبيهاً بالسائح الذي لا
زاد معه"^(٢٠).

قال الماوردي: "وقال الزهري: "قيل للصائم سائح لأن الذي كان يسيح في الأرض
متعبداً لا زاد معه كان ممسكاً عن الأكل، والصائم يمسك عن الأكل، فهذه المشابهة سمي
الصائم سائحاً، وإن أصل السياحة الاستمرار على الذهاب في الأرض كالماء الذي يسيح،
والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المشتته، وهو الأكل والشرب والوقاع. وعندني فيه
وجه آخر وهو أن الإنسان إذا امتنع عن الأكل والشرب والوقاع وسد على نفسه أبواب الشهوات
انفتحت عليه أبواب الحكم وتجلت له أنوار المتنقلين من مقام إلى مقام ومن درجة إلى درجة
فتحصل له سياحة في عالم الروحانيات"^(٢١).

الثاني: مهاجرات، لأنهن بسفر الهجرة سائحات، قاله زيد بن أسلم^(٢٢)، وابنه عبدالرحمن^(٢٣).
عن ابن زيد، في قوله: "سَائِحَاتٍ"، قال: مهاجرات، ليس في القرآن، ولا في أمة
محمد سياحة إلا الهجرة، وهي التي قال الله: {السَّائِحُونَ}^(٢٤).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧٢٩٤): ص ١٤/٥٠٣، والنكت والعيون: ٤٢/٦.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٩٠/٦، حكاه دون ذكر السند.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٩٠/٦، حكاه دون ذكر السند.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧٣٠٩): ص ١٤/٥٠٥، و تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٩٠/٦، حكاه دون ذكر السند.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧٣١١): ص ١٤/٥٠٥.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٩٠/٦، حكاه دون ذكر السند.

(٩) انظر: تفسير الطبري (١٧٣٠٢): ص ١٤/٥٠٤.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٥/٨.

(١١) انظر: معاني القرآن: ١٦٧/٣.

(١٢) انظر: مجاز القرآن: ٢٦١/٢.

(١٣) انظر: غريب القرآن: ٤٧٢.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٣.

(١٥) انظر: معاني القرآن: ٤٧٢/٢.

(١٦) تفسير ابن كثير: ٢٢٠/٤.

(١٧) اللغات في القرآن: ٣٠.

(١٨) غريب القرآن: ٢٧٠.

(١٩) انظر: معاني القرآن: ١٦٧/٣.

(٢٠) غريب القرآن: ٤٧٢، كما حكى في اللسان بزيادة. وذكر نحوه القرطبي ١٥٤/١٨ وصاحب البحر
٢٩١/٨ عن الفراء وابن قتيبة، والطبري: ٤٨٩/٢٣ عن بعض أهل العربية. وذكره الزمخشري ٤٧١/٢،
والفخر ١٧٣/٨ بدون عزو.

(٢١) النكت والعيون: ٤٢/٦.

(٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٣.

(٢٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٥/٨.

(٢٤) أخرجه الطبري: ٤٩٠/٢٣.

قوله تعالى: {ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا} [التحریم : ٥]، أي: "منهنَّ ثَيِّبَاتٍ، ومنهنَّ أَبْكَارًا"^(١).
قال الطبري: "ثَيِّبَاتٍ": وهن اللواتي قد افترعن وذهبت عذرتهن، {وَأَبْكَارًا}: وهنَّ اللواتي لم يجامعن، ولم يفترعن"^(٢).

قال ابن كثير: "أي: منهنَّ ثَيِّبَاتٍ، ومنهنَّ أَبْكَارًا، ليكون ذلك أشهى إلى النفوس، فإنَّ التَّنوع يبسط النفس؛ ولهذا قال: {ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا}"^(٣).

قال السعدي: "أي: بعضهنَّ ثَيِّبٌ، وبعضهنَّ أَبْكَارٌ، ليتنوع صلى الله عليه وسلم، فيما يحب، فلما سمعن -رضي الله عنهن- هذا التخويف والتأديب، بادرن إلى رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان هذا الوصف منطبقاً عليهن، فصرن أفضل نساء المؤمنين، وفي هذا دليل على أن الله لا يختار لرسوله صلى الله عليه وسلم إلا أكمل الأحوال وأعلى الأمور، فلما اختار الله لرسوله بقاء نسائه المذكورات معه دل على أنهن خير النساء وأكملهن"^(٤).

عن ابن بُرَيْدَةَ، عن أبيه: {ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا} قال: وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن يزوجه، فالثيب: أسية امرأة فرعون، وبالأبكار: مريم بنت عمران"^(٥).

عن ابن عمر قال: "جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بموت خديجة فقال: إن الله يقربها السلام، ويبشرها ببيت في الجنة من قصب، بعيد من اللهب، لا نصب فيه ولا صخب، من لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت أسية بنت مزاحم"^(٦).

عن ابن عباس: "أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة، وهي في الموت فقال: "يا خديجة، إذا لقيت ضرائك فأقربيهن مني السلام". فقالت: يا رسول الله، وهل تزوجت قبلي؟ قال: "لا"، ولكن الله زوجني مريم بنت عمران، وأسية امرأة فرعون، وكلتُم أخت موسى"^(٧).

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُعْلِمْتُ أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران، وكلتُم أخت موسى، وأسية امرأة فرعون". فقلت: هنيئاً لك يا رسول الله"^(٨).

فوائد الآيات: [١-٥]:

- ١- تقرير نبوته صلى الله عليه وسلم وبشريته الكاملة.
- ٢- أخذ الشافعي وأحمد رحمهما الله تعالى من هذه الآية أن من قال لزوجته أنت حرام أو حرمتك وهو لم ينو طلاقها أن عليه كفارة يمين لا غير، وذكر القرطبي في هذه المسألة ثمانية عشر قولاً للفقهاء أشدها البتة وأرفقها أن فيها كفارة يمين كما هو مذهب الإمامين الشافعي وأحمد رحمهما الله تعالى.
- ٣- كرامة الرسول صلى الله عليه وسلم على ربه.
- ٤- فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)} [التحریم : ٦]

(١) صفوة التفاسير: ٣٨٦/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٦٦/٨.

(٤) تفسير السعدي: ٨٧٢.

(٥) ذكره ابن كثير في "التفسير": ١٦٦/٨، ولم أقف عليه في المطبوع من المعجم الكبير للطبراني.

(٦) تاريخ دمشق (ص ٣٨٣) "تراجم النساء" ط. المجمع العلمي بدمشق.

(٧) تاريخ دمشق (ص ٣٨٤) "تراجم النساء" ط. المجمع العلمي بدمشق. [ضعيف]

(٨) رواه أبو يعلى كما في تفسير ابن كثير: "١٦٦/٨"، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٠٩/٨) والعقيلي في الضعفاء (٤٥٩/٤) من طريق عبد النور بن عبد الله به، وعبد النور كذاب، قال العقيلي: "وليس بمحفوظ".

التفسير:

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، احفظوا أنفسكم بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه، واحفظوا أهليكم بما تحفظون به أنفسكم من نار وقودها الناس والحجارة، يقوم على تعذيب أهلها ملائكة أقوياء قساة في معاملاتهم، لا يخالفون الله في أمره، وينفذون ما يؤمرون به.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [التحريم : ٦]، أي: "يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله"^(٢).

قوله تعالى: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم : ٦]، أي: "احفظوا أنفسكم بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه، واحفظوا أهليكم بما تحفظون به أنفسكم من نار حامية مستعمرة"^(٣).

قال الطبري: "يقول: علموا بعضكم بعضا ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله، و علموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به. أنفسهم من النار"^(٤).

قال الزمخشري: "﴿قُوا أَنفُسَكُمْ﴾ بترك المعاصي وفعل الطاعات، ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم، وفي الحديث: «رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة»^(٥)، وقيل: إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل أهله"^(٦).

قال السعدي: "وقاية الأنفس بالزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالا ونهيه اجتنابا، والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل والأولاد، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم ممن هو تحت ولايته وتصرفه"^(٧).

قال علي بن أبي طالب -رضى الله عنه-: "علموهم، وأدّبوهم"^(٨). وفي رواية: "يقول: أدّبوهم، علموهم"^(٩).

قال ابن عباس: "يقول: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذکر يُنجيكم الله من النار"^(١٠).

قال مجاهد: "اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوى الله"^(١١).

قال قتادة: "مروهم بطاعة الله، وأنهوهم عن معصيته"^(١٢).

قال قتادة: "يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليه بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت الله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها"^(١٣).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(٢) تفسير الطبري: ٤٩١/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٠، وصفوة التفسير: ٣٨٦/٣.

(٤) تفسير الطبري: ٤٩١/٢٣ / ٤٩٢.

(٥) لم أجده.

(٦) الكشف: ٥٦٨/٤.

(٧) تفسير السعدي: ٨٧٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢٣ - ٤٩٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢٣ - ٤٩٢.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢٣ - ٤٩٢.

وفي معنى هذه الآية ما رواه عبد الملك بن الربيع بن سبرة، عن أبيه، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها"^(١).

قال الفقهاء : "وهكذا في الصوم ؛ ليكون ذلك تمريناً له على العبادة، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر"^(٢).
قوله تعالى: {وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [التحریم : ٦]، أي: "خطبها الذي تُسَعَّرُ به نار جهنم هو الخلائق والحجارة"^(٣).

قال الطبري: يقول: "خطبها الذي يوقد على هذه النار بنو آدم وحجارة الكبريت"^(٤).
قال ابن كثير: "أي : خطبها الذي يلقي فيها جُثث بني آدم. {وَالْحِجَارَةُ} قيل : المراد بذلك الأصنام التي كانت تعبد لقوله: {لَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ} [الأنبياء : ٩٨]"^(٥).

وفي {الْحِجَارَةُ} [التحریم : ٦]، قولان:
أحدهما : أنها حجارة من كبريت، وهذا قول ابن مسعود^(٦)، وأبي جعفر الباقر^(٧)، ومجاهد^(٨)، والسدي^(٩)، وابن جريج^(١٠).

قال ابن مسعود: "إن الحجارة التي سماها الله في القرآن: {وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}، حجارة من كبريت خلقها الله تعالى عنده كيف يشاء"^(١١).

عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: {اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [البقرة : ٢٤]، أما الحجارة، فهي حجارة في النار من كبريت أسود، يُعذبون به مع النار"^(١٢).

قال السدي: "فأما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار"^(١٣).

قال ابن جريج: "حجارة من كبريت أسود في النار"^(١٤).
وقال مجاهد: "حجارة -أنتن من الجيفة- من كبريت"^(١٥).
الثاني: أنها حجارة أصلب من هذه الحجارة التي في الدنيا وأعظم. وهذا قول عمرو بن دينار^(١٦).

عن أنس قال: "تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [التحریم: ٦] قال: "أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى اسودت، فهي سوداء كالليل، لا يضيء لهبها"^(١).

(١) المسند (٤٠٤/٣) وسنن أبي داود برقم (٤٩٤)، و(٤٩٥)، وسنن الترمذي برقم (٤٠٧).

(٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٦٧/٨.

(٣) صفوة التفاسير: ٣٨٦/٣.

(٤) تفسير الطبري: ٤٩٢ / ٤٩١ / ٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٦٧/٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري (٥٠٧): ص ٣٨٢/١، وابن أبي حاتم (٢٤٤): ص ٦٤/١.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٦٤/١، حكاه بدون سند، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٦٧/٨.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٤٦): ص ٦٤/١.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٤٥): ص ٦٤/١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري (٢٣): ص ٣٨٢/١.

(١١) أخرجه الطبري (٥٠٧): ص ٣٨٢/١، وابن أبي حاتم (٢٤٤): ص ٦٤/١.

(١٢) أخرجه الطبري (٥٠٥): ص ٣٨٢/١.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٤٥): ص ٦٤/١.

(١٤) أخرجه الطبري (٢٣): ص ٣٨٢/١.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٤٦): ص ٦٤/١.

(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٤٧): ص ٦٥/١.

عن عبد العزيز بن أبي أرواد - رضي الله عنه - قال: "بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [التحریم: ٦]، ولفظ الحكيم: لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم هذه الآية، تلاها على أصحابه - وفيهم شيخ - ولفظ الحكيم: فتى. فقال: يا رسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا». فوقع مغشيا عليه، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فإذا هو حي، فناداه فقال: قل لا إله إلا الله. فقالها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه: يا رسول الله أمن بيننا؟ فقال: نعم يقول الله عز وجل: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ} [الرحمن : ٤٦]، {ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ} [إبراهيم : ١٤]"^(٢).

قوله تعالى: {عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ} [التحریم : ٦]، أي: "يقوم على تعذيب أهلها ملائكة أقوياء قساة في معاملاتهم"^(٣).
قال الطبري: "يقول: على هذه النار ملائكة من ملائكة الله، غلاظ على أهل النار، شداد عليهم"^(٤).

قال السعدي: "أي: غليظة أخلاقهم، عظيم انتهاارهم، يفرعون بأصواتهم ويخيفون بمرآهم، ويهينون أصحاب النار بقوتهم، ويمتثلون فيهم أمر الله، الذي حتم عليهم العذاب وأوجب عليهم شدة العقاب"^(٥).

قوله تعالى: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ} [التحریم : ٦]، أي: "لا يخالفون الله في أمره"^(٦).
قال الطبري: "يقول: لا يخالفون الله في أمره الذي يأمرهم به"^(٧).
قال ابن كثير: "أي: مهما أمرهم به تعالى يبادروا إليه، لا يتأخرون عنه طرفة عين، وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه. وهؤلاء هم الزبانية عبادًا بالله منهم"^(٨).
قوله تعالى: {وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحریم : ٦]، أي: "وينفذون ما يؤمرون به بدون إمهال ولا تأخير"^(٩).

قال الطبري: "يقول: وينتهون إلى ما يأمرهم به ربهم"^(١٠).
قال السعدي: "وهذا فيه أيضًا مدح للملائكة الكرام، وانقيادهم لأمر الله، وطاعتهم له في كل ما أمرهم به"^(١١).

قال الزمخشري: "فإن قلت: أليست الجملتان: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ}، {وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} في معنى واحد؟
قلت: لا، فإن معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمون بها ولا يابونها ولا ينكرونها. ومعنى الثانية: أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتناقلون عنه ولا يتوانون فيه"^(١٢).

(١) رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه كما في تفسير ابن كثير: ٤ / ١٨٩ - ١٩٠، ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٧٩٩) من طريق سهل بن حماد عن مبارك بن فضالة به نحوه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٢٢٩): ص ٧ / ٢٢٣٧ - ٢٢٣٨.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(٤) تفسير الطبري: ٤٩٢/٢٣.

(٥) تفسير السعدي: ٨٧٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(٧) تفسير الطبري: ٤٩٢/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٦٨/٨.

(٩) انظر: التفسير الميسر: ٥٦٠، وصفوة التفاسير: ٣٨٦/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٩٢/٢٣.

(١١) تفسير السعدي: ٨٧٤.

(١٢) الكشاف: ٤ / ٥٦٨ - ٥٦٩.

عن إسماعيل بن عبيد الله، قال: "كان داود - عليه السلام - يُعائب في كثرة البكاء، فيقول: ذروني أبك قبل يوم البكاء؛ قيل تحريق العظام، واشتعال اللحي، قيل أن يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون" (١).

عن عبد العزيز بن أبي رواد، قال: "مرّ عيسى - عليه السلام - بجبل مُعلق بين السماء والأرض، فدخل فيه، وبكى، وتعجب من حوله، ثم خرج إلى من حوله، فسأل: ما قصة هذا الجبل؟ فقالوا: مالنا به علم، كذلك أدركنا آبائنا. فقال: يا رب، ائذن لهذا الجبل يُخبرني ما قصته. فأذن له، فقال: لما قال الله: {وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} طُرت؛ خفت أن أكون من وقودها، فادعُ الله أن يُؤمّني. فدعا الله تعالى، فأمنه، فقال: الآن قررت. فقرّ على الأرض" (٢).

عن كعب الأحبار، قال: "ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة، مع كل واحد منهم عمود له شُعبتان، يدفع به الدفعة، يصرع به في النار سبعمئة ألف" (٣).

أبي عمران الجوني، قال: "بلغنا: أن خزنة النار تسعة عشر، ما بين منكب أحدهم مسيرة مائة خريف، ليس في قلوبهم رحمة، إنما خلّقوا للعذاب، يضرب الملك منهم الرجل من أهل النار الضربة فيتركه طحيماً من لدن قرنه إلى قدمه" (٤).

عن محمد بن أبي عامر المكي، قال: "خلق الله الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق البهائم من ماء، وخلق آدم من طين، فجعل الطاعة في الملائكة، وجعل المعصية في الجن والإنس" (٥).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧)} [التحريم : ٧]

التفسير:

ويقال للذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكفروا به عند إدخالهم النار: لا تلتمسوا المعاذير في هذا اليوم؛ إنما تعطون جزاء الذي كنتم تعملونه في الدنيا.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ} [التحريم : ٧]، أي: "ويقال للذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكفروا به عند إدخالهم النار: لا تلتمسوا المعاذير في هذا اليوم" (٦).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيله يوم القيامة للذين جحدوا وحدانيته في الدنيا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا} الله {لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ}" (٧).

قال ابن كثير: "أي: يقال للكفرة يوم القيامة: لا تعتذروا فإنه لا يقبل منكم" (٨).

قوله تعالى: {إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [التحريم : ٧]، أي: "إنما تعطون جزاء الذي كنتم تعملونه في الدنيا" (٩).

قال الطبري: "يقول: يقال لهم: إنما تثابون اليوم، وذلك يوم القيامة، وتعطون جزاء أعمالكم التي كنتم في الدنيا تعملون، فلا تطلبوا المعاذير منها" (١٠).

قال ابن كثير: "أي: إنما تجزون اليوم بأعمالكم" (١١).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار - موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦ / ٤٤٧ (٢٢١) - .

(٢) الدر المنثور: ٢٢٥/٨ - ٢٢٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٣١/١٨.

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (٣١٢) بنحوه.

(٥) الدر المنثور: ٢٢٥/٨، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(٧) تفسير الطبري: ٤٩٢/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٦٨/٨.

(٩) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٩٢/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ١٦٨/٨.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨)} [التحرير : ٨ :

التفسير :

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، ارجعوا عن ذنوبكم إلى طاعة الله رجوعاً لا معصية بعده، عسى ربكم أن يمحو عنكم سيئات أعمالكم، وأن يدخلكم جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه، ولا يعذبهم، بل يُعلي شأنهم، نور هؤلاء يسير أمامهم وبأيمنهم حال مشيهم على الصراط بقدر أعمالهم، يقولون: ربنا أتمم لنا نورنا حتى نجوز الصراط، ونهتدي إلى الجنة، واعف عنا وتجاوز عن ذنوبنا واسترها علينا، إنك على كل شيء قدير.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا} [التحرير : ٨]، أي: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، ارجعوا عن ذنوبكم إلى طاعة الله رجوعاً لا معصية بعده"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله، وإلى ما يرضيه عنكم، رجوعاً لا تعودون فيها أبداً"^(٢).

قال ابن كثير: "أي : توبة صادقة جازمة، تمحو ما قبلها من السيئات وتلم شعث التائب وتجمعه، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدنئات.. فأما إذا حَزَمَ بالتوبة وصَمَمَ عليها فإنها تُجِبُ ما قبلها من الخطيئات، كما ثبت في الصحيح : «الإسلام يَجِبُ ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها»^(٣)، وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرارُ على ذلك إلى الممات، كما تقدم في الحديث وفي الأثر : «لا يعود فيه أبداً»^(٤)، أو يكفي العزم على ألا يعود في تكفير الماضي، بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضاراً في تكفير ما تقدم، لعموم قوله، عليه السلام : "التوبة تجب ما قبلها؟". ولالأول أن يحتج بما ثبت في الصحيح أيضاً : «مَنْ أَحْسَنَ في الإسلام لم يُؤَاخَذْ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر»^(٥)، فإذا كان هذا في الإسلام الذي هو أقوى من التوبة، فالتوبة بطريق الأولى"^(٦).

قال الزمخشري: "وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي، والنصح: صفة التائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم، فيأتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيئات، وذلك: أن يتوبوا عن القبائح لقبحها، نادمين عليها، مغتمين أشد الغتنام لارتكابها، عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح إلى أن يعود اللبث في الضرع، موطنين أنفسهم على ذلك"^(٧).

عن عبد الله: "تَوْبَةٌ نَّصُوحًا"، قال: يتوب ثم لا يعود"^(٨).

قال عبدالله: "التوبة النصوح: الرجل يذنب الذنب ثم لا يعود فيه"^(٩).

(١) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٢) تفسير الطبري: ٤٩٣/٢٣.

(٣) صحيح مسلم برقم (١٢١) من حديث عمرو بن العاص، رضي الله عنه.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/٢٣-٤٩٤.

(٥) صحيح البخاري برقم (٦٩٢١) وصحيح مسلم برقم (١٢٠) من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٦٨/٨.

(٧) الكشاف: ٥٦٩/٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٣.

عن النعمان بن بشير: " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن التوبة النصوح قال: أن يتوب الرجل من العمل السيئ، ثم لا يعود إليه أبدًا"^(١).

عن النعمان بن بشير، قال: "سئل عمر عن التوبة النصوح، قال: التوبة النصوح: أن يتوب الرجل من العمل السيئ، ثم لا يعود إليه أبدًا"^(٢). وفي رواية: "التوبة النصوح: أن تتوب من الذنب ثم لا تعود فيه، أو لا تريد أن تعود"^(٣). وفي رواية: "يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه"^(٤).

قال ابن عباس: " أن لا يعود صاحبها لذلك الذنب الذي يتوب منه، ويقال: توبته أن لا يرجع إلى ذنب تركه"^(٥).

قال مجاهد: " يستغفرون ثم لا يعودون"^(٦).

قال الضحاك: " النصوح. أن تحول عن الذنب ثم لا تعود له أبدًا"^(٧).

وعن حذيفة: "بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه"^(٨).

قال قتادة: " هي الصادقة الناصحة"^(٩).

قال ابن زيد: " التوبة النصوح الصادقة، يعلم أنها صدق ندامة على خطيئته، وحب الرجوع إلى طاعته، فهذا النصوح"^(١٠).

قال الحسن: " التوبة النصوح : أن تُبغض الذنب كما أحببته، وتستغفر منه إذا ذكرته"^(١١).

قال ابن أبي حاتم: " وبسند ضعيف عن أبي بن كعب قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن التوبة النصوح فقال: « هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك عند الحافر ثم لا تعود إليه أبدًا»"^(١٢).

وعن شهر بن حوشب: " أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار"^(١٣).

وعن ابن السماك: " أن تنصب الذنب الذي أقلت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك"^(١٤).

وعن السدي: " لا تصح التوبة إلا بنصيحة النفس والمؤمنين، لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله"^(١٥).

عن علي -رضي الله تعالى عنه-: " أنه سمع أعرابيا يقول: اللهم إنى أستغفرك وأتوب إليك، فقال: يا هذا، إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين. قال: وما التوبة؟ قال: يجمعها ستة أشياء: على الماضي من الذنوب: الندامة، والفرانض: الإعادة، ورد المظالم، واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله، كما ربيتها في المعصية، وأن تدبّقها مرارة الطاعات كما أدققتها حلوة المعاصي"^(١٦).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٢٥):ص٣٣٦٢/١٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٩٣/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٩٣/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٩٣/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٣.

(٨) حكاه عنه الزمخشري في "الكشاف": ٥٦٩/٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٩٥-٤٩٤/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٩٥/٢٣.

(١١) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٦٩/٨.

(١٢) تفسير ابن أبي حاتم(١٨٩٢٦):ص٣٣٦٢/١٠.

(١٣) حكاه عنه الزمخشري في "الكشاف": ٥٦٩/٤.

(١٤) حكاه عنه الزمخشري في "الكشاف": ٥٦٩/٤.

(١٥) حكاه عنه الزمخشري في "الكشاف": ٥٦٩/٤.

(١٦) حكاه عنه الزمخشري في "الكشاف": ٥٦٩/٤.

عن أبي بن كعب قال : " قيل لنا أشياء تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة، منها نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها، وذلك مما حرم الله ورسوله، ويمقت الله عليه ورسوله، ومنها : نكاح الرجل الرجل، وذلك مما حرم الله ورسوله، ويمقت الله عليه ورسوله. ومنها نكاح المرأة المرأة، وذلك مما حرم الله ورسوله، ويمقت الله عليه ورسوله. وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا، حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحًا. قال زر : فقلت لأبي بن كعب : فما التوبة النصوح ؟ فقال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " هو الندم على الذنب حين يفرط منك، فتستغفر الله بندا منك منه عند الحاضر، ثم لا تعود إليه أبدًا" (١).
وقرى: «نُصُوْحًا»، بضمّ النون، بمعنى المصدر من قولهم: نصح فلان لفلان نُصُوْحًا (٢).

قوله تعالى: {عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} [التحریم : ٨]، أي: "عسى ربكم أن يمحو عنكم سيئات أعمالكم" (٣).
قال الطبري: " يقول: عسى ربكم أيها المؤمنون أن يمحو سيئات أعمالكم التي سلفت منكم" (٤).

قال ابن كثير: " {عَسَىٰ} من الله موجبة" (٥).
قال ابن عباس: " «عسى» من الله واجب" (٦).
قوله تعالى: {وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [التحریم : ٨]، أي: " وأن يدخلكم جنات تجري من تحت قصورها الأنهار" (٧).

قال الطبري: " يقول: وأن يدخلكم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار" (٨).
قوله تعالى: {يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ} [التحریم : ٨]، أي: " يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه، ولا يعذبهم، بل يعطي شأنهم" (٩).
قال الطبري: يقول: " {يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ} محمداً صلى الله عليه وسلم {وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ}" (١٠).

قال ابن كثير: " أي : ولا يخزيهم معه يعني : يوم القيامة" (١١).
عن يحيى بن حسان، عن رجل من بني كنانة قال : "صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح، فسمعتة يقول : «اللهم، لا تخزني يوم القيامة»" (١٢).
قوله تعالى: {نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} [التحریم : ٨]، أي: " نور هؤلاء المؤمنين يسير أمامهم وبأيمنهم حال مشيهم على الصراط بقدر أعمالهم" (١٣).
قال الطبري: " يقول: يسعى نورهم أمامهم وبأيمنهم كتابهم" (١٤).

(١) المسند (٣٧٦/١) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٥٢) وقال البوصيري في الزوائد (٣٠٨/٣) : " هذا إسناد صحيح رجاله ثقات".

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٥/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٤) تفسير الطبري: ٤٩٥/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٧٠/٨.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٠٤٤): ص ٩٠٥/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٨) تفسير الطبري: ٤٩٥/٢٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٦١.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٩٥/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ١٧٠/٨.

(١٢) المسند (٢٣٤/٤).

(١٣) التفسير الميسر: ٥٦١.

(١٤) تفسير الطبري: ٤٩٥/٢٣.

عن ابن عباس قوله: "يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ" ... إلى قوله: {وَبِأَيْمَانِهِمْ} يأخذون كتابهم فيه البشرى" (١).

عن مجاهد، عن يزيد بن شجرة، قال: "كان يذكرنا ويبيكي، ويصدقّ قوله فعله، يقول: يا أيها الناس، إنكم مكتوبون عند الله - عز وجل - بأسمائكم وسيماكم، ومجالسكم ونجواكم وخلائكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان ابن فلان، هاك نورك، ويا فلان ابن فلان، لا نور لك" (٢).

عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير، أنه سمع أبا ذر وأبا الدرداء قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم، وأنظر عن يميني فأعرف أمتي من بين الأمم، وأنظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم". فقال رجل: يا رسول الله، وكيف تعرف أمتك من بين الأمم. قال: "غرُّ مُحجلون من آثار الطهور ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم" (٣).

قوله تعالى: {يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا} [التحریم : ٨]، أي: "يقولون: ربنا أتمم لنا نورنا حتى نجوز الصراط، ونهتدي إلى الجنة" (٤).

قال الطبري: "يقول جل ثناؤه مخبراً عن قيل المؤمنين يوم القيامة: يقولون ربنا أتمم لنا نورنا، يسألون ربهم أن يبقي لهم نورهم، فلا يطفئه حتى يجوزوا الصراط، وذلك حين يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا {انظرونا نقبس من نوركم}" (٥).
عن مجاهد، قوله: "رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا"، قال: قول المؤمنين حين يُطفأ نور المنافقين" (٦).

قال الحسن: "ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة، يعطى المؤمن والمنافق، فيطفأ نور المنافق، فيخشى المؤمن أن يطفأ نوره، فذلك قوله: {رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا}" (٧).

عن مجاهد، عن يزيد بن شجرة، قال: "كان يذكرنا ويبيكي، ويصدقّ قوله فعله، يقول: يا أيها الناس إنكم مكتوبون عند الله عز وجل بأسمائكم وسيماكم، ومجالسكم ونجواكم وخلاتكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان ابن فلان هاك نورك، ويا فلان ابن فلان، لا نور لك" (٨).
قوله تعالى: {وَأَغْفِرْ لَنَا} [التحریم : ٨]، أي: "واعف عنا وتجاوز عن ذنوبنا واسترها علينا" (٩).

قال الطبري: "يقول: واستر علينا ذنوبنا، ولا تفضحنا بها بعقوبتك إيانا عليها" (١٠).
قوله تعالى: {إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحریم : ٨]، أي: "إنك أنت القادر على كل شيء، من المغفرة والعقاب، والرحمة والعذاب" (١١).

(١) أخرجه الطبري: ٤٩٥/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٣.

(٣) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة برقم (٢٦١) ورواه أحمد في المسند (١٩٩/٥) من هذا الطريق - طريق ابن المبارك - وعن حسن، عن ابن لهيعة به نحوه، قال المنذري في الترغيب والترهيب (١٥١/١): "رواه أحمد، وفي إسناده ابن لهيعة، وهو حديث في المتابعات". وهو هنا من رواية ابن المبارك وهي رواية صحيحة.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٥) تفسير الطبري: ٤٩٥/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٦١.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٣.

(١١) صفوة التفاسير: ٢٨٧/٣.

قال الطبري: "يقول: إنك على إتمام نورنا لنا، وغفران ذنوبنا، وغير ذلك من الأشياء ذو قدرة"^(١).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: "أن الله تبارك وتعالى إنما سمي نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"^(٢).
فوائد الآيات: [٦-٨]:

١- وجوب العناية بالزوجة والأولاد وتربيتهم وأمرهم بطاعة الله ورسوله ونهيهم عن ترك ذلك.
٢- وجوب التوبة الفورية على كل من أذنب من المؤمنين والمؤمنات وهي الإقلاع من الذنب فوراً، أي تركه والتخلي عنه، ثم العزم على أن لا يعود إليه في صدق، ثم ملازمة الندم والاستغفار كلما ذكر ذنبه استغفر ربه وندم على فعله وإن كان الذنب متعلقاً بحق آدمي كأخذ ماله أو ضرب جسمه أو انتهاك عرضه وجب التحلل منه حتى يعفو ويسامح.

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ المصيرُ (٩)}
[التحریم : ٩]

التفسير:

يا أيها النبي جاهد الذين أظهروا الكفر وأعلنوه، وقتلهم بالسيف، وجاهد الذين أبطنوا الكفر وأخفوه بالحجة وإقامة الحدود وشعائر الدين، واستعمل مع الفريقين الشدة والخشونة في جهادهما، ومسكنهم الذي يصيرون إليه في الآخرة جهنم، وقُبْح ذلك المرجع الذي يرجعون إليه.
قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} [التحریم : ٩]، أي: "يا أيها النبي جاهد الذين أظهروا الكفر وأعلنوه، وقتلهم بالسيف، وجاهد الذين أبطنوا الكفر وأخفوه بالحجة وإقامة الحدود وشعائر الدين"^(٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ} بالسيف، {وَالْمُنَافِقِينَ} بالوعيد واللسان"^(٤).
قال ابن كثير: "يقول تعالى أمراً رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين، هؤلاء بالسلاح والقتال، وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم"^(٥).
قال الزمخشري: "{جاهد الكفار} بالسيف، {والمُنافقين} بالاحتجاج.. وقيل: بإفشاء أسرارهم"^(٦).

عن عبد الله بن مسعود في قوله: {جاهد الكفار والمنافقين}، قال: بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه، وليقله بوجه مكفهر"^(٧).

قال ابن عباس: "فأمره الله أن يجاهد الكفار بالسيف"^(٨). وروي عن الحسن والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس: مثله"^(٩).

قال الحسن: "جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين بالحدود، أقم عليهم حدود الله"^(١٠).
عن الحسن: "المنافقين بالحدود"^(١١). وروي عن قتادة: مثله"^(١١).

(١) تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٧٩): ص ٩٦٣/٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٤) تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٧٠/٨-١٧١.

(٦) الكشف: ٥٧٠/٤-٥٧١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٠٠): ص ١٨٤١/٦.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٠١): ص ١٨٤١/٦.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٤١/٦.

(١٠) أخرجه الطبري (١٦٩٦٥): ص ٣٥٩/١٤.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٠٢): ص ١٨٤١/٦.

قال قتادة: "أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يجاهد الكفار بالسيف، ويغلظ على المنافقين بالحدود"^(٢).

قال الربيع: "جهد المنافقين: ألا تظهر منهم معصية إلا أطفيت، ولا حدا إلا أقيم"^(٣).
وقال الضحاك: "جاهد الكفار بالسيف، وأغلظ على المنافقين بالكلام، وهو مجاهدتهم"^(٤).

قال الضحاك: "جاهد المنافقين بالقول"^(٥). وروي عن مقاتل بن حيان والربيع بن أنس: مثله^(٦).

قوله تعالى: {وَاعْظُ عَلَيْهِمْ} [التحریم : ٩]، أي: "واستعمل مع الفريقين الشدة والخشونة في جهادهما"^(٧).

قال الطبري: "يقول: وأشدد عليهم في ذات الله"^(٨).

قال ابن كثير: "أي: في الدنيا"^(٩).

قال الضحاك: "وأغلظ على المنافقين بالكلام"^(١٠).

قال ابن عباس: "أذهب الرفق عنهم"^(١١).

قال الزمخشري: "واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة"^(١٢).

قوله تعالى: {وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} [التحریم : ٩]، أي: "ومسكنهم الذي يصيرون إليه في الآخرة جهنم"^(١٣).

قال الطبري: "يقول: ومكثهم جهنم، ومصيرهم الذي يصيرون إليه نار جهنم"^(١٤).

قال محمد بن إسحاق: "ومأواهم (جهنم)، النار، أي: فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم، ما اعتصمتم بي، واتبعتم أمري، للمعصية التي أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم"^(١٥).

قوله تعالى: {وَبئْسَ الْمَصِيرُ} [التحریم : ٩]، أي: "وقُبْح ذلك المرجع الذي يرجعون إليه"^(١٦).

قال الطبري: "وبئس الموضع الذي يصيرون إليه جهنم"^(١٧).

قال ابن كثير: "أي: في الآخرة"^(١٨).

عن ابن أبي نجیح، قوله: "وَبئْسَ الْمَصِيرُ"، قال: مصير الكافر إلى النار، قال ابن أبي نجیح: سمعته من عكرمة فعرضته على مجاهد فلم ينكره"^(١٩).

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٤١/٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٠٣): ص ١٨٤١/٦.

(٤) أخرجه الطبري (١٦٩٦٤): ص ٣٥٩/١٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٠٥): ص ١٨٤٢/٦.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٤٢/٦.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٨) تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٧١/٨.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٠٧): ص ١٨٤٢/٦.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٠٦): ص ١٨٤٢/٦.

(١٢) الكشاف: ٥٧٠/٤-٥٧١.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٦١.

(١٤) تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٣.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٠٨): ص ١٨٤٢/٦.

(١٦) التفسير الميسر: ٥٦١.

(١٧) تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٣.

(١٨) تفسير ابن كثير: ١٧١/٨.

القرآن

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (١٠) [التحریم : ١٠]

التفسير:

ضرب الله مثلا لحال الكفرة -في مخالطتهم المسلمين وقربهم منهم ومعاشرتهم لهم، وأن ذلك لا ينفعهم لكفرهم بالله- بحال زوجة نبي الله نوح، وزوجة نبي الله لوط: حيث كانتا في عصمة عبيد من عبادنا صالحين، فوقعت منهما الخيانة لهما في الدين، فقد كانتا كافرتين، فلم يدفع هذان الرسولان عن زوجتيهما من عذاب الله شيئا، وقيل للزوجتين: ادخلا النار مع الداخلين فيها.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [التحریم : ١٠]، أي: "ضرب الله مثلا لحال الكفرة -في مخالطتهم المسلمين وقربهم منهم ومعاشرتهم لهم، وأن ذلك لا ينفعهم لكفرهم بالله- بحال زوجة نبي الله نوح، وزوجة نبي الله لوط" (١).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: مثل الله مثلا للذين كفروا من الناس وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط" (٢).

قال ابن كثير: "أي: في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم، أن ذلك لا يجدي عنهم شيئا ولا ينفعهم عند الله، إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم" (٣).
قال الزمخشري: "مثل الله عز وجل حال الكفار - في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير إبقاء ولا محابة، ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر، لأن عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلق وبيت الوصل، وجعلهم أبعد من الأجانب وأبعد، وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من أنبياء الله- بحال امرأة نوح وامرأة لوط" (٤).

قوله تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾ [التحریم : ١٠]، أي: "حيث كانتا في عصمة عبيد من عبادنا صالحين" (٥).
قال الطبري: "وهما نوح ولوط" (٦).
قال ابن كثير: "أي: نبيين رسولين عندهما في صحبتها ليلا ونهارًا يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط" (٧).

قال الزمخشري: "فإن قلت، ما فائدة قوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾؟ قلت: لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الإنسان كائنا من كان، وأنه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله: قال عبيد من عبادنا صالحين، فذكر النبيين المشهورين العلمين بأنهما عبادان لم يكونا إلا كسائر عبادنا، من غير تفاوت بينهما وبينهم إلا بالصلاح وحده إظهارا وإبانة، لأن عبدا من العباد لا يرجح عنده إلا بالصلاح لا غير، وأن ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده" (٨).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٠٩): ص ١٨٤٢/٦.

(٢) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٣) تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٧١/٨.

(٥) الكشف: ٥٧١/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٧) تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٧١/٨.

(٩) الكشف: ٥٧٢/٤.

قوله تعالى: {فَخَانَتَاهُمَا} [التحریم : ١٠]، أي: "فوقعت منهما الخيانة لهما في الدين، فقد كانتا كافرتين"^(١).

قال ابن كثير: "أي: في الإيمان، لم يوافقهما على الإيمان، ولا صدقهما في الرسالة، فلم يُجد ذلك كله شيئاً، ولا دفع عنهما محذورا.. وليس المراد: {فَخَانَتَاهُمَا} في فاحشة، بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصوماتٌ عن الوقوع في الفاحشة؛ لحرمة الأنبياء"^(٢).

قال الزمخشري: "نفاقهما وإبطانها الكفر، وتظاهرها على الرسولين، فامرأة نوح قالت لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط دلت على ضيفانه. ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لأنه سمح في الطباع نقيصة عند كل أحد، بخلاف الكفر فإن الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونهم حقاً"^(٣).

قال الطبري: "ذكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس: إنه مجنون. وأن خيانة امرأة لوط، أن لوطاً كان يُسير الضيف، وتُدلّ عليه"^(٤).

عن عكرمة: "فَخَانَتَاهُمَا، قال: في الدين"^(٥).

قال عكرمة: "وكانت خيانتها أنهما كانتا مشركتين"^(٦).

قال الضحاك: "كانتا مخالفتين دين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كافرتين بالله"^(٧).

قال الضحاك: "ما بغت امرأة نبي قط، {فَخَانَتَاهُمَا}، قال: في الدين خانتاهما"^(٨).

قال ابن عباس: "كانت خيانتها أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تطلع على سرّ نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، فكان ذلك من أمرها؛ وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوطاً أحد خبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء {فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً}"^(٩).

عن ابن عباس، قوله: "فَخَانَتَاهُمَا"، قال: كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون. وكانت امرأة لوط تُدّل على الضيف"^(١٠).

قال ابن عباس: "أما امرأة نوح، فكانت تخبر أنه مجنون؛ وأما خيانة امرأة لوط، فكانت تُدّل على لوط"^(١١).

عن أبي معاوية البجلي، قال: "سألت سعيد بن جبیر: ما كانت خيانة امرأة لوط وامرأة نوح؟ فقال: أما امرأة لوط، فإنها كانت تدلّ على الأضياف؛ وأما امرأة نوح فلا علم لي بها"^(١٢).

عن أشرس الخراساني، يرفعه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، أنه قال: «ما بغت امرأة نبي قط»^(١٣).

عن الحسن البصري، قال: "امرأة النبي إذا زنت لم يُغفر لها"^(١٤).

قوله تعالى: {فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً} [التحریم : ١٠]، أي: "فلم يدفع هذان الرسولان عن زوجتيهما من عذاب الله شيئاً"^(١).

(١) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٧١/٨.

(٣) الكشاف: ٥٧٢/٤.

(٤) تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٩٨-٤٩٧/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٩٨-٤٩٧/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٣.

(١٣) أخرجه ابن عساکر ٣١٨ /٥.

(١٤) الدر المنثور: ٢٢٨/٨.

قال الطبري: "يقول: فلم يغن نوح ولو ط عن امرأتيهما من الله لما عاقبهما على خيانتها أزواجهما شيئاً، ولم ينفعهما أن كانت أزواجهما أنبياء" (٢).

قال ابن كثير: "أي: لكفرهما" (٣).

قال الزمخشري: "لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج إغناء ما من عذاب الله" (٤).

قال قتادة: "يقول الله: لم يغن صلاح هذين عن هاتين شيئاً، وامرأة فرعون لم يضرها كفر فرعون" (٥).

عن قتادة، قوله: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةً نُوحٍ وَامْرَأةً لُوطٍ}، ... الآية، هاتان زوجتا نبي الله لما عصتا ربهما، لم يغن أزواجهما عنهما من الله شيئاً" (٦).

قوله تعالى: {وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ} [التحریم : ١٠]، أي: "وقيل للزوجتين: ادخلا النار مع الداخلين فيها" (٧).

قال الطبري: "قال الله لهما يوم القيامة: ادخلا أيتها المرأتان نار جهنم مع الداخلين فيها" (٨).

قال الزمخشري: "وقيل {لهما عند موتهما أو يوم القيامة: {ادْخُلَا النَّارَ} مَعَ سائر {الدَّٰخِلِينَ} الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء. أو مع داخلها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط" (٩).

قال يحيى بن سلام: "هذا مثل ضربه الله ليحذر به حفصة وعائشة حين تظاهرتا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم ضرب لهما مثلاً بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيباً في التمسك بالطاعة" (١٠).

قال ابن عطية: "وقال بعض الناس: إن في المثلين عبرة لزوجات النبي محمد - عليه السلام -، حين تقدم عتابهن، وفي هذا بعد؛ لأن النص أنه للكفار يبعد هذا" (١١).

ونقله أبو حيان "البحر المحيط" مرتضياً له (١٢).

وقال ابن جزي: "وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل، كأنه يقول: لا يغني أحد عن أحد، ولو كان أقرب الناس إليه كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما. وقيل: هذا مثال الأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر في أول السورة، وهذا باطل؛ لأن الله إنما ضربه للذين كفروا" (١٣).

والأقرب والله أعلم: أن المثل الأول هو ما ذكره ابن جزي أولاً، وسيقرره المصنف عند آخر كلامه على الآية. وأما المثل الثاني فهو مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم كما قرره الحافظ ابن كثير (١٤).

- (١) التفسير الميسر: ٥٦١.
- (٢) تفسير الطبري: ٤٩٨/٢٣-٤٩٩.
- (٣) تفسير ابن كثير: ١٧١/٨.
- (٤) الكشاف: ٥٧١/٤.
- (٥) أخرجه الطبري: ٤٩٩/٢٣.
- (٦) أخرجه الطبري: ٤٩٩/٢٣.
- (٧) التفسير الميسر: ٥٦١.
- (٨) تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٣.
- (٩) الكشاف: ٥٧١/٤.
- (١٠) ذكره الماوردي في "النكت والعيون": ٤٧/٦، وذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/٣٢٣ ونسبه لمقاتل.
- (١١) المحرر الوجيز: ٣٣٥/٥.
- (١٢) انظر: البحر المحيط: ٢٨٩/٨.
- (١٣) تفسير ابن جزي: ٧٧٨.
- (١٤) انظر: تفسير ابن كثير: ١٩٣/٨.

قال قتادة: "كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم فو الله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها، ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحدا إلا بذنبه"^(١).
قال ابن كثير: "وقد استدلت بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذي يأنثه كثير من الناس: من أكل مع مغفور له غفر له. وهذا الحديث لا أصل له، وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: يا رسول الله، أنت قلت: من أكل مع مغفور له غفر؟ قال: «لا ولكني الآن أقوله»"^(٢)^(٣).

القرآن

{وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)} [التحریم : ١١]
التفسير:

وضرب الله مثلا لحال المؤمنين -الذين صدقوا الله، وعبدوه وحده، وعملوا بشرعه، وأنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين في معاملتهم- بحال زوجة فرعون التي كانت في عصمة أشد الكافرين بالله، وهي مؤمنة بالله، حين قالت: رب ابن لي دارا عندك في الجنة، وأنقذني من سلطان فرعون وفتنته، ومما يصدر عنه من أعمال الشر، وأنقذني من القوم التابعين له في الظلم والضلال، ومن عذابهم.

قوله تعالى: {وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ} [التحریم : ١١]، أي: "وضرب الله مثلا لحال المؤمنين -الذين صدقوا الله، وعبدوه وحده، وعملوا بشرعه، وأنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين في معاملتهم- بحال زوجة فرعون التي كانت في عصمة أشد الكافرين بالله، وهي مؤمنة بالله"^(٤).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وضرب الله مثلا للذين صدقوا الله ووحده، امرأة فرعون التي آمنت بالله ووحده، وصدقت رسوله موسى، وهي تحت عدو من أعداء الله كافر، فلم يضرها كفر زوجها، إذ كانت مؤمنة بالله، وكان من قضاء الله في خلقه أن لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن لكل نفس ما كسبت"^(٥).

قال ابن كثير: "وهذا مثل ضرب به الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم، كما قال تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [آل عمران : ٢٨]"^(٦).

قال الزمخشري: "ومثل حال المؤمنين- في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله- بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى، مع كونها زوجة أعدى أعداء الله الناطق بالكلمة العظمى، ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين، مع أن قومها كانوا كفارا. وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأمر المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه، لما في التمثيل من ذكر الكفر. ونحوه في التعليل قوله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} وإشارة إلى أن من حقهما

(١) تفسير ابن كثير: ١٩٣/٨.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذا ليس له إسناد عند أهل العلم ولا هو في شيء من كتب المسلمين، وإنما يروونه عن سنان، وليس معناه صحيحا على الإطلاق، فقد يأكل مع المسلمين الكفار والمنافقين" أ. ه نقله الألباني في الضعيفة (٣٢٦/١) وذكره الإمام ابن القيم في المنار المنيف (ص ١٤٠) وقال: "موضوع، وغاية ما روي فيه أنه منام رآه بعض الناس".

(٣) تفسير ابن كثير: ١٧١/٨.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٥) تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٧٢/٨.

أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين، وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله، فإن ذلك الفضل لا ينفعهما إلا مع كونهما مخلصتين، والتعريض بحفصة أرجح، لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله، وأسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفتن العالم ويزل عن نبصره" (١).

قوله تعالى: {إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ} [التحریم : ١١]، أي: "حين قالت: رب ابن لي دارًا عندك في الجنة" (٢).

قال الطبري: "إذ قالت: {رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ}، فاستجاب الله لها فبنى لها بيتًا في الجنة" (٣).

قال الزمخشري: "فإن قلت: ما معنى الجمع بين {عندك} و{في الجنة}؟ قلت: طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه، ثم بينت مكان القرب بقولها {فِي الْجَنَّةِ}، أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن تكون جنتها من الجنان التي هي أقرب إلى العرش وهي جنات المأوى، فعبرت عن القرب إلى العرش بقولها: {عِنْدَكَ} (٤).
قال ابن كثير: "قال العلماء: اختارت الجار قبل الدار. وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع" (٥).

عن سلمان، قال: "كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة" (٦).

عن القاسم بن أبي بزة، قال: "كانت امرأة فرعون تسأل من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون. فنقول: أمنت برب موسى وهارون؛ فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأتها؛ فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في السماء، فمضت على قولها، فانزع الله روحها، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح" (٧).

عن قتادة، قوله: "{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ}، وكان أعتى أهل الأرض على الله، وأبعده من الله، فو الله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها، لتعلموا أن الله حكم عدل، لا يؤاخذ عبده إلا بذنبه" (٨).

قوله تعالى: {وَوَجَّيْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ} [التحریم : ١١]، أي: "وأقذني من سلطان فرعون وفتنته، ومما يصدر عنه من أعمال الشر" (٩).
قال القرطبي: "وَعَمَلِهِ"، تعني: بالعمل الكفر. وقيل: من عمله من عذابه وظلمه وشماتته" (١٠).

وروي أبو صالح عن ابن عباس: {وَعَمَلِهِ} "الجماع" (١١). وعنه أيضا: "دينه" (١٢).

وقال مقاتل: "وَعَمَلِهِ" : الشرك" (١٣).

-
- (١) الكشاف: ٥٧١/٤.
 - (٢) التفسير الميسر: ٥٦١.
 - (٣) تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٣.
 - (٤) الكشاف: ٥٧٢/٤.
 - (٥) تفسير ابن كثير: ١٧٢/٨.
 - (٦) أخرجه الطبري: ٥٠٠/٢٣.
 - (٧) أخرجه الطبري: ٥٠٠/٢٣.
 - (٨) أخرجه الطبري: ٥٠٠/٢٣.
 - (٩) التفسير الميسر: ٥٦١.
 - (١٠) تفسير القرطبي: ٢٠٣/١٨.
 - (١١) التفسير الوسيط للواحيدي: ٣٢٣/٤، وزاد المسير: ٣١٢/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٣/١٨.
 - (١٢) زاد المسير: ٣١٢/٤.
 - (١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٧٩/٤.

قال الطبري: "وتقول: وأنقذني من عذاب فرعون، ومن أن أعمل عمله، وذلك كفره بالله" (١).

قال ابن كثير: "أي: خلصني منه، فإني أبرأ إليك من عمله" (٢).
قال الزمخشري: "أي: من عمل فرعون. أو من نفس فرعون الخبيثة وسلطانة الغشوم، وخصوصاً من عمله وهو: الكفر، وعبادة الأصنام، والظلم، والتعذيب بغير جرم" (٣).
قوله تعالى: {وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [التحریم : ١١]، أي: "وأنقذني من القوم التابعين له في الظلم والضلال، ومن عذابهم" (٤).
قال الكلبي، ومقاتل: أهل مصر" (٥).
قال الحسن وابن كيسان: "نجاهها الله أكرم نجاه، ورفعها إلى الجنة، فهي فيها تأكل وتشرب" (٦).

قال الطبري: "تقول: وأخلصني وأنقذني من عمل القوم الكافرين بك، ومن عذابهم" (٧).
قال الزمخشري: "أي: من القبط كلهم. وفيه دليل على أن الاستعادة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل: من سير الصالحين وسنن الأنبياء والمرسلين: {فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}، {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الكَافِرِينَ} (٨).

قال ابن كثير: "وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم، رضي الله عنها" (٩).
عن أبي العالية، قال: "كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون، فوقع المشط من يدها، فقالت تعس من كفر بالله؟ فقالت لها ابنة فرعون: ولك رب غير أبي؟ قالت: ربي ورب أبيك ورب كل شيء الله. فلطمتها بنت فرعون وضربتها، وأخبرت أباه، فأرسل إليها فرعون فقال: تعبدين ربا غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك ورب كل شيء الله. وإياه أعبد فعذبها فرعون وأوتد لها أوتاداً فشد رجلها ويديها وأرسل عليها الحيات، وكانت كذلك، فأتى عليها يوماً فقال لها: ما أنت منتهية؟ فقالت له: ربي وربك ورب كل شيء الله. فقال لها: إني ذابح ابنك في فيك إن لم تفعلي. فقالت له: اقض ما أنت قاض. فذبح ابنها في فيها، وإن روح ابنها بشرها، فقال لها: أبشري يا أمه، فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا. فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوماً آخر فقال لها مثل ذلك، فقالت له، مثل ذلك، فذبح ابنها الآخر في فيها، فبشرها روحه أيضاً، وقال لها. اصبري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا. قال: وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر، فأمنت امرأة فرعون، وقبض الله روح امرأة خازن فرعون، وكشف الغطاء عن ثوبها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيماناً و يقيناً وتصديقاً، فاطلع فرعون على إيمانها، فقال للملأ ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأتنوا عليها، فقال لهم: إنها تعبد غيري. فقالوا له: اقتلها. فأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها، فدعت آسية ربه فقالت: {رَبِّ ابْنِ لِي عِدَّةً بَيْنًا فِي الْجَنَّةِ} فوافق ذلك أن حضرها، فرعون فضحكت حين رأت بينها في الجنة،

(١) تفسير الطبري: ٥٠٠/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٧٢/٨.

(٣) الكشاف: ٥٧٢/٤-٥٧٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٧٩/٤، وانظر: قول الكلبي في تفسير القرطبي: ٢٠٣/١٨.

(٦) تفسير القرطبي: ٢٠٣/١٨. ونحوه في "تفسير الثعلبي": ٣٥١/٩.

(٧) تفسير الطبري: ٥٠٠/٢٣.

(٨) الكشاف: ٥٧٣/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٧٢/٨.

فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها، إنا نعذّبها وهي تضحك، فقبض الله روحها، رضي الله عنها^(١).

القرآن

{وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَوَاتِينِ (١٢)} [التحریم : ١٢]

التفسير:

وضرب الله مثلا للذين آمنوا مريم بنت عمران التي حفظت فرجها، وصانته عن الزنى، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن ينفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها، فحملت بعبسى عليه السلام، وصدّقت بكلمات ربها، وعملت بشرائعه التي شرعها لعباده، وكتبه المنزلة على رسله، وكانت من المطيعين له.

قوله تعالى: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} [التحریم : ١٢]، أي: "وضرب الله مثلا للذين آمنوا مريم بنت عمران التي حفظت فرجها، وصانته عن الزنى"^(٢).

قال ابن كثير: "أي حفظته وصانته. والإحصان : هو العفاف والحرية"^(٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا} {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ} التي منعت جيب درعها جبريل عليه السلام، وكل ما كان في الدرع من خرق أو فتق، فإنه يسمى فَرْجًا، وكذلك كل صدع وشق في حائط، أو فرج سقف فهو فرج"^(٤).

قال الزمخشري: "معنى أحصنته: منعت جبريل، وأنه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها، تسليّة للأرامل وتطبيبا لأنفسهن"^(٥).

قال ابن عباس: "كتب قيصر إلى معاوية: سلام عليك أما بعد...فأنبئني بأكرم عباد الله عليه وأكرم إمامه عليه، فكتب إليه: أما بعد.. كتبت إلي تسألني فقلت: أما أكرم عباده عليه فآدم خلقه بيده وعلمه الأسماء كلها، وأما أكرم إمامه عليه فمريم بنت عمران التي أحصنت فرجها"^(٦).

قوله تعالى: {فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا} [التحریم : ١٢]، أي: "فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن ينفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها، فحملت بعبسى عليه السلام"^(٧).

قال الطبري: "يقول: فنفخنا فيه في جيب درعها، وذلك فرجها، من روحنا من جبرئيل، وهو الروح"^(٨).

قال ابن كثير: "أي : بواسطة الملك، وهو جبريل، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي، وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها، فكان منه الحمل بعبسى، عليه السلام"^(٩).

قال قتادة: "فنفخنا في جيبها من روحنا"^(١٠).

قال الزمخشري: "فيه} في الفرّج. وقرأ ابن مسعود: «فيها»، كما قرئ في سورة الأنبياء، والضمير للجملة.. ومن بدع التفاسير: أنّ الفرّج هو جيب الدرّع"^(١١).

(١) رواه أبو جعفر الرازي كما في تفسير ابن كثير: ١٧٢/٨-١٧٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٧٣/٨.

(٤) تفسير الطبري: ٥٠٠/٢٣.

(٥) الكشاف: ٥٧٣/٤.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٧٢٠): ص ٢٤٦٦/٨.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٨) تفسير الطبري: ٥٠٠/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٧٣/٨.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٠٠/٢٣.

(١١) الكشاف: ٥٧٣/٤.

قوله تعالى: {وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا} [التحریم : ١٢]، أي: "وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا، وَعَمِلَتْ بِشَرَائِعِهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ، وَكُتِبَ الْمَنْزِلَةُ عَلَيْهِ عَلَى رِسْلِهِ"^(١).

قال الطبري: "يقول: أمنت بعيسى، وهو كلمة الله، {وَكُتِبَ عَلَيْهَا}، يعني: التوراة والإنجيل"^(٢).

قال ابن كثير: "أي: بقدره وشرعه"^(٣).

عن الحسن: {وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا}، "يعني: جميع الكتب"^(٤).

قرأ عاصم: "وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا بِالْأَلْفِ، «وَكُتِبَ» وَاحِدًا"^(٥).

«وَصَدَقَتْ»، قرئ بالتشديد والتخفيف على أنها جعلت الكلمات والكتب صادقة، يعني: وصفتها بالصدق، وهو معنى التصديق بعينه"^(٦).

قوله تعالى: {وَكَاثِبَةٌ مِنَ الْفَانِينِ} [التحریم : ١٢]، أي: "وكانت من القوم المطيعين، العابدين لله عَزَّ وَجَلَّ"^(٧).

قال الطبري: "يقول: وكانت من القوم المطيعين"^(٨).

عن قتادة: "مِنَ الْفَانِينِ" من المطيعين"^(٩).

وقال عطاء: "أي: من المصلين"^(١٠).

عن الكرمانى -من طريق حفص بن ميسرة- في قول الله: "وَكَاثِبَةٌ مِنَ الْفَانِينِ" قال: ما بين المغرب والعشاء"^(١١).

قال الزمخشري: "فإن قلت: لم قيل: {مِنَ الْفَانِينِ} على التذكير؟ قلت: لأنَّ الفنون صفة تشمل من قنت من القبيلين، فغلب ذكوره على إناثه. ومن للتبعيض. ويجوز أن يكون لابتداء الغاية، على أنها ولدت من القانتين، لأنها من أعقاب هرون أخى موسى صلوات الله عليهما"^(١٢).

عن ابن عباس قال: «حَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ، وَقَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَّةُ بِنْتُ مَزاحمِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ"^(١٣).

عن أبي موسى الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كَمَلَّ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَإِنْ فَضَّلَ عَائِشَةُ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضَلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ"^(١٤).

فوائد الآيات: [٩-١٢]:

١- وجوب الجهاد في الكفار بالسيف وفي المنافقين باللسان.

(١) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٢) تفسير الطبري: ٥٠٠/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٧٣/٨.

(٤) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ١٠/٥-.

(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

«وَكُتِبَ» قراءة متواترة، قرأ بها العشرة إلا حفص، وأبو عمرو، ويعقوب، فإنهم قرؤوا: {وَكُتِبَ} مجموعًا. انظر: النشر ٣٨٩/٢، والإتحاف ص ٥٤٩.

(٦) انظر: الكشف: ٥٧٣/٤.

(٧) صفوة التفاسير: ٣٨٨/٣.

(٨) تفسير الطبري: ٥٠٠/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٠٠/٢٣.

(١٠) أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ١/ ٣٥ (٧٢).

(١١) تفسير البغوي ١٧٢/٨.

(١٢) الكشف: ٥٧٣/٤.

(١٣) المسند (٢٩٣/١) وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٣/٩): "رجاله رجال الصحيح".

(١٤) صحيح البخاري برقم (٥٤١٨) وصحيح مسلم برقم (٢٤٣١).

٢- أن موالاتة المؤمنين ومعاداة الكافرين، من مطالب الإسلام ومقاصده الأساسية.
٣- تقرير مبدأ: لا تزر وازرة وزر أخرى. فالكافر لا ينتفع بالمؤمن يوم القيامة.
٤- والمؤمن لا يتضرر بالكافر ولو كانت القرابة روحية نبوة أو إنسانية أو أبوة أو بنوة فإبراهيم لم يضره كفر آزر، ونوح لم يضره كفر كنعان ابنه، كما أن آزر وكنعان لم ينفعهما إيمان وصلاح الأب والابن.

هذا وقرابة المؤمن الصالح تنفع المؤمن دون الصالح لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور : ٢١].

«آخر تفسير سورة (التحريم)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجنته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة «الملك»

«سورة الملك» هي السورة السابعة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الرابعة من المجموعة الخامسة من قسم المفصل، نزلت بعد سورة الطور، وأياتها ثلاثون عند الجمهور، وإحدى وثلاثون عند المكيين. وكلماتها ثلاثمائة وثلاثون. وحروفها ألف وثلاثمائة وثلاث عشرة. والمختلف فيها آية: {قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ} [الملك : ٩]، مجموع فواصل آياتها: «تمر»، على «الميم» اثنان: {أَلِيمٌ} [الملك : ٢٨]، و{مُسْتَقِيمٌ} [الملك : ٢٢]^(١).

- أسماء السورة:
- أوالا:- أسماؤها التوقيفية:
- الاسم الأول: «سورة الملك»:

اشتهرت تسميتها بـ«سورة التحريم» وبذلك سميت في أكثر المصاحف وكتب التفسير، كما ترجم لها الترمذي في جامعه، باب «ما جاء في فضل سورة الملك»^(٢)، والحاكم في المستدرک، باب «تفسير سورة الملك»^(٣).

ولم أقف على خبر مأثور عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- صرح فيه تسميتها بهذا اللفظ، وإنما وقعت تسميتها بذلك في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم-.

عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: " يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقوم يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه، فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ بي سورة الملك، قال: فهي المانعة تمنع من عذاب القبر وهي في التوراة سورة الملك، ومن قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب"^(٤).

وعن عبد الله بن مسعود، قال: «كنا نسميها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المانعة، وإنها لفي كتاب الله سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب»^(٥).

وجه تسميتها بذلك لافتتاحها بتقديس وتعظيم الله نفسه الذي بيده الملك وهو في قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١) [الملك : ١].

فسميت بـ«سورة الملك»، لاشتمالها على كثير من آثار الملك، من كثرة الخيرات وعموم القدرة والإحياء والإماتة، واختبار أعمال الناس، والغلبة، والغفران، وعدم التفاوت في رعاياه، وتزيين بلاده، والقهر على الأعداء، والترحم على الأولياء، والأمن ورخص الأسعار، وألا يقدر أحد على نصر من عاداه، فهذه كلها من آثار الملك، وهذه المعاني في عامتها مما تناولته هذه السورة الكريمة؛ فمن ثم سميت سورة الملك^(٦).

- الاسم الثاني: «سورة تبارك»:

سميت «سورة تبارك»، لافتتاحها بهذا اللفظ في قوله تعالى {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الملك : ١]، ولم تنفرد هذه السورة بافتتاحها بهذا اللفظ، إذ افتتحت سورة «الفرقان» أيضا بلفظ «تبارك»، ولكن غلب هذا الاسم على سورة «الملك»، واشتهرت به كما ورد في كلام الرسول-صلى الله عليه وسلم-.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٣/١.

(٢) انظر "كتاب فضائل القرآن: ١٦٤/٥.

(٣) انظر: كتاب التفسير: ٥٤٠/٢.

(٤) المستدرک على الصحيحين (٣٨٣٩): ص ٥٤٠/٢، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٥) المعجم الكبير للطبراني (١٠٢٥٤): ص ١٤٢/١٠، والدر المنثور: ٢٣٢/٨، وزاد نسبه إلى ابن مردويه.

(٦) انظر: تفسير المهاييمي: ٣٥٣/٢، وتفسير القرآن الكريم، المقدم: ٢/١٧٧ [دروس صوتية مرقم أليا].

ورد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر"^(١)، وعنه-صلى الله عليه وسلم- أيضا قال: «أنزلت سورة تبارك وهي ثلاثون آية جملة واحدة»^(٢).

■ الاسم الثالث: «سورة تبارك الذي بيده الملك»:

سميت هذه السورة بسورة «تبارك الذي بيده الملك» بمسمع من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، فيما رواه ابن عباس، قال: "ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك : ١]، حتى ختمها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر»^(٣).

وروي أبو هريرة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: "إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}"^(٤).

عن جابر بن عبد الله: "أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان لا ينام حتى يقرأ «آلم تنزيل»، و «تبارك الذي بيده الملك»^(٥).

وعن ابن عباس أنه قال لرجل: "ألا أتحنك بحديث تفرح به قال: بلى قال اقرأ: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}، وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن تنجيه من عذاب النار وينجو بها صاحبها من عذاب القبر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو ددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي"^(٦).

■ الاسم الرابع: «سورة المنجية»:

وردت هذه التسمية عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وأصحابه-رضوان الله عليهم-، كما في الحديث الذي رواه ابن عباس-رضي الله عنهما- في قصة الرجل الذي ضرب خباءه على قبر فسمعه يقرأ سورة الملك...إلى أن قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر»^(٧).

وفي "الإتقان" عن تاريخ ابن عساكر من حديث أنس-رضي الله عنه-: «أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سماها المنجية»^(٨)، وذكر ابن عطية في تفسيره عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه- مرفوعا: «إنها لتنجي من عذاب القبر وتجادل عن حافظها حتى لا يعذب»^(٩).

وعلل المفسرون تسميتها بهذا الاسم، لأنها تنجي قارئها من عذاب القبر:.

(١) الدر المنثور: ٢٣١/٨، وعزاه لابن مردويه.

(٢) الدر المنثور: ٢٣١/٨، وعزاه لابن مردويه.

(٣) سنن الترمذي(٢٨٩٠):ص١٦٤/٥. [حكم الألباني]: ضعيف، وإنما يصح منه قوله: «هي المانعة».

(٤) أخرجه احمد في المسند(٧٩٧٥):ص٣٥٣/١٣، والترمذي (٢٨٩١)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٢٦٠-٢٦١، وأبو داود (١٤٠٠)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٢٣٧)، والفريابي أيضا

في "فضائل القرآن" (٣٣)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٧١٠)، وفي "الكبرى" (١١٦١٢)، وابن حبان (٧٨٧) و (٧٨٨)، والحاكم ٥٦١/٥، والبيهقي في "الشعب" (٢٥٠٦)، وابن عبد البر في "التمهيد" ٢٦٢/٧ من طرق عن شعبة، به، وأخرجه بنحوه عبد بن حميد (١٤٤٥)، والحاكم ٤٩٧/٢-٤٩٨ من طريق عمران القطان، عن قتادة، به. وصحح الحاكم إسناده ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه (٢٨٩٧): ص ١٦٥ /٥.

(٦) الدر المنثور: ٢٣١/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد في مسنده -واللفظ له- والطبراني والحاكم وابن مردويه.

(٧) سنن الترمذي(٢٨٩٠):ص١٦٤/٥. [حكم الألباني]: ضعيف، وإنما يصح منه قوله: «هي المانعة».

(٨) الإتقان: ١٧٦/١.

(٩) المحرر الوجيز: ٣٣٧/٥.

- **ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول «سورة تبارك الملك»:**
ورد عن ابن عباس، قال: «نزلت بمكة تبارك الملك»^(١).
وردت هذه التسمية عند مقاتل بن سليمان في تفسيره^(٢)، وفي فضائل القرآن لابن الضريس^(٣)، كما ذكرها الفيروزآبادي في "البصائر"^(٤)، والسيوطي في "الإتقان"^(٥).
- **الاسم الثاني «سورة الواقية»:**
ذكر هذه التسمية عند جماعة من المفسرين مثل أبو الليث السمرقندي^(٦)، والماوردي^(٧)، والواحدي^(٨)، والزمخشري^(٩)، والقرطبي^(١٠)، والبيضاوي^(١١)، وغيرهم.
وقد وردت هذه التسمية عن الطبرسي في تفسيره مستدلاً بحديث روي عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، قال: «إنها الواقية من عذاب القبر»^(١٢).
ووجه تسميتها بذلك لأنها تقي صاحبها من عذاب القبر كما قال المفسرون.
- **الاسم الثالث «سورة المانعة»:**
سميت بسورة المانعة أخذاً من حديث ابن عباس السابق وهو قول الرسول-صلى الله عليه وسلم- «هي المانعة»^(١٣)، كما أخرج الطبراني عن ابن مسعود، قال: "كنا نسميه في عهد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: المانعة"^(١٤).
وجاء في "جمال القراء" تسميتها بـ«المانعة» بصيغة المبالغة، ونقل عنه السيوطي في الإتقان وهي قريبة من معنى هذا الاسم^(١٥).
ووجه تسميتها بهذا الاسم، أنها تمنع قارئها من العذاب، وهذا الاسم في التوراة، وقد شمل البقاعي تسميتها بهذه الأسماء الثلاثة: «الواقية، المنجية، المانعة»، يقول: "لأن من لزمها نجا مما يخاف ويمنع من كل هول ووقى كل محذور"^(١٦).
- **الاسم الرابع «سورة المجادلة»:**
سماها بذلك ابن عباس في اثر أنه قال لرجل: "عن ابن عباس أنه قال لرجل: ألا أتحنك بحديث تفرح به قال: بلى قال اقرأ {تبارك الذي بيده الملك} وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بينك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة يوم القيامة عند ربها لقارئها..."^(١٧).
ووجه تسميتها بهذا الاسم، لأنها تجادل عن قارئها يوم القيامة، كما روي جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-:

(١) الدر المنثور: ٢٣٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والبخاري وابن مردويه والبيهقي.
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢/٥٢٩/٣/٢٣٥.
(٣) انظر: فضائل القرآن: ٣٣.
(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٩٩/١.
(٥) انظر الإتقان في علوم القرآن: ٣٢٣/١.
(٦) انظر: بحر العلوم: ٤٧٣/٣.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٥٨/٦.
(٨) انظر: التفسير البسيط: ٤٧٩/٢.
(٩) انظر: الكشف: ٥٧٤/٤.
(١٠) انظر: تفسير القرطبي: ٢٠٥/١٨.
(١١) انظر: تفسير البيضاوي: ٢٢٨/٥.
(١٢) انظر: تفسير الطبرسي: ٤/٢٩. ولك أجد الحديث
(١٣) سنن الترمذي (٢٨٩٠): ص ١٦٤/٥. [حكم الألباني]: ضعيف، وإنما يصح منه قوله: «هي المانعة».
(١٤) المعجم الكبير للطبراني (١٠٢٥٤): ص ١٤٢/١٠، والدر المنثور: ٢٣٢/٨، وزاد نسبته إلى ابن مردويه.
(١٥) نقلاً عن: التحرير والتنوير: ٦/٢٩.
(١٦) جمال القراء: ٢١٦/٢٠.
(١٧) الدر المنثور: ٢٣١/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد في مسنده -واللفظ له- والطبراني والحاكم وابن مردويه.

وذكر الرازي أن ابن عباس: "كان يسميها المجادلة، لأنها تجادل عن قارئها في القبر، وهي ثلاثون آية مكية"^(١). ولم أره لغير الفخر.

ويجدر القول بأن هذه الأسماء الأربعة: «تبارك الملك، الواقية، المانعة، المجادلة»، هي أوصاف وصف بها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كما جاء في الأحاديث والآثار عن الصحابة-رضوان الله عليهم-، ولم يصرح فيها بأنها أسماء للسورة.

وقد ذكر الفيروزآبادي أسماء آخر لهذه السورة منها:

- **الدافعة:** وعلل تسميتها، بأنها تدفع بلاء الدنيا وعذاب الآخرة عن قارئها.
- **الشافعة:** لأنها تشفع في القيامة لقارئها.
- **المخلصة:** لأنها تخاصم زبانية جهنم، لئلا يكون لهم يد على قارئها، وتفرد الفيروزآبادي بذكر هذه الأسماء ولم يذكر مستندا صحيحا يدل عليه^(٢).

■ **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: نزلت بمكة: تبارك الملك^(٣).
وروي الضحاك عن ابن عباس، قال: "أنزلت تبارك الملك في أهل مكة إلا ثلاث آيات"^(٤).

قال ابن عاشور: "فيحتمل أن الضحاك عنى استثناء ثلاث آيات نزلت في المدينة. وهذا الاحتمال هو الذي يقتضيه إخراج صاحب «الإتقان» هذا النقل في عداد السور المختلف في بعض آياتها، ويحتمل أن يريد أن ثلاث آيات منها غير مخاطب بها أهل مكة، وعلى كلا الاحتمالين فهو لم يعين هذه الآيات الثلاث وليس في آيات السورة ثلاث آيات لا تتعلق بالمشركين خاصة بل نجد الخمس الآيات الأوائل يجوز أن يكون القصد منها الفريقين من أول السورة إلى قوله: عذاب السعير [الملك: ٥]"^(٥).

قال الألوسي: "هي مكية على الأصح. وقيل غير ثلاث آيات منها وأخرج ابن جويبر في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس، وفي قول غريب إنها مدنية"^(٦).
قال القرطبي: "سورة الملك مكية في قول الجميع"^(٧).

■ **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه لما ضرب مثلا للكفار بتينك المرأتين اللتين قدر لهما الشقاء وإن كانتا تحت عبدين صالحين، ومثلا للمؤمنين بأسية ومريم وقد كتب لهما السعادة وإن كان أكثر قومهما كفارا- افتتح هذه السورة بما يدل على إحاطة علمه عز وجل وقهره وتصرفه في ملكه على ما سبق به قضاؤه^(٨).

■ **أغراض السورة ومقاصدها**

إن الأغراض التي في هذه السورة جارية على سنن الأغراض في السور المكية، فهي تدور حول معنى واحد هو: «اعرف قدر الله» والآيات في السورة كلها تتحدث عن قدرة الله تعالى والملك بيد الله.

١- سورة الملك من السور المكية، شأنها شأن سائر السور المكية، التي تعالج موضوع العقيدة في أصولها الكبرى، وقد تناولت هذه السورة أهدافاً رئيسية ثلاثة وهي إثبات

(١) مفاتيح الغيب، للرازي: ٥٧٧/٣٠.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٣/١.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٢٣٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والبخاري وابن مردويه والبيهقي.

(٤) انظر: الدر المنثور: ٢٣٠/٨، وعزاه إلى ابن جرير.

(٥) التحرير والتنوير: ٧/٢٩.

(٦) روح المعاني: ٣/١٥.

(٧) تفسير القرطبي: ٢٠٥/١٨.

(٨) انظر: تفسير المراعي: ٣/٢٩.

عظمة الله وقدرته على الإحياء والإماتة .. وإقامة الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين .. ثم بيان عاقبة المكذبين الجاحدين للبعث والنشور.

٢- ابتدأت السورة الكريمة بتوضيح الهدف الأول، فذكرت أن الله جل وعلا بيده الملك والسلطان، وهو المهيم على الأكوان، الذي تخضع لعظمته الرقاب وتعنو له الجباه، وهو المتصرف في الكائنات بالخلق والإيجاد، والإحياء والإماتة: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الملك : ١].

٣- ثم تحدثت عن خلق السماوات السبع، وما زين الله به السماء الدنيا من الكواكب الساطعة، والنجوم اللامعة، وكلها أدلة على قدرة الله ووحديته: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ} [الملك : ٣].

٤- ثم تناولت الحديث عن المجرمين بشيء من الإسهاب، وهم يرون جهنم تنلظى وتكاد تنقطع من شدة الغضب والغيط على أعداء الله، وقارنت بين مآل الكافرين والمؤمنين، على طريقة القرآن في الجمع بين الترهيب والترغيب: {إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ} [الملك : ٧].

٥- وبعد أن ساقنا بعض الأدلة والشواهد على عظمة الله وقدرته، حذرت من عذابه وسخطه أن يحل بأولئك الكفرة الجاحدين: {أَمِئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ} [الملك : ١٦].

٦- وبخهم على استعجالهم موت النبي صلى الله عليه وسلم ليستريحوا من دعوته، وأوعدهم بأنهم سيعلمون ضلالهم حين لا ينفعهم العلم، وأنذرهم بما قد يحل بهم من قحط وغيره.

٧- وختمت السورة الكريمة بالإنذار والتحذير للمكذبين بدعوة الرسول، من حلول العذاب بهم في الوقت الذي كانوا يتمنون فيه موت الرسول وهلاك المؤمنين: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ} [الملك : ٢٨]؟ ويا له من وعيد شديد، ترتعد له الفرائص!!

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان استحقاق الله الملك، وخلق الحياة والموت للتجربة، والنظر إلى السماوات للعبارة، واشتعال النجوم والكواكب للزينة، وما أعد للمنكرين من العذاب، والعقوبة، وما وعد به المتقون: من الثواب، والكرامة، وتأخير العذاب عن المستحقين بالفضل والرحمة، وحفظ الطيور في الهواء بكمال القدرة، واتصال الرزق إلى الخليقة، بالنوال والمنة، وبيان حال أهل الضلالة، والهداية، وتعجل الكفار بمجيء القيامة، وتهديد المشركين بزوال النعمة بقوله: {فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} [الملك : ٣٠]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة، لا ناسخ فيها ولا منسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن ابن عباس، قال: "ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك : ١]، حتى ختمها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر»^(٣).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٣/١-٤٧٤.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٤/١.

(٣) سنن الترمذي (٢٨٩٠): ص ١٦٤/٥. [حكم الألباني]: ضعيف، وإنما يصح منه قوله: «هي المانعة».

- وروي أبو هريرة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: "إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}"^(١).
 - عن جابر بن عبد الله: "أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان لا ينام حتى يقرأ «آلم تنزيل»، و «تبارك الذي بيده الملك»^(٢).
- هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) أخرجه احمد في المسند(٧٩٧٥):ص٣٥٣/١٣، والترمذي (٢٨٩١)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٢٦٠-٢٦١، وأبو داود (١٤٠٠)، وابن ماجه (٣٧٨٦) ، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٢٣٧) ، والفريابي أيضا

في "فضائل القرآن" (٣٣) ، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٧١٠) ، وفي "الكبرى" (١١٦١٢) ، وابن حبان (٧٨٧) و (٧٨٨) ، والحاكم ٥/٥٦١، والبيهقي في "الشعب" (٢٥٠٦) ، وابن عبد البر في "التمهيد" ٧/٢٦٢ من طرق عن شعبة، به، وأخرجه بنحوه عبد بن حميد (١٤٤٥) ، والحاكم ٢/٤٩٧-٤٩٨ من طريق عمران القطان، عن قتادة، به. وصحح الحاكم إسناده ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (٢٨٩٧): ص ١٦٥ / ٥.

القرآن

{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)} [الملك : ١]

التفسير:

تكاثر خير الله وبره على جميع خلقه، الذي بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما، نافذ فيهما أمره وقضاؤه، وهو على كل شيء قدير.

قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك : ١]، أي: "تكاثر خير الله وبره على جميع خلقه، الذي بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما، نافذ فيهما أمره وقضاؤه" (١).

قال ابن عباس: " {تبارك} تفاعلٌ من البركة" (٢). وروى عن أبي مالك الغفاري نحو ذلك (٣).

قال الضحاك: " {تبارك}: تَعَظَّم" (٤).

وقال الحسن: "تجيء البركة من قبيله" (٥).

قال الزجاج: {تبارك}، معناه: تعالی وتعظيم" (٦).

قال الزمخشري: " {تبارك} تعالی وتعظيم عن صفات المخلوقين، {الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} على

كل موجود" (٧).

قال الطبري: يعني: " تعظيم وتعالی {الَّذِي} بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما نافذ

فيهما أمره وقضاؤه" (٨).

قال سهل: " أي: تعالی الله وتعظيم عن الأشباه والأولاد والأضداد، الذي بيده الملك يقبله

بحوله وقوته، يؤتبه من يشاء، وينزعه ممن يشاء، وهو القادر عليه" (٩).

قال ابن كثير: " يمجّد تعالی نفسه الكريمة، ويخبر أنه بيده الملك، أي: هو المتصرف

في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله" (١٠).

قوله تعالى: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الملك : ١]، أي: " وهو القادر على كل شيء له

القدرة التامة، والتصرف الكامل في كل الأمور، من غير منازع ولا مدافع" (١١).

قال الطبري: " يقول: وهو على ما يشاء فعله ذو قدرة لا يمنعه من فعله مانع، ولا

يحول بينه وبينه عجز" (١٢).

قال ابن إسحاق: " أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نعمة أو عفو فهو قدير" (١٣).

القرآن

{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)} [الملك : ٢]

التفسير:

الذي خلق الموت والحياة؛ ليختبركم -أيها الناس-: أيكم خيرٌ عملاً وأخلصه؟ وهو العزيز الغفور الذي لا يعجزه شيء، الغفور لمن تاب من عباده.

(١) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٨٨): ص ٥ / ١٤٩٨، و(١٤٩٤٧): ص ٨ / ٢٦٥٩.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٦٥٩/٨.

(٤) تفسير الثعلبي ٢٤٠ / ٤.

(٥) تفسير الثعلبي ١٢٣ / ٣.

(٦) معاني القرآن: ١٩٧/٥.

(٧) الكشاف: ٥٧٤/٤.

(٨) تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٣.

(٩) تفسير التستري: ١٧٢.

(١٠) تفسير ابن كثير: ١٧٦/٨.

(١١) صفوة التفاسير: ٣٩٢/٣.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٣.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٢١٤): ص ١ / ٥٩.

قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك : ٢]، أي: "الذي خلق الموت والحياة؛ ليختبركم -أيها الناس-: أيكم خيرٌ عملاً وأخلصه؟" (١).
قال الطبري: " فأمات من شاء وما شاء، وأحيا من أراد وما أراد إلى أجل معلوم" (٢).
قال الزجاج: " خلق لكم الحياة ليختبركم فيها وخلق الموت ليعتكم ويجازيكم بأعمالكم" (٣).

عن قتادة: "{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ}"، ذكر أن نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكان يقول: «إِنَّ اللَّهَ أَذَلُّ ابْنِ آدَمَ بِالْمَوْتِ» (٤).
قال قتادة: " أذل الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء" (٥).

قال ابن كثير: " واستدل بهذه الآية من قال : إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق. ومعنى الآية : أنه أوجد الخلائق من العدم، ليبلوهم ويختبرهم أيهم أحسن عملاً ؟ كما قال : {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ} [البقرة : ٢٨] فسمى الحال الأول - وهو العدم - موتاً، وسمى هذه النشأة حياة. ولهذا قال : {ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} [البقرة : ٢٨] (٦).
قال سهل: " الموت في الدنيا بالمعصية، والحياة في الآخرة بالطاعة. ولهذا قال الله تعالى لموسى عليه السلام فيما أوحى إليه: يا موسى، إن أول من مات من خلقي إبليس لعنه الله لأنه عصاني، وإنني أعد من عصاني في الموتى. وقال: إن الموت خلق في صورة كبش أملح لا يمر بشيء فيجد ريحه إلا حيي.

وقد روي في الخبر أن أهل الجنة ليخافون الموت، وأهل النار يتمنون الموت، فيؤتى به في صورة كبش أملح، ثم يقال: هذا الموت فانظروا ما الله صانع فيه، ثم يضجع هناك فيذبح، ثم يجعله الله تعالى في صورة فرس يسرح في الجنة، لا يراه أحد من أهل الجنة إلا أنس به ولا يعلم أنه الموت" (٧).

قوله تعالى: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك : ٢]، أي: " ليختبركم -أيها الناس-: أيكم خيرٌ عملاً وأخلصه؟" (٨).

قال الطبري: " ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع، وإلى طلب رضاه أسرع" (٩).
قال الزجاج: " المعنى: {لِيَبْلُوَكُمْ} فيعلم أيكم أحسن عملاً علم ما وقع، والله عز وجل قد علم ما يكون منهم إلا أن الجزاء يجب بوقوع العمل منهم" (١٠).
قال ابن كثير: " أي : خير عملاً" (١١).

عن قتادة، قوله: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}، يعني: أيكم أتم عملاً" (١٢).

عن سفيان، قوله: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}، أزهكم في الدنيا" (١٣).

عن ابن جريج في قوله: {لِيَبْلُوَكُمْ}، قال: الثقلين" (١٤).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٢) تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٣.

(٣) معاني القرآن: ١٩٧/٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٧٦/٨.

(٧) تفسير التستري: ١٧٢. وانظر: الترغيب والترهيب ٤/ ٣١٦-٣١٨.

(٨) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٩) تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٣.

(١٠) معاني القرآن: ١٩٧/٥.

(١١) تفسير ابن كثير: ١٧٦/٨.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٠٨): ص ٦/٢٠٠٦.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٠٧): ص ٦/٢٠٠٦.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٠٦): ص ٦/٢٠٠٦.

عن أبي عجلان، قال: قال الله: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}، ولم يقل: أكثر عملاً^(١).
عن ابن عمر: "أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا: {أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}، ثم قال: أيكم أحسن
عقلاً وأورع، عن محارم الله وأسرعكم في طاعة الله"^(٢).

قال سهل: "أي: أصوبه وأخلصه، فإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون
صواباً خالصاً. والخالص الذي يكون لله تعالى بإرادة القلب، والصواب الذي يكون على سبيل
السنة وموافقة الكتاب. وقال مرة أخرى: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}، أي: توكلاً ورضاً علينا،
وسياحة بعد الزهد في الدنيا. وإن مثل التقوى واليقين كمثلي كفتي الميزان، والتوكل لسانه،
يعرف به الزيادة من النقصان. فقيل: وما التوكل؟ قال: الفرار من التوكل، يعني: من دعوى
التوكل"^(٣).

قوله تعالى: {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ} [الملك : ٢]، أي: "وهو العزيز الذي لا يعجزه شيء،
الغفور لمن تاب من عياده"^(٤).

قال الطبري: "وهو القوي الشديد انتقامه ممن عصاه، وخالف أمره {الغفور} ذنوب من
أناب إليه وتاب من ذنوبه"^(٥).

قال ابن كثير: "أي: هو العزيز العظيم المنيع الجناح، وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه
وأناب، بعدما عصاه وخالف أمره، وإن كان تعالى عزيزاً، هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح
ويتجاوز"^(٦).

قال سهل: {العزيز}: يعني: المنيع في حكمه، الحكيم في تدبيره بخلقه، {الغفور}
للنقصان والخلل الذي يظهر في طاعات عياده"^(٧).

قال محمد بن إسحاق: "العزيز في نصرته ممن كفر إذا شاء"^(٨).
قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: "أن الله تبارك وتعالى إنما سمي نفسه «العفو»،
ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"^(٩).

القرآن

{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى
مِنْ فُطُورٍ (٣)} [الملك : ٣]

التفسير:

الذي خلق سبع سموات متناسقة، بعضها فوق بعض، ما ترى في خلق الرحمن -أيها الناظر- من
اختلاف ولا تباين، فأعد النظر إلى السماء: هل ترى فيها من شقوق أو صدوع؟

قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} [الملك : ٣]، أي: "الذي خلق سبع سموات
متناسقة، بعضها فوق بعض"^(١٠).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: مخبراً عن صفته: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا}
طبقاً فوق طبق، بعضها فوق بعض"^(١١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٠٦): ص ٢٠٠٦/٦. هكذا الترقيم بالمطبوع!

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٠٥): ص ٢٠٠٦/٦.

(٣) تفسير التستري: ١٧٢.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٥) تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٧٦/٨.

(٧) تفسير التستري: ١٧٣.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٩٨): ص ٩٨٣/٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٧٩): ص ٩٦٣/٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(١١) تفسير الطبري: ٥٠٦/٢٣.

قال الزجاج: " معنى {طباقا} مطبق بعضها على بعض، «طباق» مصدر: طوبقت طباقاً"^(١).

قال ابن كثير: " أي : طبقة بعد طبقة، وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهم على بعض، أو متفاصلات بينهن خلاء ؟ فيه قولان، أصحهما الثاني، كما دل على ذلك حديث الإسراء وغيره"^(٢).

عن ابن عباس: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا}، قال: " بعضها فوق بعض"^(٣). وروي عن ابن جريج مثله"^(٤).

قال الحسن: " بعضهنّ فوق بعض، بين كلّ أرض وسماء خلقٌ وأمر"^(٥).
قوله تعالى: {مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ} [الملك : ٣]، أي: " ما ترى في خلق الرحمن -أيها الناظر- من اختلاف ولا تباين"^(٦).

قال الطبري: " يقول جل ثناؤه: ما ترى في خلق الرحمن الذي خلق لا في سماء ولا في أرض، ولا في غير ذلك من تفاوت، يعني من اختلاف"^(٧).

قال ابن كثير: " أي : بل هو مصطحب مستو، ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة، ولا نقص ولا عيب ولا خلل"^(٨).

قال قتادة: " ما ترى فيهم من اختلاف"^(٩).

قال عطاء الخراساني: " يقال: لا يَفُوتُ بعضه بعضاً"^(١٠).

وقرى: «مَنْ تَقَوَّتِ»، بتشديد الواو بغير ألف"^(١١).

قوله تعالى: {فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} [الملك : ٣]، أي: " فأعد النظر إلى السماء: هل ترى فيها من شقوق أو صدوع؟"^(١٢).

قال الطبري: " يقول: فرد البصر، هل ترى فيه من صدوع؟ وهي من قول الله: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَّرُنَّ مِنْ فَوْقِهِنَّ}، بمعنى: يتشققن ويتصدعن"^(١٣).

قال الزجاج: " أي: هل ترى فيها فروجاً أو صدوعاً"^(١٤).

قال ابن كثير: " أي : انظر إلى السماء فتأملها، هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خلاً ؛ أو فطوراً؟"^(١٥).

عن سفيان: " {هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ}، قال: من شقوق"^(١٦).

عن قتادة: " {مِنْ فُطُورٍ}، قال: من خلل"^(١٧).

وقال السدي: " {هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ}، أي : من خروق"^(١٨).

(١) معاني القرآن: ١٩٧/٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٧٦/٨.

(٣) الدر المنثور: ٢٣٤ /٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٤) الدر المنثور: ٢٣٤ /٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٥) أخرجه أبو الشيخ (٥٥٣، ٦٢٢). وعزاه السيوطي في "الدر المنثور: (٢٩١/٨) إلى ابن المنذر.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٧) تفسير الطبري: ٥٠٦/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٧٧/٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٠٦/٢٣.

(١٠) أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ٩٨.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٦/٢٣.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(١٣) تفسير الطبري: ٥٠٦/٢٣.

(١٤) معاني القرآن: ١٩٧/٥.

(١٥) تفسير ابن كثير: ١٧٧/٨.

(١٦) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٣.

(١٧) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٣.

(١٨) نقلاً عن: تفسير ابن كثير: ١٧٧/٨.

قال قتادة: "يقول: هل ترى من خلل يا ابن آدم" (١).
 عن ابن عباس: "هل ترى من فطور"، قال: الفطور: الوهي" (٢).
 عن عطية العوفي: "هل ترى من فطور" عيب" (٣).
 قال محمد بن كعب الفرّطي: "هل ترى من فطور" فُروج" (٤).

القرآن

{ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)} [الملك : ٤]

التفسير:

ثم أعد النظر مرة بعد مرة، يرجع إليك البصر ذليلاً صاغراً عن أن يرى نقصاً، وهو متعب كليلاً.

قوله تعالى: {ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ} [الملك : ٤]، أي: "ثم أعد النظر مرة بعد مرة" (٥).
 قال الطبري: يقول: "ثم ردّ البصر يا ابن آدم كرتين، مرة بعد أخرى، فانظر {هل ترى من فطور} أو تفاوت" (٦).

قال الزمخشري: "أمره بتكرير البصر فيهنّ متصفحا ومنتبعا يلتبس عيبا وخللا" (٧).
 قال الصابوني: "وإنما أمر بالنظر كرتين، لأن الإنسان إذا نظر في الشيء مرة لا يرى عيبه، ما لم ينظر إليه مرة أخرى، والمراد بالكرتين التكرير بدليل قوله {يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} وهو دليل على كثرة النظر" (٨).

عن ابن عباس: "ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ} مَرَّةً بعد مَرَّةً" (٩).
 عن ابن عباس: "ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ}، يقول: هل ترى في السماء من خلل؟" (١٠).
 قوله تعالى: {يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا} [الملك : ٤]، أي: "يرجع إليك البصر ذليلاً صاغراً عن أن يرى نقصاً" (١١).

قال الطبري: يقول: يرجع إليك بصرك صاغراً مُبْعَدًا من قولهم للكلب: اخسأ، إذا طردوه، أي: أبعد صاغراً" (١٢).

قال الزمخشري: "أي: إن رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وإدراك العيب، بل يرجع إليك بالخشوع، أي: بالبعد عن إصابة الملتمس. كأنه يطرد عن ذلك طرداً بالصغار والقماء" (١٣).

قال ابن كثير: "معنى الآية: إنك لو كررت البصر، مهما كررت، لانقلب إليك، أي: لرجع إليك البصر، {خَاسِئًا} عن أن يرى عيباً أو خللاً" (١٤).
 قال يحيى بن سلام: "يعني: فاترا منقطعاً" (١٥).

(١) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٠٦/٢٣-٥٠٧.

(٣) تفسير الثعلبي ٣٥٧/٩.

(٤) تفسير الثعلبي ٣٥٧/٩.

(٥) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٦) تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٣.

(٧) الكشف: ٥٧٦/٤.

(٨) صفوة التفاسير: ٣٩٢/٣-٣٩٣.

(٩) تفسير البغوي ١٧٦/٨.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٣.

(١١) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٣.

(١٣) الكشف: ٥٧٦/٤.

(١٤) تفسير ابن كثير: ١٧٧/٨.

(١٥) لتصاريف لتفسير القرآن مما اشتهبت أسمائه وتصرفت معانيه: ٣١٦.

قال الزمخشري: أي: " بالإعياء والكلال لطول الإجاله والبرديد"^(١).
 عن ابن عباس، قوله: " {خَاسِيًا وَهُوَ حَسِيرٌ}، يقول: ذليلاً"^(٢).
 عن قتادة، قوله: " {يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِيًا}، أي: حاسراً"^(٣). وفي رواية: " صاغراً"^(٤).

قوله تعالى: {وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك : ٤]، أي: " وهو متعب قليل"^(٥).
 قال الطبري: يقول: وهو مُعْي كَال"^(٦).
 قال الزجاج: " قد أُعْيِي من قبل أن يَرَى في السَّمَاءِ خَلًّا"^(٧).
 قال ابن كثير: " أي : قليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار، ولا يرى نقصاً"^(٨).
 قال يحيى بن سلام: " يعني: وهو قليل قد حسر، أي: قد كلَّ، قد أُعْيَا"^(٩).
 عن قتادة، قوله: " {وَهُوَ حَسِيرٌ}، أي: يقول: مُعْي لم ير خَلًّا ولا تفاوتاً"^(١٠).
 عن ابن عباس، قوله: {وَهُوَ حَسِيرٌ}، يقول: مرجف"^(١١).
 عن ابن عباس: " {يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِيًا وَهُوَ حَسِيرٌ}، بسواد الليل"^(١٢).
 وقال ابن زيد: " الخاسي، والخاسر واحد؛ حَسَر طرفه أن يَرَى فيها فَطْرًا فرجع وهو حسير قيل أن يرى فيها فَطْرًا؛ قال: فإذا جاء يوم القيامة انفطرت ثم انشقت، ثم جاء أمر أكبر من ذلك انكشطت"^(١٣).

القرآن

{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥)}

[الملك : ٥]

التفسير:

ولقد زيننا السماء القريبة التي تراها العيون بنجوم عظيمة مضيئة، وجعلناها شهباً محرقة لمسترقى السمع من الشياطين، وأعدنا لهم في الآخرة عذاب النار الموقدة يقاسون حرها.
 قوله تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} [الملك : ٥]، أي: " ولقد زيننا السماء القريبة التي تراها العيون بنجوم عظيمة مضيئة"^(١٤).
 قال الطبري: " وهي النجوم، وجعلها مصابيح لإضاءتها، وكذلك الصبح إنما قيل له صبح للضوء الذي يضيئ للناس من النهار"^(١٥).
 قال ابن كثير: " ولما نفى عنها في خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت"^(١٦).

- (١) الكشاف: ٥٧٦/٤.
- (٢) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٣.
- (٣) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٣.
- (٤) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٣.
- (٥) التفسير الميسر: ٥٦٢.
- (٦) تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٣.
- (٧) معاني القرآن: ١٩٧/٥.
- (٨) تفسير ابن كثير: ١٧٧/٨.
- (٩) لتصريف لتفسير القرآن مما اشتهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٣١٦.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٣.
- (١١) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٣.
- (١٢) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٣.
- (١٣) أخرجه الطبري: ٥٠٨-٥٠٧/٢٣.
- (١٤) التفسير الميسر: ٥٦٢.
- (١٥) تفسير الطبري: ٥٠٨/٢٣.
- (١٦) تفسير ابن كثير: ١٧٧/٨.

قال الزمخشري: " {الدُّنْيَا}: القربى، لأنها أقرب السماوات إلى الناس، ومعناها: السماء الدنيا منكم. والمصابيح السرج، سميت بها الكواكب، والناس يزينون مساجدهم ودورهم بأثقاب المصابيح، فقيل: ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح أي بأى مصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة"^(١).

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} [الملك : ٥]، أي: " وجعلناها شهبًا محرقة لمسترقي السمع من الشياطين"^(٢).

قال الطبري: " يقول: وجعلنا المصابيح التي زينا بها السماء الدنيا رجوما للشياطين تُرجم بها"^(٣).

قال ابن كثير: " عاد الضمير في قوله: {وَجَعَلْنَاهَا} على جنس المصابيح لا على عينها؛ لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء، بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها"^(٤).

قال الزمخشري: " الرجوم: جمع رجم: وهو مصدر سمي به ما يرمج به. ومعنى كونها مراجم للشياطين: أن الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب، لا أنهم يرمجون بالكواكب أنفسها، لأنها قارة في الفلك على حالها. وما ذاك إلا كقبس يؤخذ من نار، والنار ثابتة كاملة لا تنقص. وقيل: من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب. ومنهم من يخبله. وقيل: معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الإنس وهم النجوم"^(٥).

قال قتادة: " إن الله جلّ ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء الدنيا، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدي بها؛ فمن يتأول منها غير ذلك، فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به"^(٦).

عن محمد بن كعب: " والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء نجم، ولكنهم يتبعون ويتخذون النجوم علة فهو كما أخبرنا الله: {إِنَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَقِيبٌ} [الصفوات : ١٠]، قال: {عَلَى مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينِ} [الشعراء : ٢٢١]، إلى قوله: {وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ} [الشعراء : ٢٢٣]"^(٧).

عن عبد الله بن حفص قال: " خصت العرب بخصال: بالكهانة والقيافة والعيافة والنجوم والحساب، فهدم الإسلام الكهانة، وثبت الباقي بعد ذلك"^(٨).

قوله تعالى: {وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ} [الملك : ٥]، أي: " وأعدنا لهم في الآخرة عذاب النار الموقدة يقاسون حرها"^(٩).

قال الطبري: يقول: " وأعدنا للشياطين في الآخرة عذاب السعير، تُسعر عليهم فئسجر"^(١٠).

قال القرطبي: " أي: أعدنا للشياطين أشد الحريق، يقال: سعرت النار فهي مسعورة وسعير"^(١١).

قال الزمخشري: " في الآخرة بعد عذاب الإحراق بالشهب في الدنيا"^(١٢).

(١) الكشاف: ٥٧٧/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣) تفسير الطبري: ٥٠٨/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٧٧/٨.

(٥) الكشاف: ٥٧٧/٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٠٤٧): ص ٢٨٣١/٩.

(٨) الدر المنثور: ٣٢٩/٣، وعزاه إلى الزبير بن بكار في "المفقيات".

(٩) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٠٨/٢٣.

(١١) تفسير القرطبي: ٢١١/١٨.

(١٢) الكشاف: ٥٧٧/٤.

قال ابن كثير: "أي: جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا، وأعدنا لهم عذاب السعير في الآخرة، كما قال: في أول الصافات: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُفْذَوْنَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} [الصافات: ٦ - ١٠]"^(١).

عن سعيد بن جبير، قال: "السعير: وادي من فيح في جهنم"^(٢).

فوائد الآيات: [٥-١]:

١- تقرير ربوبية الله تعالى بعرض دلائل القدرة والعلم والحكمة والخير والبركة وهي موجبة لألوهيته أي عبادته دون من سواه عز وجل.

٢- بيان الحكمة من خلق الموت والحياة.

٣- بيان الحكمة من خلق النجوم وهي في قول قتادة -رحمه الله-: "إن الله جل ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء الدنيا، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدي بها؛ فمن يتأول منها غير ذلك، فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكأف ما لا علم له به"^(٣).

القرآن

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦)} [الملك: ٦]

التفسير:

وللكافرين بخالقهم عذاب جهنم، وساء المرجع لهم جهنم.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ} [الملك: ٦]، أي: "وللكافرين بخالقهم

عذاب جهنم"^(٤).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ} الذي خلقهم في الدنيا {عَذَابُ

جَهَنَّمَ} في الآخرة"^(٥).

قال الزمخشري: "أي: ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم {عَذَابُ جَهَنَّمَ} ليس

الشياطين المرجومين مخصوصين بذلك"^(٦).

قوله تعالى: {وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الملك: ٦]، أي: "وساء المرجع لهم جهنم"^(٧).

قال الطبري: "يقول: وبئس المصير عذاب جهنم"^(٨).

قال ابن كثير: "أي: بئس المآل والمنقلب"^(٩).

عن ابن أبي نجیح، قوله: "{وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}"، قال: مصير الكافر إلى النار، قال ابن أبي

نجیح: سمعته من عكرمة فعرضته على مجاهد فلم ينكره"^(١٠).

القرآن

{إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ (٧)} [الملك: ٧]

التفسير:

(١) تفسير ابن كثير: ١٧٧/٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٩٠): ص ٩٨٢/٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٥) تفسير الطبري: ٥٠٨/٢٣.

(٦) الكشاف: ٥٧٨/٤.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٨) تفسير الطبري: ٥٠٨/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٧٨/٨.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٠٩): ص ١٨٤٢/٦.

إذا طُرح هؤلاء الكافرون في جهنم سمعوا لها صوتًا شديدًا منكرًا، وهي تغلي غليانًا شديدًا. قوله تعالى: {إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا} [الملك : ٧]، أي: "إذا طُرح هؤلاء الكافرون في جهنم سمعوا لها صوتًا شديدًا منكرًا"^(١).

عن ابن جريج: "سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا"، قال: صياحًا"^(٢). قال الطبري: "يعني إذا ألقى الكافرون في جهنم {سَمِعُوا} لجهنم {شَهيقًا}، يعني بـ«الشهيق»: الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار، كما قال رُوبة في صفة حمار"^(٣).

حَشْرَجَ فِي الْحَوْفِ سَحِيلًا أَوْ شَهَقَ ... حَتَّى يُقَالَ نَاهَقٌ وَمَا نَهَقَ"^(٤). قال الزمخشري: "أي: طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة، ويرمى به. ومثله قوله تعالى: {حَصَبُ جَهَنَّمَ}، {سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا} إِمَّا لِأَهْلِهَا مِمَّنْ تَقْدِمُ طَرَحَهُمْ فِيهَا. أَوْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، كَقَوْلِهِ: {لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ} وإما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق"^(٥). قوله تعالى: {وَهِيَ تَقُورٌ} [الملك : ٧]، أي: "وهي تغلي غليانًا شديدًا"^(٦). قال الطبري: "يقول: تَغْلِي"^(٧).

قال الزمخشري: "تغلي بهم غليان المرجل بما فيه"^(٨). قال مجاهد: "يقول: تغلي كما يغلي القدر"^(٩). وفي رواية: "تفور بهم، كما يفور الحَبُّ القليل في الماء الكثير"^(١٠).

قال الثوري: "تغلي بهم كما يغلي الحَبُّ القليل في الماء الكثير"^(١١). عن أبي يحيى، قال: "إِنَّ الرَّجُلَ لِيُجْرَّ إِلَى النَّارِ، فَتَنْزَوِي وَيَنْقَبِضُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَيَقُولُ لَهَا الرَّحْمَنُ: مَا لَكَ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ كَانَ يَسْتَحِي مِنِّي. فَيَقُولُ: أَرْسِلُوا عَبْدِي. قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ لِيُجْرَّ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا كَانَ هَذَا الظَّنُّ بِكَ. قَالَ: فَمَا كَانَ ظَنُّكَ؟ قَالَ: كَانَ ظَنِّي أَنْ تَسْعَنِي رَحْمَتَكَ. فَيَقُولُ: أَرْسِلُوا عَبْدِي. قَالَ: وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيُجْرَّ إِلَى النَّارِ، فَتَشْهَقُ إِلَيْهِ النَّارُ شَهيقًا الْبَغْلَةَ إِلَى الشَّعِيرِ، ثُمَّ تَرْتَفِرُ زَفْرَةً لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا خَافَ"^(١٢).

القرآن

{تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْعَيْظِ كُلَّمَا أَلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨)} [الملك : ٨]

التفسير:

تكاد جهنم تتمزق من شدة غضبها على الكفار، كلما طُرح فيها جماعة من الناس سألهم الموكلون بأمرها على سبيل التوبيخ: ألم يأتكم في الدنيا رسول يحذركم هذا العذاب الذي أنتم فيه؟

(١) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٢) الدر المنثور: ٢٣٥/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣) البيت من قصيدة له يصف فيها حمار الوحش، وفيه (سحيلًا) وليس "صهيلاً"، و"حشرج" ردد الصوت في حلقة ولم يخرج، و"السحيل" الصوت الذي يدور في صدر الحمار في نهيقه، قاله في "اللسان".

انظر: "ديوانه" ص ١٠٦، "اللسان" (حشرج) ٨٨٤ / ٢، الطبري ٤٧٩ / ١٥، القرطبي ٩٨ / ٩، "البحر المحيط" ٢٥١ / ٥، "الدر المصون" ٣٩٠ / ٦، "تاج العروس" (حشرج) ٣٢٦ / ٣.

(٤) تفسير الطبري: ٥٠٨/٢٣.

(٥) الكشف: ٥٧٨/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٧) تفسير الطبري: ٥٠٩/٢٣.

(٨) الكشف: ٥٧٨/٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٠٩/٢٣.

(١٠) أخرجه هناد (٣١٣)، وابن جرير ١٢٤ / ٢٣ بنحوه. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١١) نقلًا عن: تفسير ابن كثير: ١٧٨/٨.

(١٢) الدر المنثور: ٢٣٥/٨-٢٣٦.

قوله تعالى: {تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ} [المالك : ٨]، أي: "تكاد جهنم تنمزق من شدة غضبها على الكفار"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {تَكَادُ} جهنم تتفرّق وتتقطع {مِنَ الْغَيْظِ} على أهلها"^(٢). قال ابن كثير: "أي : يكاد ينفصل بعضها من بعض، من شدة غيظها عليهم وحقها بهم"^(٣).

قال الزمخشري: "جعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم، ويقولون: فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا، وغضب فطارت منه شقة في الأرض وشقة في السماء: إذا وصفوه بالإفراط فيه. ويجوز أن يراد: غيظ الزبانية"^(٤).

عن ابن عباس، قوله: "{تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ}"، يقول: تتفرّق"^(٥).

قال الضحاك: "يقول: تفرّق"^(٦).

قال فضيل بن عياض: "تَقَطَّعَ"^(٧).

قال ابن عباس: "تكاد يفارق بعضها بعضا وتنفطر"^(٨).

قال ابن زيد: "التميز: التفرّق من الغيظ على أهل معاصي الله غضبا لله، وانتقاما له"^(٩). قوله تعالى: {كَلِمًا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} [المالك : ٨]، أي: "كلما طرح فيها جماعة من الناس سألهم الموكلون بأمرها على سبيل التوبيخ: ألم يأتكم في الدنيا رسول يحذركم هذا العذاب الذي أنتم فيه؟"^(١٠).

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: كلما ألقى في جهنم جماعة، سأل الفوج خزنة جهنم، فقالوا لهم: ألم يأتكم في الدنيا نذير ينذركم هذا العذاب الذي أنتم فيه؟"^(١١).

قال الزمخشري: "{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ}"، توبيخ، يزدادون به عذابا إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم. وخزنتها: مالك وأعوانه من الزبانية"^(١٢).

قال مجاهد: "الرسل من الإنس. والنذير من الجن، ثم قرأ: {وَلَوْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} [الأحقاف : ٢٩]"^(١٣).

قال ابن عباس: "هم الذين استمعوا القرآن وأبلغوه قومهم"^(١٤).

قال الكلبي: "كانت الرسل قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم يبعثون إلى الجن والإنس جميعا"^(١٥).

قال عبيد بن سليمان: "سئل الضحاك عن الجن هل كان فيهم مؤمن قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ألم تسمع قوله تعالى: {مَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ}"^(١٦).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٢) تفسير الطبري: ٥٠٩/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٧٨/٨.

(٤) الكشاف: ٥٧٨/٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٠٩/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٥١٠/٢٣.

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار - موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٨ (١٣٢) -.

(٨) أخرجه الطبري: ٥١٠/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥١٠/٢٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(١١) تفسير الطبري: ٥١٠/٢٣.

(١٢) الكشاف: ٥٧٨/٤.

(١٣) نقلا عن: الكشاف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي: ١٩١/٤.

(١٤) نقلا عن: الكشاف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي: ١٩١/٤.

(١٥) نقلا عن: الكشاف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي: ١٩١/٤.

(١٦) نقلا عن: الكشاف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي: ١٩١/٤.

القرآن

{قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩)}

[الملك : ٩]

التفسير:

أجابوهم قائلين: بلى قد جاءنا رسول من عند الله وحَدَرْنَا، فَكَذَّبْنَا، وَقُلْنَا فيما جاء به من الآيات: ما نَزَّلَ اللهُ على أحد من البشر شيئاً، ما أنتم -أيها الرسل- إلا في ذهاب بعيد عن الحق.

قوله تعالى: {قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا} [الملك : ٩]، أي: "أجابوهم قائلين: بلى قد جاءنا رسول من عند الله وحَدَرْنَا، فَكَذَّبْنَا"^(١).

قال الطبري: "فأجابهم المساكين {قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ} يندرنا هذا، فَكَذَّبْنَا"^(٢).
قال الزمخشري: " {قَالُوا بَلَىٰ} اعتراف منهم بعدل الله، وإقرار بأن الله عز وعلأ أراح عليهم ببعثة الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه"^(٣).

قوله تعالى: {وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ} [الملك : ٩]، أي: "وقلنا فيما جاء به من الآيات: ما نَزَّلَ اللهُ على أحد من البشر شيئاً"^(٤).

قال الطبري: أي: " وَقُلْنَا لَهُ {مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ}"^(٥).

عن أبي الضحى، قال: جاء ابن الأزرق وعطية إلى ابن عباس، فقالا له: أرأيت قول الله عز وجل: { هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْدِنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ } [المرسلات: ٣٦] ، وقال: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمر: ٣١] وقال في مكان آخر: {وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء: ٤٢] وقال: {وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: ٢٣] ، فقال له ابن عباس: «ويحك يا ابن الأزرق، إنه يوم طويل فيه مواقف كثيرة، فيأتي عليهم ما شاء الله وهم لا ينطقون، ثم يؤذن لهم فيختصمون، ثم يأتي عليهم حال فيجحدون شركهم، ويظنون أن ذلك ينفعهم فيختم الله على ألسنتهم، وتنطق جوارحهم فتشهد عليهم بأعمالهم، ثم تنطق ألسنتهم، فتقر بما عملوا فلا يكتُمون الله حديثاً» ، فيقولون: {قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ} [الملك: ٩]^(٦).

قوله تعالى: {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ} [الملك : ٩]، أي: "ما أنتم -أيها الرسل- إلا في ذهاب بعيد عن الحق"^(٧).

قال الطبري: " يقول: في ذهاب عن الحق بعيد"^(٨).

قال السعدي: " فجمعوا بين تكذيبهم الخاص، والتكذيب العام بكل ما أنزل الله ولم يفهم ذلك، حتى أعلنوا بضلال الرسل المنذرين وهم الهداة المهتدون، ولم يكتفوا بمجرد الضلال، بل جعلوا ضلالهم، ضلالاً كبيراً، فأى عناد وتكبر وظلم، يشبه هذا؟"^(٩).

قال الزمخشري: " هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين.. ويجوز أن يكون من كلام الخزنة للكفار على إرادة القول: أرادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا. أو أرادوا بالضلال: الهلاك. أو سموا عقاب الضلال باسمه. أو من كلام الرسل لهم حكوه للخنزة، أي: قالوا لنا هذا فلم نقبله"^(١٠).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٢) تفسير الطبري: ٥١٠/٢٣.

(٣) الكشف: ٥٧٨/٤.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٥) تفسير الطبري: ٥١٠/٢٣.

(٦) تفسير مجاهد: ٦٩٢-٦٩٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٨) تفسير الطبري: ٥١٠/٢٣.

(٩) تفسير السعدي: ٨٧٥.

(١٠) الكشف: ٥٧٨/٤.

قال ابن كثير: " يذكر تعالى عدله في خلقه، وأنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه، كما قال: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء : ١٥] وقال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَحْتِ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [الزمر : ٧١]"^(١).

القرآن

{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)} [الملك : ١٠]

التفسير:

وقالوا معترفين: لو كنا نسمع سماع من يطلب الحق، أو نفكر فيما نُدعى إليه، ما كنا في عداد أهل النار.

قوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ} [الملك : ١٠]، أي: "وقالوا معترفين: لو كنا نسمع سماع من يطلب الحق، أو نفكر فيما نُدعى إليه"^(٢).

عن ابن عباس: "لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ {الهدى أو نعقله؛ فنعمل به"^(٣).

قال الطبري: يقول: "وقال الفوج الذي ألقى في النار للخنزة: {لَوْ كُنَّا} في الدنيا {نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ} من النذر ما جاءونا به من النصيحة، أو نعقل عنهم ما كانوا يدعوننا إليه"^(٤).

قال القشيري: "فأخبر أنهم لم يكن لهم سمع قبول، فاستوجبوا العقوبة لأجله، لم يسمعوا نصيحة الناصحين ولا وعظ الواعظين، ولا ما فيه لقلوبهم حياة"^(٥).

قال السعدي: "ففنوا عن أنفسهم طرق الهدى، وهي السمع لما أنزل الله، وجاءت به الرسل، والعقل الذي ينفع صاحبه، ويوقفه على حقائق الأشياء، وإيثار الخير، والانزجار عن كل ما عاقبته ذميمة، فلا سمع لهم ولا عقل، وهذا بخلاف أهل اليقين والعرفان، وأرباب الصدق والإيمان، فإنهم أيدوا إيمانهم بالأدلة السمعية، فسمعوا ما جاء من عند الله، وجاء به رسول الله، علمًا ومعرفة وعملاً.

والأدلة العقلية: المعرفة للهدى من الضلال، والحسن من القبيح، والخير من الشر، وهم في الإيمان- بحسب ما من الله عليهم به من الاقتداء بالمعقول والمنقول، فسبحان من يختص بفضله من يشاء، ويمن على من يشاء من عباده، ويخذل من لا يصلح للخير"^(٦).

قال الزمخشري: "ومن بدع التفسير: أنّ المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأي، كأنّ هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين، وكأن سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين قد أنزل الله وعيدهم، وكان من كان من هؤلاء فهو من من الناجين لا محالة، وعدة المبشرين من الصحابة: عشرة، لم يضم إليهم حادي عشر، وكان من يجوز على الصراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين"^(٧).

قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك : ١٠]، أي: "ما كنا في عداد أهل النار"^(٨).

قال الطبري: "يعني: أهل النار"^(٩).

(١) تفسير ابن كثير: ١٧٨/٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣) تفسير الثعلبي ٣٥٨ / ٩، وتفسير البغوي ١٧٧ / ٨.

(٤) تفسير الطبري: ٥١٠/٢٣.

(٥) لطائف الإشارات: ٦١٢/٣.

(٦) تفسير السعدي: ٨٧٥.

(٧) الكشف: ٥٧٩/٤.

(٨) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٩) تفسير الطبري: ٥١٠/٢٣.

قال ابن كثير: "عادوا على أنفسهم بالملامة، وندموا حيث لا تنتفعهم الندامة، فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، أي: لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاعتزاز به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم" (١).

عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: «إن لكل شيء دعامة، ودعامة المؤمن عقله، فبقدر ما يعقل يعبد ربه، ولعمري لقد ندم الكفار يوم القيامة، وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير» (٢).

القرآن

{فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)} [الملك : ١١]

التفسير:

فاعترفوا بتكذيبهم وكفرهم الذي استحقوا به عذاب النار، فبعداً لأهل النار عن رحمة الله. قوله تعالى: {فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ} [الملك : ١١]، أي: "فاعترفوا بتكذيبهم وكفرهم الذي استحقوا به عذاب النار" (٣).

قال الطبري: "يقول: فأقرّوا بذنبهم ووحد الذنب" (٤).

قال القشيري: "اعترفوا بذنبهم ولكن في غير وقت الاعتراف" (٥).

قوله تعالى: {فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك : ١١]، أي: "فبعداً لأهل النار عن رحمة الله" (٦).

قال الطبري: "يقول: فبعداً لأهل النار" (٧).

قال الزمخشري: "أي: فبعداً لهم، اعترفوا أو جحدوا، فإن ذلك لا ينفعهم" (٨).

قال السعدي: "أي: بعداً لهم وخسارة وشقاء، فما أشقاهم وأرداهم، حيث فاتهم ثواب الله، وكانوا ملازمين للسعير، التي تستعر في أبدانهم، وتطلع على أفئدتهم!" (٩).

عن ابن عباس، قوله: "فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ"، يقول: بعداً" (١٠).

قال سعيد بن جبیر: "«سُحْقًا» واد في جهنم" (١١).

عن أبي البختري الطائي قال: أخبرني من سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لن يهلك الناس حتى يُعذروا من أنفسهم" (١٢).

وفي حديث آخر: "لا يدخل أحد النار إلا أرى مقعده من الجنة" (١٣).

فوائد الآيات: [٦-١١]:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء ببيان ما يجري فيها من عذاب وعقاب.
- ٢- بيان أن تكذيب الرسل كفر موجب للعذاب، وتكذب العلماء كتكذيب الرسل بعدهم أي في وجوب العذاب المترتب على ترك طاعة الله ورسوله.

(١) تفسير ابن كثير: ١٧٨/٨.

(٢) أخرجه الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٢٨.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٤) تفسير الطبري: ٥١٠/٢٣.

(٥) لطائف الإشارات: ٦١٢/٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٧) تفسير الطبري: ٥١٠/٢٣.

(٨) الكشف: ٥٧٩/٤.

(٩) تفسير السعدي: ٨٧٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥١٠/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥١١/٢٣.

(١٢) المسند (٤/ ٢٦٠).

(١٣) المسند (٥٤١/٢) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

٣- بيان أن ما يقوله أهل النار في اعترافهم هو ما يقوله الملاحدة اليوم في ردهم على العلماء بأن التدين تأخر عقلي ونظر رجعي.
 ٤- تقرير أن الكافر لا يسمع ولا يعقل أي سماعاً ينفعه وعقلاً يحجزه عن المهالك باعتراف أهل النار إذ قالوا {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الملك : ١٢]

التفسير:

إن الذين يخافون ربهم، فيعبدونه، ولا يعصونه وهم غائبون عن أعين الناس، ويخشون العذاب في الآخرة قبل معاينته، لهم عفو من الله عن ذنوبهم، وثواب عظيم وهو الجنة.
 قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ} [الملك : ١٢]، أي: "إن الذين يخافون ربهم، فيعبدونه، ولا يعصونه وهم غائبون عن أعين الناس، ويخشون العذاب في الآخرة قبل معاينته"^(١).

قال الحسن: "الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"^(٢).

قال الطبري: يقول: "إن الذين يخافون ربهم وهم لم يروه"^(٣).

قال ابن أبي زمنين: أي: "في السر بذكر ذنوبه في الخلاء الله منها"^(٤).

قال الواحدي: أي: "قبل معاينة العذاب وأحكام الآخرة"^(٥).

قال السمعاني: "أي: بالوعد والوعيد الذي غاب عنه، ويقال: بالجنة والنار، ويقال: في الخلو"^(٦).

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن من يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس، فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد إلا الله"^(٧).

قال النحاس: "من أحسن ما قيل فيه أن المعنى إن الذين يخشون ربهم إذا غابوا عن أعين الناس لأنه الوقت الذي تكثر فيه المعاصي فإذا خشوا ربهم جلّ وعزّ عند غيبة الناس عنهم فاجتنبوا المعاصي كانوا بحضرة الناس أكثر اجتناباً"^(٨).

قال القشيري: "الخشية توجب عدم القرار، فيكون العبد أبداً- لانزعاجه- كالحبّ على المقلّي لا يقرّ ليله أو نهاره، يتوقع العقوبات مع مجارى الأنفاس، وكلّما ازداد في الله طاعة ازداد لله خشية"^(٩).

قوله تعالى: {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الملك : ١٢]، أي: "لهم عفو من الله عن ذنوبهم، وثواب عظيم وهو الجنة"^(١٠).

قال الطبري: "يقول: لهم عفو من الله عن ذنوبهم ووثاب من الله على خشيتهم إياه بالغيب جزيل"^(١١).

قال ابن كثير: "أي : يكفر عنه ذنوبه، ويجازى بالثواب الجزيل، كما ثبت في الصحيحين : "سبعة يظلمهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله"، فذكر منهم : «رجال

(١) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٠٤): ص٦/١٨٦٤-١٨٦٥.

(٣) تفسير التستري: ١٧٣.

(٤) تفسير ابن أبي زمنين: ١٣/٥.

(٥) الوجيز: ١١١٧.

(٦) تفسير السمعاني: ١٠/٦.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٧٩/٨.

(٨) إعراب القرآن: ٣٠٩/٤.

(٩) لطائف الإشارات: ٦١٣/٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(١١) تفسير الطبري: ٥١١/٢٣.

دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله، ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»^(١)»^(٢).

عن ابن جريج، في قوله: "لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ"، قال: كل شيء في القرآن: {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، {وَرَزَقُ كَرِيمٌ} فهو الجنة^(٣).

عن قتادة: {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرَزَقُ كَرِيمٌ}، قال: " مغفرة لذنوبهم ورزق كريم في الجنة"^(٤).

القرآن

{وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣)} [الملك : ١٣]

التفسير:

وأخفوا قولكم -أيها الناس- في أي أمر من أموركم أو أعلنوه، فهما عند الله سواء، إنه سبحانه عليم بمضمرات الصدور، فكيف تخفى عليه أقوالكم وأعمالكم؟
سبب النزول:

قال ابن عباس: "نزلت في المشركين، كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيخبره جبرائيل ما قالوا فيه ونالوا منه، فيقول بعضهم لبعض: أسروا قولكم كي لا يسمع إله محمد"^(٥).

قال مقاتل: " {وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ} في النبي- صلى الله عليه وسلم- في القلوب، {أَوْ اجْهَرُوا بِهِ}، يعني: أو تكلموا به علانية يعني به كفار مكة"^(٦).

قال الواحدي: "نزلت في المشركين الذين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم بألسنتهم فيخبره الله تعالى فقالوا: فيما بينهم: {أَسْرُوا قَوْلَكُمْ} كيلا يسمع إله محمد.."^(٧).

قوله تعالى: {وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ} [الملك : ١٣]، أي: "وأخفوا قولكم -أيها الناس- في أي أمر من أموركم أو أعلنوه، فهما عند الله سواء"^(٨).

قال الطبري: يقول: "وأخفوا قولكم وكلامكم أيها الناس أو أعلنوه وأظهروه"^(٩).

قوله تعالى: {لَهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الملك : ١٣]، أي: "إنه سبحانه عليم بمضمرات الصدور، فكيف تخفى عليه أقوالكم وأعمالكم؟"^(١٠).

قال النحاس: "أي: بحقيقتها"^(١١).

قال ابن كثير: "أي: بما خطر في القلوب"^(١٢).

قال الطبري: "يقول: إنه ذو علم بضمائر الصدور التي لم يُتَكَلَّمْ بها، فكيف بما نطق به وتكلم به، أخفي ذلك أو أعلن، لأن من لم تخف عليه ضمائر الصدور فغيرها أحرى أن لا يخفي عليه"^(١٣).

قال الحسن: "يعلم من السر ما يعلم من العلانية، ويعلم من العلانية ما يعلم من السر"^(١).

السر"^(١).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٦٠) وصحيح مسلم برقم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٧٩/٨.

(٣) الدر المنثور: ٢٤٦/٥، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري: ١٥٤/١٩.

(٥) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٥٩/٩.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٩١/٤.

(٧) الوجيز: ١١١٧.

(٨) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٩) تفسير الطبري: ٥١١/٢٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(١١) إعراب القرآن: ٣٠٩/٤.

(١٢) تفسير ابن كثير: ١٧٩/٨.

(١٣) تفسير الطبري: ٥١١/٢٣.

قال القشيري: " خوفهم بعلمه، وندبهم إلى مراقبته، لأنه يعلم السرّ وأخفى، ويسمع الجهر والنجوى" (٢).

القرآن

{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)} [الملك : ١٤]

التفسير:

ألا يعلم ربُّ العالمين خلقه وشؤونهم، وهو الذي خلقهم وأتقن خلقهم وأحسنه؟ وهو اللطيف بعباده، الخبير بهم وبأعمالهم.

قوله تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} [الملك : ١٤]، أي: "ألا يعلم ربُّ العالمين خلقه وشؤونهم، وهو الذي خلقهم وأتقن خلقهم وأحسنه؟" (٣).

قال الطبري: يقول: " {أَلَا يَعْلَمُ} الربُّ جلّ ثناؤه {مَنْ خَلَقَ} من خلقه؟ يقول: كيف يخفي عليه خلقه الذي خلق" (٤).

قال ابن أبي زمنين: " على الاستفهام؛ أي: هو خلقكم، فكيف لا يعلم سركم وعلايتكم؟! " (٥).

قال السمعاني: " {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ، والمعنى: ألا يعلم من في الصدور من خلق الصدور، ويقال: «من»، بمعنى: «ما»، وهو مثل قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا} [الشمس : ٥]، أي: ومن بناها" (٦).

قال ابن كثير: " أي : ألا يعلم الخالق. وقيل : معناه ألا يعلم الله مخلوقه ؟ والأول أولى، لقوله: {وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} " (٧).

قوله تعالى: {وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك : ١٤]، أي: " وهو اللطيف بعباده، الخبير بهم وبأعمالهم" (٨).

عن قتادة، قوله: " {خَبِيرٌ}، قال: " خبير بخلقه" (٩).

قال الطبري: يقول: " {وَهُوَ اللَّطِيفُ} بعباده {الْخَبِيرُ} بهم وبأعمالهم" (١٠).

قال ابن أبي زمنين: " {وَهُوَ اللَّطِيفُ} بلطفه خلق الخلق، {الْخَبِيرُ} بأعمال العباد" (١١).

قال السمعاني: " أي: اللطيف في علمه، يعلم ما يظهر وما يسر وكل ما دق، يقال لطيف، ويقال: الخبير هو العالم" (١٢).

قال القشيري: " وفي كل جزء من خلقه- من الأعيان والآثار- أدلة على علمه وحكمه" (١٣).

عيسى بن إسماعيل بن عيسى بن المسيّب، قال: " بينا رجل واقف بالليل في شجر كثير وقصفت الريح فوقه في نفس الرجل فقال: أترى الله يعلم ما يسقط من هذه الورق؟ فنودي من خلفه: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}؟! " (١٤).

(١) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١١/٦.

(٢) لطائف الإشارات: ٦١٣/٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٤) تفسير الطبري: ٥١١/٢٣.

(٥) تفسير ابن أبي زمنين: ١٣/٥.

(٦) تفسير السمعاني: ١١/٦.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٧٩/٨.

(٨) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٩) تفسير عبدالرزاق (٢٣٨٩): ص ٥٦/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٥١١/٢٣.

(١١) تفسير ابن أبي زمنين: ١٣/٥.

(١٢) تفسير السمعاني: ١١/٦.

(١٣) لطائف الإشارات: ٦١٣/٣.

وروى محمد بن فضيل عن زرير عن ابن أبي أسماء: "أن رجلا دخل غيضة فقال: لو خلوت هاهنا للمعصية من كان يراني؟ قال: فسمع صوتا ملاً ما بين لابتي الغيضة، {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}؟!"^(١).

القرآن

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)}

[الملك : ١٥]

التفسير:

الله وحده هو الذي جعل لكم الأرض سهلة ممهدة تستقرون عليها، فامشوا في نواحيها وجوانبها، وكلوا من رزق الله الذي يخرج لكم منها، وإليه وحده البعث من قبوركم للحساب والجزاء.

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا} [الملك : ١٥]، أي: "الله وحده هو الذي جعل لكم الأرض سهلة ممهدة تستقرون عليها"^(٢).

قال الطبري: يقول: "الله الذي جعل لكم الأرض ذلولا سهلا سهلها لكم"^(٤).

قال ابن زنين: "أي: سهل لكم السلوك فيها وذلها لكم"^(٥).

قال الثعلبي: أي: "سهلا مسخرة لا تمتنع"^(٦).

قال النحاس: "أي: سهلة تمشون عليها. يقال: ذلول بينة الذلّ، وذليل بين الذلّ"^(٧).

قال السمعاني: "أي: مذللة، وتذليلها: تسهيل السير فيها والقرار عليها"^(٨).

قال ابن كثير: "ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخير له الأرض وتذليله إياها لهم، بأن جعلها قارة ساكنة لا تمتد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهياها فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار"^(٩).

قوله تعالى: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا} [الملك : ١٥]، أي: "فامشوا في نواحيها وجوانبها"^(١٠).

اختلف أهل العلم في معنى: {مَنَاكِبِهَا} [الملك : ١٥]، على أقوال:

أحدها: أن مناكبها: جبالها. قاله ابن عباس^(١١)، وقتادة^(١٢).

عن قتادة، عن بشير بن كعب: "أنه قرأ هذه الآية: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا} فقال لجارية له: إن دريت ما مناكبها، فأنت حرة لوجه الله؛ قالت: فإن مناكبها: جبالها، فكأنما سفع في وجهه، ورغب في جاريته، فسأل، منهم من أمره، ومنهم من نهاه، فسأل أبا الدرداء، فقال: الخير في طمأنينة، والشر في ريبة، فذر ما يريبك إلى ما لا يريبك"^(١٣).

الثاني: أن مناكبها: أطرافها ونواحيها. قاله ابن عباس-أيضا-^(١٤)، والكلبي^(١٥).

قال النحاس: "مَنَاكِبِهَا، جمع: «منكب»، وهو الناحية"^(١).

(١) رواه الثعلبي: ٣٥٩/٩.

(٢) رواه الثعلبي: ٣٥٩/٩.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٤) تفسير الطبري: ٥١١/٢٣.

(٥) تفسير ابن أبي زنين: ١٣/٥.

(٦) الكشف والبيان: ٣٥٩/٩.

(٧) إعراب القرآن: ٣٠٩/٤.

(٨) تفسير السمعاني: ١١/٦.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٧٩/٨.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥١٢/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥١٢/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢٣.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥١٢/٢٣.

(١٥) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي: ٣٥٩/٩.

قال الثعلبي: " أصل «المنكب»: الجانب، ومنه منكب الرجل، والريح النكاب، وتنكب فلان" (٢).

قال ابن عباس: " يقول: امشوا في أطرافها" (٣).
عن قتادة: " أن بشير بن كعب العدوي، قرأ هذه الآية: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا}، فقال لجاريته: إن أخبرتني ما مناكبها، فأنت حرّة، فقالت: نواحيها؛ فأراد أن يتزوّجها، فسأل أبا الدرداء، فقال: إن الخير في طمأنينة، وإن الشرّ في ريبة، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك" (٤).
الثالث: طرقها وفجاجها. قاله مجاهد (٥)، والسدي (٦).
الرابع: في منابت زرعها وأشجارها، قاله الحسن (٧).
الخامس: سهلها. قاله الحسن -أيضا- (٨).
السادس: أكامها (٩). قاله الضحاك (١٠).

قال الطبري: " الصواب قول من قال: معنى ذلك: فامشوا في نواحيها وجوانبها، وذلك أن نواحيها نظير مناكب الإنسان التي هي من أطرافها" (١١).
قال ابن كثير: " أي: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيتكم لا يجدي عليكم شيئاً، إلا أن يبسره الله لكم" (١٢).
قوله تعالى: {وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ} [الملك: ١٥]، أي: " وكلوا من رزق الله الذي يخرجكم منها" (١٣).

قال الطبري: " يقول: وكلوا من رزق الله الذي أخرجكم من مناكب الأرض" (١٤).
وقال الثعلبي: أي: " الحلال" (١٥).
قال ابن كثير: " فالسعي في السبب لا ينافي التوكل... كنا روي عن عمر بن الخطاب، إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تُعْذُو خِمَاصًا وَتُرُوحُ بَطَانًا» (١٦).
فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق، مع توكّلها على الله، عز وجل، وهو المسخرّ المسير المسبب" (١٧).
قوله تعالى: {وَالْيَهُ الثُّمُورُ} [الملك: ١٥]، أي: " وإليه وحده البعث من قبوركم للحساب والجزاء" (١٨).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: وإلى الله نشركم من قبوركم" (١٩).

-
- (١) إعراب القرآن: ٣٠٩/٤.
 - (٢) الكشف والبيان: ٣٥٩/٩.
 - (٣) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢٣.
 - (٤) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢٣.
 - (٥) انظر: تفسير الطبري: ٥١٢/٢٣.
 - (٦) انظر: النكت والعيون: ٥٤/٦.
 - (٧) انظر: النكت والعيون: ٥٤/٦.
 - (٨) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي: ٣٥٩/٩.
 - (٩) «أكامها»: بالمدّ جمع أكمة وهو التراب والأرض المرتفعة دون الجبال.
 - (١٠) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي: ٣٥٩/٩.
 - (١١) تفسير الطبري: ٥١٣/٢٣.
 - (١٢) تفسير ابن كثير: ١٧٩/٨.
 - (١٣) التفسير الميسر: ٥٦٣.
 - (١٤) تفسير الطبري: ٥١٣/٢٣.
 - (١٥) الكشف والبيان: ٣٥٩/٩.
 - (١٦) المسند (٣٠/١) وسنن الترمذي برقم (٢٣٤٤) وسنن ابن ماجه برقم (٤١٦٤).
 - (١٧) تفسير ابن كثير: ١٧٩/٨.
 - (١٨) التفسير الميسر: ٥٦٣.
 - (١٩) تفسير الطبري: ٥١٣/٢٣.

قال السمعاني: "أي: في الآخرة"^(١).
 قال ابن كثير: "أي: المرجع يوم القيامة"^(٢).
 فوائد الآيات: [١٢-١٥]:

- ١- فضيلة الإيمان بالغيب ومراقبة الله تعالى في السر والعلن.
- ٢- مشروعية السير في الأرض لطلب الرزق من التجارة والفلاحة وغيرهما.
- ٣- الإيماء إلى طلب الرزق والمكاسب، وأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وعلى قدرته، والتذكير بنعمه، والتحذير من الركون إلى الدنيا.
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

القرآن

{أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نُذِيرُ (١٧)} [الملك :]
 التفسير:

هل أمنتم -يا كفار «مكة» - الله الذي فوق السماء أن يخسف بكم الأرض، فإذا هي تضطرب بكم حتى تهلكوا؟ هل أمنتم الله الذي فوق السماء أن يرسل عليكم ريحا ترحمكم بالحجارة الصغيرة، فستعلمون -أيها الكافرون- كيف تحذيري لكم إذا عاينتم العذاب؟ ولا ينفعكم العلم حين ذلك.

قوله تعالى: {أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ} [الملك : ١٦]، أي: "هل أمنتم -يا كفار «مكة» - الله الذي فوق السماء أن يخسف بكم الأرض"^(٣).
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} أيها الكافرون {أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ}"^(٤).

وفي قوله تعالى: {أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ} [الملك : ١٦]، وجوه:
 أحدها: أي: من على السماء يعني: على العرش. فإنه تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات من غير مماسة ولا تكييف كما قال أهل العلم.

فإن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله فوق جميع مخلوقاته، مستو على عرشه، في سمائه، عاليا على خلقه، باننا منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى عليه خافية، قال تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل : ٥٠]، وقال: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠] وقال لعيسى: {إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران: ٥٥] وقال: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء: ١٥٨] وقال: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [الأنبياء: ١٩] وقال: {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ} [الأنعام: ١٨] وقال: {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ} [غافر: ١٥]، وقال عز وجل: {يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} [السجدة: ٥] وقال: {ذِي الْمَعَارِجِ، تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ} [المعارج: ٤].

ومنه قوله-صلى الله عليه وسلم-: "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟! "^(٥)،
 ووقوله-صلى الله عليه وسلم-: "أين الله؟" قالت: في السماء. قال: "من أنا؟"، قالت: أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: "أعتقها؛ فإنها مؤمنة"^(٦).

(١) تفسير السمعاني: ١١/٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٧٩/٨.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٤) تفسير الطبري: ٥١٣/٢٣.

(٥) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

(٦) رواه مسلم (٥٣٧)، وأحمد (٤٤٧/٥).

وللصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم آثار كثيرة عن علو الله وفوقيته، جمعها الذهبي في "العلو"، وحققه واختصره: الألباني - رحمه الله -، وابن قدامة في "أثبات صفة العلو".

قال الذهبي: "السموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السموات، وكل ما علا فهو سماء، يعني: جميع السموات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات"^(١).
الثاني: من ملكوته في السماء، لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ، ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيته. ذكره الزمخشري^(٢).
قال القشيري: "مَنْ فِي السَّمَاءِ" أراد بهم الملائكة الذين يسكنون السماء، فهم موكلون بالعذاب، وخوفهم بالملائكة أن ينزلوا عليهم العقوبة من السماء، أو يخسفوا بهم الأرض"^(٣).
الثالث: أنهم كانوا يعتقدون التشبيه، وأنه في السماء، وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه، وكانوا يدعونه من جهتها، فقبل لهم على حسب اعتقادهم: أأنتم من تزعمون أنه في السماء، وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب. ذكره الزمخشري^(٤).
قوله تعالى: {فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} [الملك : ١٦]، أي: "فإذا هي تضطرب بكم حتى تهلكوا"^(٥).

قال الطبري: "يقول: فإذا الأرض تذهب بكم وتجيئ وتضطرب"^(٦).

قال ابن كثير: "أي: تذهب وتجيئ وتضطرب"^(٧).

قال أبو عبيدة: "كما يمور السحاب"^(٨).

قال ابن قتيبة: "أي تدور، كما يمور السحاب: إذا دار وجاء وذهب"^(٩).

قال الزجاج: "معنى «تمور»: تَدُور"^(١٠).

قال أبو أحمد السامري بإسناده إلى ابن عباس: "يعني: تنشق بلغة قريش"^(١١).

قال الحسن: "تحرك بأهلها"^(١٢).

قال الضحّاك: "تدور بهم وهم في قعرها"^(١٣).

قال ابن كيسان: "تهوى بهم"^(١٤).

قوله تعالى: {أَمْ أَمِئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} [الملك : ١٧]، أي: هل أمنتُم الله الذي فوق السماء أن يرسل عليكم ريحا ترجمكم بالحجارة الصغيرة"^(١٥).

قال الطبري: يقول: "أَمْ أَمِئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ" وهو الله، {أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} وهو التراب فيه الحصباء الصغار"^(١٦).

(١) العرش: ٣٧٨/٢.

(٢) انظر: الكشف: ٥٨١/٤.

(٣) لطائف الإشارات: ٦١٤/٣.

(٤) انظر: الكشف: ٥٨١/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٦) تفسير الطبري: ٥١٣/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٨٠/٨.

(٨) مجاز القرآن: ٢٦٢/٢.

(٩) غريب القرآن: ٤٧٥.

(١٠) معاني القرآن: ٢٠٠/٥.

(١١) اللغات في القرآن: ٤٧.

(١٢) حكاة عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٦٠/٩.

(١٣) حكاة عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٦٠/٩.

(١٤) حكاة عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٦٠/٩.

(١٥) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(١٦) تفسير الطبري: ٥١٣/٢٣.

قال ابن كثير: "أي: ريحا فيها حصباء تدمغكم، كما قال: ﴿أَقَامِيْنُكُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِيًّا ثُمَّ لَا تُجِدُوا لَكُمْ وَكِيْلًا﴾ [الإسراء: ٦٨]"^(١).
قال الزجاج: "أي: كما أرسل على قوم لوطِ الحجارة التي حصبَتْهم"^(٢).
وفي قوله تعالى: ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِيًّا﴾ [الملك: ١٧]، وجهان:
أحدهما: يعني حجارة من السماء، قاله قتادة^(٣).

الثاني: إن «الحاصب»: الريح العاصف، سميت بذلك لأنها ترمي بالحصباء، و«القاصف» الريح التي تقصف الشجر فتكسره، قاله الفراء^(٤)، وأبو عبيدة^(٥)، وابن قتيبة^(٦)، والسجستاني^(٧)، ومنه قول الفرزدق^(٨):

مُسْتَقْبِلِيْنَ شَمَالَ الشَّامِ تُضْرِبُنَا ... بِحَاصِبِ كَنْدِيْفِ الْفُطْنِ مَثُوْرٍ
أي: بصقيع.

قال النحاس: "هو التراب والحصى، ويكون السحاب الذي فيه البرد والصواعق"^(٩).
قال الثعلبي: "ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط وأصحاب الفيل"^(١٠).
قوله تعالى: ﴿فَسَتَّعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ [الملك: ١٧]، أي: "فستعلمون -أيها الكافرون- كيف تحذيري لكم إذا عابنتم العذاب؟ ولا ينفعكم العلم حين ذلك"^(١١).
قال الطبري: "يقول: فستعلمون أيها الكفرة كيف عاقبة نذيري لكم، إذ كذبتكم به، ورددتموه على رسولي"^(١٢).

قال الثعلبي: "أي: إنذاري بالعذاب"^(١٣).
قال ابن كثير: "أي: كيف يكون إنذاري وعاقبة من تخلف عنه وكذب به"^(١٤).
قال السمعاني: "أي: إنذاري، والمعنى: كنت محقا في إنذاري إياكم العذاب"^(١٥).

القرآن

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨)﴾ [الملك: ١٨]

التفسير:

ولقد كذب الذين كانوا قبل كفار «مكة» كقوم نوح وعاد وثمود رسلهم، فكيف كان إنكاري عليهم، وتغيير ما بهم من نعمة بإنزال العذاب بهم وإهلاكهم؟
قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الملك: ١٨]، أي: "ولقد كذب الذين كانوا قبل كفار «مكة» كقوم نوح وعاد وثمود رسلهم"^(١٦).

-
- (١) تفسير ابن كثير: ١٨٠/٨.
(٢) معاني القرآن: ٢٠٠/٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٨/١٧.
(٤) حكاة عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٥٧/٣.
(٥) انظر: مجاز القرآن: ٣٨٥/١.
(٦) انظر: غريب القرآن: ٢٥٩.
(٧) انظر: غريب القرآن: ٣٧٦.
(٨) ديوانه ٢٦٢ والكامل ٤٦٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٣٨٥/١، والطبري ٤٩٨/١٧، ٨٧/٢٠، والقرطبي ٢٩٢/١٠.
(٩) إعراب القرآن: ٣١٠/٤.
(١٠) الكشف والبيان: ٣٦٠/٩.
(١١) التفسير الميسر: ٥٦٣.
(١٢) تفسير الطبري: ٥١٣/٢٣.
(١٣) الكشف والبيان: ٣٦٠/٩.
(١٤) تفسير ابن كثير: ١٨٠/٨.
(١٥) تفسير السمعاني: ١٢/٦.
(١٦) التفسير الميسر: ٥٦٣.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ولقد كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم الخالية رسلهم"^(١).
 قال ابن كثير: "أي: من الأمم السالفة والقرون الخالية"^(٢).
 قوله تعالى: {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} [الملك : ١٨]، أي: "كيف كان إنكاري عليهم، وتغيير ما بهم من نعمة بإنزال العذاب بهم وإهلاكهم؟"^(٣).
 قال الأخفش: "أي: إنكاري"^(٤).
 قال مقاتل: "يعني: تغيير وإنكاري، ألم يجدوا العذاب حقاً، يخوف كفار مكة"^(٥).
 قال الطبري: "يقول: فكيف كان نكيري تكذيبهم إياهم"^(٦).
 قال ابن كثير: "أي: كيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم؟ أي: عظيمًا شديدًا أليماً"^(٧).
 عن قتادة، قوله: {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ}، قال: "شديد والله لقد عجل لهم عقوبة الدنيا ثم صيرهم إلى النار"^(٨).

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَاقَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ
 (١٩) { [الملك : ١٩]

التفسير:

أَغْلَ هؤلاء الكافرون، ولم ينظروا إلى الطير فوقهم، باسطات أجنحتها عند طيرانها في الهواء، ويضممنها إلى جنوبها أحياناً؟ ما يحفظها من الوقوع عند ذلك إلا الرحمن. إنه بكل شيء بصير لا يرى في خلقه نقص ولا تفاوت.

قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَاقَاتٍ وَيَقْبِضْنَ} [الملك : ١٩]، أي: "أولم ينظروا نظر اعتبار إلى الطيور فوقهم، باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها وتحلقها، ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن وقتاً بعد وقتاً؟"^(٩).

قال الطبري: "يقول: أو لم ير هؤلاء المشركون إلى الطير فوقهم صاقات أجنحتهن، ويقبضن أجنحتهن أحياناً. وإنما عني بذلك أنها تصف أجنحتها أحياناً، وتقبض أحياناً"^(١٠).

قال ابن كثير: "أي: تارة يصفن أجنحتهن في الهواء، وتارة تجمع جناحاً وتنشر جناحاً"^(١١).

قال القرطبي: "أي: كما نزل الأرض للأدمي ذلل الهواء للطيور. و{صَاقَاتٍ}، أي: باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها، لأنهن إذا بسطنها صفن قوائمها صفاً. و{وَيَقْبِضْنَ}، أي: يضربن بها جنوبهن"^(١٢).

عن مجاهد، قوله: "صَاقَاتٍ وَيَقْبِضْنَ"، بسطن أجنحتهن وقبضهن"^(١٣).

(١) تفسير الطبري: ٥١٣/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٨٠/٨.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٤) معاني القرآن: ٥٤٦/٢.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٩٢/٤.

(٦) تفسير الطبري: ٥١٣/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٨٠/٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧٢) ص: ٣١٧٩/١٠.

(٩) صفوة التفاسير: ٣٩٥/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٥١٣/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ١٨٠/٨.

(١٢) تفسير القرطبي: ٢١٧/١٨.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥١٤/٢٣.

عن قتادة، قوله: "صَاقَاتٍ"، قال: الطير يصف جناحه كما رأيت، ثم يقبضه"^(١).
قال مقاتل: "وعظهم ليعتبروا في صنع الله فيوحدونه"^(٢).
قال الزجاج: "بين لهم بخلق السموات والأرضين ما دلهم على توحيده، وبين لهم
بتسخير الطير في جو السماء صاقَاتٍ أجنحتهن وقابضاتها"^(٣).
قال الفشيري: "أولم يروا كيف خلق الطيور على اختلاف أجناسها، واختصاصها
بالطيران لأن لها أجنحة- بخلاف الأجسام الأخر"^(٤).
قوله تعالى: {مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ} [الملك : ١٩]، أي: "ما يمسكهن في الجو عن
السقوط في حال البسط والقبض، إلا الخالق الرحمن الذي وسعت رحمته كل ما في الأكوان"^(٥).
قال الطبري: "يقول: ما يمسك الطير الصافات فوقكم إلا الرحمن. يقول: فلم بذلك
مذكر إن ذكروا، ومعتبر إن اعتبروا، يعلمون به أن ربهم واحد لا شريك له"^(٦).
قال الثعلبي: "ما يحبسهن في حال القبض والبسط أن يسقطن، {إِلَّا الرَّحْمَنُ}"^(٧).
قال البيضاوي: "ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع، {إِلَّا الرَّحْمَنُ} الشامل رحمته
كل شيء بأن خلقهن على أشكال وخصائص هيأتهن للجري في الهواء"^(٨).
قال ابن كثير: "ما يُمَسِّكُهُنَّ، أي: في الجو {إِلَّا الرَّحْمَنُ}، أي: بما سخر لهن من
الهواء، من رحمته ولطفه.. وهذه كقوله: {أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا
يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [النحل : ٧٩]"^(٩).
قال الزجاج: "بقدرته"^(١٠).
قال الزمخشري: "بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي"^(١١)، وبنى الأجسام على
شكل وخصائص قد تأتي منها الجري في الجو"^(١٢).
قال النحاس: "لأنه جلّ وعزّ خلق الجو فاستمسكن فيه"^(١٣).
قال السمعاني: "يعني: ما يمسكهن عن الوقوع إلا الرحمن، قالوا: الهواء للطير بمنزلة
الماء للسباح، فهو يسبح في الهواء بجناحيه كما يسبح الإنسان في الماء بأطرافه"^(١٤).
قال الفشيري: "من الذي يمسكهن ويحفظهن وهن يقبضن ويبسطن أجنحتهن في
الفضاء؟ وما الذي يوجبه العقل حفظ هذه الطيور أم بقية الأجسام الأخر؟"^(١٥).
قوله تعالى: {إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ} [الملك : ١٩]، أي: "إنه بكل شيء بصير لا يرى في
خلقه نقص ولا تفاوت"^(١٦).

- (١) أخرجه الطبري: ٥١٤/٢٣.
- (٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٩٢/٤.
- (٣) معاني القرآن: ٢٠٠/٥.
- (٤) لطائف الإشارات: ٦١٤/٣.
- (٥) صفوة التفسير: ٣٩٥/٣.
- (٦) تفسير الطبري: ٥١٤/٢٣.
- (٧) الكشف والبيان: ٣٦٠/٩.
- (٨) تفسير البيضاوي: ٢٣٠/٥.
- (٩) تفسير ابن كثير: ١٨٠/٨.
- (١٠) معاني القرآن: ٢٠٠/٥.
- (١١) في الصحاح «قوادم الطير»: مقادير ريشه، وهي عشر ريشات في كل جناح. والخوافي ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح.
- (١٢) الكشف: ٥٨١/٤. قال أبو حيان: هذا القول فيه نزوع إلى قول أهل الطبيعة. ونحن نقول: إن أثقل الأشياء إذا أراد إمساكها في الهواء واستعلاءها إلى العرش كان ذلك، وإذا أراد إنزال ما هو أخف سفلا إلى منتهى ما ينزل كان، وليس ذلك معذوقا بشكل، لا من ثقل ولا خفة. [البحر المحيط: ٢٢٨/١٠]
- (١٣) إعراب القرآن: ٣١٠/٤.
- (١٤) تفسير السمعاني: ١٢/٦.
- (١٥) لطائف الإشارات: ٦١٤/٣.
- (١٦) التفسير الميسر: ٥٦٣.

قال الطبري: "يقول: إن الله بكل شيء ذو بصر وخبرة، لا يدخل تدبيره خلل، ولا يرى في خلقه تفاوت"^(١).

قال السمعاني: "أي: عليم"^(٢).

قال ابن كثير: "أي: بما يصلح كل شيء من مخلوقاته"^(٣).

قال البيضاوي: "يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب"^(٤).

فوائد الآيات: [١٦-١٩]:

١- تحذير المعرضين عن الله وإنذارهم بسوء العواقب إن استمروا على إعراضهم فإن الله قادر على أن يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم حاصباً من السماء وليس هناك من يؤمنهم ويجيرهم بحال من الأحوال. إلا إيمانهم وإسلامهم لله عز وجل.

٢- في الهالكين الأولين عبر وعظات لمن له قلب حي وعقل يعقل به.

٣- أخير سبحانه باستوائه على عرشه في ستة مواضع من كتابه، فذكر في سورة الأعراف، ويونس، والرعد، وطه، والفرقان، و (الم تنزيل) السجدة، والحديد.

- وقال تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافُ وَالرَّافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران: ٥٥].

- وقال: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء: ١٥٨].

- وقال: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠].

- وقال: {أَمْئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمْئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} [الملك: ١٦ و ١٧].

٤- من آيات الله في الآفاق الدالة على قدرة الله وعلمه ورحمته الموجبة لعبادته وحده طيران الطير في السماء وهو يبسط جناحيه ويقبضها ولا يسقط إذ المفروض أن يبقى دائماً يخفق بجناحيه يدفع نفسه فيطير بمساعدة الهواء أما إذا قبض أو بسط المفروض أنه يسقط ولكن الرحمن عز وجل يمسه فلا يسقط.

القرآن

{أَمْنَ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِنَّا فِي عُرُورٍ (٢٠) أَمْنَ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ} [الملك: ٢٠-٢١]

التفسير:

بل من هذا الذي هو في زعمكم -أيها الكافرون- حزب لكم ينصركم من غير الرحمن، إن أراد بكم سوءاً؟ ما الكافرون في زعمهم هذا إلا في خداع وضلال من الشيطان. بل من هذا الرازق المزعوم الذي يرزقكم إن أمسك الله رزقه ومنعه عنكم؟ بل استمر الكافرون في طغيانهم وضلالهم في معاندة واستكبار ونفور عن الحق، لا يسمعون له، ولا يتبعونه.

قوله تعالى: {أَمْنَ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ} [الملك: ٢٠]، أي:

بل من هذا الذي هو في زعمكم -أيها الكافرون- حزب لكم ينصركم من غير الرحمن، إن أراد بكم سوءاً؟^(٥).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: للمشركين به من قريش: من هذا الذي هو جند لكم أيها

الكافرون به، ينصركم من دون الرحمن إن أراد بكم سوءاً، فيدفع عنكم ما أراد بكم من ذلك"^(٦).

قال النحاس: "أي: يدفع عنكم إن أراد بكم سوءاً"^(٧).

(١) تفسير الطبري: ٥١٤/٢٣.

(٢) تفسير السمعاني: ١٢/٦.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٨٠/٨.

(٤) تفسير البيضاوي: ٢٣٠/٥.

(٥) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٦) تفسير الطبري: ٥١٤/٢٣.

(٧) إعراب القرآن: ٣١٠/٤.

قال ابن أبي زمنين: "على الاستفهام إن أراد عذابكم، أي: ليس أحد ينصركم من دونه"^(١).

قال ابن كثير: "يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا غيره، يبتغون عندهم نصراً ورزقاً، مُنْكَرًا عليهم فيما اعتقدوه، ومُخْبِرًا لهم أنه لا يحصل لهم ما أملوه، فقال: {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ}، أي: ليس لكم من دونه من ولي ولا واق، ولا ناصر لكم غيره"^(٢).

قوله تعالى: {إِنَّ الْكَافِرُونَ لَنَا فِي عُرُورٍ} [الملك: ٢٠]، أي: "ما الكافرون في زعمهم هذا إلا في خداع وضلال من الشيطان"^(٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ما الكافرون بالله إلا في غرور من ظنهم أن آلهتهم تقربهم إلى الله زلفى، وأنها تنفع أو تضر"^(٤).

قال النحاس: "أي: ما الكافرون في ظنهم، أي: عبادتهم غير الله جلّ وعزّ ينفعهم إلا في غرور"^(٥).

قال ابن أبي زمنين: "يعني: في غرور الشيطان"^(٦). قوله تعالى: {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ} [الملك: ٢١]، أي: "بل من هذا

الرازق المزعوم الذي يرزقكم إن أمسك الله رزقه ومنعه عنكم؟"^(٧). قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: أم من هذا الذي يطعمكم ويسقيكم، ويأتي بأقواتكم إن أمسك بكم رزقه الذي يرزقه عنكم"^(٨).

قال النحاس: "أي: إن أمسك رزقه فهل يرزقكم من تعبدون من دونه"^(٩).

قال ابن كثير: "أي: من هذا الذي إذا قطع الله رزقه عنكم يرزقكم بعده؟! أي: لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق، وينصر إلا الله، عز وجل، وحده لا شريك له، أي: وهم يعلمون ذلك، ومع هذا يعبدون غيره"^(١٠).

قوله تعالى: {بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ} [الملك: ٢١]، أي: "بل استمر الكافرون في طغيانهم وضلالهم في معاندة واستكبار ونفور عن الحق، لا يسمعون له، ولا يتبعونه"^(١١).

قال الطبري: "يقول: بل تمادوا في طغيان ونفور عن الحق واستكبار"^(١٢).

قال ابن كثير: "أي: استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم {فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ}، أي: في معاندة واستكباراً ونفوراً على أدبارهم عن الحق، أي: لا يسمعون له ولا يتبعونه"^(١٣).

عن ابن عباس، قوله: "بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ"، يقول: في ضلال"^(١٤). قال مجاهد: "النُّفُورُ: الكُفُور"^(١٥).

قال ابن أبي زمنين: "في عُتُوٍّ وهو الشرك، {وَنُفُورٍ} عن الإيمان"^(١).

(١) تفسير ابن أبي زمنين: ١٥/٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٨١/٨.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٤) تفسير الطبري: ٥١٤/٢٣.

(٥) إعراب القرآن: ٣١٠/٤.

(٦) تفسير ابن أبي زمنين: ١٥/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٨) تفسير الطبري: ٥١٤/٢٣.

(٩) إعراب القرآن: ٣١٠/٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ١٨١/٨.

(١١) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(١٢) تفسير الطبري: ٥١٤/٢٣.

(١٣) تفسير ابن كثير: ١٨١/٨.

(١٤) أخرجه الطبري: ٥١٥/٢٣.

(١٥) أخرجه الطبري: ٥١٥/٢٣، وانظر: تفسير مجاهد: ٦٦٧.

القرآن

{أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٢)} [الملك : ٢٢]

التفسير:

أفمن يمشي منكسًا على وجهه لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب، أشد استقامة على الطريق وأهدى، أمَّن يمشي مستويًا منتصب القمة سالمًا على طريق واضح لا اعوجاج فيه؟ قوله تعالى: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا} [الملك : ٢٢]، أي: "أفمن يمشي منكسًا على وجهه لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب، أشد استقامة على الطريق وأهدى، أمَّن يمشي مستويًا منتصب القمة سالمًا"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {أَفَمَنْ يَمْشِي} أيها الناس {مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ} لا يبصر ما بين يديه، وما عن يمينه وشماله أشد استقامة على الطريق، وأهدى له، {أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا} مشي بني آدم على قدميه"^(٢).

قال ابن زنين: " {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ} لا يبصر موضع قدميه؛ وهذا مثل للكافر، {أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا} عدلا يبصر حيث يسلك، وهذا مثل المؤمن؛ أي: أن المؤمن أهدى من الكافر"^(٣).

قال الزجاج: "أعلم الله - عزَّ وجلَّ - أن المؤمن سالك الطريقة المستقيمة، وأن الكافر في ضلالته بمنزلة الذي يمشي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ. وجاء في التفسير أن الكافر يمشي على وجهه في الآخرة"^(٤).

قال ابن كثير: " وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ، أي : يمشي منحنيا لا مستويا على وجهه، أي : لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب ؟ بل تائه حائر ضال، أهذا أهدى {أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا}، أي : منتصب القامة"^(٥).

قال ابن عباس: " يقول: من يمشي في الضلالة أهدى، أم من يمشي مهتديا؟"^(٦).
عن مجاهد، قوله: " {مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ}، قال: في الضلالة"^(٧).

عن الضحاك قوله: " {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ}، يعني: الكافر. أهدى {أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا} المؤمن؟ ضرب الله مثلا لهما"^(٨).
وعن قتادة: " {يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، قال المؤمن عمل بطاعة الله، فيحشره الله على طاعته"^(٩).

قال قتادة: " هو الكافر أكبَّ على معاصي الله في الدنيا، حشره الله يوم القيامة على وجهه، فقيل: يا نبيَّ الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يحشره يوم القيامة على وجهه»"^(١٠).

(١) تفسير ابن أبي زنين: ١٥/٥.

(٢) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٣) تفسير الطبري: ٥١٥/٢٣.

(٤) تفسير ابن أبي زنين: ١٥/٥.

(٥) معاني القرآن: ٢٠٠/٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٨١/٨.

(٧) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٣.

عن نُفَيْع قال : "سمعت أنس بن مالك يقول : قيل : يا رسول الله، كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ فقال : "أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادرًا على أن يمشيهم على وجوههم" (١).

قوله تعالى: {عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [المك : ٢٢] ، أي: "على طريق واضح لا اعوجاج فيه؟" (٢).

قال الطبري: "يقول: على طريق لا اعوجاج فيه" (٣).
قال ابن كثير: "أي : على طريق واضح بين، وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة. هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة. فالمؤمن يحشر يمشي سويًا على صراط مستقيم، مُفَضَّ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ الْفِيحَاءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يَحْشَرُ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، {أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ} (٤).
عن قتادة: " {عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، أي: على الإسلام" (٥).
عن قتادة: " {إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} : أي الإسلام" (٦).
عن مجاهد: {إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [هود: ٥٦] ، يعني: «على الحق» (٧).
وعن مجاهد: " {أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [المك : ٢٢] ، يعني: «على الحق المستقيم» (٨).

عن مجاهد، قوله: " {عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، قال: حق مستقيم" (٩).
عن مجاهد، {صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} : " يعني: الإسلام: الدين الحق" (١٠).
عن مجاهد في قوله: " {صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، قال: الحق" (١١).
عن عاصم الأحول، عن أبي العالية: "الصراط المستقيم، قال: هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه من بعده. قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن. فقال صدق أبو العالية ونصح" (١٢).

القرآن

{قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي دَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)} [المك : ٢٣-٢٤]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: الله هو الذي أوجدكم من العدم، وجعل لكم السمع لتسمعوا به، والأبصار لتبصروا بها، والقلوب لتعقلوا بها، قليلا -أيها الكافرون- ما تودون شكر هذه النعم لربكم الذي أنعم بها عليكم. قل لهم: الله هو الذي خلقكم ونشركم في الأرض، وإليه وحده تُجمعون بعد هذا التفرق للحساب والجزاء.

قوله تعالى: {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ} [المك : ٢٣] ، أي: "قل لهم -أيها الرسول-: الله هو الذي أوجدكم من العدم" (١).

(١) المسند (١٦٧/٣)، وانظر: صحيح البخاري برقم (٤٧٦٠) وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٦).

(٢) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٣) تفسير الطبري: ٥١٥/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٨١/٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٩٠ / ٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢١.

(٧) تفسير مجاهد: ٣٨.

(٨) تفسير مجاهد: ٦٦٧.

(٩) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٣.

(١٠) تفسير مجاهد: ٣٣٣.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٦٨): ص ١٢٨٧/٤.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٦٧): ص ١٢٨٧/٤.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: قل يا محمد للذين يكذبون بالبعث من المشركين. الله الذي أنشأكم فخلقكم"^(٢).

قال ابن كثير: "أي: ابتداء خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً"^(٣).

قوله تعالى: {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ} [الملك : ٢٣]، أي: "وجعل لكم السمع لتسمعوا به، والأبصار لتبصروا بها، والقلوب لتعقلوا بها"^(٤).

قال الطبري: يقول: "وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ" {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ} تسمعون به، {وَالْأَبْصَارَ} تبصرون بها {وَالْأَفْئِدَةَ} تعقلون بها"^(٥).

قال السعدي: "يقول تعالى - مبيهاً أنه المعبود وحده، وداعياً عباده إلى شكره، وإفراده بالعبادة -: {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ} أي: أوجدكم من العدم، من غير معاون له ولا مظاهر، ولما أنشأكم، كمل لكم الوجود بالسمع والأبصار والأفئدة، التي هي أنفع أعضاء البدن وأكمل القوى الجسمانية"^(٦).

قال ابن كثير: "وَالْأَفْئِدَةَ، أي: العقول والإدراك"^(٧).

قوله تعالى: {قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} [الملك : ٢٣]، أي: "قليلاً -أيها الكافرون- ما تؤدون شكر هذه النعم لربكم الذي أنعم بها عليكم"^(٨).

قال الطبري: "يقول: قليلاً ما تشكرون ربكم على هذه النعم التي أنعمها عليكم"^(٩).

قال ابن كثير: "أي: ما أقل تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم، في طاعته وامتنال أوامره وترك زواجه"^(١٠).

قال السعدي: "ولكنه مع هذا الإنعام {قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} الله، قليل منكم الشاكر، وقليل منكم الشكر"^(١١).

قوله تعالى: {قُلْ هُوَ الَّذِي دَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ} [الملك : ٢٤]، أي: "قل لهم: الله هو الذي خلقكم ونشركم في الأرض"^(١٢).

قال ابن عباس: "أي: خلقكم في الأرض"^(١٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد، الله الذي خلقكم في الأرض"^(١٤).

قال ابن كثير: "أي: بثكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها، مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم، وحلائكم وأشكالكم وصوركم"^(١٥).

قال السعدي: "أي: بثكم في أقطارها، وأسكنكم في أرجائها، وأمركم، ونهاكم، وأسدى عليكم من النعم، ما به تنتفعون"^(١٦).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٢) تفسير الطبري: ٥١٧/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٨.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٥) تفسير الطبري: ٥١٧/٢٣.

(٦) تفسير السعدي: ٨٧٧.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٨.

(٨) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٩) تفسير الطبري: ٥١٧/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٨.

(١١) تفسير السعدي: ٨٧٧.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(١٣) تفسير القرطبي: ٢٢٠/١٨.

(١٤) تفسير الطبري: ٥١٧/٢٣.

(١٥) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٨.

(١٦) تفسير السعدي: ٨٧٧.

قوله تعالى: {وَالِيَهُ نُحْشِرُونَ} [الملك : ٢٤]، أي: " وإليه وحده تُجمعون بعد هذا التفرق للحساب والجزاء" (١).
 قال الطبري: " يقول: وإلى الله تحشرون، فتجمعون من قبوركم لموقف الحساب" (٢).
 قال ابن كثير: " أي : تجمعون بعد هذا التفرق والشتات، يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم" (٣).
 قال السعدي: " ثم بعد ذلك يحشركم ليوم القيامة" (٤).

القرآن

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦)} [الملك : ٢٥-٢٦]

التفسير:

ويقول الكافرون: متى يتحقق هذا الوعد بالحشر يا محمد؟ أخبرونا بزمانه أيها المؤمنون، إن كنتم صادقين فيما تدعون، قل -أيها الرسول- لهؤلاء: إن العلم بوقت قيام الساعة اختص الله به، وإنما أنا نذير لكم أخوفكم عاقبة كفركم، وأبين لكم ما أمرني الله ببيانه غاية البيان.
 قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ} [الملك : ٢٥]، أي: " ويقول الكافرون: متى يتحقق هذا الوعد بالحشر يا محمد؟ أخبرونا بزمانه أيها المؤمنون" (٥).
 قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه: ويقول المشركون: متى يكون ما تعدنا من الحشر إلى الله" (٦).

قال ابن كثير: " ثم قال مخبراً عن الكفار المنكرين للمعاد المستبشرين وقوعه: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}، أي : متى يقع هذا الذي تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق؟" (٧).

قوله تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الملك : ٢٥]، أي: " إن كنتم صادقين فيما تدعون" (٨).
 قال الطبري: أي: " إن كنتم صادقين في وعدكم إيانا ما تعدوننا" (٩).
 قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ} [الملك : ٢٦]، أي: " قل -أيها الرسول- لهؤلاء: إن العلم بوقت قيام الساعة اختص الله به" (١٠).
 قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المستعجلين بالعذاب وقيام الساعة: إنما علم الساعة، ومتى تقوم القيامة عند الله لا يعلم ذلك غيره" (١١).

قال السمعاني: " أي: علم الساعة عند الله" (١٢).
 قال ابن كثير: " أي : لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله، عز وجل، لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه" (١٣).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٢) تفسير الطبري: ٥١٧/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٨.

(٤) تفسير السعدي: ٨٧٧.

(٥) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٦) تفسير الطبري: ٥١٧/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٨.

(٨) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٩) تفسير الطبري: ٥١٧/٢٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(١١) تفسير الطبري: ٥١٧/٢٣.

(١٢) تفسير السمعاني: ١٤/٦.

(١٣) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٨.

قوله تعالى: {وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} [الملك : ٢٦]، أي: " وإنما أنا نذير لكم أخوفكم عاقبة كفركم، وأبين لكم ما أمرني الله ببيانه غاية البيان" (١).
 قال الطبري: " يقول: وما أنا إلا نذير لكم أنذركم عذاب الله على كفركم به، {مُّبِينٌ}: قد أبان لكم إنذاره" (٢).
 قال السمعاني: " أي: منذر بين النذارة" (٣).
 قال ابن كثير: " وإنما علي البلاغ، وقد أدبته إليكم" (٤).

القرآن

{فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ (٢٧)} [الملك :

٢٧

التفسير:

فلما رأى الكفار عذاب الله قريباً منهم وعابنوه، ظهرت الذلة والكآبة على وجوههم، وقيل توبيخاً لهم: هذا الذي كنتم تطالبون تعجيله في الدنيا.
 قوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً} [الملك : ٢٧]، أي: " فلما رأى الكفار عذاب الله قريباً منهم وعابنوه" (٥).
 قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: فلما رأى هؤلاء المشركون عذاب الله قريباً، وعابنوه" (٦).
 قال ابن كثير: " أي : لما قامت القيامة وشاهدها الكفار، ورأوا أن الأمر كان قريباً ؛ لأن كل ما هو آتٍ آتٍ وإن طال زمنه" (٧).
 قال السعدي: " ساءهم ذلك وأفطعهم، وقلقل أفئدتهم، فتغيرت لذلك وجوههم، ووبخوا على تكذيبهم، وقيل لهم هذا الذي كنتم به تكذبون، فاليوم رأيتموه عياناً، وانجلى لكم الأمر، وتقطعت بكم الأسباب ولم يبق إلا مباشرة العذاب" (٨).
 عن الحسن، قوله: " {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ}، قال: لما عابنوه" (٩).
 عن أبي رجاء، قال: " سألت الحسن، عن قوله: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً}، قال: معابنة" (١٠).
 قال قتادة: " لما عابنت من عذاب الله" (١١). وفي رواية: " لما رأوا عذاب الله زلفة" (١٢).
 عن مجاهد، قوله: " {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً}، قال: قد اقترب" (١٣).
 قال ابن زيد: " قيل: الزلفة حاضر قد حضرهم عذاب الله عز وجل" (١٤).
 قوله تعالى: {سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الملك : ٢٧]، أي: " ظهرت الذلة والكآبة على وجوههم" (١٥).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٢) تفسير الطبري: ٥١٧/٢٣.

(٣) تفسير السمعاني: ١٤/٦.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٨.

(٥) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٦) تفسير الطبري: ٥١٨/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٨.

(٨) تفسير السعدي: ٨٧٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٣.

(١٥) التفسير الميسر: ٥٦٣.

قال الطبري: "يقول: ساء الله بذلك وجوه الكافرين"^(١).
 قال السمعاني: "أي: تبيين السوء والكآبة في وجوههم. ويقال: اسودت وجوههم"^(٢).
 قال ابن كثير: "فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك، لما يعلمون ما لهم هناك من الشر، أي : فأحاط بهم ذلك، وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب، {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا (٤) وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الزمر : ٤٧، ٤٨] ؛ ولهذا يقال لهم على وجه التقرير والتوبيخ: {هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ}، أي : تستعجلون"^(٣).

قال قتادة: "يقول: سيئت وجوههم حين عاينوا من عذاب الله وخزيه ما عاينوا"^(٤).
 قوله تعالى: {وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ} [الملك : ٢٧]، أي: "وقيل توبيخاً لهم: هذا الذي كنتم تطلبون تعجيله في الدنيا"^(٥).
 قال الطبري: "يقول: وقال الله لهم: هذا العذاب الذي كنتم به تذكرون ربكم أن يعجله لكم"^(٦).

قال الحسن البصري: "الذي كنتم به تَدْعُونَ {تَدْعُونَ أَنْ لَا جنة وَلَا نار}"^(٧).
 قال ابن زيد: "استعجالهم بالعذاب"^(٨).
 قال النحاس: "أصح ما قيل فيه أنه «تفتعلون»، من: «الدعاء»، ثم أدغم"^(٩).
 قال ابن قتيبة: "أي: تَدْعُونَ. وهو «تفتعلون»، من الدعاء"^(١٠).
 قال الفراء: "يريد: «تَدْعُونَ»، وهو مثل قوله: تَدْكُرُونَ، وتَدْكُرُونَ، وتخبرون وتختبرون، والمعنى واحد والله أعلم"^(١١).

القراءة المشهورة: {تَدْعُونَ}، بتشديد الدال بمعنى: تفتعلون من الدعاء، وذكر عن قتادة والضحاك أنهما قرءا ذلك: «تَدْعُونَ» بالتخفيف، بمعنى: تفتعلون في الدنيا"^(١٢).
 قال الزجاج: "فأما {تَدْعُونَ}، فجاء في التفسير ككذبون، وتأويله في اللغة: هذا الذي كنتم من أجله تَدْعُونَ الأباطيل والأكاذيب، أي: تدعون أنكم إذا مئتم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم لا تُخْرَجُونَ، ومن قرأ «تَدْعُونَ»، بالتخفيف، فالمعنى: هذا الذي كنتم به تستعجلون وتدعون الله في قولكم: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}. ويجوز أن يكون معنى: {تَدْعُونَ} هذا أيضاً «تَفْتَعِلُونَ»، من: الدعاء. و«تفتعلون» من: الدعوى، يجوز ذلك - والله أعلم"^(١٣).

عن قتادة: "أنه قرأها: {الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ}، خفيفة؛ ويقول: كانوا يدعون بالعذاب، ثم قرأ: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}"^(١٤).

-
- (١) تفسير الطبري: ٥١٨/٢٣.
 (٢) تفسير السمعاني: ١٤/٦.
 (٣) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٨.
 (٤) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٣.
 (٥) التفسير الميسر: ٥٦٣.
 (٦) تفسير الطبري: ٥١٨/٢٣.
 (٧) تفسير الثعلبي ٣٦١/٩.
 (٨) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٣.
 (٩) إعراب القرآن: ٣١١/٤.
 (١٠) غريب القرآن: ٤٧٥، وهو قول أكثر العلماء على ما في القرطبي ٢٢٠/١٨، والفخر ١٩٢/٨، واللسان ٢٨٦/١٨. وهو اختيار الطبري ٨/٢٩. وانظر البحر ٣٠٤-٣٠٣/٨.
 (١١) معاني القرآن: ١٧١/٣.
 (١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥١٩/٢٣.
 (١٣) معاني القرآن: ٢٠١/٥.
 (١٤) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢٣.

فوائد الآيات: [٢٠-٢٧]:

- ١- تقرير حقيقة ثابتة وهي أن الكافر يعيش في غرور كامل ولذا يرفض دعوة الحق.
- ٢- تقرير حقيقة ثابتة وهي انحراف الكافر وضلاله واستقامة المؤمن وهدايته.
- ٣- وجوب الشكر لله تعالى على نعمة السمع والبصر والقلب وذلك بالإيمان والطاعة.
- ٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٢٨)}

[الملك : ٢٨]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكافرين: أخبروني إن أماتني الله ومن معي من المؤمنين كما تتمنون، أو رحمتنا فأخّر آجالنا، وعافانا من عذابه، فمن هذا الذي يحميكم، ويمنعكم من عذاب أليم موجه؟ قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا} [الملك : ٢٨]، أي: "قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكافرين: أخبروني إن أماتني الله ومن معي من المؤمنين كما تتمنون، أو رحمتنا فأخّر آجالنا، وعافانا من عذابه"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ} يا محمد للمشركين من قومك، {أَرَأَيْتُمْ} أيها الناس {إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ} فأماتني {وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا} فأخّر في آجالنا"^(٢).

قال الماتريدي: "أي: قل إن أهلكني الله ومن معي بما سبق من الأجرام والزلات، أو رحمتنا بما سبق منا من الإيمان به والانقياد لأمره والخضوع لطاعته"^(٣).

قال السمعاني: "قال أهل التفسير: كان الكفار يقولون: إن محمدا وأصحابه أكلة رأس، يهلكون عن قريب، وكل يرجون الأباطيل في حق الرسول وأصحابه، فقال الله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا} يعني: إن نجونا أو هلكننا"^(٤).

قوله تعالى: {فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ} [الملك : ٢٨]، أي: "فمن هذا الذي يحميكم، ويمنعكم من عذاب أليم موجه؟"^(٥).

قال أبو العالية: "الأليم: الموجه في القرآن كله"^(٦)، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك"^(٧).

قال السمعاني: "أي: فمن يجيركم من عذاب الله تعالى وقد كفرتم به"^(٨).

قال الطبري: أي: "فمن يجير الكافرين} بالله {من عذاب} موجه مؤلم، وذلك عذاب النار. يقول: ليس ينجي الكفار من عذاب الله مؤثنا وحياتنا، فلا حاجة بكم إلى أن تستعجلوا قيام الساعة، ونزول العذاب، فإن ذلك غير نافعكم، بل ذلك بلاء عليكم عظيم"^(٩).

قال الماتريدي: "أي: أي شيء يجير الكافرين من عذابه، ولم يسبق منهم إلى ربهم حسنة يرحمون لأجلها، ولا طاعة يستوجبون الغفران بها؟! أو فمن يجيرهم من عذاب الله تعالى إن

(١) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٢) تفسير الطبري: ٥١٩/٢٣.

(٣) تأويلات أهل السنة: ١٣٢/١٠.

(٤) تفسير السمعاني: ١٥/٦.

(٥) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

(٨) تفسير السمعاني: ١٥/٦.

(٩) تفسير الطبري: ٥١٩/٢٣.

حل بهم؟! فكأنه قيل له: قل لهم: هذا لأنهم كانوا يعبدون الأصنام؛ رجاء أن تنصرهم من العذاب الأليم، فيقول: لا تجبرهم تلك الأصنام من العذاب الأليم"^(١).

قال ابن كثير: "أي: خلصوا أنفسكم، فإنه لا منقذ لكم من الله إلا التوبة والإنابة، والرجوع إلى دينه، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال، فسواء عذبنا الله أو رحماً، فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم"^(٢).

قال الزمخشري في الآية: "كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك، فأمر بأن يقول لهم: نحن مؤمنون متربصون لإحدى الحسينين: إما أن نهلك كما تتمنون فننقلب إلى الجنة، أو نرحم بالنصرة والإدالة للإسلام كما نرجو، فأنتم ما تصنعون؟ من يجيركم- وأنتم كافرون- من عذاب النار؟ لا بد لكم منه، يعنى: إنكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة، وأنتم في أمر هو الهلاك الذي لإهلاك بعده، وأنتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه. أو إن أهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم، والآخذين بحجزكم من النار، وإن رحماً بالإمهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم، فإنّ المقتول على أيدينا هالك. أو إن أهلكنا الله في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون، فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم، وإن رحماً بالإيمان فمن يجير من لا إيمان له"^(٣).

قال السعدي في الآية: "ولما كان المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم، الذين يردون دعوته، ينتظرون هلاكه، ويتربصون به ريب المنون، أمره الله أن يقول لهم: أنتم وإن حصلت لكم أمانيتكم وأهلكني الله ومن معي، فليس ذلك بنافع لكم شيئاً، لأنكم كفرتم بآيات الله، واستحققتم العذاب، فمن يجيركم من عذاب أليم قد تحتم وقوعه بكم؟ فإذا، تعبكم وحرصكم على هلاك غير مفيد، ولا مجد عنكم شيئاً"^(٤).

قال ابن الجوزي: "معنى الآية: إنا مع إيماننا، بين الخوف والرجاء: فمن يجيركم مع كفركم من العذاب؟! أي: لأنه لا رجاء لكم كرجاء المؤمنين"^(٥).

القرآن

{قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٩)} [الملك : ٢٩]

التفسير:

قل: الله هو الرحمن صدقنا به وعملنا بشرعه، وأطعناه، وعليه وحده اعتمدنا في كل أمورنا، فستعلمون -أيها الكافرون- إذا نزل العذاب: أي الفريقيين منا ومنكم في بُعد واضح عن صراط الله المستقيم؟

قوله تعالى: {قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّا بِهِ} [الملك : ٢٩]، أي: قل: الله هو الرحمن صدقنا به وعملنا بشرعه، وأطعناه"^(٦).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد: ربنا {الرَّحْمَنُ} صدقنا به"^(٧).

قال ابن كثير: "أي: أمانا برب العالمين الرحمن الرحيم"^(٨).

قال السعدي: "الإيمان يشمل التصديق الباطن، والأعمال الباطنة والظاهرة"^(٩).

(١) تأويلات أهل السنة: ١٣٢/١٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٨.

(٣) الكشاف: ٥٨٣/٤.

(٤) تفسير السعدي: ٨٧٨.

(٥) زاد المسير: ٣١٧/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٧) تفسير الطبري: ٥١٩/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٨.

(٩) تفسير السعدي: ٨٧٨.

قوله تعالى: {وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا} [الملك : ٢٩]، أي: "وعليه وحده اعتمدنا في كل أمورنا"^(١).
قال الطبري: "يقول: وعليه اعتمدنا في أمورنا، وبه وثقنا فيها"^(٢).
قال ابن كثير: "أي: وعليه توكلنا في جميع أمورنا، كما قال: {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود : ١٢٣]"^(٣).

قال السعدي: "ولما كانت الأعمال، وجودها وكمالها، متوقفة على التوكل، خص الله التوكل من بين سائر الأعمال، وإلا فهو داخل في الإيمان، ومن جملة لوازمه كما قال تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} فإذا كانت هذه حال الرسول وحال من اتبعه، وهي الحال التي تتعين للفلاح، وتتوقف عليها السعادة، وحالة أعدائه بضدها، فلا إيمان لهم ولا توكل، علم بذلك من هو على هدى، ومن هو في ضلال مبين"^(٤).

قال الزمخشري: "فإن قلت: لم أخرج مفعول آمننا وقدم مفعول {تَوَكَّلْنَا}؟ قلت: لوقوع {آمناً} تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم، كأنه قيل: آمننا ولم نكفر كما كفرتم، ثم قال: وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما أنتم متكولون عليه من رجالكم وأموالكم"^(٥).

قوله تعالى: {فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الملك : ٢٩]، أي: "فستعلمون -أيها الكافرون- إذا نزل العذاب: أي الفريقين منا ومنكم في بُعد واضح عن صراط الله المستقيم"^(٦).
قال الطبري: "يقول: فستعلمون أيها المشركون بالله الذي هو في ذهاب عن الحق، والذي هو على غير طريق مستقيم منا ومنكم إذا صرنا إليه، وحشرنا جميعا"^(٧).
قال السمعاني: "أي: خطأ بين، وتباعد من الحق وضلال عنه"^(٨).
قال ابن كثير: "أي: منا ومنكم، ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة؟"^(٩).
عن سعيد بن جبير: "المبين: البين"^(١٠).

القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٣٠)} [الملك : ٣٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن صار ماؤكم الذي تشربون منه ذاهبا في الأرض لا تصلون إليه بوسيلة، فمن غير الله يجيئكم بماء جار على وجه الأرض ظاهر للعيون؟
قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا} [الملك : ٣٠]، أي: "قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن صار ماؤكم الذي تشربون منه ذاهبا في الأرض لا تصلون إليه بوسيلة"^(١١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ} يا محمد لهؤلاء المشركين: {أَرَأَيْتُمْ} أيها القوم العادلون بالله {إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ} غائرا لا تتاله الدلاء"^(١٢).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٢) تفسير الطبري: ٥١٩/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٨-١٨٣.

(٤) تفسير السعدي: ٨٧٨.

(٥) الكشف: ٥٨٣/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٧) تفسير الطبري: ٥١٩/٢٣.

(٨) تفسير السمعاني: ١٥/٦.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٨٣/٨.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٢٠٩): ص ٣٠٢٧/٩.

(١١) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٢٠/٢٣.

قال الزجاج: " معنى مَعِين جَارٍ من العُيون، وجاء في التفسير: ظاهر، والمعنى: أنه يظهر من العُيون" (١).

قال ابن كثير: " أي: ذاهبا في الأرض إلى أسفل، فلا يُنال بالفئوس الحداد، ولا السواعد الشداد، والغائر: عكس النابح" (٢).

عن سعيد بن جبیر، قوله: " {إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا}، لا تناله الدلاء" (٣).

قال قتادة والضحاك: " أي: ذاهبا" (٤).

وقيل: " إن الآية نزلت في بئر زمزم وبئر ميمون، وهما بمكة" (٥).

قوله تعالى: {فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} [الملك: ٣٠]، أي: " فَمَنْ غير الله يجيئكم بماء جار

على وجه الأرض ظاهر للعيون؟" (٦).

قال الطبري: " يقول: فمَنْ يجيئكم بماء تراه العيون ظاهر" (٧).

قال ابن كثير: " أي: نابح سائح جار على وجه الأرض، لا يقدر على ذلك إلا الله، عز

وجل، فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة" (٨).

قال السمعاني: " يعني: أن الله هو القادر أن يأتي به، ولا تصلون إليه بأنفسكم" (٩).

قال السعدي: " أي: تشربون منه، وتسقون أنعامكم وأشجاركم وزروعكم؟ وهذا استفهام

بمعنى النفي، أي: لا يقدر أحد على ذلك غير الله تعالى" (١٠).

عن ابن عباس، قوله: " {فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ}، يقول: بماء عذب" (١١).

عن سعيد بن جبیر، قوله: " {فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ}، قال: الظاهر" (١٢).

قال قتادة، والضحاك: " الماء المعين: الجاري" (١٣).

قال الزمخشري: " عن بعض الشطار أن هذه الآية تليت عنده، فقال: تجيء به الفئوس

والمعاول، فذهب ماء عينيه، نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته" (١٤).

فوائد الآيات: [٢٨-٣٠]:

١- بيان ما كان عليه المشركون من عداوة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى تمنوا موته.

٢- وجوب التوكل على الله عز وجل بعد الإيمان.

٣- مشروعية الحجاج لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

«آخر تفسير سورة (الملك)، والحمد لله وحده»

نسألُه سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على

سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) معاني القرآن: ٢٠١/٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٨٣/٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٣.

(٥) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٥/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٧) تفسير الطبري: ٥٢٠/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٨٣/٨.

(٩) تفسير السمعاني: ١٥/٦.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٧٨.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٣.

(١٤) الكشف: ٥٨٣/٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «القلم»

«سورة القلم» هي السورة الثامنة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الخامسة والأخيرة من المجموعة الخامسة من قسم المفصل، نزلت بعد سورة العلق، عدد آياتها اثنتان وخمسون. وكلماتها ثلاثمائة. وحروفها ألف ومائتان وست وخمسون. فواصل آياتها: «من»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة القلم»:

سميت «سورة القلم» في كتب السنة وكتب التفسير والمصاحف، ووجه تسميتها لافتتاحها بما أقسم الله تعالى به وهو قوله تعالى: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١)} [القلم : ١]، وقد ورد لفظ «القلم» في سورة العلق ، قال تعالى: {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} [العلق : ٤]، وجاءت بلفظ الجمع في سورة آل عمران في قوله: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَبِيدِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُونَ أَفْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} [آل عمران : ٤٤] ، وفي سورة لقمان، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [لقمان : ٢٧] .

■ ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول: «سورة "ن"»:

سميت سورة «ن»، وعنوت بها في بعض المصاحف وبعض كتب التفسير، فسميت هذه السورة بالحرف المفرد الذي افتتحت به مثل ما سميت سورة «ص»، وسورة «ق».

■ الاسم الثاني: «سورة "ن والقلم"»:

وردت هذه التسمية في كلام ابن عباس-رضي الله عنهما^(٢)، كما عنون لها بعض المفسرين في كتبهم^(٣)، وترجم لها البخاري في صحيحه^(٤)، وكذلك الحاكم في مستدركه^(٥). وهذان الاسمان (سورة «ن»، وسورة «ن والقلم» هما اسمان اجتهاديان، لم يردا عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة قولان:

أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس^(٦)، والحسن^(٧)، وعكرمة^(٨)، وعطاء^(٩)، وجابر^(١٠).

عن ابن عباس قال: نزلت سورة {ن والقلم} بمكة^(١١).

الثاني : أنها مكية إلا قوله عزّ وجلّ: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ} [القلم : ١٧] إلى قوله عزّ وجلّ: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [القلم : ٣٣]، نزلت بالمدينة. حكى هذا القول عن ابن عباس^(١٢)، وقتادة^(١٣).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٦/١.

(٢) الدر المنثور: ٢٤٠/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه والبيهقي. كما سيأتي في مكان نزول السورة.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٥/٢٣، وتأويلات أهل السنة: ١٣٤/١٠، والمحزر الوجيز: ٣٥٥/٥، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٥٩/٦.

(٥) انظر: المستدرک: ٥٤٠/٢.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٢٤٠/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.

(١١) الدر المنثور: ٢٤٠/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٣١٨/٤.

(١٣) انظر: زاد المسير: ٣١٨/٤.

وذكر الماوردي عن ابن عباس: "من أولها إلى قوله سبحانه: {سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرطومِ} [القلم : ١٦] مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [القلم : ٣٣]، مدني، ومن بعد ذلك إلى قوله: {يَكْتُبُونَ} [القلم : ٤٧] مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله: {مِنَ الصَّالِحِينَ} [القلم : ٥٠] مدني، وباقي السورة مكي (١).

قال السمعاني: "هي مكية في قول الأكثرين" (٢).

قال ابن عطية: "هي مكية، ولا خلاف فيها بين أحد من أهل التأويل" (٣).

فهذه السورة من أوائل ما نزل من القرآن بمكة، فقد نزلت: «اقرأ باسم ربك» ثم هذه، ثم المزمّل، ثم المدثر كما روى عن ابن عباس (٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

- ١- إنه ذكر في آخر «الملك» تهديد المشركين بتغيير الأرض، وذكر هنا ما هو كالدليل على ذلك وهو ثمر البستان الذي طاف عليه طائف فأهلكه وأهلك أهله وهم نائمون.
- ٢- إنه ذكر فيما قبل أحوال السعداء والأشقياء، وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع، وأنه لو شاء لخسف بهم الأرض أو أرسل عليهم حاصبا، وكان ما أخبر به هو ما أوحى به إلى رسوله، وكان المشركون ينسبون في ذلك مرة إلى الشعر وأخرى إلى السحر وثالثة إلى الجنون- فبراه الله في هذه السورة مما نسبوه إليه، وأعظم أجره على صبره على أذاهم وأتني على خلقه (٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها

من مقاصد السورة الكريمة:

- ١- الدفاع عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وصدّ الكفار والمشركين وردّ أذاهم عنه .
- ٢- تبرئة رسول الله من التهم المزعومة والباطلة التي كان الكفار يوجهونها إليه ويطعنوه بها، حيث يقول تعالى: {مَا أَتَتْ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥)} [القلم : ٢ - ٥].
- ٣- الحديث عن عقوبة مانعي الزكاة الذين لا ينفقون زكاة أموالهم كما أمرهم الله تعالى، والإشارة إلى عذاب الله الذي ينتظرهم .
- ٤- تهديد المجرمين والمكذبيين برسالة الإسلام ودعوة رسول الله بعاقبة السوء وبعذاب الله تعالى يوم القيامة .
- ٥- دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الصبر مشيرةً السورة إلى تسرع النبي يونس وتخليه عن صبره كما أشار إلى ذلك سبحانه وتعالى .
- ٦- فضح الكافرين في إعراضهم عن دعوة الحق وكلام النبي أملا منهم في الوصول إلى اتفاق يجمع بين عقيدتهم والعقيدة الإسلامية، قال تعالى: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم : ٩].
- ٧- إظهار ملامح العرب في ذلك العصر الذي بزغت في شمس الدعوة الإسلامية .
- ٨- الحديث عن أصحاب الجنة الذين ضرب الله تعالى قصّتهم مثلا للمؤمنين وقد أدرج تلك القصة في ١٧ آية لأخذ العبرة منها .
- ٩- فضح أساليب الكفار في الرد على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ يقول تعالى: {وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزِلُّوكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ} [القلم : ٥١]، وهذا من ضعفهم وإفلاسهم وعدم امتلاكهم الحجة.

(١) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨، والتحرير والتنوير: ٥٧/٢٩-٥٨.

(٢) تفسير السمعاني: ١٦/٦.

(٣) المحرر الوجيز: ٣٤٥/٥.

(٤) انظر: الدر المنثور: ٢٤٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس.

(٥) انظر: تفسير المراغي: ٢٦/٢٩.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: الذب عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعذاب ما نعى الزكاة، وتخويف الكفار بالقيامة، وتهديد المجرمين بالاستدراج، وأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالصبر، والإشارة إلى حال يونس عليه السلام في قلة الصبر، وقصد الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوه بالعين في: {لِيُزِلُّوْكَ بِأَبْصَارِهِمْ} [القلم: ٥١]، الآية"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

فيها من المنسوخ آيتان: {قَدَّرْنِي} [القلم: ٤٤] م، {قَاصِرٌ لِحُكْمِ رَبِّكَ} [القلم: ٤٨] م آية السيف^(٢).

■ فضائل السورة:

عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة ن والقلم أعطاه الله تعالى ثواب الذين حسن الله أخلاقهم»^(٣).

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٦/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٦/١.

(٣) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٥/١٠، وانظر: مجمع البيان: ٨٢ / ١٠، [حديث موضوع].

القرآن

{ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)} [القلم : ١ - ٤]

التفسير:

{ن} سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة. أقسم الله بالقلم الذي يكتب به الملائكة والناس، وبما يكتبون من الخير والنفع والعلوم. ما أنت - أيها الرسول- بسبب نعمة الله عليك بالنبوة والرسالة بضعيف العقل، ولا سفيه الرأي، وإن لك على ما تلقاه من شدائد على تبليغ الرسالة لثوابًا عظيمًا غير منقوص ولا مقطوع، وإنك -أيها الرسول- لعلی خلق عظيم، وهو ما اشتمل عليه القرآن من مكارم الأخلاق؛ فقد كان امتثال القرآن سجية له يأتى بأمره، وينتهي عما ينهى عنه.

سبب نزول قوله تعالى: {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} [القلم : ٢]:

عن ابن جرير، قال: كانوا يقولون للنبي - صلى الله عليه وسلم - إنه لمجنون، به شيطان. فنزلت: {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} [القلم : ٢]"^(١).

قوله تعالى: {ن} [القلم : ١]، أي: "نون حرف من الحروف المقطعة، ذكر للتنبيه على إعجاز القرآن"^(٢).

وذكروا في قوله تعالى: {ن} [القلم : ١]، ثمانية أقوال:

أحدها: أن «النون» الحوت الذي عليه الأرض، قاله ابن عباس من رواية أبي الضحى عنه^(٣)، وبه قال مقاتل^(٤).

قال مقاتل: "يعني بـ«نون» الحوت وهو في بحر تحت الأرض السفلى"^(٥).

قال مجاهد: "كان يقال النون: الحوت الذي تحت الأرض السابعة"^(٦).

قال ابن عباس: "أول ما خلق الله من شيء القلم، فجرى بما هو كائن، ثم رفع بخار الماء، فخلقت منه السموات، ثم خلق النون فبسطت الأرض على ظهر النون، فتحرّكت الأرض فمادت، فأثبت بالجبال، فإن الجبال لتفخر على الأرض، قال: وقرأ: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}"^(٧).

الثاني: أن «النون» الدواة، رواه أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-^(٨). وبه قال ابن عباس في رواية ثابت البناني عنه^(٩)، وقتادة في رواية^(١٠).

قال ابن عباس: "إن الله خلق النون وهي الدواة، وخلق القلم، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، من عمل معمول، برّ أو فجور، أو رزق مقسوم حلال أو حرام، ثم ألزم كل شيء من ذلك شأنه دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم، وخروجه منها كيف؛ ثم جعل على العباد حفظة وللكتاب خزانا، فالحفظة ينسخون كل يوم عمل ذلك اليوم، فإذا فني الرزق وانقطع الأثر، وانقضى الأجل، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم، فتقول لهم الخزنة: ما نجد لصاحبكم عندنا شيئا، فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا؛ قال: فقال ابن

(١) الدر المنثور: ٢٤٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٢) صفوة التفاسير: ٤٠١/٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٢١/٢٣.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٣/٤.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٣/٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٢١/٢٣.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٦٠/٦.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٣-٥٢٥.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٥/٢٣.

عباس: أَلَسْتُمْ قوما عربا تسمعون الحَفْظَةَ يقولون: {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل؟^(١).

الثالث: أنه حرف من حروف الرحمن، قاله ابن عباس في رواية الضحاك عنه^(٢).

عن ابن عباس: " {الر} و {حم} و {ن}، حروف الرحمن مقطعة"^(٣).

الرابع: هو لوح من نور، رواه معاوية بن قرّة عن أبيه عن النبي -صلى الله عليه وسلم-^(٤).
عن معاوية بن قرّة، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " {ن} و {القلم} و {مَا يَسْطُرُونَ}؛ "لوح من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة"^(٥).

وقال مقاتل: " قلم من نور يكتب به، طوله كما بين السماء والأرض كتب به اللوح المحفوظ"^(٦).

الخامس: أنه اسم من أسماء السورة، وهو مأثور^(٧).

السادس: أنه قسم أقسم الله به، ولله تعالى أن يقسم بما يشاء، قاله قتادة-في رواية أخرى-^(٨)، وابن زيد^(٩).

قال ابن زيد: " هذا قسم أقسم الله به"^(١٠).

السابع: أنه: اسم من أسماء الله.

قال سالم بن عبد الله: " {الم}، و {حم}، و {ن} ونحوها، اسم الله مقطعة"^(١١).

عن ابن عباس في قوله: " {الم}، و {حم}، و {ن}، قال: اسم مقطعة"^(١٢).

قال سهل التستري: " النون اسم من أسماء الله تعالى، إذا جمعت بين أوائل السور:

«الر» و «حم» و «ن» فهو اسم: «الرحمن»^(١٣).

الثامن: أنه حرف من حروف المعجم. حكاه الطبري^(١٤).

التاسع: أن «نون» بالفارسية: «أيدون كن»، قاله الضحاك^(١٥).

العاشر: إن لم يثبت به نقل أن يكون معناه: تكوين الأفعال والقلم وما يسطرون، فنزل الأقوال جميعاً في قسمه بين أفعاله وأقواله، وهذا أعم قسمة. أفاده الماوردي^(١٦).

الحادي عشر: أن يريد بـ«النون»: النفس، لأن الخطاب متوجه إليها بغير عينها بأول حروفها، والمراد بـ«القلم» ما قدره الله لها وعليها من سعادة وشفاء، لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ. أفاده الماوردي -أيضاً^(١٧).

قوله تعالى: {وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم: ١]، أي: " أقسم بالقلم وما يكتبه الكاتبون على

صدق محمد وسلامته مما نسبه إليه المجرمون من السفه والجنون"^(١٨).

(١) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٣-٥٢٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٥/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٢٥/٢٣.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٣/٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٥/٢٣، والنكت والعيون: ٦٠/٦.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٥/٢٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٥/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٢٥/٢٣.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧١٢٢): ص ٣٠٢٩ / ٩.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧١٢٣): ص ٣٠٢٩ / ٩.

(١٣) انظر: تفسير التستري: ١٧٤.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٥/٢٣، والنكت والعيون: ٦٠/٦.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٦٠/٦.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٦٠/٦.

(١٧) انظر: النكت والعيون: ٦٠/٦.

(١٨) صفوة التفاسير: ٤٠١/٣.

أما قوله تعالى: {وَالْقَلَمُ} [القلم : ١]، ففيه ثلاثة وجوه:

أحدها : أنه القلم الذي يكتبون به لأنه نعمة عليهم ومنفعة لهم ، فأقسم بما أنعم ، قاله عمر بن واصل^(١)، وابن بحر^(٢).

قال عمر بن واصل: "{وَمَا يَسْطُرُونَ}"، أي: وما تولى الله لعباده من الكتابة التي فيها منافع الخلق ومصالح العباد والبلاد"^(٣).

الثاني : أنه القلم الذي يكتب به الذكر على اللوح المحفوظ. قاله مجاهد^(٤).

وقال ابن جريج: "أخبرت أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام"^(٥).

الثالث: أنه القلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف سنة.

عن الوليد بن عباد بن الصامت قال : دعاني أبي حين حضره الموت فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن أول ما خلق الله القلم، فقال له : اكتب. قال : يا رب وما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد"^(٦).

قال ابن كثير: "قوله: {وَالْقَلَمُ} الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به كقوله {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العاق : ٣ - ٥]. فهو قسم منه تعالى، وتنبيهه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم"^(٧).

وفي قوله تعالى: {وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم : ١]، ثلاثة أقوال:

أحدها : وما يعلمون، قاله ابن عباس^(٨).

الثاني : وما يكتبون، قاله مجاهد^(٩)، وقتادة^(١٠)، والسدي^(١١)، وأبو عبيدة^(١٢)، وابن قتيبة^(١٣).

عن قتادة: "{وَمَا يَسْطُرُونَ}"، قال: وما يخطون"^(١٤).

عن ابن عباس، قوله: "{وَمَا يَسْطُرُونَ}"، يقول: يكتبون"^(١٥).

قال الطبري: "يقول: والذي يخطون ويكتبون"^(١٦).

قال الزجاج: "معناه: وما تكتب الملائكة"^(١٧).

الثالث : أنهم الملائكة الكاتبون يكتبون أعمال الناس من خير وشر. وهذا قول السدي^(١٨)، ومقاتل^(١٩).

وقوله تعالى: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم : ١]، قرئت بإدغام النون في الواو، وقرئت بتبيين النون عند الواو، وقرئت نُونَ والقلم - بفتح النون^(١).

- (١) انظر: تفسير التستري: ١٧٤.
- (٢) انظر: النكت والعيون: ٦٠/٦.
- (٣) نقلا عن: تفسير التستري: ١٧٤.
- (٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٧/٢٣.
- (٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٨٦/٨.
- (٦) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٨٧/٨. وانظر: سنن أبي داود برقم (٤٧٠٠).
- (٧) تفسير ابن كثير: ١٨٧/٨.
- (٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٩٣٧)ص: ٣٣٦٤/١٠.
- (٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٧/٢٣-٥٢٨.
- (١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٨/٢٣.
- (١١) انظر: النكت والعيون: ٦٠/٦.
- (١٢) انظر: مجاز القرآن: ٢٦٤/٢.
- (١٣) انظر: غريب القرآن: ٤٧٧.
- (١٤) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢٣.
- (١٥) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢٣.
- (١٦) تفسير الطبري: ٥٢٧/٢٣.
- (١٧) معاني القرآن: ٢٠٣/٥.
- (١٨) انظر: تفسير ابن كثير: ١٨٧/٨.
- (١٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٣/٤.

قال النحاس: "قرأ أكثر الناس: «ن وَالْقَلَمُ»، ببيان نون" (٢).
 قوله تعالى: {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} [القلم : ٢]، أي: "ما أنت -أيها الرسول- بسبب
 نعمة الله عليك بالنبوة والرسالة بضعيف العقل، ولا سفيه الرأي" (٣).
 قال عطاء عن ابن عباس: "يريد: بنعمة ربك عليك بالإيمان والنبوة" (٤).
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ما أنت بنعمة ربك
 بمجنون، مكذباً بذلك مشركي قريش الذين قالوا له: إنك مجنون" (٥).
 قال ابن كثير: "أي : لست، والله الحمد، بمجنون، كما قد يقوله الجهلة من قومك،
 المكذبون بما جنتهم به من الهدى والحق المبين، فنسيوك فيه إلى الجنون" (٦).
 قال الزجاج: "المعنى: انتفى عنك الجنون بنعمة ربك، كما تقول: أنت بنعمة الله فهم،
 وما أنت بنعمة الله جاهل. وتأويله: فارقك الجهل بنعمة ربك، وهذا جواب لقولهم: {وَقَالُوا يَا أَيُّهَا
 الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} [الحجر : ٦]" (٧).
 قال مقاتل: "وذلك حين قال كفار مكة، أبو جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن
 ربيعة، وغيرهم: إن محمداً مجنون، فأقسم الله- تعالى- بالحوت {وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم :
 ١]- [الملائكة- من أعمال بنى آدم، فقال: {مَا أَنْتَ} [القلم : ٢] يا محمد {بِنِعْمَةِ رَبِّكَ} [القلم : ٢]،
 يعني: برحمة ربك، {بِمَجْنُونٍ} [القلم : ٢]" (٨).
 قوله تعالى: {وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ} [القلم : ٣]، أي: "وإن لك على ما تلقاه من
 شدايد على تبليغ الرسالة لثواباً عظيماً غير منقوص ولا مقطوع" (٩).
 قال ابن قتيبة: "أي: غير مقطوع ولا منقوص" (١٠).
 قال الطبري: "وإن لك يا محمد لثواباً من الله عظيماً على صبرك على أذى المشركين
 إياك غير منقوص ولا مقطوع" (١١).
 قال ابن كثير: "أي : بل لك الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يببىد،
 على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق، وصبرك على أذاهم. ومعنى {غَيْرُ مَمْنُونٍ}، أي : غير
 مقطوع كقوله: {عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُونٌ} [هود : ١٠٨] {فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين : ٦] أي : غير
 مقطوع عنهم. وقال مجاهد: {غَيْرُ مَمْنُونٍ}، أي : غير محسوب، وهو يرجع إلى ما قلناه" (١٢).
 عن مجاهد، قوله: "غَيْرُ مَمْنُونٍ}، قال: محسوب" (١٣).
 قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم : ٤]، أي: "وإنك -أيها الرسول- لعلى أدب
 رفيع جم وخلق فاضل كريم، فقد جمع الله فيك الفضائل والكمالات" (١٤).
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإنك يا محمد لعلى
 أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به، وهو الإسلام وشرائعه" (١٥).

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٠٣/٥.

(٢) انظر: إعراب القرآن: ٣/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٤) التفسير البسيط: ٧٤/٢٢.

(٥) تفسير الطبري: ٥٢٨/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٨٧/٨.

(٧) معاني القرآن: ٢٠٤/٥.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٣/٤.

(٩) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(١٠) غريب القرآن: ٤٧٧.

(١١) تفسير الطبري: ٥٢٨/٢٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ١٨٧/٨.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٢٨/٢٣.

(١٤) صفة التفسير: ٤٠١/٣.

(١٥) تفسير الطبري: ٥٢٨/٢٣.

قال الزجاج: " قيل: على الإسلام، وقيل: على القرآن. والمعنى - والله أعلم - أنت على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن" (١).

قال ابن كثير: " ومعنى هذا أنه، عليه السلام، صار امتثال القرآن، أمراً ونهياً، سجية له، وخلقا تطبَّعَه، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جبَّله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل. كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: «خدمتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي: "أف" قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ولا مسستُ خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممتُ مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٢) (٣).

عن مجاهد، قوله: "خُلِقَ عَظِيمٌ"، قال: الدين" (٤).

عن ابن زيد، قوله: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"، قال: على دين عظيم" (٥).

عن ابن عباس، قوله: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"، يقول: دين عظيم" (٦).

قال ابن عباس: "يقول: إنك على دين عظيم، وهو الإسلام" (٧).

قال الضحاك: "يعني: دينه، وأمره الذي كان عليه، مما أمره الله به، ووكله إليه" (٨).

عن قتادة، قال: "سألتُ عائشة عن خُلُقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: كان خلقه القرآن، تقول: كما هو في القرآن" (٩).

قال قتادة: "ذكر لنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خُلُقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ألسنتُ تقرأ القرآن؟ قال: قلت: بلى، قالت: فإن خُلُقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن" (١٠).

عن سعيد بن هشام، قال: "أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقلت: أخبريني عن خُلُقِ رسول الله، فقالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}" (١١).

عن جبير بن نفير قال: "حجبت فدخلت على عائشة، فسألتها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن" (١٢).

عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً، وأحسن الناس خلقاً، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير" (١٣).

عن عائشة رضي الله عنها- قالت: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادماً له قط، ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله. ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمت الله، فيكون هو ينتقم لله، عز وجل" (١٤).

(١) معاني القرآن: ٢٠٤/٥.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٠٣٨) وصحيح مسلم برقم (٢٣٠٩).

(٣) تفسير ابن كثير: ١٨٨/٨.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٣٠/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٣٠/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢٣.

(١٣) صحيح البخاري برقم (٣٥٤٩).

(١٤) المسند (٢٣٢/٦).

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنما بُعِثْتُ لأتمم صالح الأخلاق"^(١).

فوائد الآيات: [٤-١]:

- ١-تقرير مسألة أن الله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه.
- ٢-بيان فضل القلم الذي يكتب به الهدى والخير.
- ٣-تقرير عقيدة القضاء والقدر إذ كان ذلك بالقلم الذي أول ما خلق الله.
- ٤-بيان كمال الرسول صلى الله عليه وسلم في أدبه وأخلاقه وجعله قدوة في ذلك.

القرآن

{فَسُبُّوا رَبَّكَ فِي سُبْحَانَكَ عِلْمًا وَسِعَتْ جَنَّاتُهَا بِتِلْكَ الْأَعْيُنِ وَمَنْ يَحْكُمُ بِهَا} [القلم : ٥ - ٦]

التفسير:

فعن قريب سترى -أيها الرسول-، ويرى الكافرون في أيكم الفتنة والجنون؟
قوله تعالى: {فَسُبُّوا رَبَّكَ فِي سُبْحَانَكَ عِلْمًا وَسِعَتْ جَنَّاتُهَا بِتِلْكَ الْأَعْيُنِ وَمَنْ يَحْكُمُ بِهَا} [القلم : ٥]، أي: "فسوف ترى يا محمد، ويرى قومك ومخالفوك كافر مكة إذا نزل به العذاب"^(٢).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فسترى يا محمد، ويرى مشركو قومك الذين يدعونك مجنوناً"^(٣).

قال مقاتل: "يعني: سترى يا محمد ويرى أهل مكة إذا نزل بهم العذاب ببدر"^(٤).

قال الضحاك: "يقول: ترى ويرون"^(٥).

قوله تعالى: {بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ} [القلم : ٦]، أي: "في أيكم الفتنة والجنون"^(٦).

وفي قوله تعالى: {بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ} [القلم : ٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: بأيكم الجنون ، قاله ابن عباس^(٧)، والضحاك^(٨).

قال ابن عباس: "بأيكم الجنون"^(٩).

وروي عن مجاهد: "بأيكم المفتون"، قال: المجنون"^(١٠). وفي رواية: "بأيكم

المجنون"^(١١).

قال مقاتل: "يعني: المجنون، فهذا وعيد، العذاب ببدر، القتل وضرب الملائكة الوجوه

والأدبار"^(١٢).

قال الفراء: "المفتون -هاهنا- بمعنى: الجنون، وهو في مذهب الفتون، كما قالوا: ليس

له معقول رأى، وإن شئت جعلته بأيكم: في أيكم أي: في أي الفريقين المجنون، فهو حينئذ اسم

ليس بمصدر"^(١٣).

قال الزمخشري: "المفتون: المجنون، لأنه فتن: أي محن بالجنون. أو لأن العرب

يزعمون أنه من تخييل الجن، وهم الفتان للفتاك منهم، والباء مزيدة. أو المفتون مصدر

(١) المسند (٣٨١/٢).

(٢) صفوة التفاسير: ٤٠٢/٣.

(٣) تفسير الطبري: ٥٣٠/٢٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٣/٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٣٠/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣١/٢٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٣١/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٣١/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٣٠/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٣٠/٢٣.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٣/٤.

(١٣) معاني القرآن: ١٧٣/٣.

كالمعقول والمجلود، أي: بأيكم الجنون. أو بأى الفريقين منكم الجنون « ١ » ، أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين؟ أي: في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم: وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأصراهما، وهذا كقوله تعالى: {سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ الْأَشِيرِ} (١).

الثاني : الضال ، قاله الحسن (٢).

الثالث : الشيطان ، قاله مجاهد (٣).

عن مجاهد، قوله: "بأييكم المقتنون"، قال: الشيطان" (٤).

الرابع : أيكم أولى بالشيطان. قاله قتادة (٥).

الخامس: المعذب، من قول العرب: فتننت الذهب بالنار إذا أحميته ، ومنه قوله تعالى: {يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْتَنُونَ} [الذاريات : ١٣] ، أي: يعذبون. حكاها الماوردي (٦).

قال الطبري: " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: بأيكم الجنون، ووجه المفتون إلى الفتون بمعنى المصدر، لأن ذلك أظهر معاني الكلام، إذا لم ينو إسقاط الباء، وجعلنا لدخولها وجها مفهوما" (٧).

القرآن

{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧)} [القلم : ٧]

التفسير:

إن ربك- سبحانه- هو أعلم بالشقي المنحرف عن دين الله وطريق الهدى، وهو أعلم بالتقي المهتدي إلى دين الحق.

قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ} [القلم : ٧] ، أي: "إن ربك- سبحانه- هو أعلم بالشقي المنحرف عن دين الله وطريق الهدى" (٨).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد هو أعلم بمن ضل عن سبيله، كضلال كفار قريش عن دين الله، وطريق الهدى" (٩).

قال الزمخشري: " {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ} بالمجانين على الحقيقة، وهم الذين ضلوا عن سبيله" (١٠).

قوله تعالى: {وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القلم : ٧] ، أي: " وهو أعلم بالتقي المهتدي إلى دين الحق" (١١).

قال الطبري: "يقول: وهو أعلم بمن اهتدى، فاتبع الحق، وأقرّ به، كما اهتديت أنت فاتبع الحق، وهذا من معاريض الكلام. وإنما معنى الكلام: إن ربك هو أعلم يا محمد بك، وأنت المهتدي وبقومك من كفار قريش وانهم الضالون عن سبيل الحق" (١٢).

قال الزمخشري: " {وَهُوَ أَعْلَمُ} بالعقلاء وهم المهتدون. أو يكون وعيدا ووعدا، وأنه أعلم بجزاء الفريقين" (١٣).

(١) الكشف: ٥٨٦/٤.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٦٢/٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٣١/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٣٠/٢٣-٥٣١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٢/٢٣.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٦٢/٦.

(٧) تفسير الطبري: ٥٣٢/٢٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٩) تفسير الطبري: ٥٣٢/٢٣.

(١٠) الكشف: ٥٨٦/٤.

(١١) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٣٢/٢٣.

(١٣) الكشف: ٥٨٦/٤.

القرآن

{فَلَا تُطْعِ الْمُكذِّبِينَ (٨)} [القلم : ٧]

التفسير:

فأثبت على ما أنت عليه -أيها الرسول- من مخالفة المكذبين ولا تطعمهم.
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {فَلَا تُطْعِ} يا محمد {الْمُكذِّبِينَ} بآيات الله ورسوله"^(١).

قال الزمخشري: "تهيج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم، وكانوا قد أرادوه على أن يعبد الله مدة، وآلهتهم مدة، ويكفوا عنه غوائلهم"^(٢).

قال مقاتل: "حين دعي إلى دين آبائهم وملتهم، نظيرها في سورة الفرقان^(٣)، نزلت هذه الآية في بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم منهم الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وعبد الله بن أبي أمية، وعبد الله بن مخزوم، وعثمان، ونوفل ابني عبد الله بن المغيرة، والعاص، وقيس، وعبد شمس وبني الوليد سبعة الوليد، وخالد، وعمار، وهشام، والعاص، وقيس، وعبد شمس، بنو الوليد بن المغيرة ودوا حين دعي إلى دين آبائهم"^(٤).

القرآن

{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩)} [القلم : ٩]

التفسير:

تمنوا وأحبوا لو تلاينهم، وتصانعهم على بعض ما هم عليه، فيلينون لك.

وفي تفسير الآية، أقوال:

أحدها: معناه: ودوا لو تكفر فيكفرون، قاله ابن عباس^(٥)، والضحاك^(٦)، وسفيان^(٧)، والسدي^(٨).
قال مقاتل: "يقول: ودوا لو تكفر يا محمد فيكفرون فلا يؤمنون"^(٩).

قال الفراء: "أي: فيتبعونك على الكفر"^(١٠).

الثاني: ودوا لو تلىن في دينك، فيلينون في دينهم، قاله الكلبي^(١١)، والفراء^(١٢)، وابن قتيبة^(١٣).

قال الزمخشري: أي: "لو تلىن وتصانع {فَيُدْهِنُونَ}"^(١٤).

قال ابن قتيبة: "وكانوا أرادوه على أن يعبد آلهتهم مدة، ويعبدوا الله مدة"^(١٥).

الثالث: ودوا لو تصانعهم دينك فيصانعون في دينهم. قاله الحسن^(١٦)، والزجاج^(١٧).

(١) تفسير الطبري: ٥٣٢/٢٣.

(٢) الكشاف: ٥٨٦/٤.

(٣) سورة الفرقان: ٥٢ وتامها: فَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٣/٤-٤٠٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٢/٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٢/٢٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٢/٢٣.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٦٢/٦-٦٣.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٤/٤.

(١٠) معاني القرآن: ١٧٣/٣.

(١١) انظر: الكشاف والبيان: ١٢/١٠.

(١٢) انظر: معاني القرآن: ١٧٣/٣.

(١٣) انظر: تأويل مشكل القرآن: ١٥١.

(١٤) الكشاف: ٥٨٦/٤.

(١٥) غريب القرآن: ٤٧٨.

(١٦) انظر: الكشاف والبيان: ١٢/١٠.

(١٧) انظر: معاني القرآن: ٢٠٥/٥.

الرابع : لو تُرْكُنْ إِلَى آلِهِمْ، وتترك ما أنت عليه من الحقّ فيمائلونك. قاله مجاهد^(١).
روي عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: "وَلَوْ تَرَكْنَا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا {هود : ١١٣}، قال: لا تركنوا إلى المشركين فتمسك النار. قال: الإركان: الإدهان، وقرأ: {تُدْهِنُ قَيْدُهُنَّ}، قال: تركن إليهم ولا تنكر عليهم الذي قالوا، والركون: أن يقوله بما قال الإدهان"^(٢).
الخامس : لو تكذب فيكذبون ، قاله الربيع بن أنس^(٣)، والوعوفي^(٤).
السادس : لو تنافق وترائي فيناقون. قاله زيد بن أسلم^(٥)، وأبو عمر^(٦).
قال السجستاني: "يقال: أدهن الرجل في دينه وداهن إذا كان منافقا، وأظهر خلاف ما أضمر"^(٧).

السابع : لو تحابهم فيحابوك. قاله أبان ابن تغلب^(٨).
الثامن : لو ترخص لهم فيرخصون لك ، قاله ابن عباس-أيضا-^(٩).
قال النحاس: والمعنى على هذا: ودّوا لو تلبس لهم فلا تنكر عليهم الكفر والمعاصي فيلينون لك وينافقونك ويجترعون على المعاصي، وفي اللين في مثل هذا فساد الدين، وهو مأخوذ من الدهن شبه التلّين به"^(١٠).

التاسع : لو ترفض بعض أمرك فيرفضون بعض أمرهم. قاله الحسن^(١١).
العاشر : لو تقاربهم فيقاربوك. قاله ابن كيسان^(١٢).
الحادي عشر : أن تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك ، وهو معنى قول قتادة^(١٣).
قال قتادة: "يقول: ودّوا يا محمد لو أدهنت عن هذا الأمر، فأدهنوا معك"^(١٤). وفي رواية: "ودّوا لو يدهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدهنون"^(١٥).

قال الطبري: "الصواب قول من قال: معنى ذلك: ودّ هؤلاء المشركون يا محمد لو تلبس لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلِهِمْ، فيلينون لك في عبادتك إلهك، كما قال جلّ ثناؤه: {وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَأَدْفَنَّاكَ فِي الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ} وإنما هو مأخوذ من الدهن شبه التلّين في القول بتلّين الدهن"^(١٦).
قال الماتريدي: المعنى: "هو أنك لو تركت ذكر آلِهِمْ بسوء، ولم تسفه أعلامهم؛ لامتنعوا هم أيضًا عما هم عليه من نسبتهم إياك إلى الجنون والسحر والكذب وغير ذلك، ولكنه كان يذكرهم بما يذكرهم وهو في ذلك محق، وهم كانوا يذكرونه بما قالوا بالباطل والزور؛ فيكون قوله: {قَلَّا نَطْعُ الْمُكْذِبِينَ} فيما يدعونك إلى المداينة، ثم هم لو داهنوا كانوا في مداينتهم

-
- (١) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٣.
 - (٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٢٦٢):ص٢٠٩٠/٦.
 - (٣) انظر: النكت والعيون: ٦٢/٦.
 - (٤) انظر: الكشف والبيان: ١٢/١٠.
 - (٥) انظر: الكشف والبيان: ١٢/١٠.
 - (٦) نقل عن: غريب القرآن للسجستاني: ٤٥٢.
 - (٧) غريب القرآن: ٤٥١-٤٥٢.
 - (٨) انظر: الكشف والبيان: ١٢/١٠.
 - (٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٣.
 - (١٠) إعراب القرآن: ٦-٥/٥.
 - (١١) انظر: الكشف والبيان: ١٢/١٠.
 - (١٢) انظر: الكشف والبيان: ١٢/١٠.
 - (١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٣، والنكت والعيون: ٦٢/٦.
 - (١٤) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.
 - (١٥) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.
 - (١٦) تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٣.

محقين، فإذا تركوا ذلك فقد تركوا الحق الذي كان عليهم، ورسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لو داهنهم، لم يكن في مدهانتهم محققاً؛ فلذلك نهى عن المداهنة^(١).
قال سيبويه: "زعم هرون أنها في بعض المصاحف: «ودوا لو تدهن فيدهنوا»"^(٢).
وفي أصل «المداهنة»، وجهان^(٣):
أحدهما: مجاملة العدو وممايلته، قال الشاعر^(٤):
لَبَعُضُ الْعَشْمِ أَحْزَمُ أُمُورٍ ... تَتَوَبُّكَ مِنْ مِداهِنَةِ الْعَدُوِّ .
الثاني: أنها النفاق وترك المناصحة، قاله المفضل^(٥)، فهي على هذا الوجه مذمومة، وعلى الوجه الأول غير مذمومة.

القرآن

{وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلْفٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عَثَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تَكَلَّمَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥)}
[القلم: ١٠-١٥]

التفسير:

ولا تطع -أيها الرسول- كلَّ إنسانٍ كثير الحلف كذابٍ حقير، مغتاب للناس، يمشي بينهم بالنميمة، وينقل حديث بعضهم إلى بعض على وجه الإفساد بينهم، بخيل بالمال ضنين به عن الحق، شديد المنع للخير، متجاوز حدَّه في العدوان على الناس وتناول المحرمات، كثير الآثام، شديد في كفره، فاحش لئيم، منسوب إلى غير أبيه. ومن أجل أنه كان صاحب مال وبنيين طغى وتكبر عن الحق، فإذا قرأ عليه أحد آيات القرآن كدَّب بها، وقال: هذا أباطيل الأولين وخرافاتهم.
سبب النزول:

عن أبي عثمان النهدي، قال: "قال مروان بن الحكم لما بايع الناس ليزيد: سنة أبي بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: إنها ليست بسنة أبي بكر وعمر، ولكنها سنة هرقل. فقال مروان: هذا الذي أنزل فيه: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ} الآية [الأحقاف: ١٧]. قال: فسمعت ذلك عائشة، فقالت: إنها لم تنزل في عبد الرحمن، ولكن نزلت في أبيك: {وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلْفٍ مَهِينٍ هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ}"^(١).

قوله تعالى: {وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلْفٍ مَهِينٍ} [القلم: ١٠]، أي: "ولا تطع -أيها الرسول- كلَّ إنسانٍ كثير الحلف كذابٍ حقير"^(٢).

قال الطبري: يقول: "ولا تطع يا محمد كلَّ ذي إكثار للحلف بالباطل؛ وهو الضعيف"^(٣).
قال مقاتل: "يعنى: الوليد ابن المغيرة المخزومي، يقول، كان تاجراً ضعيف القلب، وذلك أنه كان عرض على النبي -صلى الله عليه وسلم- المال على أن يرجع عن دينه وذلك قوله -تعالى-: {وَلَا تُطْعُ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا}"^(٤)، يعنى: الوليد وعتبة"^(٥).
قال السدي: "نزلت في الأحنس بن شريق"^(٦).

(١) تأويلات أهل السنة: ١٤٠/١٠.

(٢) نقلا عن: الكشاف: ٥٨٦/٤.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٦٣-٦٢/٦.

(٤) الشعر بلا نسبة في "النكت والعيون": ٦٣/٦.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٦٣-٦٢/٦.

(٦) أخرجه النسائي في الكبرى ١٠ / ٢٥٧ (١١٤٢٧)، والحاكم في المستدرک ٤ / ٥٢٨ (٨٤٨٣)، من طريق محمد بن زياد، عن عائشة بنحوه.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح، على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». وتعقبه الذهبي، فقال: «فيه انقطاع».

(٧) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٨) تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٣.

(٩) سورة الإنسان: ٢٤ وتمامها: {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطْعُ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا}.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٤/٤.

قال مجاهد: هو الأسود بن عبد يغوث^(٢).
قال الفراء: "المهين-هاهنا- الفاجر"^(٣).
عن ابن عباس: "وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَاْفٍ مَهِينٍ"، والمهين: الكذاب"^(٤).
عن مجاهد، قوله: "حَلَاْفٍ مَهِينٍ"، قال: ضعيف"^(٥).
قال الثعلبي: "الرجل إنما يكذب لمهانة نفسه عليه"^(٦).
قال قتادة: "وهو المكثار في الشر"^(٧).
عن الحسن وقتادة: "وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَاْفٍ مَهِينٍ"، قال: هو المكثار في الشر"^(٨).
قال الحسن: "يقول: كل مكثار في الحلف مهين ضعيف"^(٩).
قوله تعالى: {هَمَّازٍ} [القلم : ١١]، أي: "مغتاب للناس"^(١٠).
قال مقاتل: "يعنى: مغتاب"^(١١).
قال الفراء: "الهماز: الذي يهمز الناس"^(١٢).
قال الطبري: "يعنى: مغتاب للناس يأكل لحومهم"^(١٣).
قال السعدي: "أي: كثير العيب للناس والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء، وغير ذلك"^(١٤).
عن ابن عباس، قوله: "هَمَّازٍ"، يعنى: الاغتياب"^(١٥).
عن قتادة: "هَمَّازٍ"، يأكل لحوم المسلمين"^(١٦).
قال ابن زيد: "الهماز: الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، وليس باللسان وقرأ: {وَيَلِّ لِكُلِّ
هُمَزَةٍ لُمَزَةً} الذي يلزم الناس بلسانه"^(١٧).
قوله تعالى: {مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ} [القلم : ١١]، أي: "يمشي بين الناس بالنميمة، وينقل حديث
بعضهم إلى بعض على وجه الإفساد بينهم"^(١٨).
قال مقاتل: "كان يمشي بالنميمة"^(١٩).
قال الطبري: "يقول: مشاء بحديث الناس بعضهم في بعض، ينقل حديث بعضهم إلى
بعض"^(٢٠).
قال السعدي: "أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهي: نقل كلام بعض الناس لبعض،
لقصد الإفساد بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء"^(٢١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٣٩): ص ٣٣٦٤/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٣٩): ص ٣٣٦٤/١٠.

(٣) معاني القرآن: ١٧٣/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.

(٦) الكشف والبيان: ١٢/١٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٤/٤.

(١٢) معاني القرآن: ١٧٣/٣.

(١٣) تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٣.

(١٤) تفسير السعدي: ٨٧٩.

(١٥) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.

(١٦) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.

(١٧) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.

(١٨) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(١٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٤/٤.

(٢٠) تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٣.

(٢١) تفسير السعدي: ٨٧٩.

قال قتادة: "ينقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض" (١).
قال ابن عباس: "يمشي بالكذب" (٢).
قال الكلبي: "هو الأحنس بن شريق، وأصله من ثقيف، وعداده في بني زُهرة" (٣).
قوله تعالى: {مَنَعَ لِلْخَيْرِ} [القلم : ١٢]، أي: "بخيل بالمال ضنين به عن الحق، شديد المنع للخير" (٤).
قال قتادة: "فلا يُعطي خيراً" (٥).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: بخيل بالمال ضنين به عن الحقوق" (٦).
قال السعدي: "الذي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات والزكوات وغير ذلك" (٧).
قال مقاتل: "يعني: الإسلام، منع ابن أخيه وأهله الإسلام" (٨).
قال الزمخشري: "الخير: المال. أو مناع أهله الخير وهو الإسلام، فذكر الممنوع منه دون الممنوع، كأنه قال: مناع من الخير. قيل: هو الوليد بن المغيرة المخزومي: كان موسراً، وكان له عشرة من البنين، فكان يقول لهم وللحمته (٩): من أسلم منكم منعتهم رفاً" (١٠).
قوله تعالى: {مُعْتَدٍ أَثِيمٍ} [القلم : ١٢]، أي: "ظالم متجاوز في الظلم والعدوان، كثير الآثام والإجرام" (١١).
قال الطبري: "يقول: معتد على الناس، ذي إثم بربه" (١٢).
قال مقاتل: " {مُعْتَدٍ}، يعني: في الغشم، والظلم، {أثِيمٍ}، يعني: أثيم بربه لغشمه وظلمه، نظيرها في «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ» (١٣).
قال السعدي: " {مُعْتَدٍ} على الخلق في ظلمهم، في الدماء والأموال والأعراض، {أثِيمٍ} أي: كثير الإثم والذنوب المتعلقة في حق الله تعالى" (١٤).
عن قتادة، قوله: " {مُعْتَدٍ} في عمله، {أثِيمٍ} بربه" (١٥).
قوله تعالى: {عُتْلٌ} [القلم : ١٣]، أي: "جاف غليظ، قاسي القلب عديم الفهم" (١٦).
وفي قوله تعالى: {عُتْلٌ} [القلم : ١٣]، وجوه من التفسير:
أحدها: أن العُتْلُ: الفاحش اللئيم، به قال الحسن (١٧)، وقاتادة (١٨)، وهو مأثور عن النبي -صلى الله عليه وسلم- (١٩)، ومنه قول الشاعر (٢٠):

- (١) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.
- (٢) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٣.
- (٣) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٣.
- (٤) التفسير الميسر: ٥٦٤.
- (٥) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٣.
- (٦) تفسير الطبري: ٥٣٥/٢٣.
- (٧) تفسير السعدي: ٨٧٩.
- (٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٤/٤.
- (٩) في الصحاح «اللحمة» بالضم: القرابة.
- (١٠) الكشاف: ٥٨٧/٤.
- (١١) صفوة التفاسير: ٤٠٢/٣.
- (١٢) تفسير الطبري: ٥٣٥/٢٣.
- (١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٤/٤.
- (١٤) تفسير السعدي: ٨٧٩.
- (١٥) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٣.
- (١٦) صفوة التفاسير: ٤٠٢/٣.
- (١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٦/٢٣.
- (١٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٦/٢٣.
- (١٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٦/٢٣.
- (٢٠) انظر: النكت والعيون: ٦٤/٦.

يعتل من الرجال زنيم ... غير ذي نجدةٍ وغير كريم
 عن القاسم، مولى معاوية قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العُتْلِ الزنيم،
 قال: " الفَاحِشُ اللَّئِيمُ"^(١).
 قال الحسن: " فاحش الخُلُق، لئيم الضريبة"^(٢).
 قال: الحسن وقتادة: هو الفاحش اللئيم الضريبة"^(٣).
 الثاني: أنه الكافر اللئيم، قاله عكرمة^(٤).
 وقال إبراهيم النخعي: " العُتْلُ: الفاجر"^(٥).
 الثالث: أنه الجافي الشديد في كفره. قاله أبو عبيدة^(٦)، والطبري^(٧)، ومنه قول ذي الإصبع
 العدواني^(٨):
 وَالذَّهْرُ يَعْذُو مِعْتَلًا^(٩) جَدَعَا
 قال أبو عبيدة: " «العتلّ»: اللفظ الكافر -في هذا الموضع-، وهو الشديد في كل
 شيء"^(١٠).
 قال الطبري: " يقول: وهو عُتْلٌ، والعتلّ: الجافي الشديد في كفره، وكلّ شديد قويّ
 فالعرب تسميه عُتْلًا"^(١١).
 الرابع: أن «العتلّ»: الشديد المنافق. قاله ابن عباس^(١٢).
 الخامس: أنه شديد الأثر. قاله مجاهد^(١٣).
 وقال الضحاك: " العتلّ: الشديد"^(١٤).
 السادس: أنه صحيح الجسم الشديد، قاله أبو رزين^(١٥).
 قال أبو رزين: " العتلّ: الشديد"^(١٦). وفي رواية: " العتلّ: الصحيح"^(١٧). وفي رواية: "ال
 الصحيح الشديد"^(١٨).
 وحكي الماوردي عن الحسن: "أنه الوفير الجسم"^(١٩).
 قال ابن كثير: " العتلّ: فهو اللفظ الغليظ الصحيح، الجموع المئوع"^(٢٠).
 السابع: أنه الجافي الشديد الخصومة بالباطل، قاله الكلبي^(٢١)، والفراء^(١).

-
- (١) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٣.
 (٢) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٣.
 (٣) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٣.
 (٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٧/٢٣.
 (٥) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢٣٢.
 (٦) مجاز القرآن: ٢٦٤/٢.
 (٧) تفسير الطبري: ٥٣٥/٢٣.
 (٨) لعله من قصيدته المفضلية رقم ٢٩، تمامها في شعراء الجاهلية: ص ٦٢٩، وانظر: مجاز القرآن: ٢٦٤/٢،
 وتفسير الطبري: ٥٣٥/٢٣.
 (٩) أي: شديداً.
 (١٠) مجاز القرآن: ٢٦٤/٢.
 (١١) تفسير الطبري: ٥٣٥/٢٣.
 (١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٥/٢٣.
 (١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٧/٢٣.
 (١٤) أخرجه الطبري: ٥٣٧/٢٣.
 (١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٧/٢٣.
 (١٦) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٣.
 (١٧) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٣.
 (١٨) أخرجه الطبري: ٥٣٧/٢٣.
 (١٩) النكت والعيون: ٦٤/٦.
 (٢٠) تفسير ابن كثير: ١٩٢/٨.
 (٢١) انظر: النكت والعيون: ٦٤/٦.

قال الفراء: " {عُتْلٌ} - في هذا الموضع - : هو الشديد الخصومة بالباطل" (٢).

قال الزجاج: " هو في اللُّغَةِ الغليظ الجافي" (٣).

الثامن : أنه العتل هو الدعى، قاله ابن عباس (٤).

التاسع : أنه الذي يعتل الناس ، أي: يجرحهم إلى الحبس أو العذاب ، مأخوذ من العتل وهو الجر ، ومنه قوله تعالى : {خذوه فاعتلوه} [الحاقة : ٣٠] . حكاه الماوردي (٥).

العاشر : ما رواه شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : « لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم، فقال له رجل من المسلمين: ما الجواظ والجعظري والعتل الزنيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما الجواظ فالذي جمع ومنع تدعوه لظى نزاعة للشوى وأما الجعظري فالفظ الغليظ قال الله: فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وأما العتل الزنيم فشديد الخلق رحيب الجوف مصحح شروب واجد للطعام والشراب ظلوم للناس» (٦).

عن شهر بن حوشب، قال: "العتل: الصحيح، الأكل، الشروب" (٧).

عن حارثة بن وهب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ألا أنبئكم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف مُتَضَعَّف لو أقسم على الله لأبره، ألا أنبئكم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر". وقال وكيع : "كل جواظ جعظري مستكبر" (٨).

عن عبيد بن عمير، قال: العتل: الأكل الشروب القوي الشديد، يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة، يدفع المملوك من أولئك سبعين ألفا دفعة في جهنم" (٩).

عن وهب الدماري، قال: "تبكي السماء والأرض من رجل أتم الله خلقه، وأرحب جوفه، وأعطاه مقضما من الدنيا، ثم يكون ظلوما للناس، فذلك العتل الزنيم" (١٠).

عن زيد بن أسلم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تبكي السماء من عبد أصحَّ الله جسمه، وأرحب جوفه، وأعطاه من الدنيا مقضما فكان للناس، ظلوما، فذلك العتل الزنيم" (١١).

قال مقاتل : يعني: "رحيب الجوف موثق الحلق، أكل شروب غشوم ظلوم" (١٢).

قوله تعالى: {بَعْدَ ذَلِكَ} [القلم : ١٣] ، أي: "بعد تلك الأوصاف الذميمة التي تقدمت" (١٣).

قال أبو عبيدة: أي: "مع ذلك" (١٤).

قال الطبري: "أي مع العتل" (١٥).

قوله تعالى: {زَنِيمٌ} [القلم : ١٣] ، أي: "منسوب إلى غير أبيه" (١٦).

(١) انظر: معاني القرآن: ١٧٣/٣.

(٢) معاني القرآن: ١٧٣/٣.

(٣) معاني القرآن: ٢٠٦/٥.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٩٤٢): ص ٣٣٦٥/١٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٦٤/٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٣٨): ص ٣٣٦٤/١٠.

(٧) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٨) المسند (٣٠٦/٤) وصحيح البخاري برقم (٤٩١٨) وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٣) وسنن الترمذي برقم

(٢٦٠٥) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦١٥) وسنن ابن ماجة برقم (٤١١٦).

(٩) أخره الطبري: ٥٣٦/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٣.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٤/٤.

(١٣) صفة التفاسير: ٤٠٢/٣.

(١٤) مجاز القرآن: ٢٦٥/٢.

(١٥) تفسير الطبري: ٥٣٧/٢٣.

(١٦) التفسير الميسر: ٥٦٤.

وفي تفسير «الزنيمة»، وجوه:

أحدها: أنه الظلوم ، قاله ابن عباس -في رواية ابن طلحة عنه-^(١).

الثاني : أن الزنيمة: هو المريب الذي يعرف بالشر. قاله ابن عباس-في رواية سعيد بن جبيرة-^(٢)، وبه قال سعيد بن جبيرة^(٣).

وقال ابن عباس: "الزنيمة: هو الرجل يمر على القوم فيقولون رجل سوء"^(٤).

قال سعيد بن جبيرة: "الزنيمة: الذي يعرف بالشر، كما تعرف الشاة بزنيمة؛ الملقب"^(٥).

قال الزجاج: "قيل إن الزنيمة الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنيمة، والزنيمة المعلقان عند خلوق المعزى"^(٦).

الثالث : أنه الذي يُعرف بالأبنة. قاله ابن عباس -في رواية ثانية لسعيد بن جبيرة عنه-^(٧).

الرابع : أنه الجلف الجافي الأكل الشروب من الحرام. قاله شهر بن حوشب^(٨).

قال مقاتل : يعني: "رحيب الجوف موثق الحلق، أكل شروب غشوم ظلوم"^(٩).

الخامس : أن الزنيمة: الفاجر. قاله أبو رزين^(١٠).

السادس: أنه الفاحش ، قاله إبراهيم^(١١).

السابع : أنه الذي له زنيمة كزنيمة الشاة. قاله ابن عباس في إحدى الروايات-^(١٢).

قال ابن عباس: "رجل من قريش كانت له زنيمة زائدة مثل زنيمة الشاة يعرف بها"^(١٣).

قال مقاتل : "معنى «زنيمة» أنه كان في أصل أذنه مثل زنيمة الشاة مثل الزنيمة التي تكون معلقة في لحي الشاة زيادة في خلقه"^(١٤).

عن ابن عباس، في قوله: "بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ"، قال: نزل على النبي صلى الله عليه وسلم {وَلَا تُطْعَمُ كُلُّ حَلَاظٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ}، قال: فلم نعرفه حتى نزل على النبي صلى الله عليه وسلم {بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ}، قال: فعرفناه له زنيمة كزنيمة الشاة"^(١٥).

قال الضحاك: "كانت له زنيمة في أصل أذنه، يقال: هو اللثيم الملقب في النسب"^(١٦).

قال محمد بن إسحاق : "نزلت في الأخنس بن شريق لأنه حليف ملحق ولذلك سمي زنيماً"^(١٧).

قال مسلم بن خالد الزنجي: "يعرف الزنيمة بما وصفه الله عز وجل كما تعرف الشاة الزنيمة من التي ليست بزنيمة"^(١٨).

قال مجاهد: "الزنيمة يُعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة"^(١٩).

-
- (١) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٩٤٢):ص٣٣٦٥/١٠.
- (٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٩٤٢):ص٣٣٦٥/١٠.
- (٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢٣.
- (٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٤٢):ص٣٣٦٥/١٠.
- (٥) أخرجه الطبري: ٥٣٨/٢٣.
- (٦) معاني القرآن: ٢٠٦/٥.
- (٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢٣.
- (٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢٣.
- (٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٤/٤.
- (١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٣.
- (١١) انظر: النكت والعيون: ٦٥/٦.
- (١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٩٤٤):ص٣٣٦٥/١٠، وتفسير الطبري: ٥٣٨/٢٣.
- (١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٤٤):ص٣٣٦٥/١٠.
- (١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٥-٤٠٤/٤.
- (١٥) أخرجه الطبري: ٥٣٨/٢٣.
- (١٦) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢٣.
- (١٧) نقلا عن: النكت والعيون: ٦٥/٦.
- (١٨) الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(١٠٤):ص٦٢.

قال الشعبي: "الزّينم: الذي له زنمة من الشّرّ يعرف بها، كما تعرف الشاة بالزّنمة"^(٢).
 قال ابن قتيبة: "أراد الشعبي: أنه قد لحقته سبة من الدعوة عرف بها كزنمة الشاة"^(٣).
 الثامن : هو الذي يعرف باللؤم، كما تُعرف الشاة بزنتها. قاله عكرمة^(٤).
 التاسع : أنه الدعيّ، أي: الملتصق بالقوم، وليس منهم، وهذا مروى عن ابن عباس-أيضا-^(٥)،
 وعكرمة^(٦)، وسعيد بن المسيب^(٧)، وبه قال أبو عبيدة^(٨)، والفراء^(٩)، ومنه قول حسان بن
 ثابت^(١٠):

وأنت زينم نيط في آل هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد
 وقوله أيضا^(١١):

زينمٌ نداعاه الرجالُ زيادةً ... كما زيدَ في عَرَضِ الأديم الأكارعُ
 ومنه قول الآخر^(١٢):

زينم ليس يعرف من أبوه ... بغى الأم ذو حسب لئيم

قال أبو عبيدة: "الزّينم: المعلق في القوم ليس منهم.. ويقال للئيس: زينم له زنمتان"^(١٣).

قال الزجاج: "الزّينم: جاء في اللغة أنه الملقق في القوم وليس منهم"^(١٤).

قال معمر: "هو ولد الزنا في بعض اللغة"^(١٥).

عن عامر بن قدامة، قال : "سئل عكرمة عن الزّينم، قال : هو ولد الزنا"^(١٦).

العاشر : أنه علامة الكفر كما قال تعالى :{سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ} [القلم : ١٦]، قاله أبو
 رزين^(١٧).

قال أبو رزين: "الزّينم: علامة الكافر"^(١٨).

وروي ن قتادة , عن علي, قال: " الزّينم: هو الهجين الكافر"^(١٩).

قال ابن كثير-بعد أن سرد بعض تلك الأقوال-: "الأقوال في هذا كثيرة، وترجع إلى ما
 قلناه، وهو أن الزّينم هو : المشهور بالشر، الذي يعرف به من بين الناس، وغالبًا يكون دعياً وله
 زنا، فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط على غيره، كما جاء في الحديث : «لا
 يدخل الجنة ولد زنا»^(٢٠)، وفي الحديث الآخر : «ولد الزنا شرُّ الثلاثة إذا عمل بعمل
 أبويه»^(٢١)^(٢٢).

(١) أخرجه الطبري: ٥٤٠/٢٣.

(٢) رواه سفيان، نقلًا عن غريب القرآن لابن قتيبة: ١٠٢.

(٣) غريب القرآن: ١٠٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٨/٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٨/٢٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٨/٢٣.

(٨) انظر: مجاز القرآن: ٢٦٥/٢.

(٩) انظر: معاني القرآن: ١٧٣/٣.

(١٠) ديوانه ص ١٦٠، وتفسير الطبري ١٥ / ٢٩ واللسان (زنم)، وتفسير القرطبي ٢٣٤ / ١٨.

(١١) ديوانه ص ٤٩١، وفي "اللسان" ٥٣ / ٢ (زنم) نسبه للخظيم التميمي.

(١٢) لم أجد للبيت قائلًا، وهو في التفسير البسيط للواحدى: ٨٧/٢٢.

(١٣) مجاز القرآن: ٢٦٥/٢.

(١٤) معاني القرآن: ٢٠٦/٥.

(١٥) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (٣٢٨٣): ص٣٣٢/٣.

(١٦) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٩٣/٨.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٣، والنكت والعيون: ٦٥/٦.

(١٨) أخرجه الطبري: ٥٤٠/٢٣.

(١٩) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (٣٢٨٢): ص٣٣٢/٣.

(٢٠) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٠٣/٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنه، ورواه
 النسائي في السنن الكبرى برقم (٤٩٢٥، ٤٩٢٦) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، وقد ذكره ابن الجوزي

قوله تعالى: {أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ} [القلم : ١٤]، أي: "ومن أجل أنه كان صاحب مال وبنين طغى وتكبر عن الحق"^(٣).

قال ابن كثير: "يقول تعالى : هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين، كفر بآيات الله وأعرض عنها، وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين، كقوله: {دَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ} كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا سَاءَ رُفُوهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} قال الله تعالى: {سَأُصَلِّيهِ سَقَرَ} [المدثر : ١١ - ٢٦]"^(٤).

قوله تعالى: {إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ} [القلم : ١٥]، أي: "فإذا قرأ عليه أحد آيات القرآن كذب بها، وقال: هذا أباطيل الأولين وخرافاتهم"^(٥).
قال الطبري: "يقول: إذا تقرأ عليه آيات كتابنا، قال: هذا مما كتبه الأولون استهزاء به وإنكاراً منه أن يكون ذلك من عند الله"^(٦).

قال مقاتل: " {إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ}، يعني: الوليد، {آيَاتُنَا}، يعني: القرآن {قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ}، يقول: أحاديث الأولين وكذبهم وهو حديث رستم واسفندباز"^(٧).
عن قتادة، قوله: "{أساطير الأولين}، أي: أحاديث الأولين وباطلهم"^(٨). وروي عن الضحاك نحو ذلك"^(٩).

عن السدي، قوله: {إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ} أساجيع الأولين"^(١٠).
قال السعدي-في الآية:- "وحاصل هذا، أن الله تعالى نهى عن طاعة كل حلاف كذاب، خسيس النفس، سيئ الأخلاق، خصوصاً الأخلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس، والتكبر على الحق وعلى الخلق، والاحتقار للناس، كالغنية والنميمة، والطعن فيهم، وكثرة المعاصي.
وهذه الآيات - وإن كانت نزلت في بعض المشركين، كالوليد بن المغيرة أو غيره لقوله عنه: {أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ} أي: لأجل كثرة ماله وولده، طغى واستكبر عن الحق، ودفعه حين جاءه، وجعله من جملة أساطير الأولين، التي يمكن صدقها وكذبها- فإنها عامة في كل من اتصف بهذا الوصف، لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم، وربما نزل بعض الآيات في سبب أو في شخص من الأشخاص، لتنتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة"^(١١).

في الموضوعات (١١١/٣) قال: "وفيه مخالفة للأصول وأعظمها قوله تعالى: "ولا تزر وازرة أخرى". قال الإمام ابن القيم متعباً على ابن الجوزي في المنار المنيف (ص١٣٣): "ليست معرضة بها إن صحت، فإنه لم يحرم الجنة بفعل والديه، بل لأن النطفة الخبيثة لا يتخلق منها طيب في الغالب، ولا يدخل الجنة إلا نفس طيبة، فإن كانت في هذا الجنس طيبة دخلت الجنة، وكان الحديث من العام المخصوص، وقد ورد في ذمة: "أنه شر الثلاثة" وهو حديث حسن ومعناه صحيح بهذا الاعتبار، فإن شر الأبوين عارض، وهذه نطفة خبيثة فشره في أصله وشر الأبوين في فعلهما". قلت: ويوجه أيضاً بالتقييد الذي في حديث عائشة الآتي بأنه شر الثلاثة إذا عمل عمل أبويه، وكلام ابن الجوزي منطبق على حديث: "ولد الزنا في النار إلى سبعة أبناء". وهو موضوع.
(١) رواه الإمام أحمد (١٠٩/٦) من حديث عائشة، رضي الله عنها، و (٣١١/٢) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٩٤/٨.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٩٤/٨.

(٥) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٦) تفسير الطبري: ٥٤١/٢٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٤-٤٠٥.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥١): ص٢٩١٦/٩.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢١٩١٦/٩.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥٠): ص٢٩١٦/٩.

(١١) تفسير السعدي: ٨٧٩.

القرآن {سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦)} [القلم : ١٦]

التفسير:

سنجعل على أنفه علامة لازمة لا تفارقه عقوبة له؛ ليكون مفتضحاً بها أمام الناس.

وفي تفسير الآية وجوه:

أحدها : معناه: سنخطمه بالسيف، فنجعل ذلك علامة باقية، وسمّة ثابتة فيه ما عاش. قاله ابن عباس^(١).

قال ابن عباس: "فقاتل يوم بدر، فحُطِمَ بالسيف في القتال"^(٢).

الثاني : سنشينه شينا باقيا لا يفارقه آخر ما عليه. قاله قتادة^(٣).

قال النحاس: " وهذا من أحسن ما قيل فيه أي سنبين أمره ونشهره حتى يتبين ذلك ويكون بمنزلة الموسوم على أنفه"^(٤).

وحكي الماوردي عن بعضهم: "أنه إشهار ذكره بالقبايح، فيصير موسوماً بالذكر لا بالأثر"^(٥).

قال ابن قتيبة: " تقول العرب للرجل يسبّ الرجل سبّة قبيحة، أو ينثو عليه فاحشة: وقد وسمه بميسم سوء. يريدون: ألصق به عارا لا يفارقه، كما أنّ السّمّة لا تتمحي ولا يعفو أثرها. وقال جرير^(٦):

لما وضعت الفرزدق ميسمي ... وعلى البعيث، جدعت أنف الأخطل

يريد: أنه وسم الفرزدق وجدع أنف الأخطل بالهجاء، أي أبقى عليه عارا كالجدع والوسم. وقال أيضا^(٧):

رفع المطيّ بما وسمت مجاشعا ... والزّنبيريّ يعوم ذو الإجلال

يريد: أن هجاءه قد سارت به المطي، وغثي به في البر والبحر.. وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، ولا نعلم أن الله عزّ وجل وصف أحدا وصفه له، ولا بلغ من ذكر عيوبه ما بلغه من ذكرها منه لأنه وصفه بالخلف، والمهانة، والعيب للناس، والمشى بالثّمائم، والبخل، والظلم، والإثم، والجفاء، والدّعوة. فألحق به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة، كالوسم على الخرطوم، وأبين ما يكون الوسم في الوجه"^(٨).

الثالث: سيمى على أنفه. قاله قتادة أيضا^(٩).

قال قتادة: " سنسم على أنفه"^(١٠). وفي رواية: " «سيما على أنفه»"^(١١).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٤١/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٤١/٢٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٤١/٢٣.

(٤) إعراب القرآن: ٧/٥.

(٥) النكت والعيون: ٦٦/٦.

(٦) ديوانه: ٤٤٣.

(٧) يروى البيت بلفظ:

رفع المطيّ بها وسمت مجاشعا ... كالزّنبيريّ يقاد بالأجلال

والبيت من الكامل، وهو لجرير في ديوانه ص ٩٥٥ (ورواية عجز البيت فيه كما في المتن) . ولسان العرب (جلل) ، وبلا نسبة في لسان العرب (زنبير) ، وكتاب العين ٧/ ٢٨٦ ، وتاج العروس (زنبير).

(٨) تأويل مشكل القرآن: ١٠٠-١٠١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٤١/٣٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٤١/٢٣.

(١١) تفسير عبدالرزاق(٣٢٨٨):ص٣٣٤/٣.

الرابع: أنها سمة سوداء تكون على أنفه يوم القيامة يتميز بها الكافر ، كما قال تعالى : { يُعْرِفَ المجرمون بسماهم } [الرحمن : ٤١] . وهذا قول أبي العالية^(١)، ومجاهد^(٢)، ومقاتل^(٣)، والفراء^(٤)، والزجاج^(٥).

قال مقاتل : " {سَنَسِمُهُ} بالسواد {على الخُرطوم}، يعني: على الأنف، وهو الوليد وذلك أنه يسود وجهه وتزوق عيناه ويصير منكوس الوجه مغلولاً في الحديد قبل دخول النار"^(٦).
قال الفراء: "أي: سنسمه سمة أهل النار، أي سنسود وجهه، فهو وإن كان الخرطوم قد خص بالسمة فإنه في مذهب الوجه [لأن بعض الوجه] «٤» يؤدى عن بعض. والعرب تقول: أما والله لأسمئك وسمًا لا يفارقك. تريد: الأنف، وأنشدني بعضهم^(٧):
لَأَعْلَطَنَّكَ وَسْمًا لَا يَفَارِقُهُ ... كَمَا يُحَرِّزُ بِحُمَى المَيْسَمِ البَحْرُ
فَقَالَ: الميسم ولم يذكر الأنف، لأنه موضع السمة، والبحر: البعير إذا أصابه البحر، هوداء يأخذ البعير فيوسم لذلك"^(٨).

قال الزجاج: "معناه سَنَسِمُهُ على أنفه، والخرطوم الأنف، ومعنى سنسمه سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم. وجائز - والله أعلم - إذا يفرد سمة لمبالغته في عداوة النبي عليه السلام. فيخص من التشويه بما يتبين به من غيره كما كانت عداوته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - عداوة يُتَبَيَّنُ بها من غيره"^(٩).
وقال الضحاك والكسائي: "يشكونه على وجهه"^(١٠).

الخامس : أنه يضرب في النار على أنفه يوم القيامة ، قاله الكلبي^(١١).
السادس : معناه: سنحده على شربه الخمر، والخرطوم: الخمر، وجمعه: خراطيم، وهذا قول النضر بن شميل^(١٢). ومنه قول الشاعر^(١٣):

تَظَلُّ يَوْمَكَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ ... وَأَنْتَ بِاللَّيْلِ شَرَّابُ الخَرَاتِيمِ

قال الفخر الرازي: " قيل للخمر: الخرطوم كما يقال لها: السلافة، وهي ما سلف من عصير العنب، أو لأنها تطير في الخياشيم"^(١٤).
قال السمين الحلبي: "قد استبعد الناس هذا التفسير"^(١٥).

السابع : هو ما بينثليه الله به في الدنيا في نفسه وماله وولده من سوء وذل وصغار ، قاله ابن بحر^(١٦)، واستشهد بقول الأعشى^(١٧):

(١) انظر: الكشف والبيان: ١٥/١٠.

(٢) انظر: الكشف والبيان: ١٥/١٠.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٤/٤-٤٠٥.

(٤) انظر: معاني القرآن: ١٧٤/٣.

(٥) معاني القرآن: ٢٠٧/٥.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٤/٤-٤٠٥.

(٧) غلط البعير: وسمه بالعلاط، بكسر العين. وهو سمة في عرض عنق البعير والناقة. والبحر بفتحيتين:

أن يلهج البعير بالماء، فيكثر منه حتى يصيبه منه داء، فيكوى في مواضع فيبرأ، بحر كفرح. والبيت في اللسان (بحر) غير منسوب.

(٨) معاني القرآن: ١٧٤/٣.

(٩) معاني القرآن: ٢٠٧/٥.

(١٠) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٥/١٠.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٦٦/٦.

(١٢) انظر: الكشف والبيان: ١٦/١٠.

(١٣) البيت بلا نسبة في: الكشف والبيان: ١٦/١٠، ومفاتيح الغيب: ٦٠٧/٣٠، وتفسير القرطبي: ٢٣٨/١٨، وهو للأعرج المغربي في "البحر المحيط في التفسير": ٢٣٣/١٠.

(١٤) مفاتيح الغيب: ٦٠٧/٣٠.

(١٥) الدر المصون: ٤٠٩/١٠.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٦٦/٦.

(١٧) انظر: النكت والعيون: ٦٦/٦، وتفسير القرطبي: ٢٣٧/١٨.

فَدَعَهَا وما يَغْنِيكَ واعمد لغيرها ... بشِعْرِكَ واغلب أنف من أنت واسم
قال الطبري: "معنى ذلك: سنبين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه، فلا يخفى عليهم، كما
لا تخفي السمة على الخرطوم، وقد يحتمل أيضا أن يكون خطم بالسيف، فجمع له مع بيان
عيوبه للناس الخطم بالسيف.. يعني بقوله: {سَنَسِمُهُ} سنكويه"^(١).
قال الواحدي: "الوسم: أثر كية. يقال: وسمته فهو موسوم بسمة يعرف بها، إما بكية،
وإما قطع في أذن علامة له.. واختلفوا في معنى هذا الوسم، فالأكثر على أنه وعيد له بذلك
في الآخرة"^(٢).

قال ابن العربي: "كان الوسم في الوجه لذوي المعصية قديما عند الناس حتى أنه روي
كما تقدم أن اليهود لما أهملوا رجم الزاني واعتاضوا عنه بالضرب وتحميم الوجه، وهذا وضع
باطل، ومن الوسم الصحيح في الوجه ما رأى العلماء من تسويد وجه شاهد الزور علامة على
قبح المعصية، وتشديدا لمن يتعاطاها لغيره ممن يرجى تجنبه بما يرجى من عقوبة شاهد الزور
وشهرته، وقد كان عزيزا بقول الحق، وقد صار مهينا بالمعصية؛ وأعظم الإهانة إهانة الوجه،
وكذلك كانت الاستهانة به في طاعة الله سببا لحياة الأبد، والتحرير له على النار؛ فإن الله قد حرم
على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، حسيما ثبت في الصحيح"^(٣).

قال المبرد: "الخرطوم هو من الناس الأنف، ومن البهائم الشفة"^(٤).
قال الزمخشري: "الوجه: أكرم موضع في الجسد، والأنف أكرم موضع من الوجه
لتقدمه له، ولذلك جعلوه مكان العز والحمية، واشتقوا منه الأنفة. وقالوا الأنف في الأنف، وحمى
أنفه، وفلان شامخ العينين. وقالوا في الذليل: جدع أنفه، ورغم أنفه، فعبر بالوسم على الخرطوم
عن غاية الإذلال والإهانة، لأن السمة على الوجه شين وإذالة"^(٥)، فكيف بها على أكرم موضع
منه، ولقد وسم العباس أباعر^(٦) في وجوهها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكرموا
الوجوه»^(٧)، فوسمها في جوارحها^(٨) وفي لفظ «الخرطوم»: استخفاف به واستهانة"^(٩).
فوائد الآيات: [١٦-٥]:

- ١- التنديد بأصحاب الصفات التالية كثرة الحلف بالكذب، المهانة، الهمة النميمة، الغيبة، البخل،
الاعتداء، غشيان الذنوب، الغلظة والجفاء، الشهرة بالشر.
- ٢- التحذير من كثرة المال والولد فإنها سبب الطغيان {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ} .
- ٣- التنديد بالمكذابين بآيات الله تعالى أو تفصيلا. والعياذ بالله تعالى.

القرآن

{إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَنْتُونَ
(١٨) } [القلم : ١٧-١٨]

- (١) تفسير الطبري: ٥٤١/٢٣.
- (٢) التفسير البسيط: ٩١-٩٠/٢٢.
- (٣) أحكام القرآن: ٣٠٦/٤-٣٠٧.
- (٤) نقلا عن: النكت والعيون: ٦٦/٦، وانظر: "اللسان" ٨١٥/١ (خرطم).
- (٥) في القاموس «أذنته» أهنته.
- (٦) قوله «أباعر» لعله أباعره بالإضافة إلى الضمير، لأن الجمع أبعرة وأباعر، كما في الصحاح. [أفاده
المحقق]
- (٧) لم أره هكذا. وفي ابن حبان من حديث ابن عباس «أن العباس وسم بعيرا له. ودابة في وجهها فرآه النبي
صلى الله عليه وسلم فغضب: فقال العباس: لا أسمه إلا في آخره فوسمه في جاعرتيه» وأصله في مسلم بلفظ
«رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا موسوم الوجه، فأنكر ذلك فقال الرجل: والله لا أسمه إلا في أقصى
شيء من الوجه. فأمر بحمار له فكوى في جاعرتيه. فهو أول من كوى في الجاعرتين، زاد الطبراني «وكان
الرجل الذي كوى: العباس بن عبد المطلب».
- (٨) الجاعرة: ما حول الدبر - أفاده الصحاح.
- (٩) الكشف: ٥٨٨/٤.

التفسير:

إنا اختبرنا أهل «مكة» بالجوع والقحط، كما اختبرنا أصحاب الحديقة حين حلفوا فيما بينهم، ليقطعن ثمار حديقتهم مبكرين في الصباح، فلا يطعم منها غيرهم من المساكين ونحوهم، ولم يقولوا: إن شاء الله.

قوله تعالى: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} [القلم : ١٧]، أي إنا اختبرنا أهل «مكة» بالجوع والقحط، كما اختبرنا أصحاب البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه^(١). قال الطبري: "يقول: امتحنا مشرقي قريش فاخبرناهم، كما امتحنا أصحاب البستان"^(٢).

قال الزجاج: "الجنة: البستان"^(٣).

عن ابن جريج: "أن أبا جهل قال: يوم بدر: خذوهم أخذا واربطوهم في الجبال، ولا تقتلوا منهم أحدا، فنزل: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ}، يقول: في قدرتهم عليهم كما اقتدر أصحاب الجنة على الجنة"^(٤).

قال ابن عباس: "هم ناس من الحبشة كانت لأبيهم جنة وكان يطعم منها السائلين، فمات أبوهم فقال بنوه: إن كان أبونا لأحمق يطعم المساكين، فأقسموا ليصرمها مصبحين وأن لا يطعموا مسكيناً"^(٥).

قال عكرمة: "هم ناس من الحبشة كانت لأبيهم جنة كان يطعم المساكين منها، فلما مات أبوهم، قال بنوه: والله إن كان أبونا لأحمق حين يطعم المساكين، فأقسموا ليصرمها مصبحين، ولا يستنون، ولا يطعمون مسكيناً"^(٦).

قال سعيد بن جبير: "هي أرض باليمن يُقال لها: ضَرَوَان، بينها وبين صنعاء ستة أميال"^(٧).

قال قتادة: "هؤلاء ناسٌ قصَّ الله عليكم حديثهم، وبيّن لكم أمرهم"^(٨).

قال قتادة: "كانت الجنة لشيخ، وكان يتصدق، فكان بنوه ينهونه عن الصدقة، وكان يمسك قوت سنته، وينفق ويتصدق بالفضل؛ فلما مات أبوهم غدوا عليها فقالوا: {لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ}"^(٩).

قال الزجاج: "هؤلاء قوم بناحية اليمن كان لهم أب يتصدق من جنته على المساكين، فجاء في التفسير أنه كان يأخذ منها قوت سنته، ويتصدق بالباقي وجاء أيضاً أنه كان يترك للمساكين ما أخطأ المنجل، وما كان في أسفل الأكداس، وما أخطأ القطاف من العنب وما خرج عن البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت، فكان يجتمع من ذلك شيء كثير، فقال بنوه: نحن جماعة، وإن فعلنا بالمساكين ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر فحلفوا {لَيَصْرُمُنَّهَا} بسدقة من الليل"^(١٠).

قوله تعالى: {إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُمُنَّهَا مُصْبِحِينَ} [القلم : ١٧]، أي: "حين حلفوا ليقطعن ثمرها وقت الصباح، قبل أن يخرج اليهم المساكين"^(١١).

قال الطبري: "يقول: إذ حلفوا ليصرم ثمرها إذا أصبحوا، والصرم: القطع"^(١).

(١) انظر: التفسير الميسر: ٥٦٥، وصفوة التفاسير: ٤٠٣/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٣.

(٣) معاني القرآن: ٢٠٧/٥.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٤٧): ص ٣٣٦٥/١٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٤٨): ص ٣٣٦٥/١٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٣-٥٤٣.

(٧) أخرجه عبد الرزاق ٣١١/٢، وانظر: الدر المنثور: ٢٥١/٨، وعزاه عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٨) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٣-٥٤٣.

(١٠) معاني القرآن: ٢٠٧/٥-٢٠٨.

(١١) صفوة التفاسير: ٤٠٣/٣.

قال ابن كثير: "أي: حلفوا فيما بينهم ليجدن ثمرها ليلا ليلا يعلم بهم فقير ولا سائل، ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء" (١).
 عن أبي مالك: " {لِيَصْرُمُهَا مُصْبِحِينَ}، قال: لِيَحْضُرْتُهَا" (٢).
 قوله تعالى: {وَلَا يَسْتَنْتُونَ} [القلم : ١٨]، أي: "ولم يقولوا إن شاء الله حين حلفوا، كأنهم واثقون من الأمر" (٣).
 قال الطبري: أي: "ولا يقولون إن شاء الله" (٤).
 قال ابن كثير: " {وَلَا يَسْتَنْتُونَ}، أي: فيما حلفوا به. ولهذا حنثهم الله في أيمانهم، فقال: {فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ} " (٥).
 قال أبو صالح: "كان استنناؤهم: سبحان الله" (٦).

القرآن

{فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠)} [القلم : ١٩-٢٠]
 التفسير:

فأنزل الله عليها ناراً أحرقتها ليلا وهم نائمون، فأصبحت محترقة سوداء كالليل المظلم.
 قوله تعالى: {فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ} [القلم : ١٩]، أي: "فأنزل الله عليها ناراً أحرقتها ليلا وهم نائمون" (٧).
 قال الطبري: يقول: "فطرق جنة هؤلاء القوم ليلا طارق من أمر الله وهم نائمون، ولا يكون الطائف في كلام العرب إلا ليلا ولا يكون نهاراً، وقد يقولون: أطفئت بها نهاراً" (٨).
 قال مقاتل: "فسمع الله- تعالى- قولهم فبعث ناراً من السماء في الليل على جنتهم فأحرقتها حتى صارت سوداء" (٩).
 قال الزجاج: "أي: أرسل عليها عذاباً من السماء فاحترقت كلها" (١٠).
 قال القشيري: "أرسل عليها من السماء آفة فأحرقت ثمارهم" (١١).
 قال ابن كثير: "أي: أصابها آفة سماوية" (١٢).
 عن قابوس، عن أبيه، قال: "سألت ابن عباس، عن الطوفان {فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ}، قال: هو أمر من أمر الله" (١٣).
 قال ابن عباس: "طاف عليها أمر من أمر الله وهم نائمون" (١٤).
 قال قتادة: "أتاها أمر الله ليلاً" (١٥). وروي عن قطر بن ميمون مثله (١٦).

-
- (١) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٣، ٥٤٣.
 (٢) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.
 (٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
 (٤) صفوة التفسير: ٤٠٣/٣.
 (٥) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٣.
 (٦) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.
 (٧) الدر المنثور: ٢٥١/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
 (٨) التفسير الميسر: ٥٦٥.
 (٩) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٣.
 (١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٦/٤.
 (١١) معاني القرآن: ٢٠٨/٥.
 (١٢) لطائف الإشارات: ٦١٩/٣.
 (١٣) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.
 (١٤) أخرجه الطبري: ٥٤٤/٢٣.
 (١٥) أخرجه الطبري: ٥٤٤/٢٣.
 (١٦) الدر المنثور: ٢٥١/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
 (١٧) الدر المنثور: ٢٥١/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

قال السمعاني: "أي: طرق طارق من العذاب، وهي النار التي أرسلها الله تعالى، والعرب لا تستعمل الطائف إلا في العذاب"^(١).

وفي بعض التفاسير: "أن الله تعالى أمر ملكا حتى اقتلع تلك الجنة بأشجارها وغروسيها فوضعها في موضع الطائف اليوم"^(٢).

قال الفراء: "لا يكون الطائف إلا ليلا، ولا يكون نهاراً، وقد تكلم به العرب، فيقولون: أظفت به نهاراً وليس موضعه بالنهار، ولكنه بمنزلة قولك: «لو ترك القطا ليلا لنام»^(٣)، لأنَّ القطا لا يسري ليلاً، قال أنشدني أبو الجراح العقيلي^(٤):
أظفت بها نهاراً غير ليل ... وألهى ربها طلب الرخال^(٥)
والرخل: ولد الضأن إذا كان أنثى"^(٦).

قوله تعالى: {فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ} [القلم : ٢٠]، أي: "فأصبحت محترقة سوداء كالليل المظلم"^(٧).

وفي قوله تعالى: {فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ} [القلم : ٢٠]، وجوه من التفسير: أحدها: كالرماد الأسود -بلغة حذيم-، قاله ابن عباس^(٨).
الثاني: أي: مثل الليل الأسود. قاله ابن عباس -أيضاً-^(٩)، ومقاتل^(١٠)، والفراء^(١١)، قال الشاعر^(١٢):
تَطَاوَلَ لَيْلُكَ الْجَوْنُ الْبَهِيمُ، ... فَمَا يَنْجَابُ، عَنْ لَيْلٍ، صَرِيمُ
قال أبو عبيدة: "انصرم في الليل وهو الليل وكل رملة انصرمت من معظم الرمل فهي الصريمة"^(١٣).

قال ابن قتيبة: "أي سوداء كالليل مُحترقة. و «الليل» هو: الصريم؛ و«الصباح» أيضاً: صريم، لأن كل واحد منهما ينصرم من صاحبه"^(١٤).
قال الأخفش: "كالصباح انصرم من الليل"^(١٥).
قال ابن كيسان: "كالجرة السوداء"^(١٦).
قال الواحدي: "شبه سوادها بسواد الليل الدامس، وهو آخر ليالي الشهر، وهو أشد ما يكون ظلمة"^(١٧).

قال المبرد: "قيل: كالنهار لا شيء فيها، كما يقال: لك سواد الأرض وبياضها. فالسواد العامر، والبياض الغامر"^(١٨).

(١) تفسير السمعاني: ٢٣/٦.
(٢) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٣/٦.
(٣) مثل يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته، قالته حذام بنت الريان: مجمع الأمثال ٢: ١١٠.
(٤) وانظر: تفسير الطبري: ٥٤٤/٢٣.
(٥) الرخال جمع رخل ككتف، ويجمع أيضا على أرخمل.
(٦) معاني القرآن: ١٧٥/٣.
(٧) التفسير الميسر: ٥٦٥.
(٨) انظر: الكشف والبيان: ١٠/١٦، والنكت والعيون: ٦٧/٦.
(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٩٤٩): ص ١٠/٣٣٦٦، وتفسير الطبري: ٥٤٤/٢٣.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٦/٤.
(١١) انظر: معاني القرآن: ١٧٥/٣.
(١٢) اللسان: (صرم)، وتفسير الطبري: ٥٤٥/٢٣.
(١٣) مجاز القرآن: ٢٦٥/٢.
(١٤) غريب القرآن: ٤٧٩، وانظر: تأويل مشكل القرآن: ١١٩.
(١٥) انظر: الكشف والبيان: ١٠/١٦.
(١٦) انظر: الكشف والبيان: ١٠/١٦.
(١٧) التفسير البسيط: ٩٨/٢٢.
(١٨) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٩٩/٢٢، لم أجد هذا القول، وغيره من أقوال المبرد نقلها المؤلف، وليست في مؤلفاته المعروفة، ولعلها -والله أعلم- نقلت من كتابه "إعراب القرآن" وهو كتاب مفقود.

قال السمعاني: "العرب تسمى العامر من الأرض نهارة لبياضه، والغامر ليلا لسواده وخضرته، والصريم من الأضداد، هو اسم لليل والنهار جميعاً؛ لأن كل واحد منهما يقطع عن صاحبه"^(١).

الثالث : فأصبحت كأرض تدعى الصريم، وهي أرض باليمن يقال لها ضروان من صنعاء على ستة أميال. وهذا قول سعيد بن جبير^(٢).

الرابع : مثل الزرع إذا حُصد، أي: هشيماً يبساً. وهذا قول الثوري^(٣)، والسدي^(٤)، ونحوه عن قتادة^(٥)، وبه قال النحاس^(٦).

قال قتادة: "كالصريم، كأنها صرمت"^(٧).

قال النحاس: "أي: كالشيء المصروم المقطوع"^(٨).

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إياكم والمعاصي، إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا قد كان هبئى له"، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : {قَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ} قد حرموا خير جنتهم بذنبهم"^(٩).

وقال الحسن: صرم عنها الخير فليس فيها شيء"^(١٠).

قال ابن زيد: "كالأرض المصرومة"^(١١).

وقال المروّج: "كالرمل انصرمت من معظم الرمل"^(١٢).

قال الأصمعي: "الصريم من الرمل: قطعة ضخمة تنصرم عن سائر الرمل، وتجمع الصرائم"^(١٣).

قال الواحدي: "على هذا شبهت الجنة وهي محترقة لا ثمر فيها ولا خير بالرمل المنقطعة عن الرمال، وهي لا تنبت شيئاً ينتفع به"^(١٤).

القرآن

{فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنْ اذْعُوا عَلَى حَرِّكُمْ إِنَّكُمْ صَارُمِينَ (٢٢)} [القلم : ٢١-٢٢]

التفسير:

فنادى بعضهم بعضاً وقت الصباح: أن اذهبوا مبكرين إلى زرعكم، إن كنتم مصرين على قطع الثمار.

قوله تعالى: {فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ} [القلم : ٢١]، أي: "فنادى بعضهم بعضاً حين أصبحوا ليتمضوا على الميعاد إلى بستانهم"^(١٥).

(١) تفسير السمعاني: ٢٤/٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٤/٢٣.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.

(٥) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٩٨/٢٢، و"تهذيب اللغة" ١٢ / ١٨٥، و"اللسان" ٢ / ٤٣٥ (صرم).

(٦) انظر: إعراب القرآن: ٨/٥.

(٧) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٩٨/٢٢، و"تهذيب اللغة" ١٢ / ١٨٥، و"اللسان" ٢ / ٤٣٥ (صرم).

(٨) انظر: إعراب القرآن: ٨/٥.

(٩) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٩٦/٨. وفي إسناده عمر بن صبح، قال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث. وقال الدارقطني: متروك. وقال الأذني: كذاب. وله شاهد من حديث ثوبان، رضي الله عنه، رواه الإمام أحمد في المسند (٢٧٧/٥).

(١٠) انظر: الكشاف والبيان: ١٦/١٠.

(١١) انظر: الكشاف والبيان: ١٦/١٠.

(١٢) انظر: الكشاف والبيان: ١٦/١٠.

(١٣) انظر: "تهذيب اللغة" ١٢ / ١٨٥، و"اللسان" ٢ / ٤٣٥ (صرم).

(١٤) التفسير البسيط: ٩٩/٢٢.

(١٥) صفة التفاسير: ٤٠٤/٣.

قال الطبري: يقول: "فنادى بعضهم بعضا بعد أن أصبحوا"^(١).
 قال ابن كثير: "أي: لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى الجَدَّاد"^(٢).
 قوله تعالى: {أَنْ اَعْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ} [القلم : ٢٢]، أي: "أن اذهبوا
 مبكرين إلى زرعكم، إن كنتم مصرين على قطع الثمار"^(٣).
 قال الطبري: يقول: "أَنْ اَعْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ" وذلك الزرع، إن كنتم حاصدي
 زرعكم"^(٤).
 قال الزجاج: "أي: إن كنتم عازمين على صرام النخل"^(٥).
 قال السمعاني: "يقال: في العنب الصرام، وفي الزرع الحصاد"^(٦).
 قال مجاهد: "كان حرثهم عنباً"^(٧).

القرآن

{فَأَنْطَلِقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ (٢٤)} [القلم : ٢٣-٢٤]

التفسير:

فاندفعوا مسرعين، وهم يتسارون بالحديث فيما بينهم: بأن لا تمكثوا اليوم أحدا من المساكين من
 دخول حديقكم.

قوله تعالى: {فَأَنْطَلِقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ} [القلم : ٢٣]، أي: "فاندفعوا مسرعين، وهم
 يتسارون بالحديث فيما بينهم"^(٨).

قال الطبري: "يقول: فمضوا إلى حرثهم وهم يتسارون بينهم"^(٩).

قال ابن كثير: "أي: يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحداً كلامهم"^(١٠).

قال قتادة: "يسرون"^(١١).

قال ابن عباس: "الإسرار، والكلام الخفي"^(١٢).

قال الزجاج: "التخافت: إسرار الكلام"^(١٣).

قوله تعالى: {أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ} [القلم : ٢٤]، أي: "قائلين: لا تدخلوا في
 هذا اليوم أحداً من الفقراء إلى البستان ولا تمكنوه من الدخول"^(١٤).

قال الطبري: "يقول: وهم يتسارون يقول بعضهم لبعض: لا يدخلن جنتكم اليوم عليكم
 مسكين"^(١٥).

قال ابن كثير: "ثم فسر الله عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به، فقال: {فَأَنْطَلِقُوا
 وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ}، أي: يقول بعضهم لبعض: لا تمكنوا اليوم
 فقيراً يدخلها عليكم!"^(١).

(١) تفسير الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٤) تفسير الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٥) معاني القرآن: ٢٠٨/٥.

(٦) تفسير السمعاني: ٢٤/٦.

(٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.

(٨) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٩) تفسير الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(١٢) الدر المنثور: ٢٥٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٣) معاني القرآن: ٢٠٨/٥.

(١٤) صفة التفسير: ٤٠٤/٣.

(١٥) تفسير الطبري: ٥٤٦/٢٣.

قال قتادة: "لما مات أبوهم غدوا عليها، فقالوا: {لَا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ}"^(٢).

القرآن

{وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥)} [القلم : ٢٥]

التفسير:

وساروا في أول النهار إلى حديقتهم على قصدهم السيئ في منع المساكين من ثمار الحديقة، وهم في غاية القدرة على تنفيذه في زعمهم.

اختلف أهل التفسير في معنى «الحرْد» -في هذا الموضع-، على أقوال:

أحدها: معناه: على فُدرة في أنفسهم وجدّ. وهذا قول ابن عباس^(٣)، ومجاهد^(٤)، والحسن^(٥)، وقتادة^(٦)، وابن زيد^(٧).

قال ابن عباس: "نوي قدرة"^(٨).

قال مجاهد وابن زيد: "على جدّ قادرين في أنفسهم"^(٩).

عن الحسن، قال: "على جهد، أو قال على جدّ"^(١٠).

قال قتادة: "غدا القوم وهم محردون إلى جنتهم، قادرون عليها في أنفسهم"^(١١).

وقال قتادة: "على جدّ من أمرهم"^(١٢).

الثاني: على أمر مجمع، أي: على أمر قد أسسوه بينهم. وهذا قول مجاهد-أيضا-^(١٣)، وعكرمة^(١٤)، وبه قال الطبري^(١٥).

قال مجاهد: "كان حرث لأبيهم، وكانوا إخوة، فقالوا: لا نطعم مسكينا منه حتى نعلم ما

يخرج منه، {وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ}: على أمر قد أسسوه بينهم"^(١٦).

قال مجاهد وعكرمة: "على أمر مجمع"^(١٧).

قال الطبري: "الذي هو أولى بتأويل الآية قول من قال: وغدوا على أمر قد قصدوه

واعتمدوه، واستسروه بينهم، قادرين عليه في أنفسهم"^(١٨).

الثالث: على منع، قاله أبو عبيدة^(١٩)، والزجاج^(٢٠)، ومنه قول الشاعر^(١):

(١) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٣. وقال السمعاني في التفسير: ٢٥/٦: "أشهر الأقاويل أن معناه: على حسد، وهو قول قتادة ومجاهد والحسن وجماعة". لعل كلمة «حسد» خطأ مطبعي والصحيح: «جدّ»، لما روي عنهم في القول الأول.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٣.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٣.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٣.

(١٦) أخرجه الطبري: ٥٤٧/٢٣.

(١٧) أخرجه الطبري: ٥٤٧/٢٣.

(١٨) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٣.

(١٩) انظر: مجاز القرآن: ٢٦٥/٢.

(٢٠) انظر: معاني القرآن: ٢٠٧/٥.

فإِذَا مَا حَارَدَتْ أَوْ بَكَاتُ ... فَتَّ عَنْ حَاجِبِ أُخْرَى طَيِّبُهَا
قال السمعاني: "معنى «المنع»: هو ما عقده من منع المساكين"^(٢).
قال أبو عبيدة: "بمعنى: «حاردت الناقة» فلا لبين لها"^(٣).
قال الزجاج: "من قولهم: حاردت السنة إذا منعت خيرها"^(٤).
قال الثعلبي: "المحاردة: المنع، تقول العرب: حاردت السنة، إذا لم يكن فيها مطر،
وحاردت الناقة إذا لم يكن لها لبن"^(٥).
وضعفه الطبري قائلا: "وهذا قول لا نعلم له قائلاً من متقدمي العلم قاله وإن كان له
وجه"^(٦).
الرابع: على قصد، ذكره الفراء^(٧)، وأبو عبيدة^(٨)، والطبري^(٩)، ومنه قول الشاعر^(١٠):
قد جاء سيل كان من أمر الله ... يَحْرُدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغْلَةِ
أي: يقصد قصد الجنة المغلة^(١١).
قال الفراء: "الحد - أيضاً -: القصد، كما يقول الرجل للرجل: قَدْ أَقْبَلْتَ قَبْلَكَ، وقصدت
قصدك، وحرَدْتُ حَرْدَكَ"^(١٢).
قال الطبري: "المعروف من معنى الحد في كلام العرب القصد من قولهم: قد حد
فلان حد فلان: إذا قصد قصده"^(١٣).
الخامس: على فاقة وحاجة. قاله الحسن^(١٤).
السادس: على حنق وغضب، قاله سفيان^(١٥)، والشعبي^(١٦)، والسدي^(١٧)، ومنه قول الأشهب بن
رُمَيْلة^(١٨):
أَسْوَدُ شَرَى لَأَقْتُ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ ... تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءِ الْأَسَاوِدِ
وحكي عن عكرمة، قال: على غيظ"^(١٩).
وقال الشعبي: "عَلَى حَرْدٍ {عَلَى حَرْدٍ} عَلَى الْمَسَاكِينِ"^(٢٠).
وقال مقاتل: "على حدة في أنفسهم"^(١).

-
- (١) لسان العرب: ١٣ / ٥١، وتفسير الطبري: ٥٤٨/٢٣.
(٢) تفسير السمعاني: ٢٥/٦.
(٣) مجاز القرآن: ٢٦٥/٢.
(٤) معاني القرآن: ٢٠٧/٥.
(٥) الكشف والبيان: ١٧/١٠.
(٦) تفسير الطبري: ٥٤٨/٢٣.
(٧) انظر: معاني القرآن: ١٧٦/٣.
(٨) انظر: مجاز القرآن: ٢٦٥/٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٨/٢٣.
(١٠) الرجز لقرب بن المستفيد حسب قول ابن السيد في شرح الكامل كما في الخزانة ٤ / ٣٤٣ وهو في الكامل
ص ٣٣ وتفسير الطبري ٥٤٩/٢٣، وتفسير القرطبي ١٨ / ٢٤٢، وشواهد الكشاف: ٢٥٤.
(١١) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٧٦/٣، والنكت والعيون: ٦٨-٦٩.
(١٢) معاني القرآن: ١٧٦/٣.
(١٣) تفسير الطبري: ٥٤٩-٥٤٨/٢٣.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٣، والنكت والعيون: ٦٩/٦.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٣.
(١٦) نقلاً عن: تفسير السمعاني: ٢٥/٦.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٦٩/٦.
(١٨) البيت للأشهب بن رُمَيْلة كما في "اللسان" ١ / ٦٠٢، و"تفسير الطبري" ٥٤٧/٢٣، و"تفسير غريب
(٤٨٠)، و"الخزانة" ٦ / ٢٧، والشري موضع تُنسب إليه الأسد. يقال للشجعان: ما هم إلا أسود الشري. وقيل:
هو شري الفرات وناحيته وبه غياض وأجام ومأسدة. "اللسان" ٢ / ٣١٠ (شري).
(١٩) نقلاً عن: النكت والعيون: ٦٩/٦، وتفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.
(٢٠) نقلاً عن: تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.

السابع : على حرص. قاله الحسن^(٢).
الثامن : أن القرية تسمى: حرداً ، قاله السدي^(٣).
وحكي الثعلبي عن السدي، قال: " أن الحرد: اسم الجنة"^(٤).
قال ابن كثير: " فأبعد السدي في قوله هذا"^(٥).
وفي قوله : {قادرين} [القلم : ٢٥] ، أربعة وجوه:
أحدها : يعني: قادرين على المساكين ، قاله الشعبي^(٦).
الثاني : قادرين على جنتهم عند أنفسهم^(٧) ، قاله قتادة^(٨)، ومقاتل^(٩).
الثالث : أن موافاتهم إلى جنتهم في الوقت الذي قدره ، قاله ابن بحر^(١٠).
الرابع: أي: على أمر أسسوه بينهم. حكاه السمعاني^(١١).
قال ابن كثير: " أي : عليها فيما يزعمون ويرومون"^(١٢).

القرآن

{فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ أَنَا
شَبَّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ
(٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ
(٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)} [القلم : ٢٦-٣٣]

التفسير:

فلما رأوا حديقتهم محترقة أنكروها، وقالوا: لقد أخطأنا الطريق إليها، فلما عرفوا أنها هي جنتهم، قالوا: بل نحن محرومون خيرها؛ بسبب عزمنا على البخل ومنع المساكين. قال أعدلهم: ألم أقل لكم هلا تستنثون وتقولون: إن شاء الله؟ قالوا بعد أن عادوا إلى رشدهم: تنزّه الله ربنا عن الظلم فيما أصابنا، بل نحن كنا الظالمين لأنفسنا بترك الاستثناء وقصدنا السيئ. فأقبل بعضهم على بعض، يلوم كل منهم الآخر على تركهم الاستثناء وعلى قصدهم السيئ، قالوا: يا ويلنا إنا كنا متجاوزين الحد في منعنا الفقراء ومخالفة أمر الله، عسى ربنا أن يعطينا أفضل من حديقتنا؛ بسبب توبتنا واعترافنا بخطيئتنا. إنا إلى ربنا وحده راغبون، راجون العفو، طالبون الخير. مثل ذلك العقاب الذي عاقبنا به أهل الحديقة يكون عقابنا في الدنيا لكل من خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله من النعم فلم يؤدّ حق الله فيها، ولعذاب الآخرة أعظم وأشد من عذاب الدنيا، لو كانوا يعلمون لانزجروا عن كل سبب يوجب العقاب.

قوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ} [القلم : ٢٦] ، أي: " فلما رأوا حديقتهم محترقة أنكروها، وقالوا: لقد أخطأنا الطريق إليها"^(١٣).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٦/٤.

(٢) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٥/٦.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٦٩/٦.

(٤) انظر: الكشف والبيان: ١٧/١٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٦٩/٦.

(٧) أي: قادرين عند أنفسهم على الصرام.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٦٩/٦.

(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٦/٤.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٦٩/٦.

(١١) تفسير السمعاني: ٢٥/٦.

(١٢) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٦٥.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فلما صار هؤلاء القوم إلى جنتهم، ورأوا محترقا حرثها، أنكروها وشكوا فيها، هل هي جنتهم أم لا؟ فقال بعضهم لأصحابه ظنا منه أنهم قد أغفلوا طريق جنتهم، وأن التي رأوا غيرها: إنا أيها القوم لضالون طريق جنتنا"^(١).

قال ابن كثير: "أي: فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها، وهي على الحالة التي قال الله، عز وجل، قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مُدْهِمَةً، لا ينتفع بشيء منها، فاعتقدوا أنهم قد أخطئوا الطريق؛ ولهذا قالوا: {إِنَّا لَضَالُونَ}، أي: قد سلطنا إليها غير الطريق فنهنا عنها"^(٢).

قال الثعلبي: "لمخطئوا الطريق فليس هذه بجنتنا"^(٣).

قال قتادة: "أي: أضلنا الطريق"^(٤).

قال قتادة: "يقولون أخطأنا الطريق ما هذه بجنتنا"^(٥).

قوله تعالى: {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} [القلم: ٢٧]، أي: "فلما عرفوا أنها هي جنتهم، قالوا: بل نحن محرومون خيرها؛ بسبب عزمنا على البخل ومنع المساكين"^(٦).

قال الطبري: "فقال من علم أنها جنتهم، وأنهم لم يخطئوا الطريق: بل نحن أيها القوم محرومون، حرمانا منفعة جنتنا بذهاب حرثها"^(٧).

قال ابن كثير: "ثم رجعوا عما كانوا فيه، وتيقنوا أنها هي فقالوا: {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}، أي: بل هذه هي، ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب"^(٨).

قال الثعلبي: "حرمانا خيرها ونفعها لمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء"^(٩).

قال قتادة: "بل جُوزينا فحرمانا"^(١٠).

قال قتادة: "فقال بعضهم: {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} حرمانا جنتنا"^(١١).

عن محمد بن كعب القرظي قال: "المحروم الذي تصيبه الجائحة؛ قال الله: {وغدوا على حرث قادريين فلما رأوا قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون}، وقال: {فظلتم تفكّهون إنا لمغرمون بل نحن محرومون}، قال: المحروم الذي تصيبه الجائحة"^(١٢).

قوله تعالى: {قَالَ أَوْسَطُهُمْ} [القلم: ٢٨]، أي: "قال أعدلهم"^(١٣).

قال الطبري: "قَالَ أَوْسَطُهُمْ يعني: أعدلهم"^(١٤).

قال الزمخشري: "أعدلهم وخيرهم، من قولهم: هو من سطة قومه، وأعطى من سطات مالك. ومنه قوله تعالى: {رَأْمَةٌ وَسَطًا}"^(١٥).

عن ابن عباس، قوله: "قَالَ أَوْسَطُهُمْ}، قال: أعدلهم، ويقال: قال خيرهم، وقال في البقرة: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}، قال: الوسط: العدل"^(١٦).

(١) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.

(٣) الكشف والبيان: ١٧/١٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٣-٥٥٠.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٧) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.

(٩) الكشف والبيان: ١٧/١٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٣-٥٥٠.

(١٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢٠٢): ص ١٠٣/٢.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(١٤) تفسير الطبري: ٥٥٠/٢٣.

(١٥) الكشاف: ٥٩١/٤.

(١٦) أخرجه الطبري: ٥٥٠/٢٣.

عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، ومحمد بن كعب، والربيع بن أنس:
"قَالَ أَوْسَطُهُمْ: أَعْدَلُهُمْ"^(١).

قال قتادة: "أي: أعدلهم قولاً، وكان أسرع القوم فزعا، وأحسنهم رجعة"^(٢).

قال الثعلبي: "قال أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم"^(٣).

قوله تعالى: {أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ} [القلم : ٢٨]، أي: "ألم أقل لكم هلا تستنثون
وتقولون: إن شاء الله؟"^(٤).

قال الطبري: "يقول: هلا تستنثون إذ قلتُم {لَيَصْرُمُنَّهَا مُصْبِحِينَ}، فتقولوا: إن شاء
الله"^(٥).

قال الثعلبي: أي: "هلا تستنثون، وقيل: هلا تسبحون الله وتقولون: سبحان الله وتشكرونه
على ما أعطاكم. وقيل: هلا تستغفرونه من فعلكم"^(٦).

قال الزمخشري: "لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم، كأن أوسطهم قال لهم
حين عزموا على ذلك: اذكروا الله وانتقامه من المجرمين، وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من
فوركم، وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة، فعصوه فغيرهم. والدليل عليه قولهم سُبْحَانَ
رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فتكلموا بما كان يدعوهم إلى التكلم به على أثر مقارفة الخطيئة، ولكن بعد
خراب البصرة. وقيل: المراد بالتسبيح. الاستثناء لالتقاءهما في معنى التعظيم لله، لأن الاستثناء
تفويض إليه، والتسبيح تنزيه له، وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم"^(٧).

قال ابن كثير: "وقيل معناه: هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به
عليكم"^(٨).

عن مجاهد: "لَوْلَا تُسَبِّحُونَ"، قال: بلغني أنه الاستثناء"^(٩).

قال مجاهد: "يقول: تستنثون، فكان التسبيح فيهم الاستثناء"^(١٠).

قال السدي: "وكان استثناءهم في ذلك الزمان تسبيحاً"^(١١).

قال أبو صالح: "استثناءهم: سبحان الله"^(١٢).

وعن الحسن: "هو الصلاة"^(١٣)، قال الزمخشري: "كأنهم كانوا يتوانون في الصلاة، وإلا
لنهيهم عن الفحشاء والمنكر، ولكانت لهم لطفاً في أن يستنثوا ولا يحرّموا"^(١٤).

وقال ابن جريج: "هو قول القائل: إن شاء الله"^(١٥).

قوله تعالى: {قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} [القلم : ٢٩]، أي: "قالوا بعد أن عادوا
إلى رشدهم: تنزه الله ربنا عن الظلم فيما أصابنا، بل نحن كنا الظالمين لأنفسنا بترك الاستثناء
وقصدنا السيئ"^(١٦).

(١) أخرجه الطبري: ٥٥٠/٢٣. وانظر: تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨ حكاه عن محمد بن كعب، والربيع بن أنس.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٥٠/٢٣.

(٣) الكشف والبيان: ١٧/١٠.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٥) تفسير الطبري: ٥٥٠/٢٣.

(٦) الكشف والبيان: ١٧/١٠.

(٧) الكشاف: ٥٩١/٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٩٧/٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٣.

(١١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.

(١٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٧/١٠.

(١٣) الكشاف: ٥٩١/٤.

(١٤) الكشاف: ٥٩١/٤.

(١٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٩٧/٨.

(١٦) التفسير الميسر: ٥٦٥.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: قال أصحاب الجنة: {سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} في تركنا الاستثناء في قسمنا وعزمنا على ترك إطعام المساكين من ثمر جنتنا"^(١).

قال الزمخشري: "سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح"^(٢).

قال ابن كثير: "أتوا بالطاعة حيث لا تنفع، وندموا واعترفوا حيث لا ينجع"^(٣).

قوله تعالى: {فَأَقْبِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَاوُمُونَ} [القلم : ٣٠]، أي: "فأقبل بعضهم على بعض، يلوم كل منهم الآخر على تركهم الاستثناء وعلى قصدهم السيئ"^(٤).

قال الطبري: يقول: " فأقبل بعضهم على بعض يلوم بعضهم بعضا على تفريطهم فيما فرطوا فيه من الاستثناء، وعزمهم على ما كانوا عليه من ترك إطعام المساكين من جنتهم"^(٥).

قال الزمخشري: "يلوم بعضهم بعضا، لأن منهم من زين، ومنهم من قبل، ومنهم من أمر بالكف وعذر ومنهم من عصى الأمر، ومنهم من سكت وهو راض"^(٦).

قال ابن كثير: "أي : يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب"^(٧).

قال الفراء: "يؤول بعضهم لبعض: أنت الذي دللتنا، وأشرت علينا بما فعلنا. ويقول الآخر: بل أنت فعلت ذلك، فذلك تلاومهم"^(٨).

قوله تعالى: {قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ} [القلم : ٣١]، أي: "قالوا: يا ويلنا إننا كنا متجاوزين الحد في منعنا الفقراء ومخالفة أمر الله"^(٩).

قال الطبري: "يقول: قال أصحاب الجنة: يا ويلنا إننا كنا مُبْعَدِينَ: مخالفين أمر الله في تركنا الاستثناء والتسبيح"^(١٠).

قال ابن كثير: "أي : اعتدينا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا"^(١١).

قال ابن كيسان: "طغينا نعم الله فلم نشكرها"^(١٢).

قوله تعالى: {عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا} [القلم : ٣٢]، أي: "عسى ربنا أن يعطينا أفضل من حديقتنا؛ بسبب توبتنا واعترافنا بخطيئتنا"^(١٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل أصحاب الجنة: {عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا} بتوبتنا من خطأ فعلنا الذي سبق منا خيرا من جنتنا"^(١٤).

قال بكر بن سهل الدميطي: "حدثني أبو خالد اليمامي أنه رأى تلك الجنة، وقال: رأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم"^(١٥).

سئل قتادة عن أصحاب الجنة: أهم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ فقال: لقد كلفتني تعباً"^(١٦).

(١) تفسير الطبري: ٥٥١/٢٣.

(٢) الكشاف: ٥٩١/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٩٧/٨.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٥) تفسير الطبري: ٥٥١/٢٣.

(٦) الكشاف: ٥٩١/٤-٥٩٢.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٩٧/٨.

(٨) معاني القرآن: ١٧٦/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٥١/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ١٩٧/٨.

(١٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٧/١٠.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(١٤) تفسير الطبري: ٥٥١/٢٣.

(١٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٨/١٠.

(١٦) نقلا عن: الكشاف: ٥٩٢/٤.

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه: "بلغني أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان: فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً"^(١).
قرأ الحسن وعاصم والأخفش وابن محيص: «يُبَدِّلُنَا» بالتخفيف، وغيرهم بالتشديد، وهما لغتان وفرق قوم بينهما، فقال: التبديل تغيير الشيء أو تغيير حاله وعين الشيء قائم، والإبدال رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه^(٢).
قوله تعالى: {إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ} [القلم : ٣٢]، أي: "إنا إلى ربنا وحده راغبون، راجون العفو، طالبون الخير"^(٣).
قال الطبري: " يقول: إنا إلى ربنا راغبون في أن يبدلنا من جنتنا إذ هلكت خيراً منها"^(٤).

قال ابن كثير: " قيل : رغبوا في بذلها لهم في الدنيا. وقيل : احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة.. ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن - قال سعيد بن جبير : كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء. وقيل : كانوا من أهل الحبشة - وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة، وكانوا من أهل الكتاب، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة، فكان ما استغله منها يرد فيها ما يحتاج إليها ويذخر لعياله قوت سنتهم، ويتصدق بالفاضل. فلما مات ورثه بنوه، قالوا : لقد كان أبونا أحقّ إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء، ولو أنّنا منعناهم لتوفر ذلك علينا. فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية، رأس المال الربح والصدقة، فلم يبق لهم شيء"^(٥).
قوله تعالى: {كَذَلِكَ الْعَذَابُ} [القلم : ٣٣]، أي: "مثل ذلك العقاب الذي عاقبنا به أهل الحديقة يكون عاقبنا في الدنيا لكل من خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله من النعم فلم يؤدّ حق الله فيها"^(٦).

قال الطبري: يقول: " كفعلنا بجنة أصحاب الجنة، إذ أصبحت كالصريم بالذي أرسلنا عليها من البلاء والآفة المفسدة، فعلنا بمن خالف أمرنا وكفر برسولنا في عاجل الدنيا"^(٧).
قال ابن كثير: " أي : هكذا عذاب من خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه، ومنع حق المسكين والفقراء وذوي الحاجات، وبدل نعمة الله كفرًا"^(٨).
قال ابن عباس: " يعني بذلك عذاب الدنيا"^(٩).
قال قتادة: " أي: عقوبة الدنيا"^(١٠).
قال ابن زيد: " عذاب الدنيا، هلاك أموالهم: أي عقوبة الدنيا"^(١١).
قوله تعالى: {وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ} [القلم : ٣٣]، أي: " ولعذاب الآخرة أعظم وأشد من عذاب الدنيا"^(١٢).
قال الطبري: " يعني: عقوبة الآخرة بمن عصى ربه وكفر به، أكبر يوم القيامة من عقوبة الدنيا وعذابها"^(١٣).

(١) نقلا عن: الكشاف: ٥٩٢/٤.

(٢) انظر: الكشف والبيان: ١٨/١٠.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٤) تفسير الطبري: ٥٥١/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٩٧/٨.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٧) تفسير الطبري: ٥٥١/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٩٧/٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٥٢/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٥٢/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٥٢/٢٣.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(١٣) تفسير الطبري: ٥٥٢-٥٥١/٢٣.

قال ابن كثير: "أي : هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم، وعذاب الآخرة أشق" (١).
قوله تعالى: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [القلم : ٣٣]، أي: "لو كانوا يعلمون لانزجروا عن كل سبب يوجب العقاب" (٢).

قال الطبري: "يقول: لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن عقوبة الله لأهل الشرك به أكبر من عقوبته لهم في الدنيا، لارتدعوا وتابوا وأنابوا، ولكنهم بذلك جهال لا يعلمون" (٣).
روي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الجداد بالليل، والحصاد بالليل" (٤).
فوائد الآيات: [١٧-٣٣]:

- ١- الابتلاء يكون بالسراء والضراء أي: بالخير والشر وأسعد الناس الشاكرون عند السراء الصابرون على طاعة الله ورسوله عند الضراء.
- ٢- مشروعية التذكير بأحوال الميتلين والمعافين ليتخذ من ذلك طريق إلى الشكر والصبر.
- ٣- صلاح الآباء ينفع أبناء المؤمنين فقد انتفع أصحاب الجنة بصلاح أبيهم الذي كان يتصدق على المساكين من غلة بستانه وعلامة انتفاعهم توبتهم.
- ٤- مشروعية الاستثناء في اليمين وأنه تسبيح لله تعالى، وأن تركه يوقع في الإثم ولذا إذا حنث الحالف لم يستثن ثلوث نفسه بأثم كبير لا يمحي إلا بالكفارة الشرعية التي حددها الشارع وهي إطعام أو كسوة عشرة مساكين أو عتق رقبة فإن لم يقدر على واحدة من هذه الأنواع صام ثلاثة أيام ليمحي ذلك الذنب من نفسه

القرآن

{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤)} [القلم : ٣٤]

التفسير:

إن الذين اتقوا عقاب الله بفعل ما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه، لهم عند ربهم في الآخرة جنات فيها النعيم المقيم.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ} الذين اتقوا عقوبة الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه {عِنْدَ رَبِّهِمْ} بساتين النعيم الدائم" (٥).

قال الشوكاني: "أي: للمتقين ما يوجب سخطه- من الكفر والمعاصي- عنده عز وجل في الدار الآخرة جنات النعيم الخالص الذي لا يشوبه كدر ولا ينغصه خوف زوال" (٦).

قال الزمخشري: "عِنْدَ رَبِّهِمْ، أي: في الآخرة، {جَنَّاتِ النَّعِيمِ} ليس فيها إلا التمتع الخالص، لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا" (٧).

قال القشيري: "الذين يتقون الشرك والكفر، ثم المعاصي والفسق، لهم عند الله الثواب والأجر" (٨).

(١) تفسير ابن كثير: ١٩٧/٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٣) تفسير الطبري: ٥٥٢/٢٣.

(٤) سنن البيهقي الكبرى (١٣٣/٤) والجداد - بالدال بالفتح والكسر - قال ابن الأثير في النهاية (٢٤٤/١) : "هي صرام النخل، وهو قطع ثمرتها، يقال : جد الثمرة يجدها جدا، وإنما نهى عن ذلك لأجل المساكين حتى يحضروا في النهار فيتصدق عليهم منه".

(٥) تفسير الطبري: ٥٥٢/٢٣.

(٦) فتح القدير: ٣٢٧/٥.

(٧) الكشاف: ٥٩٢/٤.

(٨) لطائف الإشارات: ٦٢١/٣.

قال ابن كثير: "لما ذكر الله تعالى حال أهل الجنة الدنيوية، وما أصابهم فيها من النعمة حين عصوا الله، عز وجل، وخالفوا أمره، بين أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها"^(١).
 عن السدي: "جنات"، قال: البساتين"^(٢).
 قال مجاهد: "الجنات: حوائط"^(٣).

قال مالك بن دينار: "جنات النعيم بين جنان الفردوس وبين جنات عدن، وفيها جوارى خلقن من ورد الجنة، قيل: فمن يسكنها؟ قال: الذين عملوا بالمعاصي فلما ذكروا عظمتي راقبوني والذين انثنت أصلابهم من خشيتي وعزتي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتني صرفت عنهم العذاب"^(٤).

القرآن

{أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)} [القلم : ٣٥-٣٦]

التفسير:

أفنجعل الخاضعين لله بالطاعة كالكافرين؟ ما لكم كيف حكمتم هذا الحكم الجائر، فساويتم بينهم في الثواب؟
 سبب النزول:

قال ابن عباس: "قالت كفار مكة: إنا نعطي في الآخرة خيرا مما تعطون، فنزلت: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ}"^(٥).

قال مقاتل: "قال مقاتل بن سليمان: ولما أنزل الله تعالى هذه الآية: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ} قال كفار مكة للمسلمين: إنا نعطي في الآخرة من الخير أفضل مما تعطون. يقول الله - عز وجل - : {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ} في الآخرة {كَالْمُجْرِمِينَ} في الخير"^(٦).
 قوله تعالى: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ} [القلم : ٣٥]، أي: "أفنجعل الخاضعين لله بالطاعة كالكافرين؟"^(٧).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: أفنجعل أيها الناس في كرامتي ونعمتي في الآخرة الذين خضعوا لي بالطاعة، وذلوا لي بالعبودية، وخشعوا لأمرني ونهيتي، كالمجرمين الذي اكتسبوا المآثم، وركبوا المعاصي، وخالفوا أمرني ونهيتي؟ كلا ما الله بفاعل ذلك"^(٨).
 قال ابن كثير: "أي: أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلا ورب الأرض والسماء"^(٩).

قال مقاتل: "قال كفار مكة للمسلمين إنا نعطي في الآخرة من الخير أفضل مما تعطون يقول الله- عز وجل-: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ} في الآخرة {كَالْمُجْرِمِينَ} في الخير"^(١٠).
 قال السمعاني: "أي: نسوي بين المسلمين والمشركين في إعطاء جنات النعيم، وهو مذكور على طريق الإنكار، أي: لا يفعل كذلك"^(١١).

(١) تفسير ابن كثير: ١٩٨/٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٨٢٤): ص ٢٧٩٦/٩.

(٣) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٥٩٤): ص ١١٧٠/٤ س.

(٥) تفسير القرطبي: ٢٤٦/١٨.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان ٤٠٧/٤.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٨) تفسير الطبري: ٥٥٢/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٩٨/٨.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٧/٤.

(١١) تفسير السمعاني: ٢٧/٦.

قال الزمخشري: " كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها، فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا: إن صح أنا نبعث كما يزرع محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا إلا مثل ما هي في الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا، وأقصى أمرهم أن يساونا، فقل: أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين" (١).

قال الشوكاني: " الاستفهام للإِنكار" (٢).
قوله تعالى: {مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [القلم : ٣٦]، أي: " ما لكم كيف حكمتم هذا الحكم الجائر، فساويتم بينهم في الثواب؟" (٣).

قال ابن كثير: " أي : كيف تظنون ذلك؟" (٤).
قال السمعاني: " أي: كيف تقضون؟ والمراد من الحكم هو حكمهم في أنفسهم بالجنة" (٥).
قال مقاتل: " يعني: تقضون إن هذا الحكم لجور أن تعطوا من الخير في الآخرة ما يعطى للمسلمين" (٦).

قال الطبري: " أتجعلون المطيع لله من عبده، والعاصي له منهم في كرامته سواء. يقول جلّ ثناؤه: لا تسووا بينهما فأنهما لا يستويان عند الله، بل المطيع له الكرامة الدائمة، والعاصي له الهوان الباقي" (٧).

قال الزمخشري: " ثم قيل لهم على طريقة الالتفات: {مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} هذا الحكم الأعوج؟ كأنّ أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم" (٨).

القرآن

{أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨)} [القلم : ٣٧-٣٨]

التفسير:

أم لكم كتاب منزل من السماء تجدون فيه المطيع كالعاصي، فأنتم تدرسون فيه ما تقولون؟ إن لكم في هذا الكتاب إذا ما تشتهون، ليس لكم ذلك.

قوله تعالى: {أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ} [القلم : ٣٧]، أي: " أم لكم كتاب منزل من السماء تجدون فيه المطيع كالعاصي، فأنتم تدرسون فيه ما تقولون؟" (٩).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش: ألكم أيها القوم بتسويتكم بين المسلمين والمجرمين في كرامة الله كتاب نزل من عند الله أتاكم به رسول من رسله بأن لكم ما تَخَيَّرُونَ، فأنتم تدرسون فيه ما تقولون" (١٠).

قال النحاس: " أي: هل لكم كتاب جاءكم من عند الله تدرسون فيه" (١١).

قال ابن كثير: " يقول : أبايديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف، مُتضمن حكماً مؤكداً كما تدعون؟" (١٢).

قال السمعاني: " أي: تدرسون ما تحكمون به. وقيل: ترددون النظر فيه، فتحكمون منه لأنفسكم ما حكمتم" (١).

(١) الكشاف: ٥٩٢/٤.

(٢) فتح القدير: ٣٢٧/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٩٨/٨.

(٥) تفسير السمعاني: ٢٧/٦.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٧/٤.

(٧) تفسير الطبري: ٥٥٢/٢٣.

(٨) الكشاف: ٥٩٢/٤.

(٩) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٥٣/٢٣.

(١١) إعراب القرآن: ١٠/٥.

(١٢) تفسير ابن كثير: ١٩٨/٨.

قال الزمخشري: " {أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ} من السماء، {تَدْرُسُونَ} في ذلك الكتاب أن ما تختارونه وتشتونه لكم، كقوله تعالى: {أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ قَالُوا بَكْتَابِكُمْ} "(٢).
 قال الشوكاني: " أي: تقرأون فيه فتجدون المطيع كالعاصي" "(٣).
 قال ابن زيد: " فيه الذي تقولون تقرأونه: تدرسونه، وقرأ: {أَمْ أَنْبِئَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ} ... إلى آخر الآية" "(٤).
 عن ابن جريج: " {تَدْرُسُونَ}، قال: تقرأون" "(٥).
 قوله تعالى: {إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ} [القلم : ٣٨]، أي: " تدرسون في هذا الكتاب أن لكم ما تشتون وتطلبون؟" "(٦).
 قال الطبري: يقول: " إن لكم في ذلك الذي تخيرون من الأمور لأنفسكم، وهذا أمر من الله، توبخ لهؤلاء القوم وتقريع لهم فيما كانوا يقولون من الباطل، ويتمنون من الأماني الكاذبة" "(٧).
 قال السمعاني: " أي: تختارون، وهو بيان لذلك الحكم" "(٨).
 قال القشيري: " المقصود من هذه الأسئلة نفى ذلك" "(٩).
 قرأ الضحاك: " «أن لكم» بفتح الألف" "(١٠).

القرآن

{أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩)} [القلم : ٣٩-٤٠]

التفسير:

أم لكم عهد وموآثيق علينا في أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتون؟
 قوله تعالى: {أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [القلم : ٣٩]، أي: " أم لكم عهد وموآثيق مؤكدة من جهتنا ثابتة إلى يوم القيامة؟" "(١١).
 قال الطبري: " يقول: هل لكم أيمان علينا تنتهي بكم إلى يوم القيامة" "(١٢).
 قال مقاتل: " قل لهم: يا محمد: ألكم عهد علينا حلفنا لكم على يمين، فهي لكم علينا بالغة لا تنقطع إلى يوم القيامة؟" "(١٣).
 قال النحاس: " أي: أم لكم أيمان حلفنا لكم بها منتهية إلى يوم القيامة إن لكم حكمكم" "(١٤).
 قال ابن كثير: " أي: أمعكم عهد منا وموآثيق مؤكدة" "(١٥).
 قال السمعاني: " أي: مؤكدة، ومعنى «البالغة» -في كلام العرب في مثل هذه المواضع- هو بلوغ النهاية، يقال: هذا شيء جيد بالغ، أي: بلغ النهاية في الجودة. وقوله: {إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}، يعني: اللزوم والثبات، وقيل: ألكم أيمان مؤكدة ألا نعذبكم إلى يوم القيامة" "(١٦).

(١) تفسير السمعاني: ٢٧/٦.

(٢) الكشف: ٥٩٢/٤.

(٣) فتح القدير: ٣٢٧/٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٥٣/٢٣.

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٦) صفوة التفاسير: ٤٠٥/٣.

(٧) تفسير الطبري: ٥٥٣/٢٣.

(٨) تفسير السمعاني: ٢٧/٦.

(٩) لطائف الإشارات: ٦٢١/٣.

(١٠) المحرر الوجيز: ٣٥١/٥.

(١١) صفوة التفاسير: ٤٠٥/٣.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٥٣/٢٣.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٨/٤.

(١٤) إعراب القرآن: ١٠/٥.

(١٥) تفسير ابن كثير: ١٩٨/٨.

عن ابن جريج: " {أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْغَةِ}، قال: عَهْدٌ عَلَيْنَا" (٢).
 وقرأ الحسن، وزيد بن علي: (بالغة) بالنصب على الحال (٣).
 قوله تعالى: {إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ} [القلم : ٤٠]، أي: "إن لكم الذي تريدونه وتحكمون
 به؟" (٤).

قال مقاتل: "يعني ما تقضون لأنفسكم في الآخرة من الخير" (٥).
 قال ابن كثير: "أي: أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتنون" (٦).
 قال الطبري: "أي: بأن لكم حكمكم، ولكن الألف كسرت من "إن" لما دخل في الخبر
 اللام: أي هل لكم أيمان علينا بأن لكم حكمكم" (٧).
 وقال عطاء: "يريد ألكم عهد مني ألا أصيبكم بعذاب ولا عقوبة" (٨).
 قال السعدي: "ومن المعلوم أن جميع ذلك منتف، فليس لهم كتاب، ولا لهم عهد عند الله
 في النجاة، ولا لهم شركاء يعينونهم، فعلم أن دعواهم باطلة فاسدة" (٩).

القرآن

{سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٤١)} [القلم
 : ٤٠-٤١]

التفسير:

سل المشركين -أيها الرسول-: أيهم بذلك الحكم كفيلاً وضامناً بأن يكون له ذلك؟ أم لهم آلهة
 تكفل لهم ما يقولون، وتعينهم على إدراك ما طلبوا، فليأتوا بها إن كانوا صادقين في دعواهم؟
 قوله تعالى: {سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ} [القلم : ٤٠]، أي: "سل المشركين -أيها الرسول-:
 أيهم بذلك الحكم كفيلاً وضامناً بأن يكون له ذلك؟" (١٠).
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: سل يا محمد هؤلاء
 المشركين أيهم بأن لهم علينا أيماناً بالغة بحكمهم إلى يوم القيامة كفيلاً به، و«الزعيم» -عند
 العرب-: الضامن والمتكلم عن القوم" (١١).
 قال مقاتل: "يقول: أيهم بذلك كفيلاً بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين من الخير" (١٢).
 قال ابن كثير: "أي: قل لهم: من هو المتضمن المتكفل بهذا؟" (١٣).
 قال الفراء: "يريد: كفيلاً، ويقال له: الحميل والقبيل، والصبير، والزعيم في كلام العرب:
 الضامن والمتكلم عنهم، والقائم بأمرهم" (١٤).
 قال الزجاج: "الزعيم الكفيل والضامن. والمعنى: سلمهم أيهم كفل بذلك" (١٥).

(١) تفسير السمعاني: ٢٧/٦.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣) انظر: "معاني الفراء" ١٧٦/٣، و"البحر المحيط" ٣١٥/٨، و"الإتحاف" (٤٢١).

(٤) صفة التفسير: ٤٠٥/٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٨/٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٩٨/٨.

(٧) تفسير الطبري: ٥٥٣/٢٣.

(٨) التفسير البسيط: ١٠١/٢٢.

(٩) تفسير السعدي: ٨٨٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(١١) تفسير الطبري: ٥٥٣/٢٣.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٨/٤.

(١٣) تفسير ابن كثير: ١٩٨/٨.

(١٤) معاني القرآن: ١٧٧/٣.

(١٥) معاني القرآن: ٢١٠/٥.

قال الزمخشري: " {أَيُّهُمْ بِذَلِكَ} الحكم {زَعِيمٌ}، أي: قائم به وبالاحتجاج لصحته، كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بأمورهم" (١).
قال السعدي: " أي: أيهم الكفيل بهذه الدعوى الفاسدة، فإنه لا يمكن التصدر بها، ولا الزعامة فيها" (٢).

قال ابن قتيبة: " يقال: زَعَمْتُ بِهِ أَرْعَمُ زَعَمًا وَزَعَامَةً؛ إِذَا كَفَلْتُ" (٣).
عن ابن عباس، وقتادة، قوله: " {أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ}، يقول: أيهم بذلك كفيل" (٤).
قال قتادة: " أَيُّهُمْ كَفِيلٌ بِهَذَا الْأَمْرِ" (٥).
عن الحسن، وابن كيسان: " الزعيم: الرسول -ها هنا- " (٦).
قال الثعلبي: " الزعيم: الرسول -ها هنا- قاله الحسن وابن كيسان- قائم بالحجة والدعوى" (٧).

قوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فُلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} [القلم : ٤١]، أي: " أم لهم آلهة تكفل لهم ما يقولون، وتعينهم على إدراك ما طلبوا، فليأتوا بها إن كانوا صادقين في دعواهم؟" (٨).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: ألهؤلاء القوم شركاء فيما يقولون ويصفون من الأمور التي يزعمون أنها لهم، فليأتوا بشركائهم في ذلك إن كانوا فيما يدعون من الشركاء صادقين" (٩).
قال الزجاج: " أي: فليأتوا بشركائهم يوم القيامة" (١٠).
قال الزمخشري: " {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ}، أي: ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه فليأتوا بهم إن كانوا صادقين في دعواهم، يعني: أن أحدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه، كما أنه لا كتاب لهم ينطق به، ولا عهد لهم به عند الله، ولا زعيم لهم يقوم به" (١١).

قال ابن كثير: " {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ}، أي: من الأصنام والأنداد، {فُلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} " (١٢).

قال البغوي: " أي: عندهم شركاء لله أرباب تفعل هذا. وقيل: شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعون. {فُلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} " (١٣).

قال السمعاني: " {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ}، هذا على توسع الكلام، ومعناه: عندهم وفي زعمهم. وقيل: أم بهذا شهد الشركاء بمعنى الشهداء، ذكره النقاش، {فُلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ}، أي: بشركاء فيهم على زعمهم على القول الأول، وعلى القول الثاني بشهاداتهم إن كانوا صادقين" (١٤).

قال الشوكاني: " وهو أمر تعجيز" (١٥).

- (١) الكشاف: ٥٩٣/٤.
- (٢) تفسير السعدي: ٨٨٠.
- (٣) غريب القرآن: ٤٨٠.
- (٤) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٣.
- (٥) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
- (٦) الكشاف والبيان: ١٨/١٠.
- (٧) الكشاف والبيان: ١٨/١٠.
- (٨) التفسير الميسر: ٥٦٥.
- (٩) تفسير الطبري: ٥٥٤/٢٣.
- (١٠) معاني القرآن: ٢١٠/٥.
- (١١) الكشاف: ٥٩٣/٤.
- (١٢) تفسير ابن كثير: ١٩٨/٨.
- (١٣) تفسير البغوي: ١٩٨/٨.
- (١٤) تفسير السمعاني: ٢٦/٦.
- (١٥) فتح القدير: ٣٢٨/٥.

وفي قراءة عبد الله: «أم لهم شرك فليأتوا بشركهم»^(١).
قال الفراء: "والشرك، والشركاء في معنى واحد، تقول: في هذا الأمر شرك، وفيه شركاء"^(٢).

القرآن

{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢)} [القلم : ٤٢]

التفسير:

اذكر ذلك اليوم الذي يكشف عن ساق-وهو يوم القيامة-، ويدعى الكافرون والمنافقون إلى السجود لله تعالى فلا يستطيعون^(٣).

قوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} [القلم : ٤٢]، أي: "اذكر ذلك اليوم الذي يكشف عن ساق-وهو يوم القيامة-"^(٤).

اختلف أهل العلم في تفسير قوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} [القلم : ٤٢]، على أقوال: أحدها: معناه: يكشف عن ساق جهنم. حكاها الشوكاني^(٥).

الثاني: معناه: عن ساق الآخرة، قاله الحسن^(٦).

وروي عن عكرمة، قال: "دنا الأمر، وكشفت الأمر عن ساقها. قال: يعني: يوم القيامة"^(٧).

الثالث: عن ساق العرش. حكاها القشيري^(٨).

الرابع: أنه إقبال الآخرة وذهاب الدنيا، قال الضحاك^(٩)، لأنه أول الشدائد، كما قال الراجز^(١٠):

قد شمרת عن ساقها فشئوا ... وجدّت الحرب بكم فجدّوا

الخامس: يكشف عن الغطاء، أي: الغطاء بين الدنيا والآخرة، قاله الربيع بن أنس^(١١)، ومنه قول الراجز^(١٢):

في سنةٍ قد كشفت عن ساقها ... حمراء تَبْرِي اللحمَ عن عراقيها

وحكي عن الحسن قال: "أي: الستر بين الدنيا والآخرة"^(١٣). ومعناها قريب.

عن الربيع بن أنس: "يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ"، قال: عن الغطاء، فيقع مَنْ كان آمن به في الدنيا، فيسجدون له، ويدعى الآخرون إلى السجود فلا يستطيعون؛ لأنهم لم يكونوا آمنوا به في الدنيا، ولا يُبصرونه، ولا يستطيعون السجود، وهم سالمون في الدنيا"^(١٤).

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٧٧/٣.

(٢) معاني القرآن: ١٧٧/٣.

(٣) انظر: الوجيز للواحي: ١١٢٤، وتفسير البغوي: ١٩٩/٨.

(٤) انظر: الوجيز للواحي: ١١٢٤، وتفسير البغوي: ١٩٩/٨.

(٥) انظر: فتح القدير: ٣٢٨/٥.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٧٠/٦.

(٧) أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ١٤٨/٨ رقم (٢٢٧٦).

(٨) انظر: لطائف الإشارات: ٦٢١/٣.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٧٠/٦.

(١٠) البيت ورد في خطبة الحجاج أول ما قدم أميراً على العراق. والأبيات لحنظلة بن ثعلبة. انظر: "الكامل" ٢٢٤، و"اللسان" ٨٢٧/٢ (عرد)، و"العقد الفريد" ١٢١/٤، و"شرح شواهد الشافية" (٣٠٠).

والعرد: هو الشديد في كل شيء. يقال: إنه لقوي شديد عرد. "اللسان" ٧٢٨/٢ (عرد).

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢٣.

(١٢) البيت غير منسوب: في غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٨١، وتفسير القرطبي ٢٤٨/١٨، وفتح القدير: ٢٦٧/٥، والبحر المحيط: ٣١٦/٨. وفي مفاتيح الغيب: "شمרת". وورد عجزه في اللسان ١١٥/١٢.

(١٣) نقلا عن: تفسير السمعي: ٢٨/٦.

(١٤) أخرجه الطبري: ٥٥٥٩/٢٣ مختصراً. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

وقال الضحاك: " وكان ابن عباس يقول: كان أهل الجاهلية يقولون: شمّرت الحرب عن ساق يعني إقبال الآخرة وذهاب الدنيا" (١).

السادس : أن ساق الشيء: أصله وقوامه كساق الشجرة، وساق الإنسان، أي: يوم يكشف عن ساق الأمر فتظهر حقائقه. حكاها الشوكاني-أيضا- (٢).

السابع : يكشف الرب سبحانه عن نوره.

روي عن عكرمة: " هي ستور ربّ العزّة إذا كُشفت للمؤمنين يوم القيامة" (٣).

عن أبي موسى الأشعري، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}، قال:

«نور عظيم يخرون له سجدا» (٤).

الثامن : ما روي عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : "يُكْشَفُ رَبَّنَا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا" (٥).

وقد روى القاضي أبو يعلى في كتابه "إبطال التأويلات" بسنده عن إبراهيم، قال: "كان

ابن مسعود يقول: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}، قال: يكشف الرحمن عن ساقه" (٦).

قال شيخ الإسلام -ابن تيمية-: " وقد طالعت التفسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث ووقفتم من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد إلى ساعتني هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف إلا في مثل قوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} [القلم: ٤٢]، فروي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة أن الله يكشف عن الشدة في الآخرة، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين، ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} [القلم: ٤٢]، نكرة في الإثبات لم يصفها إلى الله، ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر، ومثل هذا ليس بتأويل إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف" (٧).

قال الماوردي: " فأما ما روي أن الله تعالى يكشف عن ساقه فإن الله تعالى منزّه عن

التبعض والأعضاء وأن ينكشف أو يتغطى ، ومعناه أنه يكشف عن العظيم من أمره ، وقيل يكشف عن نوره" (٨).

التاسع: أنه كناية عن صعوبة الأمر وشدته، أي: يوم يعظم الهول ويشد الكرب. وهذا تفسير ابن عباس (٩)، وسعيد بن جبير (١٠)، وعكرمة (١١)، ومجاهد (١٢)، وقتادة (١٣)، وه اختيار أبي عبيدة (١٤)، وابن قتيبة (١٥)، والزجاج (١)، والنحاس (٢)، ومنه قول الشاعر (٣):

(١) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢٣.

(٢) انظر: فتح القدير: ٣٢٨/٥.

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/١٩-٢٠، وانظر: مجمع الزوائد: ١٢٨/٧.

(٥) صحيح البخاري برقم (٤٩١٩).

(٦) إبطال التأويلات ورقة (٤٣)، ورواه أيضا البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٢٨.

(٧) مجموع الفتاوى: ٣٩٤ / ٦.

(٨) النكت والعيون: ٧١/٦.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٤/٢٣، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٩٥٤): ص ٣٣٦٦/١٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٥/٢٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٥/٢٣.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٥/٢٣.

(١٤) انظر: مجاز القرآن: ٢٦٦/٢.

(١٥) انظر: غريب القرآن: ٤٨١.

كشفت لهم عن ساقها ... وبدا من الشر الصراح
 عن عكرمة: " أنه سئل عن قوله: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}. قال: إن العرب كانوا إذا اشتد
 القتال فيهم والحرب وعظم الأمر فيهم قالوا لشدة ذلك: قد كشفت الحرب عن ساق. فذكر الله
 تعالى شدة ذلك اليوم بما يعرفون" (٤).
 عن مكحول الشامي أنه سئل عن قول الله تعالى: "{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}. قال: أما
 سمعت قول الشاعر:
 وقامت الحرب بنا على ساق" (٥).
 قال ابن عباس: هذا يوم كرب وشدة" (٦).
 قال ابن عباس: " هو يوم حرب وشدة" (٧).
 قال ابن عباس: " هو الأمر الشديد المفتح من الهول يوم القيامة" (٨).
 عن ابن عباس، قوله: "{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}، يقول: حين يكشف الأمر، وتبدو
 الأعمال، وكشفه: دخول الآخرة وكشف الأمر عنه" (٩).
 من طريق عكرمة عن ابن عباس: " أنه سئل عن قوله: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}، قال: إذا
 خفى عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:
 اصبر عناق إنه شر باق ... قد سن لي قومك ضرب الأعناق
 وقامت الحرب بنا على ساق" (١٠).
 عن مجاهد، قوله: "{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}، قال: شدة الأمر وجدّه؛ قال ابن عباس: هي
 أشد ساعة في يوم القيامة" (١١). وفي رواية: " هي أول ساعة تكون في يوم القيامة" (١٢).
 قال مجاهد: " كلَّ كَرْبٍ أو شِدَّةٍ فهو سَاقٍ، ومنه قوله: {وَالنَّفَّاتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ} [القيامة:
 ٢٩] أي: كَرْبُ الدُّنْيَا بِكَرْبِ الآخِرَةِ" (١٣).
 عن سعيد بن جبير: " أنه سئل عن قوله: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}. فغضب غضباً شديداً،
 وقال: إن أقواماً يزعمون أن الله يكشف عن ساقه، وإنما يكشف عن الأمر الشديد" (١٤).
 عن سعيد بن جبير، قال: " عن شدة الأمر" (١٥).
 قال عكرمة: " هو يوم كرب وشدة" (١٦).
 عن إبراهيم: " عن أمر عظيم؛ عن شدة" (١٧).

(١) انظر: معاني القرآن: ٢١٠/٥.

(٢) انظر: إعراب القرآن: ١٠/٥-١١.

(٣) البيت لسعد بن مالك، جد طرفة بن العبد. شاعر جاهلي، واحد سادات بكر بن وائل وفرسانها.
 وانظر: ترجمته في: انظر: "طبقات فحول الشعراء" (٤٩)، و"المؤتلف والمختلف" (١٩٨)، و"شرح الحماسة"
 للتبريزي ٢/٧٣، و"الحماسة" لأبي تمام ١/ ٢٦٥، و"معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين" (١٤٨).
 البيت ورد في "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٧، و"الخصائص" ٣/ ٢٥٢، و"اللسان" / ٢٤٣ (سوق)،
 و"الحماسة" لأبي تمام ١/ ٢٦٦، و"المحتسب" ٢/ ٣٢٦. والصراح والصرح: الخالص من كل شيء.
 (٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٧٥١). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
 (٥) أخرجه ابن الأنباري في الوقف والابتداء ١/ ٩٩ (١١٨).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٥٤): ص ٣٣٦٦/١٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢٣، وابن أبي حاتم (١٨٩٥٦): ص ٣٣٦٦/١٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢٣.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٥٣): ص ٣٣٦٦/١٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢٣.

(١٣) ذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٢٢ - ٢٣ -.

(١٤) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(١٥) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢٣.

(١٦) أخرجه الطبري: ٥٥٩/٢٣.

عن مجاهد: "يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ"، قال: عن بلاء عظيم" (٢).
قال قتادة: "عن أمر فظيع جليل" (٣).

قال قتادة: "يوم يكشف عن شدة الأمر" (٤).

عن قتادة: "يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ" قال: أمرٌ فظيع جليل، {وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ} قال: ذلكم يوم القيامة. ذكر لنا: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «يُؤَذِّنُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي السُّجُودِ، فَيَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَبِينُ كُلُّ مُؤْمِنٍ مَنَاقِقَ، فَيَقْسُو ظَهْرَ الْمَنَاقِقِ عَنِ السُّجُودِ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ سَجُودَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ تَوْبِيحًا، وَصَغَارًا، وَذَلًّا، وَنَدَامَةً، وَحَسْرَةً». وفي قوله: {وَقَدْ كَانُوا يُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} قال: في الدنيا" (٥).

قال الواحدي - بعد أن ذكر روايات ابن عباس، في تفسير الآية -: "وهذا قول جميع أصحاب اللغة" (٦).

وعلق الألوسي على تفسير ابن عباس قائلا: "وهذا من التفسير الجلي، لا من التأويل الخفي بالمعنى الأصولي، وأما تأويله بالمعنى اللغوي؛ أي: ما يؤول إليه ويتحقق به في الآخرة فلا يعلمه البشر إلا إذا وصلوا إليه" (٧).

قال الزجاج: "معنى: {يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} - في اللغة - يُكْشَفُ عن الأمر الشديد، قال الشاعر (٨):

قد شمرت عن ساقها فشئوا ... وجدّت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد (٩).

قال أبو عبيدة: "إذا اشتد الحرب والأمر قيل: قد كشف الأمر عن ساقه" (١٠).

قال النحاس: "الذي عليه أهل التفسير أن المعنى: يوم يكشف عن شدة. وذلك معروف في كلام العرب، ويجوز أن يكون المعنى يوم يكشف الناس عن سوقهم لشدة ما هم فيه، ذلك مستعمل في كلام العرب" (١١).

قال الماتريدي: "الساق: الشدة، وسمي الساق: ساقًا لهذا؛ لأن الناس شدتهم في سوقهم؛ إذ بها يحملون الأحمال؛ فكنى بالساق عن الشدة" (١٢).

قال ابن كثير: "يعني: يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام" (١٣).

قال ابن عاشور: "الكشف عن ساق: مثل لشدة الحال وصعوبة الخطب والهول، وأصله أن المرء إذا هلع أن يسرع في المشي ويشمر ثيابه فيكشف عن ساقه كما يقال: شمر عن ساعد

(١) أخرجه عبد الرزاق ٢ / ٣١١ بنحوه. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢٣، وبنحوه عبد الرزاق ٢ / ٣١٢، وابن جرير ٢٣ / ١٩٨ من طريق معمر.

وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٦) التفسير البسيط: ١١٢/٢٢ - ١١٣.

(٧) تفسير المنار: ١٢٧/٩.

(٨) البيت ورد في خطبة الحجاج أول ما قدم أميرًا على العراق. والأبيات لحنظلة بن ثعلبة. انظر: "الكامل" ١ /

٢٢٤، و"اللسان" ٢ / ٨٢٧ (عرد)، و"العقد الفريد" ٤ / ١٢١، و"شرح شواهد الشافية" (٣٠٠).

والعُردُ: هو الشديد في كل شيء. يقال: إنه لقوي شديد عرد. "اللسان" ٢ / ٧٢٨ (عرد).

(٩) معاني القرآن: ٢١٠/٥.

(١٠) مجاز القرآن: ٢٦٦/٢.

(١١) إعراب القرآن: ١١٠/٥ - ١١١.

(١٢) تأويلات أهل السنة: ١٥٣/١٠.

(١٣) تفسير ابن كثير: ١٩٨/٨. قال المحقق: "ظن بعض الناس أن الحافظ ابن كثير سلك هنا مسلك التأويل لصفة الساق، وهذا فهم خاطئ؛ وذلك لأن الحافظ ابن كثير فسر هذه الآية بحديث أبي سعيد، رضي الله عنه، ثم ذكر ما قيل في هذه الآية.

الجد، وأيضاً كانوا في الروع والهزيمة تشمر الحرائر عن سوقهن في الهرب أو في العمل فتتكشف سوقهن بحيث يشغلهن هول الأمر عن الاحتراز من إبداء ما لا تدينه عادة، فيقال: كشفت عن ساقها أو شمردت عن ساقها، أو أبدت عن ساقها^(١).

قال الزمخشري: "الكشف عن الساق والإبداء عن الخدام^(٢): مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب، وأصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب، وإبداء خدامهن عند ذلك.. فمعنى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} في معنى: يوم يشتد الأمر ويتفقم، ولا كشف ثم ولا ساق، كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يد ثم ولا غل، وإنما هو مثل في البخل"^(٣).

قال النسفي: "الجمهور على أن الكشف عن الساق عبارة عن شدة الأمر وصعوبة الخطب فمعنى يوم ينكشف عن ساق يوم يشتد الأمر ويصعب ولا كشف ثمة ولا ساق ولكن كنى به عن الشدة لأنهم إذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق"^(٤).

قال ابن القيم: "والصحابية متنازعون في تفسير هذه الآية: هل المراد الكشف عن الشدة؟ أو المراد بها أن الرب تعالى يكشف عن ساقه؟ ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيها يذكر أنه من الصفات أم لا في غير هذا الموضوع، وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة لله؛ لأنه سبحانه لم يصف الساق إليه، وإنما ذكره مجرداً عن الإضافة منكرًا، والذين أثبتوا ذلك صفة كالإيدي والأصبع لم يأخذ ذلك من ظاهر القرآن، وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته، وهو حديث الشفاعة الطويل وفيه: «فيكشف الرب عن ساقه فيخرون له سجدًا»^(٥). ومن حمل الآية على ذلك قال: قوله تعالى: " {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ} [القلم: ٤٢]، مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم: «فيكشف عن ساقه فيخرون له سجدًا». وتكثيره للتعظيم والتفخيم كأنه قال: يكشف عن ساق عظيمة، جلت عظمتها وتعالى شأنها أن يكون لها نظير أو مثل أو شبيه، قالوا: وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه؛ فإن لغة القوم في مثل ذلك أن يقال: كشف الشدة عن القوم لا كشف عنها كما قال تعالى: {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ} [الزخرف: ٥٠]، وقال: {وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ} [المؤمنون: ٧٥]، فالعذاب والشدة هو المكشوف لا المكشوف عنه، وأيضًا فهناك تحدث الشدة وتشتد، ولا تزال إلا بدخول الجنة، وهناك لا يدعون إلى السجود، وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة"^(٦).

قال ابن جماعة الكناي: "اعلم أن نسبة الساق المعروف إلى الله تعالى محال تعالى عن نسبة الأعضاء والتجزئ إلى الله وإذا ثبت استحالته في حق الله تعالى وجب تأويله بما يستعمله فيه أهل اللغة بما يليق بجلال الرب تعالى، قال ابن عباس وخلق من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم إن المراد بالساق هنا الشدة أي شدة أهوال يوم القيامة وما يلقاه أهل الموقف"^(٧).

وقال الشوكاني: "قد أغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله، وذلك لا يستلزم تجسيمًا ولا تشبيهًا، فليس كمثله شيء"^(٨).
فإن صفات الله لها كيفية لكننا لا نعلمها، فقد أخفاها الله عنا، والإيمان بصفات الله واجب، والسؤال عن كيفية الصفات بدعة. والله أعلم.

(١) التحرير والتنوير: ٩٧/٢٩.

(٢) «الخدام» جمع خدمة، وهي الخلال. أفاده الصحاح، وذلك كرقاب جمع رقية.

(٣) .

(٤) تفسير النسفي: ٥٢٤/٣-٥٢٥.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) الصواعق المرسله: ٢٥٢/١، ٢٥٣.

(٧) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل: ١٣٤-١٣٥.

(٨) فتح القدير للشوكاني: ٣٢٠/٥.

قوله تعالى: {وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ} [القلم : ٤٢]، أي: "ويدعى أهل النفاق إلى السجود لله عند ظهور الأمر الشديد فلا يستطيعون السجود"^(١).
قال الطبري: "يقول: ويدعوهم الكشف عن الساق إلى السجود لله تعالى فلا يطيقون ذلك"^(٢).

قال الخازن: "يعني: الكفار والمنافقين تصير أصلابهم كصيافي البقر أو كصفيحة نحاس فلا يستطيعون السجود"^(٣).

قال مكي بن أبي طالب: "ودعاهم إلى السجود إنما هو على طريق التوبيخ لهم ليقفوا على فعلهم في الدنيا إذا دعوا إلى السجود وهم سالمون لينتفعوا به فلم يفعلوا. روي أن أصلابهم تجف عقوبة فلا يطيقون السجود"^(٤).

قال إبراهيم: "ولا يبقى مؤمن إلا سجد، ويقسو ظهر الكافر فيكون عظما واحدا"^(٥).

القرآن

{خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣)} [القلم : ٤٣]

التفسير:

منكسرة أبصارهم لا يرفعونها، تغشاهم ذلة شديدة من عذاب الله، وقد كانوا في الدنيا يُدْعَوْنَ إِلَى الصلاة لله وعبادته، وهم أصحاء قادرين عليها فلا يسجدون؛ تعظماً واستكباراً.

قوله تعالى: {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ} [القلم : ٤٣]، أي: "منكسرة أبصارهم لا يرفعونها"^(٦).

قال ابن أبي زمنين: "أي: ذليلة"^(٧).

قال السمعاني: "أي: ذليلة أبصارهم، والمراد منه ذل الندامة والحسرة"^(٨).

قال ابن عباس: "يعني: حين أيقنوا بالعذاب وعانوا النار"^(٩).

عن قتادة: " {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ} بسواد الوجوه"^(١٠).

قال الثعلبي: "وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسهم ووجوههم أشد بياضا من الثلج، وتسود وجوه الكافرين والمنافقين"^(١١).

قوله تعالى: {تَرْهُفُهُمْ ذَلَّةٌ} [القلم : ٤٣]، أي: "تغشاهم ذلة شديدة من عذاب الله"^(١٢).

قال ابن عباس: "يلحقهم ذل الندامة والحسرة"^(١٣).

قال الطبري: "يقول: تغشاهم ذلة من عذاب الله"^(١٤).

قال الزجاج: "معناه: تغشاهم ذلة"^(١٥).

قال السمعاني: "أي: يغشاهم الذل والهوان"^(١).

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٧٦٤٩/١٢.

(٢) تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٣.

(٣) تفسير الخازن: ٣٣٠/٤.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٧٦٤٩/١٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٧) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٨/٥.

(٨) تفسير السمعاني: ٢٩/٦.

(٩) التفسير البسيط: ١١٧/٢٢.

(١٠) تفسير الثعلبي: ٤٢/١٠.

(١١) الكشف والبيان: ٢٢/١٠.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(١٣) التفسير البسيط: ١١٧/٢٢.

(١٤) تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٣.

(١٥) معاني القرآن: ٢١١/٥.

قال ابن كثير: "أي: في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه. ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، إذا تجلّى الرب، عز وجل، فيسجد له المؤمنون، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً، كلما أراد أحدهم أن يسجد خَرَّ لِقْفَاهُ، عكس السجود، كما كانوا في الدنيا، بخلاف ما عليه المؤمنون"^(٢).

قوله تعالى: {وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} [القم: ٤٣]، أي: "وقد كانوا في الدنيا يُدْعَوْنَ إلى الصلاة لله وعبادته، وهم أصحاء قادرين عليها فلا يسجدون؛ تعظماً واستكباراً"^(٣).

قال الطبري: "يقول: وقد كانوا في الدنيا يدعونهم إلى السجود له، وهم سالمون، لا يمنعهم من ذلك مانع، ولا يحول بينه وبينهم حائل. وقد قيل: السجود في هذا الموضع: الصلاة المكتوبة"^(٤).

قال مقاتل: "يقول: كانوا معافون في الدنيا فتصير أصلابهم مثل سفاقيد الحديد"^(٥).

قال ابن عباس: "هم الكفار كانوا يدعون في الدنيا وهم آمنون، فالיום يدعوهم وهم خائفون، ثم أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا فإنه قال: {مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ}، وأما في الآخرة فإنه قال: {فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارَهُمْ}^(٦).

عن قتادة، قوله: "وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ}، ذلكم والله يوم القيامة. دُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: "يُؤَدِّنُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي السُّجُودِ، فَيَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ وَبَيْنَ كُلِّ مُؤْمِنٍ مُنَافِقٌ، فَيَقْسُو ظَهْرَ الْمُنَافِقِ عَنِ السُّجُودِ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ سُجُودَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ تَوْبِيخًا وَدَلًّا وَصَغَارًا، وَنَدَامَةً وَحَسْرَةً"^(٧).

قال قتادة: "بلغني أنه يُؤَدِّنُ لِلْمُؤْمِنِينَ يوم القيامة في السجود بين كل مؤمنين منافق، يسجد المؤمنون، ولا يستطيع المنافق أن يسجد؛ وأحسبه قال: تقسو ظهورهم، ويكون سجود المؤمنين توبيخاً عليهم، قال: {وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ}^(٨).
عن إبراهيم التيمي: "وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ}، قال: إلى الصلاة المكتوبة"^(٩).

قال إبراهيم التيمي: "يدعون إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة فيأبونه"^(١٠).

قال سعيد بن جبير: "يَسْمَعُ الْمُنَادِي إِلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فَلَا يَجِيبُهُ"^(١١). وفي رواية: "كانوا يسمعون حيّ على الفلاح فلا يجيبون"^(١٢).
عن سعيد بن جبير: "وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ}، قال: الصلوات في الجماعات"^(١٣).

(١) تفسير السمعاني: ٢٩/٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٠٠/٨.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٤) تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٩/٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٣-٥٦١.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٣.

(١٠) نقلاً عن: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٢/١٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٣.

(١٢) نقلاً عن: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٢/١٠.

(١٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٩١٤)، وابن جرير ٢٣/١٩٦ - ١٩٧ بلفظ: يسمع المنادي إلى الصلاة المكتوبة فلا يجيبه.

قال كعب الأحبار: "والله ما نزلت هذه الآية إلّا في الذين يتخلفون عن الجماعات"^(١).
 عن كعب الأحبار، قال: "والذي أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى،
 والزبور على داود، والفرقان على محمد؛ لنزلت هذه الآية في الصلوات المكتوبات حيث يُنادى
 بهن: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} إلى قوله: {وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} الصلوات
 الخمس إذا نُودي بها"^(٢).

ويروى: "أن ربيع بن الجثم عرض له الفالج فكان يتهدى بين رجلين إلى المسجد، فقيل
 له: يا أبا يزيد لو جلست فإن لك رخصة، قال: من سمع حي على الفلاح فليجب ولو حبوا"^(٣).
 قيل لسعيد بن المسيب: "إن طارقاً يريد قتلك فتغيّب، فقال: أحيث لا يقدره عليّ الله، فقيل
 له: فاجلس، فقال: أسمع حيّ على الفلاح فلا أجيب"^(٤).
 فوائد الآيات: [٤٣-٣٤]:

١- تقرير أن المجرمين لا يساؤون المؤمنین يوم القيامة إذ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب
 الجنة فمن زعم أنه يعطى ما يعطاه المؤمنون من جنات النعيم فهو مخطئ في تصويره كاذب في
 قوله.

٢- بيان عظم هول يوم القيامة .

٣- أن الكافر والمنافق لا يستطيع السجود لله تعالى يوم القيامة، وذلك عقوبة له وفضيحة إذ كان
 في الدنيا يدعى إلى السجود لله فلا يسجد، أي: إلى الصلاة فلا يصلي تكبراً وكفراً.

القرآن

{فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَدِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي
 مَتِينٌ (٤٥)} [القلم : ٤٤-٤٥]
 التفسير:

فذرني -أيها الرسول- ومن يكذب بهذا القرآن، فإن عليّ جزاءهم والانتقام منهم، سنمدهم
 بالأموال والأولاد والنعمة؛ استدراجاً لهم من حيث لا يشعرون أنه سبب لإهلاكهم، وأمهلهم
 وأطيل أعمارهم؛ ليزدادوا إثمًا. إن كيدي بأهل الكفر قويٌّ شديد.

قوله تعالى: {فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَدِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ} [القلم : ٤٤]، أي: "ذرني -أيها الرسول-
 ومن يكذب بهذا القرآن، فإن عليّ جزاءهم والانتقام منهم"^(٥).
 قال الثعلبي: "أي: فدعني والمكذبين بهذا القرآن"^(٦).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: كلّ يا محمد أمر
 هؤلاء المكذبين بالقرآن إليّ، وهذا كقول القائل لآخر غيره يتوعد رجلاً دعني وإياه، وخلي
 وإياه، بمعنى: انه من وراء مساعته"^(٧).

قال ابن كثير: "يعني: القرآن. وهذا تهديد شديد، أي: دعني وإياه مني ومنه، أنا أعلم
 به كيف أستدرجه، وأمهده في غيه وأنظر ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر"^(٨).

قال الزمخشري: "يقال: ذرني وإياه، يريدون كله إليّ، فإني أكفيك، كأنه يقول: حسبك
 إيقاعاً به أن تكل أمره إليّ وتخلي بيني وبينه، فإني عامل بما يجب أن يفعل به مطيق له،

(١) نقلا عن: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٢/١٠.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

(٣) نقلا عن: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٢/١٠.

(٤) نقلا عن: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٢/١٠.

(٥) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٦) الكشف والبيان: ٢٢/١٠.

(٧) تفسير الطبري: ٥٦١/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٠٠/٨.

والمراد: حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن، فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتهديدا للمكذبين^(١).

قوله تعالى: {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} [القلم : ٤٤]، أي: "سندهم بالأموال والأولاد والنعم؛ استدراجًا لهم من حيث لا يشعرون أنه سبب لإهلاكهم"^(٢).
قال السدي: "يعني: القرآن"^(٣).

قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: سنكيدهم من حيث لا يعلمون، وذلك بأن يمتنعهم بمتاع الدنيا حتى يظنوا أنهم متعوا به بخير لهم عند الله، فيتمادوا في طغيانهم، ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون"^(٤).

قال ابن كثير: "أي: وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة، وهو في نفس الأمر إهانة، كما قال: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ نَسَارِغٍ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ} [المؤمنون : ٥٥، ٥٦]، وقال: {قَلَمًا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام : ٤٤]"^(٥).

قال التستري: "يعني: نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها، فإذا سكنوا وحجبوا عن المنعم أخذوا"^(٦).

قال الكلبي: "نزين لهم أعمالهم فنهلكهم"^(٧).

قال الضحاك: "كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة"^(٨).

قال عطاء: "سنمكر بهم من حيث لا يعلمون"^(٩).

قال سفيان الثوري: "نسبغ عليهم النعمة وننسيهم الشكر"^(١٠).

قال السدي: "سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون"^(١١).

قال الحسن: "نتبع النعمة السيئة وننسيهم التوبة"^(١٢).

وقال الخليل بن أحمد: سنطوي وإن أعمارهم في اغترار منهم"^(١٣).

قال السعدي: "بأن يدر لهم الأرزاق"^(١٤).

قال العباد: "لم نعاقبهم في وقت مخالفتهم فيستيقظوا بل أمهلناهم ومددنا لهم في النعم حتى زال عنهم خاطر التدبير، فكانوا منعمين في الظاهر مستدرجين في الحقيقة"^(١٥).

روي إبراهيم بن حماد، عن الحسن، قال: "كم من مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مغبون بالثناء عيه، وكم من مغرور بالستر عليه"^(١٦).

(١) الكشاف: ٥٩٥/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٣) النكت والعيون: ٧٢/٦.

(٤) تفسير الطبري: ٥٦١/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٠٠/٨.

(٦) تفسير التستري: ٧٠.

(٧) انظر: تفسير الثعلبي: ٣١٢/٤، وزاد المسير: ٢٠١/٣.

(٨) انظر: تفسير الثعلبي: ٣١٢/٤، وزاد المسير: ٢٠١/٣.

(٩) انظر: تفسير البغوي: ٣٠٨/٣.

(١٠) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٢/١٠، وتفسير البغوي: ٣٠٨/٣.

(١١) النكت والعيون: ٧٢/٦.

(١٢) النكت والعيون: ٧٢/٦.

(١٣) انظر: تفسير الثعلبي: ٣١٢/٤، وزاد المسير: ٢٠١/٣.

(١٤) تفسير السعدي: ٣١٠.

(١٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٢/١٠.

(١٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٧٣/٦.

قيل لذي النون: "ما أقصى ما يخدع به العبد؟ قال: بالألطف والكرامات، لذلك قال سبحانه وتعالى: {سنستدرجهم من حيث لا يعلمون}، نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر، وأنشدوا^(١):

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر^(٢)

قال الأزهري: "الاستدراج: هو الأخذ قليلا قليلا، ومنه درج الكتاب"^(٣).
قال الشوكاني: "الاستدراج: ترك المعالجة، وأصله النقل من حال إلى حال، ويقال: استدراج فلان فلانا، أي: استخراج ما عنده قليلا قليلا، ويقال: درجه إلى كذا واستدرجه، بمعنى، أي: أدناه إلى التدريج فتدرج هو"^(٤).

قال ابن عطية: "الاستدراج هو: الحمل من رتبة إلى رتبة، حتى يصير المحمول إلى شر وإنما يستعمل الاستدراج في الشر، وهو مأخوذ من الدرج"^(٥).
وأصل "الاستدراج": اغترار المستدرج بلطف من استدراجه، حيث يرى المستدرج أن المستدرج إليه محسن، حتى يورطه مكروهاً^(٦).
وفي اشتقاق «الاستدراج»، قولان^(٧):

أحدهما: أنه مشتق من الدرج لانطوائه على شيء بعد شيء .
والثاني: أنه مشتق من الدرجة لانحطاطه من منزلة بعد منزلة.

قال الثعلبي: "قال أهل المعاني: الاستدراج أن ندرج إلى الشيء في خفية قليلا قليلا ولا يباغت ولا يجاهر. يقال: استدراج فلانا حتى تعرف ما صنع أي لا يجاهر ولا يهجم عليه، قال: ولكن استخراج ما عنده قليلا قليلا وأصله من: «الدرج»، وذلك أن الراقي والنازل يرقى وينزل مرقة مرقة فاستعير هذا عنه . ومنه: الكتاب إذا طوى شيئا بعد شيء، ودرج القوم، إذا مات بعضهم في دار بعض، ودرج الصبي، إذا قارب من خطاه في المشي"^(٨).

قال الزمخشري: "استدرجه إلى كذا: إذا استنزله إليه درجة فدرجة، حتى يورطه فيه. واستدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة، فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا إلى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون أي: من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم، لأنهم يحسبونه إثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين، وهو سبب لهلاكهم"^(٩).
قوله تعالى: {وَأْمَلِي لَهُمْ} [القلم: ٤٥]، أي: "وأمهلهم وأطيل أعمارهم؛ ليزدادوا إثمًا"^(١٠).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وأنسى في آجالهم ملاوة من الزمان، وذلك برهة من الدهر على كفرهم وتمردهم على الله لتتكامل حجج الله عليهم"^(١١).
قال ابن كثير: "أي: وأوخرهم وأنظرهم وأمدهم، وذلك من كيدي ومكري بهم"^(١٢).

(١) لم أتعرف على القائل، والبيتان في لطائف الإشارات للقسيري: ٦٣١/١، وتفسير القرطبي: ٣٢٩/٧، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي: ٥٤٥/٣، وغيرها.

(٢) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٣٢٩/٧.

(٣) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٣٦/٢.

(٤) فتح القدير: ٣٢٩/٥.

(٥) المحرر الوجيز: ٣٥٣/٥.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٧/١٣.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٨٣/٢.

(٨) تفسير الثعلبي: ٣١٢/٤.

(٩) الكشف: ٥٩٥/٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(١١) تفسير الطبري: ٥٦١/٢٣-٥٦٢.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٠٠/٨.

قال الزمخشري: "وأهلهم، كقوله تعالى: {إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا}، والصحة والرزق والمد في العمر: إحسان من الله وإفضال يوجب عليهم الشكر والطاعة، ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم، فلما تدرجوا به إلى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج"^(١).

وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله تعالى ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلته". ثم قرأ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢]"^(٢).

قوله تعالى: {إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} [القلم: ٤٥]، أي: "إن كيدي بأهل الكفر قويٌّ شديد"^(٣).

قال الطبري: "يقول: إن كيدي بأهل الكفر قويٌّ شديد"^(٤).

قال ابن كثير: "أي: عظيم لمن خالف أمري، وكذب رسلي، واجترأ على معصيتي"^(٥).

قال ابن عباس: "يريد: إن مكري شديد"^(٦).

عن ابن عباس، قال: "كيد الله العذاب والنقمة"^(٧).

قال ابن عطية: "الكيد: عبارة عن العقوبة التي تحل بالكفار من حيث هي: على كيد

منهم، فسمى العقوبة باسم الذنب، والمتين: القوي الذي له متانة، ومنه المتن الظهر"^(٨).

عن السدي: {وَأُمِّلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}، قال: "كف عنهم وأخرجهم على رسلهم ان

مكري شديد ثم نسخها الله فأنزل الله: {فَاقْفُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة: ٥]، الآية"^(٩).

القرآن

{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ مُنْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْعَيْبُ فهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧)} [القلم: ٤٦-٤٧]

التفسير:

أم تسأل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين أجرا دنيويا على تبليغ الرسالة فهم من غرامة ذلك مكفون حملا ثقيلًا؟ بل أعندهم علم الغيب، فهم يكتبون عنه ما يحكمون به لأنفسهم من أنهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به؟

قوله تعالى: {أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا} [القلم: ٤٦]، أي: "أم تسأل -أيها الرسول- هؤلاء

المشركين أجرا دنيويا على تبليغ الرسالة"^(١٠).

قال ابن زيد: "يقول: أسألهم على هذا أجرا"^(١١).

قال ابن جريج: "يقول: أسألت هؤلاء القوم على الإسلام أجرا"^(١٢).

قل قتادة: "يقول: هل سألت هؤلاء القوم أجرا"^(١٣).

(١) الكشاف: ٥٩٥/٤.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٨٦) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٤) تفسير الطبري: ٥٦٢/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٠٠/٨.

(٦) التفسير البسيط للواحدى: ٤٨٧/٩.

(٧) الدر المنثور: ٦١٨/٣، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٨) المحرر الوجيز: ٣٥٣/٥.

(٩) الدر المنثور: ٦١٨/٣، وعزاه إلى أبي الشيخ.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٢.

(١٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٢.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أتسأل يا محمد هؤلاء المشركين بالله على ما أنيتهم به من النصيحة، ودعوتهم إليه من الحق، ثواباً وجزاء" (١).
قال ابن كثير: "المعنى: أنك يا محمد تدعوهم إلى الله، عز وجل، بلا أجر تأخذه منهم، بل ترجو ثواب ذلك عند الله، عز وجل، وهم يكذبون بما جنتهم به، بمجرد الجهل والكفر والعناد" (٢).

قوله تعالى: {فَهُمْ مِنْ مَّعْرَمٍ مَثْقُولُونَ} [القلم : ٤٦]، أي: "فهم معرضون عن الإيمان بسبب ذلك التكليف الثقيل ببذلهم المال" (٣).

قال ابن زيد: "فأثقلهم الذي يُبْتَعَى أَخْذُهُ مِنْهُمْ" (٤).
قال ابن جريج: "فمنعهم من أن يسلموا الجعل؟!!" (٥).
قل قتادة: "يجهدهم [أي الأجر]، فلا يستطيعون الإسلام؟!!" (٦).

قال الطبري: "يعني: من غرم ذلك الأجر مثقلون، قد أثقلهم القيام بأدائه، فتحاموا لذلك قبول نصيحتك، وتجنبوا لعظم ما أصابهن من ثقل الغرم الذي سألتهم على ذلك الدخول في الذي دعوتهم إليه من الدين" (٧).

قال الصابوني: "فإن العادة أن من كلف إنساناً مالاً وضربَ عليه جُعلاً يسير مثقلاً وغارماً بسببه فيكرهه ولا يسمع قوله ولا يمتثل له، والغرض توبيخهم في عدم الإيمان فإن الرسول لا يطلب منهم شيئاً من الأجر" (٨).

قوله تعالى: {أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ} [القلم : ٤٧]، أي: "بل أعندهم علم الغيب، فهم يكتبون عنه ما يحكمون به لأنفسهم من أنهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به؟" (٩).
عن ابن جريج: "أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ؟"، قال: القرآن" (١٠).
قال عباس: "أم عندهم اللوح المحفوظ؟" (١١).

قال الطبري: "يقول: أعندهم اللوح المحفوظ الذي فيه نبأ ما هو كائن، فهم يكتبون منه ما فيه، ويجادلونك به، ويزعمون أنهم على كفرهم بربهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به" (١٢).

قال الحسن: "الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه" (١٣).

القرآن

{فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْ لَأَنَّ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِيَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠)} [القلم : ٤٨-٥٠]

التفسير:

-
- (١) تفسير الطبري: ٥٦٢/٢٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٠٠/٨.
(٣) صفوة التفاسير: ٤٠٦/٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٢.
(٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٢.
(٧) تفسير الطبري: ٥٦٢/٢٣.
(٨) صفوة التفاسير: ٤٠٦، ٢٥٠/٣.
(٩) التفسير الميسر: ٥٦٦.
(١٠) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(١١) تفسير الثعلبي ١٣٢/٩، وتفسير البغوي ٣٩٣/٧، وأورد عقبه: فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به؟
(١٢) تفسير الطبري: ٥٦٢/٢٣.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٠٤): ص١٨٦٤-١٨٦٥.

فاصبر -أيها الرسول- لما حكم به ربك وقضاه، ومن ذلك إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم، ولا تكن كصاحب الحوت، وهو يونس -عليه السلام- في غضبه وعدم صبره على قومه، حين نادى ربه، وهو مملوء غمًا طالبًا تعجيل العذاب لهم، لولا أن تداركه نعمة من ربه بتوفيقه للتوبة وقبولها لطرحت من بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة، وهو آتٍ بما يلام عليه، فاصطفاه ربه لرسالته، فجعله من الصالحين الذين صلحت نياتهم وأقوالهم وأعمالهم.

قوله تعالى: {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} [القلم : ٤٨]، أي: "فاصبر -أيها الرسول- لما حكم به ربك وقضاه، ومن ذلك إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فاصبر يا محمد لقضاء ربك وحكمه فيك، وفي هؤلاء المشركين بما أتيتهم به من هذا القرآن، وهذا الدين، وامض لما أمرك به ربك، ولا يثنيك عن تبليغ ما أمرت بتبليغه تكذيبهم إياك وأذاهم لك"^(٢).

قال النحاس: "أي: اصبر على أداء الرسالة واحتمل أذاهم ولا تستعجل لهم العذاب"^(٣). قال ابن كثير: "يقول تعالى: {فَاصْبِرْ} يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم؛ فإن الله سيحكم لك عليهم، ويجعل العقاب لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة"^(٤).

قوله تعالى: {وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ} [القلم : ٤٨]، أي: "ولا تكن كصاحب الحوت، وهو يونس -عليه السلام- في غضبه وعدم صبره على قومه"^(٥).

قال الطبري: "الذي حبسه في بطنه، وهو يونس بن متى صلى الله عليه وسلم فيعاقبك ربك على تركك تبليغ ذلك، كما عاقبه فحبه في بطنه"^(٦).

قال النحاس: "أي: في ما عمله من خروجه عن قومه وغمه بتأخر العذاب عنهم"^(٧).

قال ابن كثير: "يعني: ذا النون، وهو يونس بن متى، عليه السلام، حين ذهب مغاضبًا على قومه، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له، وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم، وسماعه تسييح البحر بما فيه للعلي القدير، الذي لا يُردّ ما أنفذه من التقدير، فحينئذ نادى في الظلمات: {أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء : ٨٧]. قال الله {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ} [الأنبياء : ٨٨]"^(٨).

قال قتادة: "يقول: لا تعجل كما عجل، ولا تعضب كما غضب"^(٩).

قال ابن جريج: "لا تُغاضِب كما غاضب يونس"^(١٠).

عن وهب بن منبه: "إن يونس بن متى كان عبدًا صالحًا، وكان في خُلُقِه ضيق، فلما حملت عليه أثقال النبوة -ولها أثقال لا يحملها إلا قليل- تَفَسَّخَ تحتها تَفَسُّخَ الرَّبْعِ تحت الحمل، ففقدتها بين يديه، وخرج هاربًا منها. يقول الله لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: {فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل} [الأحقاف : ٣٥]، {فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت} [القلم : ٤٨]، أي: لا تُلْقِ أمري كما ألقاه"^(١١).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٢) تفسير الطبري: ٥٦٢/٢٣.

(٣) إعراب القرآن: ١٢/٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٠١/٨.

(٥) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٦) تفسير الطبري: ٥٦٢/٢٣.

(٧) إعراب القرآن: ١٢/٥.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٠١/٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٦٣/٢٣.

(١٠) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١١) أخرجه الطبري: ٥١٣/١٨.

قوله تعالى: {إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ} [القلم : ٤٨]، أي: "حين نادى ربه، وهو مملوء غمًّا طالبًا تعجيل العذاب لهم"^(١).

قال الطبري: "يقول: إذ نادى وهو مغموم، قد أثقله الغم وكظمه"^(٢).

قال الزجاج: "أي: مملوء غمًّا وكرهًا"^(٣).

عن ابن عباس، ومجاهد، قوله: "{إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ}"، يقول: مغموم"^(٤).

وقال عطاء الخراساني، وأبو مالك: "مكروب"^(٥).

قال النحاس: "المكظوم -في كلام العرب-: الذي قد اغتم لا يجد من يتفرّج إليه فقد كظم غيظه، أي: أخفاه"^(٦).

قوله تعالى: {لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ} [القلم : ٤٩]، أي: "لولا أن تداركه نعمة من ربه بتوفيقه للتوبة وقبولها"^(٧).

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: لولا أن تدارك صاحب الحوت نعمة من ربه، فرحمه بها، وتاب عليه من مغاضبته ربه"^(٨).

قال سهل: "يعني: لولا ما حفظ الله له ما سلف من عمله الصالح، بما جرى به من اجتنائه في الأزل، فاستنقذه به وتداركه"^(٩).

وفي قراءة ابن مسعود: «لولا أن تداركته» على تأنيث النعمة والتذكير: لأنه تأنيث غير حقيقي وروي عن الأعرج «لولا أن تداركه» بتثني الدال، والأصل تتداركه أدغمت التاء في الدال^(١٠).

قوله تعالى: {الْأَرْضُ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ} [القلم : ٤٩]، أي: "لُطِرْحَ مِنْ بَطْنِ الْحَوْتِ بِالْأَرْضِ الْفُضَاءِ الْمَهْلِكَةِ، وَهُوَ آتٍ بِمَا يَلَامُ عَلَيْهِ"^(١١).

قال مقاتل: "ولكن تداركه {نعمة} يعني: رحمة من ربه، فنبتناه بالعراء وهو سقيم"^(١٢).

قال الزجاج: "المعنى: أنه قد نبذ بالعراء وهو غير مذموم، ويدل على ذلك أن النعمة قد شملت"^(١٣).

قال الفراء: "العراء: الأرض"^(١٤).

قال الزجاج: "العراء: المكان الخالي"^(١٥).

قال أبو عبيدة: "لألقى بوجه الأرض، قال رجل من خزاعة يقال له قيس ابن جعدة أحد الفزارين"^(١٦).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٢) تفسير الطبري: ٥٦٢/٢٣.

(٣) معاني القرآن: ٢١١/٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٦٣/٢٣-٥٦٤.

(٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٠١/٨.

(٦) إعراب القرآن: ١٢/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٨) تفسير الطبري: ٥٦٣/٢٣.

(٩) تفسير التستري: ١٧٤.

(١٠) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٢/٥.

(١١) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(١٢) .

(١٣) معاني القرآن: ٢١١/٥.

(١٤) معاني القرآن: ١٧٨/٣.

(١٥) معاني القرآن: ٢١١/٥.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٣/٢٣، وهو يشبه بيتا لأبي خراش الهذلي وهو:
ورقت ساقا لا يخاف عثارها ... وطرحت عنى بالعراء ثيابي
(ديوان الهذليين ١٦٨ / ٢) . وفي اللسان (نشا) قال ابن برى قال أبو عبيدة في المجاز في آخر سورة «ن والقلم» إن البيت لقيس بن جعدة الخزاعي.

دفعت رجالا لا أخاف عثارها ... ونبذت بالبلد العراء ثيابي" (١).

وقال سهل: "العراء: أرض القيامة، إذ لا زرع فيها، ولا نبت، ولم يكن له ذنب سوى أنه شغل قلبه بتدبير ما لم يكن تدبيره إليه، كما فعل آدم عليه السلام" (٢).

قوله تعالى: {فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ} [القلم : ٥٠]، أي: "فاصطفاه ربه لرسالته" (٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فاجتبي صاحب الحوت ربُّه، يعني: اصطفاه واختاره لنبوته" (٤).

قال ابن عباس: "فاستخلصه واصطفاه الله" (٥).

قال الزجاج: "هذا تخلص له من الدَّم" (٦).

قوله تعالى: {فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} [القلم : ٥٠]، أي: "فجعله من الصالحين الذين صلحت نياتهم وأقوالهم وأعمالهم" (٧).

قال الطبري: "يعني: من المرسلين العاملين بما أمرهم به ربهم، المنتهين عما نهاهم عنه" (٨).

قال النحاس: "قيل: المعنى: فوصفه جلّ وعزّ أنه من الصالحين. وقد حكى سيبويه

«جعل» بمعنى: «وصف»، وقيل: وقفه الله تعالى لطاعته حتى صلح" (٩).

قال ابن كثير: "لما قال: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} خرجت الكلمة

تُخَفِّ حول العرش، فقالت الملائكة: يا رب، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة. فقال الله: أما تعرفون هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا يونس. قالوا: يا رب، عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة؟ قال: نعم. قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمل في الرخاء فتنجيه من البلاء؟ فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء؛ ولهذا قال تعالى: {فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} (١٠).

قال ابن عباس: "رد إليه الوحي وشفعه في قومه وفي نفسه" (١١).

عن عوف، عن سعيد بن أبي الحسن، قال: "بلغني أن يونس لما أصاب الذنب، انطلق مغاضبا لربه، واستزله الشيطان، حتى ظن أن لن نقدر عليه، قال: وكان له سلف وعبادة وتسييح، فأبى الله أن يدعه للشيطان، فأخذه فقفذه في بطن الحوت، فمكث في بطن الحوت أربعين من بين ليلة ويوم، فأمسك الله نفسه فلم يقتله هناك، فتاب إلى ربه في بطن الحوت، وراجع نفسه، قال: فقال {سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}، قال: فاستخرجه الله من بطن الحوت برحمته، بما كان سلف من العبادة والتسييح، فجعله من الصالحين، قال عوف: وبلغني أنه قال في دعائه: وبنيت لك مسجدا في مكان لم بينه أحد قبلي" (١٢).

عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا

خير من يونس بن متى" (١٣).

(١) مجاز القرآن: ٢٦٦/٢.

(٢) تفسير التستري: ١٧٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٤) تفسير الطبري: ٥٦٤/٢٣.

(٥) التفسير البسيط: ١٢٠/٢٢.

(٦) معاني القرآن: ٢١١/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٨) تفسير الطبري: ٥٦٤/٢٣.

(٩) إعراب القرآن: ١٢/٥.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٠١/٨.

(١١) التفسير البسيط: ١٢٠/٢٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥١٥/١٨.

(١٣) المسند (٣٩٠/١) وصحيح البخاري برقم (٤٦٠٣)، و(٤٦٣١)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٦).

القرآن

{وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزِلُّوكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١)}
[القلم : ٥١]

التفسير:

وإن يكاد الكفار حين سمعوا القرآن ليصيبونك -أيها الرسول- بالعين؛ لبغضهم إياك، لولا وقاية الله وحمايته لك، ويقولون: -حسب أهوائهم- إنه لمجنون.

سبب النزول:

سبب النزول:

قال محمد بن السائب الكلبي: "كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة، ثم يرفع جانب خبائه، فتمرّ به النعم، فيقول: ما رعى اليوم إبل ولا غنم أحسن من هذه. فما تذهب إلا قريباً حتى يسقط منها طائفة وعدة. فسأل الكفار هذا الرجل أن يُصيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالعين، ويفعل به مثل ذلك، فعصم الله تعالى نبيّه، وأنزل هذه الآية: {وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزِلُّوكَ بِأَبْصَارِهِمْ}"^(١).

قوله تعالى: {وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزِلُّوكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ} [القلم : ٥١]، أي: "وإن يكاد الكفار حين سمعوا القرآن ليصيبونك -أيها الرسول- بالعين؛ لبغضهم إياك، لولا وقاية الله وحمايته لك"^(٢).

اختلف أهل العلم في تفسير هذه الآية على قولين:

أحدهما: أن الكفار قصدوا أن يصبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين، وكان فيهم رجل يمكث اليومين والثلاثة لا يأكل شيئاً، ثم يرفع جانب خبائه، فتمرّ به النعم، فيقول: لم أر كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه، فما تذهب إلا قليلاً حتى يسقط منها عدة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين، فعصم الله نبيّه، وأنزل هذه الآية، وهذا قول الكلبي^(٣)، وتابعه قوم من المفسرين تلقّفوا ذلك من تفسيره، منهم الفراء^(٤).

قال الفراء: "أي: ليلقونك بأبصارهم، وذلك أن العرب كان أحدهم إذا أراد أن يعتان المال، أي: يصيبه بالعين تجوع ثلاثاً، ثم يتعرض لذلك المال، فيقول: تالله مالا أكثر ولا أحسن، يعني: ما رأيت أكثر، فتسقط منه الأباعر، فأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقالوا: ما رأينا مثل حججه، ونظروا إليه ليعينوه، فقالوا: ما رأينا مثله، وإنه لمجنون.. ويقال: «وإن كادوا ليزلقونك»، أي: ليرمون بك عن موضعك، ويزيلونك عنه بأبصارهم، كما تقول: كاد يصرعني بشدة نظره، وهو بين من كلام العرب كثير، كما تقول: أزهقت السهم فزهق"^(٥).

قال البغوي: "قيل: كانت العين في بني أسد حتى كانت الناقة والبقرة السمينة تمر بأحدهم فيعابنها ثم يقول: يا جارية خذي المكثل والدرهم فأثينا بشيء من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتتحر"^(٦).

قال القشيري: "كانوا إذا أرادوا أن يصبوا شيئاً بأعينهم جاعوا ثلاثة أيام، ثم جاعوا ونظروا إلى ذلك الشيء قائلين: ما أحسنه من شيء! فكان يسقط المنظور في الوقت. وقد فعلوا ذلك بالنبي صلوات الله عليه، فقالوا: ما أفصحه من رجل! ولكن الله سبحانه حفظه، ومن بذكره عليه"^(٧).

(١) تفسير الثعلبي ٢٣/١٠، وأسباب النزول للواحي ص ٦٩٤، وتفسير البغوي ٢٠٢/٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٣) نقلاً عن: زاد المسير: ٣٢٧/٤، وتفسير البغوي: ٢٠٢/٨.

(٤) انظر: معاني القرآن: ١٧٩/٣.

(٥) معاني القرآن: ١٧٩/٣.

(٦) تفسير البغوي: ٢٠٢/٨.

(٧) لطائف الإشارات: ٦٢٣/٣.

قال ابن كثير: "أي: ليعينونك بأبصارهم، بمعنى: يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك، وحمایته إياك منهم. وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق، بأمر الله، عز وجل، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة"^(١).

الثاني: أنهم كانوا ينظرون إليه بالعداوة نظراً سديداً يكاد يُزِلُّه من شدته، أي: يلقيه إلى الأرض. وهذا مستعمل في كلام العرب. يقول القائل: نظر إليّ فلان نظراً كاد يصرعني. وأنشدوا^(٢):

يَنقَرَضُونَ - إذا التَّقَوَّا في مَوْطِن - ... نظراً يُزِيلُ مَوَاطِيءَ الأقدام
أي: ينظر بعضهم إلى بعض نظراً شديداً بالعداوة يكاد يزيل الأقدام، وإلى هذا ذهب المحققون، منهم ابن قتيبة^(٣)، والزجاج^(٤).

وعلق ابن قتيبة على كلام الفراء قائلًا: "قال الفراء: «يَعْتَنُونَكَ أي يصيبونك بأعينهم»^(٥)؛ وذكر: "أن الرجل من العرب كان يَمْتَلُّ على طريق الإبل - إذا صَدَرَتْ عن الماء - فَيُصِيبُ منها ما أراد بعينه، حتى يُهْلِكُه". هذا معنى قوله، وليس هو بعينه. ولم يرد الله جلَّ وعزَّ - في هذا الموضع - أنهم يصيبونك بأعينهم، كما يُصِيبُ العائن بعينه ما يَسْتَحْسِبُه وَيَعْجَبُ منه. وإنما أراد: أنهم ينظرون إليك - إذا قرأت القرآن - نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء، يكاد يُزِلُّكَ، أي يُسْقِطُكَ"^(٦).

قال الزجاج: "فأما مذهب أهل اللغة فالتأويل عندهم أنه من شدة إِبْغَاضِهِمْ لك وعدوانهم يكادون يَنْظُرُهم نَظْرَ البغضاء أن يضروك، وهذا مستعمل في الكلام، يقول القائل: نظر إليّ نظراً يكاد يَصْرَعُني به، ونظراً يكاد يأكلني فيه. وتأويله كله أنه نظر إليّ نظراً لو أمكنه معه أكلي أو أن يَصْرَعُني لَفَعَلَ. وهذا بين واضح"^(٧).

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: وإن يكاد الذين كفروا يا محمد يَنقُذُونَكَ بأبصارهم من شدة عداوتهم لك ويزيلونك فيرموا بك عند نظرهم إليك غيظاً عليك، لما سمعوا كتاب الله يتلى"^(٨).

قال مقاتل: "يعني: المستهزئين من قريش {لِيُزِلُّوْكَ بِأَبْصَارِهِمْ}، يعني: يبعدونك، حين سمعوا القرآن كراهية له"^(٩).

قال ابن الجوزي: "ويدل على صحته أن الله تعالى قرن هذا النظر بسماع القرآن، وهو قوله تعالى: لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَالقَوْمَ كانوا يكرهون ذلك أشدَّ الكراهة، فيجِدُونَ النظر إليه بالبغضاء. وإصابة العين، إنما تكون مع الإعجاب والاستحسان، لا مع البغض فلا يُظن بالكلبي أنه فهم معنى الآية"^(١٠).

فأقول المفسرين واللغويين تدل على أن مرادهم بالنظر إليه قتله ولا يمنع كراهة الشيء من أن يصاب بالعين عداوة حتى يهلك، يقال: زلقه، يزلقه، أزلقه، إذا نحاه وأبعده. فمعنى الكلمة إذا التنحية والإزالة، وذلك لا يكون في حق النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهلاكه وموته. والله أعلم.

(١) تفسير ابن كثير: ٢٠١/٨.

(٢) بلا نسبة في لسان العرب (قرض)، (زلق)، (تاج العروس (قرض)، (زلق)، وتهذيب اللغة ٨/ ٣٤٢، ٤٣٢، ومقاييس اللغة ٣/ ٢١، وتفسير غريب القرآن ص ٤٨٢، وكتاب الصناعتين ص ٢٨١، والبيان والتبيين ١١/ ١، وتفسير القرطبي ٢/ ٢٥٦، وتفسير البحر المحيط ٢/ ٣١٧.

(٣) انظر: غريب القرآن: ٤٨٢.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٢١٢/٥.

(٥) انظر: معاني القرآن: ١٧٩/٣.

(٦) غريب القرآن: ٤٨٢.

(٧) معاني القرآن: ٢١٢/٥.

(٨) تفسير الطبري: ٥٦٤/٢٣، ٥٦٥.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١٢/٤.

(١٠) زاد المسير: ٣٢٧/٤.

قال ابن عباس: "يقول: يُفْذونك بأبصارهم من شدّة النظر، يقول ابن عباس: يقال للسهم: زَهَقَ السهم أو زلق"^(١).

عن ابن عباس، ومجاهد: "يقول: لِيُفْذونك بأبصارهم"^(٢).

عن ابن عباس، وقتادة: "يقول: ليزهقونك بأبصارهم"^(٣).

عن عبد الله أنه كان يقرأ: «وَأِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْهِقُونَكَ»^(٤).

قال الحسن البصري: "لِيُزْهِقُونَكَ بأبصارهم" لِيَقْتلونك"^(٥).

وقال الكلبي: "ليصنر عونك"^(٦).

قال عطاء الخراساني: "ليزيلونك بأبصارهم"^(٧).

قال زيد بن أسلم: "ليمسوك"^(٨).

قال عطية العوفي: "يرمونك"^(٩).

قال السدي: "يُصيونك بعيونهم"^(١٠).

قال قتادة: "ليرهقوك"^(١١).

قال قتادة: "لينفذونك بأبصارهم معادة لكتاب الله، ولذكر الله"^(١٢).

قال الضحاك: "يقول: يُفْذونك بأبصارهم من العداوة والبغضاء"^(١٣).

قال محمد بن سائب الكلبي: "ليصنر عونك"^(١٤). وفي رواية: "يصرّفونك عما أنت عليه

من تبليغ الرسالة"^(١٥).

قال أبو عبيدة: "لِيُزْهِقُونَكَ"، ولينفذونك، وكل ذلك إزلاق"^(١٦).

وقرى: «لِيُزْهِقُونَكَ»، بفتح الياء^(١٧).

قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ} [القم : ٥١]، أي: "ويقولون: -حسب أهوائهم- إنه

لمجنون"^(١٨).

قال الطبري: يقول: "يقول هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم إن محمداً لمجنون،

وهذا الذي جاءنا به من الهذيان الذي يهذي به في جنونه"^(١٩).

قال ابن كثير: "أي: يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم، ويقولون: {إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ}، أي:

لمجيبه بالقرآن"^(٢٠).

(١) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٦٤-٥٦٤/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٦٤-٥٦٤/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٦٤-٥٦٤/٢٣.

(٥) تفسير الثعلبي ٢٤ / ١٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٦٤-٥٦٤/٢٣.

(٧) جزء فيه تفسير القرآن لأبي يحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي (٣٧٧): ص ١٢٢.

(٨) تفسير الثعلبي ٢٤ / ١٠.

(٩) تفسير الثعلبي ٢٣ / ١٠.

(١٠) تفسير الثعلبي ٢٤ / ١٠، وتفسير البيهقي ٢٠٢ / ٨.

(١١) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (٣٢٩٦): ص ٣٣٦/٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٦٤-٥٦٤/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٦٤-٥٦٤/٢٣.

(١٤) أخرجه عبد الرزاق ٣١٣ / ٢، والثعلبي ٢٣ / ١٠.

(١٥) تفسير الثعلبي ٢٣ / ١٠.

(١٦) مجاز القرآن: ٢٦٦/٢.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٥/٢٣.

(١٨) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(١٩) تفسير الطبري: ٥٦٥/٢٣.

(٢٠) تفسير ابن كثير: ٢٠٧/٨.

قال الزمخشري: يقولون ذلك " حيرة في أمره وتنفيرا عنه، وإلا فقد علموا أنه أعقلهم. والمعنى: أنهم جننوه لأجل القرآن" (١).

قال الحسن: "دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية" (٢).
عن أنس - قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم لا يرقأ" (٣).

بُرَيْدَةَ بن الحصيْب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا رقية إلا من عين أو حمة" (٤).

عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن العين لتولع الرجل بإذن الله، فيتصاعد حالفاً، ثم يتردى منه" (٥).

حِيَّة بن حابس التميمي: أن أباه أخبره: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا شيء في الهام، والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل" (٦).

عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا بأس في الهام، والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل" (٧).

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "العين حق، العين حق، تستنزل الحالق" (٨).

عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين، وإذا اغتسلتم فاغسلوا" (٩).

عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعوِّذ الحسن والحسين، يقول: "أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة"، ويقول هكذا كان إبراهيم يُعوِّذ إسحاق وإسماعيل، عليهما السلام" (١٠).

عن أبي أمامة ابن سهل بن حنيف قال: مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف، وهو يغتسل، فقال: لم أر كالليوم ولا جلدًا مخبأة. فما لبث أن لبط به، فأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له: أدرك سهلاً صريعاً. قال: "من تتهمون به؟" قالوا: عامر بن ربيعة. قال: "علام يقتل أحدكم أخاه؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يُعجبه فليدع له بالبركة". ثم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، وركبتيه، وداخله إزاره، وأمره أن يصب

قال سفيان: قال معمر، عن الزهري: وأمر أن يكفأ الإناء من خلفه" (١١).

-
- (١) الكشاف: ٥٩٧/٤.
(٢) نقلا عن: تفسير البغوي: ٢٠٣/٨، والكشاف: ٥٩٧/٤، والبحر المحيط: ٣١٨/٨.
(٣) سنن أبي داود برقم (٣٨٨٩).
(٤) سنن ابن ماجة برقم (٣٥١٣).
(٥) رواه أبو يعلى الموصلي كما في "تفسير ابن كثير": ٢٠١/٨، ورواه ابن عدي في الكامل (١٠٤/٣) من طريق أبي يعلى لكنه وقع فيه: إبراهيم، عن ديلم، عن وهب بن أبي دبي، عن محجن، عن أبي زر به، فأسقط أبو حرب، ورواه الإمام أحمد في المسند (١٤٦/٥) من طريق يونس بن محمد، وابن عدي في الكامل (١٠٤/٣) من طريق الصلت بن مسعود كلاهما عن ديلم بن غزوان عن وهب بن أبي حرب عن محجن عن أبي ذر به، قال ابن عدي: وهذا حديث يرويه ديلم عن وهب بن أبي دبي، وأظن أنه وهم من رواية الصلت حيث قال: عن وهب بن أبي دبي، عن أبي حرب، عن محجن، ولعل أبا حرب هو محجن..
(٦) المسند (٧٠/٥).
(٧) المسند (٧٠/٥).
(٨) المسند (٢٧٤/١).
(٩) صحيح مسلم برقم (٢١٨٨).
(١٠) صحيح البخاري برقم (٣٣٧١) وسنن أبي داود برقم (٤٧٣٧) وسنن النرمذي برقم (٢٠٦٠) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٨٤٤) وسنن ابن ماجة برقم (٣٥٢٥).
(١١) سنن ابن ماجة برقم (٣٥٠٩)، وسنن النسائي الكبرى برقم (٧٦١٧ - ٧٦١٩).

عن أبي سعيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من أعين الجان وأعين
الإنس. فلما نزل المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك" (١).

عن أبي سعيد : أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اشتكيت يا محمد
؟ قال : "نعم". قال باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس و عين يشفيك، باسم
الله أرقيك" (٢).

عن أبي سعيد - أو : جابر بن عبد الله ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى، فأتاه
جبريل فقال : باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من كل حاسد وعين والله يُشفيك" (٣).

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن العين حق" (٤).
عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "العين حق، ويحضرها
الشیطان، وحسد ابن آدم" (٥).

عن محمد بن قيس : سئل أبو هريرة : هل سمعت رسول الله يقول : الطيرة في ثلاث :
في المسكن والفرس والمرأة ؟ قال : قلت : إذا أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم
يقل! ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أصدق الطيرة الفأل، والعين
حق" (٦).

عن عبيد بن رفاعة الزُرقي قال : قالت أسماء : يا رسول الله، إن بني جعفر تصيبهم
العين، أفأسترقى لهم ؟ قال : "نعم، فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين" (٧).

عن عائشة : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تسترقى من العين" (٨).
عن عائشة، قالت : "كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منه المعين" (٩).

عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "استعيذوا بالله فإن النفس
حق" (١٠).

عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف : أن أباه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج وساروا معه نحو مكة، حتى إذا كانوا بشعب الخرار - من الجحفة - اغتسل سهل بن
حنيف - وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد - فنظر إليه عامر بن ربيعة، أخو بني عدي بن
كعب، وهو يغتسل، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مُخْبَأة. فلُبط سهل، فأتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقيل له : يا رسول الله، هل لك في سهل. والله ما يرفع رأسه ولا يُفِيق. قال : "هل
تتهمون فيه من أحد ؟" قالوا : نظر إليه عامر بن ربيعة. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عامراً، فتغيط عليه، وقال : "علام يقتل أحدكم أخاه، هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت ؟". ثم قال
له : "اغتسل له" - فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وذأخلة إزاره في قُدح -
ثم صب ذلك الماء عليه. يصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفأ القُدح وراءه. ففعل
ذلك، فراح سهل مع الناس، ليس به بأس" (١١).

(١) سنن ابن ماجة برقم (٣٥١١) وسنن الترمذي برقم (٢٠٥٨) وسنن النسائي (٢٧١/٨).

(٢) المسند (٢٨/٣)، و(٥٦/٣)، (٥٦/٣) وصحيح مسلم برقم (٢١٨٦) وسنن الترمذي برقم (٩٧٥) وسنن
النسائي الكبرى برقم (١٠٨٤٣) وسنن ابن ماجة برقم (٣٥٢٣).

(٣) المسند (٧٥/٣).

(٤) المسند (٣١٨/٢)، وصحيح البخاري برقم (٥٧٤٠) وصحيح مسلم برقم (٢١٨٧).

(٥) المسند (٤٣٩/٢).

(٦) المسند (٢٨٩/٢).

(٧) المسند (٤٣٨/٦) وسنن الترمذي برقم (٢٠٥٩)، و(٢٠٥٩)، وسنن ابن ماجة برقم (٣٥١٠)، وسنن النسائي

الكبرى برقم (٧٥٣٧).

(٨) سنن ابن ماجة برقم (٣٥١٠)، وصحيح البخاري برقم (٥٧٣٨) وصحيح مسلم برقم (٢١٩٥).

(٩) سنن أبي داود برقم (٣٨٨٠).

(١٠) سنن ابن ماجة برقم (٣٥٠٨) وقال البوصيري في الزوائد (١٣٤/٣) ك "هذا إسناد فيه مقال".

(١١) المسند (٤٨٦/٣).

عن عبد الله بن عامر قال : انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل، قال : فانطلقا يلتمسان الخمر - قال : فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف، فنظرت إليه فأصيته بعيني فنزل الماء يغتسل. قال : فسمعت له في الماء فرقة، فأتيته فناديته ثلاثا فلم يجبني. فأتيته النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته. قال : فجاء يمشي فخاض الماء كأني أنظر إلى بياض ساقيه، قال : فضرب صدره بيده ثم قال : "اللهم اصرف عنه حرها وبردها ووصيها". قال : فقام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا رأى أحدكم من أخيه، أو من نفسه أو من ماله، ما يعجبه، فليبرك، فإن العين حق"^(١).

عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس"^(٢). قال البزار : "يعني العين".

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "العين حق، لثورد الرجل القبر، والجمل القدر، وإن أكثر هلاك أمتي في العين"^(٣).
عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا حسد، والعين حق"^(٤).

عن الحارث، عن علي ؛ أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقته مغتما، فقال : يا محمد، ما هذا الغم الذي أراه في وجهك ؟ قال : "الحسن والحسين أصابتها عين". قال : صدق بالعين، فإن العين حق، أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات ؟ قال : "وما هن يا جبريل ؟". قال : قل : اللهم ذا السلطان العظيم، ذا المن القديم، ذا الوجه الكريم، ولي الكلمات التامات، والدعوات المستجابات، عاف الحسن والحسين من أنفس الجن، وأعين الإنس. فقالت النبي صلى الله عليه وسلم فقاما يلعبان بين يديه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "عوذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ، فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله"^(٥).

القرآن

{ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٥٢) } [القلم : ٥٢]

التفسير:

وما القرآن إلا موعظة وتذكير للعالمين من الإنس والجن.

قال ابن عباس : "موعظة للمؤمنين"^(١).

قال الطبري: يقول: "وما محمد إلا ذكر ذكر الله به العالمين الثقيلين الجن والإنس"^(٢).

قال مقاتل: "يعني: ما القرآن إلا تذكرة للعالمين"^(٣).

قال السمعاني: "أي: شرف للعالمين، وهو كناية عن الرسول. والأظهر أن القرآن ذكر للعالمين. وقيل: الرسول مذكر للعالمين"^(٤).

(١) المسند (٤٨٦/٣).

(٢) مسند البزار برقم (٣٠٥٢) "كشف الأستار" وقال الهيثمي في المجمع (١٠٦/٥) : "رجاله رجال الصحيح، خلا طالب بن حبيب ابن عمرو، وهو ثقة".

(٣) رواه الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروي كما في "تفسير ابن كثير" : ٢٠٦/٨، ورواه ابن عدي في الكامل (١٨٥/٥) من طريق رحيم عن ابن أبي فديك عن علي بن أبي علي اللهبي، به. وقال [غير محفوظ] وعلي بن أبي علي هو أفنه، قال أحمد : يروي أحاديث مناكير عن جابر.

(٤) المسند (٢٢٢/٢).

(٥) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٠٣/٨) "المخطوط".

(٦) نقل عن: تفسير البيهقي: ٢٠٢/٨.

(٧) تفسير الطبري: ٥٦٥/٢٣.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١٢/٤.

(٩) تفسير السمعاني: ٣٢٦/٦.

قال السعدي: "أي: وما هذا القرآن الكريم، والذكر الحكيم، إلا ذكر للعالمين، يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم"^(١).
قال الزمخشري: " {وَمَا هُوَ إِلَّا نِكْرٌ} وموعظة {للعالمين}، فكيف يجنن من جاء بمثله"^(٢).

واختلف أهل العلم في معنى «العالم»، على أقوال:
أحدها: أن العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة، وهذا قول قتادة^(٣)، ومجاهد^(٤).
الثاني: أنه الإنس، والجن، وهذا قول سعيد بن جبير^(٥)، ومجاهد^(٦).
الثالث: أنهم المرتزقون، قاله زيد بن أسلم^(٧)، ونحوه قول أبي عمرو بن العلاء^(٨): هم الروحانيون.

الرابع: العالمون: أهل الجنة وأهل النار. حكاه الثعلبي عن جعفر الصادق^(٩).
الخامس: أن «العالمين»: ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر. رواه مغيث بن شمس عن تبيع^(١٠).

السادس: ما رواه الربيع بن أنس عن أبي العالية، قال: "الإنس عالم والجن عالم، وسوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة على الأرض والأرض أربع زوايا ففي كل زاوية منها أربعة آلاف وخمسمائة عالم، خلقهم الله لعبادته تبارك وتعالى"^(١١).

والظاهر أن {العالمين}: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله جل وعلا، و(العالم) جمع لا واحد له من لفظه، و(العوالم) أصناف المخلوقات في السموات والأرض في البر والبحر، فالإنس عالم، والجن عالم، والملائكة عالم^(١٢). والله أعلم.
فوائد الآيات: [٤٤-٥٢]:

- ١- رد الأمور إلى الله إذا استعصى حلها فانه كفيلا بذلك.
- ٢- لا يصح أخذ أجره على تبليغ الدعوة.
- ٣- وجوب الصبر على الدعوة مهما كانت الصعاب فلا تترك لأذى يصيب الداعي.
- ٤- بيان حال المشركين مع الرسول صلى الله عليه وسلم وما كانوا يضمرونه له من البغض والحسد وما يرمونه به من الاتهامات الباطلة كالمجنون والسحر والكذب.

«آخر تفسير سورة (القلم)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) تفسير السعدي: ٨٨١.

(٢) الكشف: ٥٩٧/٤.

(٣) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(٤) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٥٩)، و(١٦٠): ص ١٤٤/١-١٤٥.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٦١)، و(١٦٢): ص ١٤٥/١.

(٧) حكاه عنه القرطبي في تفسيره: ٢١٣/١.

(٨) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(٩) تفسير الثعلبي: ١١٢/١.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠٢٥٢): ص ١٩٣١/٦.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٠٣١): ص ٢٢٠٧/٧.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/١، معاني القرآن للزجاج: ٤٦/١.

بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة «الحاقة»

«سورة القلم» هي السورة التاسعة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي إحدى سور المُفصل، وقد نزلت بعد «سورة الملك»، وآياتها إحدى وخمسون في عد البصرة والشام، واثنان في عد الباقين. وكلماتها مائتان وخمس وخمسون. وحروفها ألف وأربعمائة وثمانون. والمختلف فيها آيتان: {الحاقة} الأولى {بِسْمِ اللَّهِ} [الحاقة : ٢٥]. مجموع فواصل آياتها: «نم له»، على اللام منها آية واحدة: {بَعْضَ الْأَقْوِيلِ} [الحاقة : ٤٤] (١).

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الحاقة»:

الحاقة من أسماء الساعة والقيامة، سميت «الحاقة»، لأنها تحقق كل إنسان بعمله من خير وشر، وقيل سميت حاقة لأنه فيها حواق الأمور والثواب (٢).

وعرفت هذه السورة باسم «سورة الحاقة»، وعنون بها في المصاحف وكتب السنة والتفسير، وقد وقعت تسميتها في عهد النبي-صلى الله عليه وسلم-، فيما أخرجه الإمام أحمد أن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-، قال: "خرجت أتعرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقامت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ} قال: قلت: كاهن، قال: {وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ}، تنزيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} إلى آخر السورة، قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع" (٣).

ووجه تسميتها «سورة الحاقة»، لافتتاحها بها وتكرارها فيها، قال تعالى: {الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣)} [الحاقة : ١ - ٣]، إذ وقعت هذه الكلمة في أولها ولم تقع في غيرها من سور القرآن.

■ ثانياً:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول: «السلسلة»:

وردت هذه التسمية عند الفيروزآبادي، معللاً تسميتها بذلك لوقوع الكلمة: «سلسلة» في قوله تعالى: {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة : ٣٢] (٤)، ولم يرد عن هذا الاسم أثر صحيح.

■ الاسم الثاني: «سورة الواعية»:

ذكر ابن عاشور أن الجعبري سماها في منظومته في ترتيب نزول السور «الواعية»، قال ابن عاشور: "ولعله أخذه من وقوع قوله: {وَتَعِيهَا أَدْنُ وَعَاقِبَةُ} [الحاقة : ١٢]، ولم أر له سلفاً في هذه التسمية" (٥).

وهذان الاسمان «السلسلة، والواعية» من اجتهاد بعض العلماء استنبطوها من ألفاظ وقعت في السورة، ولم تثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٨/١.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٧٩/٣، ومعاني القرآن للزجاج: ٢١٣/٥.

(٣) المسند (١٠٧): ص ٢١١-٢١٢. قال المحقق السيد أحمد شاکر: "إسناده ضعيف لانقطاعه وستأتي لشريح رواية مرسلة عن علي أيضا بهذا الإسناد ٨٩٦، شريح بن عبيد الحمصي: تابعي متأخر، لم يدرك عمر. في ح "ابن عبيدة" وهو خطأ".

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٨/١.

(٥) التحرير والتنوير: ١١٠/٢٩.

■ مكية السورة ومدنيتها:

- عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الحاقة بمكة"^(١)، وروي عن ابن الزبير مثله^(٢).
قال ابن عطية: "هي مكية بالإجماع"^(٣).
قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"^(٤).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

- ١- إنه وقع في سورة «ن» ذكر يوم القيامة مجملاً، وهنا فصل نبأه وذكر شأنه العظيم.
٢- إنه ذكر فيما قبلها من كذب بالقرآن وما توعد به، وهنا ذكر أحوال أمم كذبوا الرسل وما جرى عليهم، ليزجر المكذبون المعاصرون له عليه الصلاة والسلام^(٥).

■ أغراض السورة ومقاصدها

من مقاصد السورة الكريمة:

١- الإخبار عن أهوال يوم القيامة العظيمة التي ستحلُّ بالسموات والأرض في ذلك اليوم المشهود، وتحدثت عن أحوال الكفار الذين لم يؤمنوا بالرسالات التي أنزلها الله تعالى على رسله وأنبيائه وتبين العذاب والعقاب الذي سيحيق بهم، قال -سبحانه وتعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥)} [الحاقة : ١٣ - ١٥]، كما تشير إلى التغيرات التي ستضرب الكون بأكمله وتغير من معالمه.

٢- بيان أحوال الكافرين والمؤمنين يوم القيامة عند الحساب، فتصور المؤمنين في نعيم دائم وسعادة بالغة لا حصر لها، والكافرين في شقاء وعذاب مخيف لا يخفف عنهم ولا هم عنه يُصرفون، فقال تعالى واصفاً أحوال المؤمنين: {فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١)} [الحاقة : ١٩ - ٢١]، وفي وصف أحوال الكافرين يقول تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)} [الحاقة : ٣٠ - ٣٢].

١- التأكيد على صدق دعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصدق الرسالة التي يحملها إلى البشر، وتوجه رداً قاسياً إلى الكافرين الذين يدعون أن القرآن كلام شعر أو كهانة، وتثبت الآيات الكريمة في سورة الحاقة كذبهم وبطالان اتهاماتهم، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكْذِبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)} [الحاقة : ٤٨ - ٥٢]، وتعظم من شأن ومكانة القرآن الكريم في النهاية.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: الخبر عن صعوبة القيامة، والإشارة بإهلاك القرون الماضية، وذكر نفخة الصور، وانشقاق السماوات، وحال السعداء والأشقياء وقت قراءة الكتب، وذل الكفار مهوورين في أيدي الزبانية، ووصف الكفار القرآن بأنه كهانة وشعر، وبيان أن القرآن تذكرة للمؤمن، وحسرة للكافر، والأمر بتسبيح الركوع في قوله: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الحاقة : ٥٢]"^(٦).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة، خالية عن الناسخ والمنسوخ^(٧).

(١) الدر المنثور: ٢٦٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٢٦٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) المحرر الوجيز: ٣٥٦/٥.

(٤) زاد المسير: ٣٢٨/٤.

(٥) انظر: تفسير المراعي: ٤٩/٢٩.

(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٨/١.

(٧) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٨/١.

■ فضائل السورة:

- عن أبي برزة: " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الفجر بالحاقة ونحوها"^(١).
 - عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حساباً يسيراً»^(٢). [ضعيف]
 - عن فضالة بن شريك عن أبي الزاهرية، قال: سمعته يقول: "من قرأ إحدى عشرة آية من سورة الحاقة أجزى من فتنة الدجال، ومن قرأها كان له نورا من فوق رأسه إلى قدمه"^(٣). [ضعيف]
- هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) الدر المنثور: ٢٦٣/٨، وعزاه إلى الطبراني.
(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٥/١٠.
(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٥/١٠.

القرآن

{الْحَاقَّةُ} (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أُدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) {الحاقّة : ١ - ٣}

التفسير:

القيامة الواقعة حقًا التي يتحقق فيها الوعد والوعيد، ما القيامة الواقعة حقًا في صفتها وحالتها؟ وأي شيء أدراك -أيها الرسول- وعَرَكَ حقيقة القيامة، وصَوَّرَ لك هولها وشدتها؟ قوله تعالى: {الْحَاقَّةُ} [الحاقّة : ١]، أي: "القيامة الواقعة حقًا التي يتحقق فيها الوعد والوعيد"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: الساعة {الْحَاقَّةُ} التي تحقّ فيها الأمور، ويجب فيها الجزاء على الأعمال"^(٢).

قال الفراء: {الْحَاقَّةُ}: القيامة، سميت بذلك لأن فيها الثواب والجزاء، والعرب تقول: لما عرفت الحقّة مني هربت، والحاقة. وهما في معنى واحد"^(٣).

قال ابن قتيبة: {الْحَاقَّةُ} القيامة؛ لأنها حَقَّتْ، فهي حاقة وحَقَّةٌ"^(٤).
قال الزجاج: {الْحَاقَّةُ}: السّاعَةُ والقيامة، وسميت «الْحَاقَّةُ»، لأنها تحق كل شيء يعمله إنسان من خير أو شر"^(٥).

قال مقاتل: "يعني: الساعة التي فيها حقائق الأعمال، يقول: يحق للمؤمنين عملهم، ويحق للكافرين عملهم"^(٦).

عن ابن عباس، في قوله: {الْحَاقَّةُ}، قال: من أسماء يوم القيامة، عظمه الله، وحدّره عباده"^(٧).

عن عكرمة، والضحاك، قوله: {الْحَاقَّةُ}، يعني: القيامة"^(٨).

قال قتادة: "يعني: الساعة أحقت لكل عامل عمله"^(٩).

قال قتادة: "أحقت لكل قوم أعمالهم"^(١٠).

قال ابن جريج: {الْحَاقَّةُ}، قال: حَقَّتْ لكل عامل عمله؛ للمؤمن إيمانه، وللمنافق نفاقه"^(١١).

عن ابن زيد، قوله: {الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ} و{القارعة ما القارعة}، و{الواقعة}، و{الطامة}، و{الصّاحّة}، قال: هذا كله يوم القيامة الساعة، وقرأ قول الله: {لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَازِبَةٌ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ}، والخافضة من هؤلاء أيضا خفّضت أهل النار، ولا نعلم أحدا أخفض من أهل النار، ولا أدل ولا أخزى؛ ورفعت أهل الجنة، ولا نعلم أحدا أشرف من أهل الجنة ولا أكرم"^(١٢).

قوله تعالى: {مَا الْحَاقَّةُ} [الحاقّة : ٢]، أي: "ما القيامة الواقعة حقًا في صفتها وحالتها؟"^(١٣).

قال الطبري: "يقول: أيّ الساعة الحاقّة"^(١).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٢) تفسير الطبري: ٥٦٦/٢٣.

(٣) معاني القرآن: ١٧٩/٣.

(٤) غريب القرآن: ٤٨٣.

(٥) معاني القرآن: ٢١٣/٥.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢١/٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٧٠-٥٦٦/٢٣. هكذا الترقيم بالمطبوع!

(٩) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢٣.

(١١) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٣.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٦٦.

قال مقاتل: " ثم قال للنبي- صلى الله عليه وسلم-: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ} تعظيما لها لشدتها"^(٢).

قال الزجاج: " المعنى: تفخيم شأنها، واللفظ لفظ استفهام كما تقول: زيد ما هو، على تأويل التعظيم لشأنه في مَدْحٍ كان أو دَم"^(٣).

قال النحاس: " مبتدأ وخبره وهما خبر عن الحاققة، وفيه معنى التعظيم. والتقدير: الحاققة ما هي؟ إلا أن إعادة الاسم أفخم"^(٤).

قوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ} [الحاققة : ٣]، أي: " وأي شيء أدراك -أيها الرسول- وعرفك حقيقة القيامة، وصور لك هولها وشدتها؟"^(٥).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأي شيء أدراك وعرفك أي شيء الحاققة"^(٦).

قال الزجاج: " معناه: أي شيء أعلمك ما الحاققة"^(٧).

عن قتادة، قوله: " {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ} تعظيما ليوم القيامة كما تسمعون"^(٨).

عن سفيان قال: " ما في القرآن: وما يدريك فلم يخبره، وما كان وما أدراك، فقد أخبره"^(٩).

القرآن

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤)} [الحاققة : ٤]

التفسير:

كذبت ثمود، وهم قوم صالح، وعاد، وهم قوم هود بالقيامة التي تفرع القلوب بأهوالها.

قال الطبري: يقول: " كذبت ثمود قوم صالح، وعاد قوم هود بالساعة، التي تفرع قلوب العباد فيها بهجومها عليهم. والقارعة أيضا: اسم من أسماء القيامة"^(١٠).

عن قتادة، قوله: " {كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ}، أي: بالساعة"^(١١).

قال ابن عباس: " القارعة: يوم القيامة"^(١٢).

قال ابن جريج: " {بالقارعة}: يوم القيامة"^(١٣).

قال محمد بن سائب الكلبي: " القارعة: اسم من أسماء القيامة"^(١٤).

قال مقاتل: " وإنما سميت «القارعة»، لأن الله- عز وجل- يفرع أعداءه بالعذاب"^(١٥).

قال المبرد: " سميت القيامة «قارعة»؛ لأنها تفرع القلوب، وتهجم عليها بالشدّة والكرب"^(١٦).

(١) تفسير الطبري: ٥٦٦/٢٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢١/٤.

(٣) معاني القرآن: ٢١٣/٥.

(٤) إعراب القرآن: ١٤/٥.

(٥) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٦) تفسير الطبري: ٥٧٠/٢٣.

(٧) معاني القرآن: ٢١٣/٥.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٧٠/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٣.

(١٣) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٤) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٢٦ -.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢١/٤.

(١٦) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٤/٦.

قال تاج القراء: "معنى القارعة: تفرع القلوب، وقيل: تكسر كل شيء"^(١).
قال الزمخشري: "بالقارعة" التي تفرع الناس بالأفراع والأهوال، والسماء بالانشقاق والانفطار، والأرض والجبال بالدك والنسف، والنجوم بالطمس والانكدار. ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع. في الحاقّة: زيادة في وصف شدتها، ولما ذكرها فخصها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب، تذكيراً لأهل مكة وتخويفاً لهم من عاقبة تكذيبهم"^(٢).

القرآن

{فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَزُ نَخْلٌ خَاوِيَةٌ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨)} [الحاقّة : ٥-٨]

التفسير:

فأما ثمود فأهلكوا بالصيحة العظيمة التي جاوزت الحد في شدتها، وأما عاد فأهلكوا بريح باردة شديدة الهبوب، سلطها الله عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعة، لا تقتر ولا تنقطع، فتري القوم في تلك الليالي والأيام موتى كأنهم أصول نخل خربة متآكلة الأجواف. فهل ترى لهؤلاء القوم من نفس باقية دون هلاك؟

قوله تعالى: {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ} [الحاقّة : ٥]، أي: "فأما ثمود فأهلكوا بالصيحة العظيمة التي جاوزت الحد في شدتها"^(٣).

قال الطبري: يقول: " {فَأَمَّا ثَمُودُ} قوم صالح، فأهلكهم الله بالطاغية"^(٤).
واختلف أهل التفسير في معنى: «الطاغية» التي أهلك الله بها ثمود، على أقوال: أحدها: أنها طغيانهم وكفرهم بالله. قاله مجاهد^(٥)، وابن زيد^(٦).

قال مقاتل: "الطغيان: حملهم على تكذيب صالح النبي- صلى الله عليه"^(٧).
عن مجاهد، قوله: "فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ"، قال: بالذنوب"^(٨).
قال ابن زيد: "هذه الطاغية طغيانهم وكفرهم بآيات الله. الطاغية طغيانهم الذي طغوا في معاصي الله وخلاف كتاب الله"^(٩).

الثاني: أنها الصيحة التي قد جاوزت مقادير الصياح وطغت عليها. قاله قتادة^(١٠).
قال قتادة: "بعث الله عليهم صيحة فأهدمتهم"^(١١). وفي رواية: "أرسل الله عليهم صيحة واحدة فأهدمتهم"^(١٢).

الثالث: بالصاعقة، قاله الكلبي^(١٣).

قال الطبري: "الصواب قول من قال: معنى ذلك: فأهلكوا بالصيحة الطاغية، لأن الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنى الذي أهلكها به، كما أخبر عن عاد بالذي أهلكها به، فقال: {وَأَمَّا عَادٌ

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١٢٤٤/٢.

(٢) الكشاف: ٥٩٨/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٤) تفسير الطبري: ٢٣/.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٧١/٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٧١/٢٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢١/٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٧١/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٧١/٢٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٧١/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٧١/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٧١/٢٣.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٧٦/٦.

فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذي أهلكها من أجله، كان الخبر أيضا عن عاد كذلك، إذ كان ذلك في سياق واحد، وفي إتباعه ذلك بخبره عن عاد بأن هلاكها كان بالريح الدليل الواضح على أن إخباره عن ثمود إنما هو ما بينت^(١).

قوله تعالى: {وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} [الحاقة : ٦]، أي: "وأما عاد فأهلكوا بريح باردة شديدة الهبوب"^(٢).

قال الطبري: يقول: "وأما عاد قوم هود فأهلكهم الله بريح صرصر، وهي الشديدة العصف، مع شدة بردها، {عَاتِيَةٍ} يقول: عنت على خزائنها في الهبوب، فتجاوزت في الشدة والعصف مقدارها المعروف في الهبوب والبرد"^(٣).

قال ابن عباس: "يقول: بريح مهلكة باردة، عنت عليهم بغير رحمة ولا بركة، دائمة لا تقتر"^(٤).

قال ابن عباس: "ما أرسل الله من ريح قط إلا بمكيال، ولا أنزل قطرة قط إلا بمثقال، إلا يوم نوح ويوم عاد، فإن الماء يوم نوح طغى على خزائنه، فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ}، وإن الريح عنت على خزائنها فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ: {بَرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ}"^(٥).

عن علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-، قال: "لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك؛ فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان، فطغى الماء على الجبال فخرج، فذلك قول الله: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ}، ولم ينزل من الريح شيء إلا بكيل على يدي ملك إلا يوم عاد، فإنه أذن لها دون الخزان، فخرجت، وذلك قول الله: {بَرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ}: عنت على الخزان"^(٦).

عن الضحاك، قوله: "{بَرِيحِ صَرْصَرٍ}"، يعني: باردة عاتية، عنت عليهم بلا رحمة ولا بركة"^(٧).

عن مجاهد، قوله: "{صَرْصَرٍ}"، قال: شديدة"^(٨).

قال قتادة: "الصرصر: الباردة عنت عليهم حتى نقت عن أفئدتهم"^(٩).

قال ابن زيد: "الصرصر: الشديدة، والعاتية: القاهرة التي عنت عليهم فقهرتهم"^(١٠).

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما فتح الله على عاد من الريح التي أهلكوا فيها إلا مثل موضع الخاتم، فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض. فلما رأى ذلك أهل الحاضرة الريح وما فيها، قالوا: هذا عارض ممطرنا، فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة"^(١١).

قوله تعالى: {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا} [الحاقة : ٧]، أي: "سلطها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتالية، لا تقتر ولا تنقطع"^(١٢).

قال الطبري: يقول: "سخر تلك الرياح على عاد سبع ليال وثمانية أيام حسوما؛ فقال بعضهم: عني بذلك تباعا"^(١).

(١) تفسير الطبري: ٥٧١/٢٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٣) تفسير الطبري: ٥٧٢/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٧٣-٥٧٢/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢٣.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٦٠): ص ٣٣٦٩/١٠.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٦٦.

قال الثعلبي: "سَخَّرَهَا": أرسلها وسلطها عليهم، و«التسخير»: استعمال الشيء بالاعتقاد"^(٢).

عن الربيع بن أنس في قوله: "سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَانِيَةَ أَيَّامٍ"، قال: كان أولها الجمعة"^(٣).

قال ابن زنين: "وكان ذلك من يوم الأربعاء إلى الأربعاء الآخر، والليالي سبع من ليلة الخميس إلى ليلة الأربعاء"^(٤).

عن زر بن حبيش: "فِي يَوْمٍ نَحَسٍ مُسْتَمِرٍّ"، قال: يوم الأربعاء"^(٥).
قال وهب: "هي الأيام التي سماها العرب: «أيام العجوز»، ذات برد ورياح شديدة، وإنما نسبت هذه الأيام إلى «العجوز»، لأن عجوزا دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلها اليوم الثامن من نزول العذاب، وانقطع العذاب في اليوم الثامن"^(٦).

قال ابن جريج: "كانوا سبع ليالٍ وثمانية أيام أحياء في عذاب الله من الريح فلما أمسوا اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فألقتهم في البحر، فذلك قوله: {فهل ترى لهم من باقية}"^(٧).

قال الثعلبي: "وقيل: سميت أيام العجوز لأنها في عجز الشتاء ولها أسامي مشهورة... أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب الشاعر في وصف أيام العجوز:

كسع^(٨) الشتاء بسبعة غير ... أيام شهلتننا^(٩) من الشهر

فيأمر وأخيه مؤتمر ... ومعلل وبمطفئ الجمر^(١٠)

ذهب الشتاء موليا عجلا ... وأنتك واقدة من النجر^(١١)

واسم اليوم الثامن: مكفي الظعن"^(١٢).

وفي تفسير قوله تعالى: {حُسُومًا} [الحاقة: ٧]، أقوال:

أحدها: متتابعات، قاله ابن عباس^(١٣)، وابن مسعود^(١٤)، ومجاهد^(١٥)، وقتادة^(١٦)، وعكرمة^(١٧)، وسفيان^(١٨)، والفراء^(١٩)، ومنه قول أمية بن أبي الصلت^(٢٠):

وكم كنا بها من فرط عام ... وهذا الدهر مقبل حسوم

(١) تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٣.

(٢) الكشف والبيان: ٢٦/١٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٥٩): ص ٣٣٦٩/١٠.

(٤) تفسير ابن أبي زنين: ٣١٩/٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٧٠٨): ص ٣٣٢٠/١٠.

(٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٦/١٠.

(٧) الدر المنثور: ٢٦٦/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٨) الكسع: شدة المر.

(٩) الشهلة: العجوز.

(١٠) الصحاح: ٨٨٤/٣.

(١١) النجر: الحر.

(١٢) الكشف والبيان: ٢٧/١٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٣، ٥٧٤.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٣، ٥٧٤.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٣، ٥٧٤.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٣.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٣، ٥٧٤.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٤/٢٣.

(١٩) انظر: معاني القرآن: ٨٠!/٣.

(٢٠) ديوان أمية بن أبي الصلت) صفحة ٥٥. الفرط: مجاوزة الحد. يقال: إياك والفرط في الأمر أي: مجاوزة الحد.

ويقال: من فرط شغفه به أو كرهه له.

قال الفراء: "الحسوم: التباع إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره، قيل فيه: حسوم، وإنما أخذ- والله أعلم- من حسم الداء إذا كوى صاحبه لأنه يكوى بمكواة، ثم يتابع ذلك عليه"^(١).
عن ابن مسعود، وابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، قوله: "وَتَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا"، يقول: تباعا"^(٢).

عن ابن مسعود، ومجاهد، وعكرمة، قوله: "وَتَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا"، قال: متتابعة"^(٣).
عن سفيان: {أَيَّامٍ حُسُومًا}، قال: متتابعة، و{أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ}، قال: مشائيم"^(٤).
قال قتادة: "متتابعة ليس لها فترة"^(٥). وفي رواية: "متتابعة ليس فيها تفتير"^(٦).
عن قتادة: {حُسُومًا}، قال: دائمات"^(٧).
قال الزجاج: "معنى {حُسُومًا}: دائمة، وقالوا: مُتَابِعَةٌ، فأما ما توجه اللغة فعلى معنى: تَحْسِيمُهُمْ حُسُومًا. أي: تُدْهِبُهُمْ وَتُفْنِيهِمْ"^(٨).
الثاني: مشائيم، قاله عكرمة^(٩)، والربيع^(١٠)، وعطية^(١١).
قال عطية: "شؤما كأنها حسمت الخير عن أهلها"^(١٢).
الثالث: أنها حسمت الليالي والأيام حتى استوفتها، لأنها بدأت طلوع الشمس من أول يوم، وانقطعت مع غروب الشمس من آخر يوم، قاله الضحاك^(١٣).
الرابع: لأنها حسمتهم ولم تبق منهم أحداً، قاله ابن زيد^(١٤)، وفي ذلك يقول الشاعر^(١٥):
فَأرْسَلْتِ رِيحًا دُبُورًا عَقِيمًا ... فَدَارَتْ عَلَيْهِمْ فَكَانَتْ حَسُومًا
وقال الخليل: "قطعاً لدابرهم"^(١٦).
قال الثعلبي: "الحسم: القطع والمنع، ومنه: حسم الداء وحسم الدفاع، قال يمان والنظر بن شميل: حسمهم: فقطعهم وأهلكهم"^(١٧).

قال ابن زيد: "حسمتهم لم تبق منهم أحداً، قال: ذلك الحسوم مثل الذي يقول: احسم هذا الأمر؛ قال: وكان فيهم ثمانية لهم خلق يذهب بهم في كل مذهب؛ قال، قال موسي بن عقبة: فلما جاءهم العذاب قالوا: قوموا بنا نردّ هذا العذاب عن قومنا؛ قال: فقاموا وصفوا في الوادي، فأوحى الله إلى ملك الريح أن يقلع منهم كل يوم واحداً، وقرأ قول الله: {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا} حتى بلغ: {نَخَّلٍ خَاوِيَةٍ}، قال: فإن كانت الريح لتمرّ بالطعينة فتستدبرها وحمولتها، ثم تذهب بهم في السماء، ثم تكبهم على الرءوس، وقرأ قول الله: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا}، قال: وكان أمسك عنهم المطر، فقرأ حتى بلغ: {تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا}، قال: وما كانت الريح تقلع من أولئك الثمانية كلّ يوم إلا واحداً؛

-
- (١) معاني القرآن: ٨٠/٣.
 - (٢) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٣، ٥٧٤.
 - (٣) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٣، ٥٧٤.
 - (٤) أخرجه الطبري: ٥٧٤/٢٣.
 - (٥) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٣.
 - (٦) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٣.
 - (٧) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٣-٥٧٤.
 - (٨) معاني القرآن: ٢١٤/٥.
 - (٩) انظر: النكت والعيون: ٧٧/٦.
 - (١٠) انظر: النكت والعيون: ٧٧/٦.
 - (١١) انظر: الكشف والبيان: ٢٧/١٠.
 - (١٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٧/١٠.
 - (١٣) انظر: النكت والعيون: ٧٧/٦.
 - (١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٤/٢٣.
 - (١٥) الشعر بلا نسبة في "النكت والعيون": ٧٨/٦، والدر المصون: ٤٢٥/١٠، واللباب: ٣١٧/١٩.
 - (١٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٧/١٠.
 - (١٧) الكشف والبيان: ٢٧/١٠.

قال: فلما عذب الله قوم عاد، أبقي الله واحداً يندر الناس، قال: فكانت امرأة قد رأت قومها، فقالوا لها: أنت أيضاً، قالت: تنحيت على الجبل؛ قال: وقد قيل لها بعد: أنت قد سلمت وقد رأيت، فكيف لا رأيت عذاب الله؟ قالت: ما أدري غير أن أسلم ليلة: ليلة لا ريح" (١).

قال الطبري: "الصواب قول من قال: عني بقوله: {حُسُوماً}: متتابعة، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك" (٢).

قال النحاس: " {حُسُوماً}، أصح ما قيل فيه: متتابعة، لصحته عن ابن مسعود وابن عباس" (٣).

قوله تعالى: {فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى} [الحاقة : ٧]، أي: "فترى القوم في تلك الليالي والأيام موتى" (٤).

قال الطبري: "يقول: فتري يا محمد قوم عاد في تلك السبع الليالي والثمانية الأيام الحسوم صرعى، قد هلكوا" (٥).

قوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} [الحاقة : ٧]، أي: "كأنهم أصول نخل خربة متأكلة الأجواف" (٦).

قال الطبري: "يقول: كأنهم أصول نخل قد خوت" (٧).

عن قتادة: " {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ}، وهي أصول النخل" (٨).

قال السعدي: "فما أهون الخلق على الله إذا عصوا أمره!" (٩).

عن الحسن، قال: "لما أقبلت الريح قام إليها قوم عاد، فأخذ بعضهم بأيدي بعض كما تفعل الأعاجم، وغمزوا أقدامهم في الأرض وقالوا: يا هود من يزيل أقدامنا عن الأرض إن كنت صادقاً، فأرسل الله عليهم الريح فصيرتهم كأنهم أعجاز نخل منقعر" (١٠).

قوله تعالى: {فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ} [الحاقة : ٨]، أي: "فهل ترى لهؤلاء القوم من نفس باقية دون هلاك؟" (١١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فهل ترى يا محمد

لعاد قوم هود من بقاء. وقيل: عني بذلك: فهل ترى منهم باقياً" (١٢).

قال ابن جريج: "... فلما أمسوا اليوم الثامن ماتوا، فاحتملهم الريح، فألقثهم في البحر، فذلك قوله: {فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ}" (١٣).

عن محمد بن قرظة بن كعب، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:

«انتزعت الريح الناس من قبورهم» (١٤).

القرآن

(١) أخرجه الطبري: ٥٧٤/٢٣.

(٢) تفسير الطبري: ٥٧٤/٢٣.

(٣) إعراب القرآن: ١٥/٥.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٥) تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٧) تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢٣.

(٩) تفسير السعدي: ٨٢٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٨٨/٢٢.

(١١) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٣.

(١٣) الدر المنثور: ٢٦٦/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٦٦/٩.

{وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (١٠)} [الحاقة : ٩-١٠]

التفسير:

وجاء الطاغية فرعون، ومن سبقه من الأمم التي كفرت برسلها، وأهل قرى قوم لوط الذين انقلبت بهم ديارهم بسبب الفعلة المنكرة من الكفر والشرك والفواحش، فعصت كل أمة منهم رسول ربهم الذي أرسله إليهم، فأخذهم الله أخذة بالغة في الشدة.

قوله تعالى: {وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ} [الحاقة : ٩]، أي: "وجاء الطاغية فرعون، ومن سبقه من الأمم التي كفرت برسلها"^(١).

عن ابن جريج: "«وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ»، قال: ومن معه"^(٢).

قال البيضاوي: "وجاء فرعون ومن تقدمه"^(٣).

قال النسفي: "ومن تقدمه من الأمم"^(٤).

قال الشوكاني: "أي: من الأمم الكافرة"^(٥).

قال السعدي: "أي: وكذلك غير هاتين الأمتين الطاغيتين عاد وثمود جاء غيرهم من الطغاة العتاة كفرعون مصر الذي أرسل الله إليه عبده ورسوله موسى ابن عمران -عليه الصلاة والسلام-، وأراه من الآيات البينات ما تيقنوا بها الحق ولكن جحدوا وكفروا ظلما وعلوا وجاء من قبله من المكذبين"^(٦).

قرأ أبو عمرو والكسائي: «ومن قبله»، بكسر القاف وفتح الباء، أي: ومن معه وتبعه من جنوده. واختاره أبو عبيد وأبو حاتم اعتبارا بقراءة عبد الله وأبي: «ومن معه». وقرأ أبو موسى الأشعري: «ومن تلقاه». الباقون: «قبله»، بفتح القاف وسكون الباء، أي: ومن تقدمه من القرون الخالية والأمم الماضية"^(٧).

قوله تعالى: {وَالْمُؤْتَفِكَاتُ} [الحاقة : ٩]، أي: "وأهل قرى قوم لوط الذين انقلبت بهم ديارهم"^(٨).

قال الطبري: "يقول: والقرى التي أنفكت بأهلها فصار عاليها سافلها"^(٩).

عن ابن عباس، قوله: {وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ}، يعني: المكذبين"^(١٠).

عن قتادة، قوله: "{وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ}، قرية لوط"^(١١).

قال قتادة: "هم قوم لوط، انتفكت بهم أرضهم"^(١٢).

قال ابن زيد: "المؤتفكات: قوم لوط، ومدينتهم وزرعهم، وفي قوله: {وَالْمُؤْتَفِكَةُ أَهْوَى}، قال: أهواها من السماء: رمى بها من السماء؛ أوحى الله إلى جبريل عليه السلام، فاقتلعها من الأرض، ربضها ومدينتها، ثم هوى بها إلى السماء؛ ثم قلبهم إلى الأرض، ثم أتبعهم الصخر حجارة، وقرأ قول الله: {حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةٍ} قال: المسومة: المعدة للعذاب"^(١٣).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣) تفسير البيضاوي: ٢٤٠/٥.

(٤) تفسير النسفي: ٥٢٩/٣.

(٥) فتح القدير: ٣٣٥/٥.

(٦) تفسير السعدي: ٨٨٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٣، وتفسير القرطبي: ٢٦١/١٨-٢٦٢.

(٨) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٩) تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٣-٥٧٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٣.

قوله تعالى: {بِالْخَاطِئَةِ} [الحاقة : ٩]، أي: "بالفعل الخائطة المنكرة، وهي الكفر والعصيان"^(١).

قال الطبري: "يعني: بالخطيئة. وكانت خطيئتها: إتيانها الذكران في أدبارهم"^(٢).

عن مجاهد: "بِالْخَاطِئَةِ"، قال: الخطايا"^(٣).

قوله تعالى: {فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ} [الحاقة : ١٠]، أي: "ف عصت كل أمة منهم رسول ربهم الذي أرسله إليهم"^(٤).

قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: فعصى هؤلاء الذين ذكرهم الله، وهم فرعون ومن قبله والمؤتفكات رسول ربهم"^(٥).

قوله تعالى: {فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً} [الحاقة : ١٠]، أي: "فأخذهم الله أخذة بالغة في الشدة"^(٦).

قال الطبري: "يقول: فأخذهم ربهم بتكذيبهم رسله أخذة، يعني: أخذة زائدة شديدة نامية، من قولهم: أربيت: إذا أخذ أكثر مما أعطى من الربا؛ يقال: أربيت فربا رباك، والفضة والذهب قد ربوا"^(٧).

قال الفراء: "أخذة زائدة، كما تقول: أربيت إذا أخذ أكثر مما أعطاه من الذهب والفضة، فتقول: قد أربيت فربا رباك"^(٨).

قال أبو عبيدة: "نامية زائدة شديدة من الرباء"^(٩).

قال ابن قتيبة: "عالية مذكورة"^(١٠).

قال الزجاج: "معنى {رَابِيَةً}: تَزِيدُ عَلَى الْأَحْدَاثِ"^(١١).

قال مقاتل: "يعني: شديدة ربت عليهم في الشدة، أشد من معاصيهم التي عملوها"^(١٢).

عن مجاهد: "أَخَذَةً رَابِيَةً"، قال: شديدة"^(١٣).

قال ابن عباس: "يعني أخذة شديدة"^(١٤).

قال ابن زيد: "كما يكون في الخير رابية، كذلك يكون في الشر رابية، قال: ربا عليهم: زاد عليهم، وقرأ قول الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ}، وقرأ قول الله عز وجل: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}، يقول: ربا لهؤلاء الخير ولهؤلاء الشر"^(١٥).

القرآن

{إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُنثًى وَاعِيَةَ (١٢)}
[الحاقة : ١١-١٢]

(١) صفوة التفسير: ٤١٢/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٥٧٦/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٥) تفسير الطبري: ٥٧٦/٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٧) تفسير الطبري: ٥٧٦/٢٣.

(٨) معاني القرآن: ١٨١/٣.

(٩) مجاز القرآن: ٢٦٧/٢.

(١٠) غريب القرآن: ٤٨٤.

(١١) معاني القرآن: ٢١٥/٥.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٢/٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢٣.

(١٥) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢٣.

التفسير:

إنَّما لما جاوز الماء حدَّه، حتى علا وارتفع فوق كل شيء، حملنا أصولكم مع نوح في السفينة التي تجري في الماء؛ لنجعل الواقعة التي كان فيها نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين عبرة وعظة، وتحفظها كل أذن من شأنها أن تحفظ، وتعقل عن الله ما سمعت.

قوله تعالى: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ} [الحاقة : ١١]، أي: "إنَّما لما جاوز الماء حدَّه، حتى علا وارتفع فوق كل شيء"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إننا لما كثر الماء فتجاوز حدَّه المعروف كان له، -وذلك زمن الطوفان-"^(٢).

قال الزجاج: "معنى {طَغَى الْمَاءُ}: طما وارتفع"^(٣).

قال مقاتل: "وارتفع فوق كل شيء أربعين ذراعا"^(٤).

قال قتادة: "بلغنا أنه طغى فوق كل شيء خمس عشرة ذراعا"^(٥).

قال قتادة: "ذاكم زمن نوح، طغى الماء على كل شيء خمس عشرة ذراعا بقدر كل شيء"^(٦).

قال سعيد بن جبير: "لم تنزل من السماء قطرة إلا بعلم الخزان، إلا حيث طغى الماء، فإنه قد غضب لغضب الله، فطغى على الخزان، فخرج ما لا يعلمون ما هو"^(٧).

عن مجاهد، قوله: " {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ} -قال محمد بن عمرو في حديثه-: طما، -وقال الحارث-: ظهر"^(٨).

قال الضحاك: "كثر وارتفع"^(٩).

قال ابن عباس: "إنما يقول: لما كثر"^(١٠).

قال ابن عباس: "يعني: كثر الماء ليالي غرق الله قوم نوح"^(١١).

قوله تعالى: {حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} [الحاقة : ١١]، أي: "حملنا أصولكم مع نوح في السفينة التي تجري في الماء"^(١٢).

قال الطبري: يقول: "حملناكم في السفينة التي تجري في الماء.. وقيل: حملناكم، فخاطب الذين نزل فيهم القرآن، وإنما حمل أجدادهم نوحا وولده، لأن الذين خوطبوا بذلك ولد الذين حملوا في الجارية، فكان حمل الذين حملوا فيها من الأجداد حملا لذريتهم"^(١٣).

قال مقاتل: "يقول: حملنا الأباء وأنتم في أصلابهم في السفينة"^(١٤).

قال الزجاج: "معنى {الْجَارِيَةِ}، أي: سفينة نوح -عليه السلام-"^(١٥).

قال ابن عباس: "الجارية: السفينة"^(١٦). وروي عن السدي مثله^(١).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٢) تفسير الطبري: ٥٧٧/٢٣.

(٣) معاني القرآن: ٢١٥/٥.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٢/٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢٣.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(١٣) تفسير الطبري: ٥٧٨ / ٢٣.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٢/٤.

(١٥) معاني القرآن: ٢١٥/٥.

(١٦) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢٣.

قال ابن زيد: "والجارية: سفينة نوح التي حملتم فيها"^(٢).
 قوله تعالى: {لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً} [الحاقة: ١٢]، أي: "لنجعل الواقعة التي كان فيها نجاة
 المؤمنين وإغراق الكافرين عبرة وعظة"^(٣).
 قال الطبري: "يقول: لنجعل السفينة الجارية التي حملناكم فيها لكم تذكرة، يعني عبرة
 وموعظة تتعظون بها"^(٤).
 قال الفراء: "لنجعل السفينة لكم تذكرة: عظة"^(٥).
 قال الزجاج: "معناه: لنجعل هذه الفعلة لكم تذكرة، أي: إغراق قوم نوح ونجاته
 والمؤمنين معه"^(٦).
 قال قتادة: "فأبقاها الله تذكرة وعبرة وآية، حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة، وكم من
 سفينة قد كانت بعد سفينة نوح قد صارت رمادا"^(٧).
 قوله تعالى: {وَتَعْيَبَهَا أُذُنٌ وَأَعْيَةٌ} [الحاقة: ١٢]، أي: "وتحفظها كل أذن من شأنها أن
 تحفظ، وتعقل عن الله ما سمعت"^(٨).
 قال الطبري: "يعني: حافظة عقلت عن الله ما سمعت"^(٩).
 قال الزجاج: "معناه: أُذُنٌ تحفظ ما سمعت وتعمل به، أي: ليحفظ السامع ما سمع ويعمل
 به. تقول لكل شيء حفظته في نفسك: قَدْ وَعَيْتَهُ، يقال: قَدْ وَعَيْتُ"^(١٠).
 قال الفراء: "يقول: لتحفظها كل أذن، لتكون عظة لمن يأتي بعد"^(١١).
 عن ابن عباس: "وَتَعْيَبَهَا أُذُنٌ وَأَعْيَةٌ"، يقول: حافظة"^(١٢).
 قال ابن عباس: "يقول: سامعة، وذلك الإعلان"^(١٣).
 قال قتادة: "أذن عقلت عن الله، فانتفعت بما سمعت من كتاب الله"^(١٤).
 قال قتادة: "أذن سمعت، وعقلت ما سمعت"^(١٥).
 قال الضحاك: "سمعتها أذن ووعت"^(١٦).
 قال ابن زيد: "واعية يحذرون معاصي الله أن يعذبهم الله عليها، كما عذب من كان قبلهم
 تسمعها فتعيها، إنما تعي القلوب ما تسمع الأذان من الخير والشر من باب الوعي"^(١٧).
 عن علي بن حوشب، قال: "سمعت مكحولا يقول: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 {وَتَعْيَبَهَا أُذُنٌ وَأَعْيَةٌ}، ثم التفت إلى علي، فقال: «سألت الله أن يجعلها أذنك»، قال علي رضي
 الله عنه: فما سمعت شيئا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسيته"^(١٨).

(١) عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٤) تفسير الطبري: ٥٧٨/٢٣.

(٥) معاني القرآن: ١٨١/٣.

(٦) معاني القرآن: ٢١٥/٥.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٩) تفسير الطبري: ٥٧٨/٢٣.

(١٠) معاني القرآن: ٢١٥/٥.

(١١) معاني القرآن: ١٨١/٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٣.

(١٥) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٣.

(١٦) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٣.

(١٧) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢٣.

(١٨) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٣.

عن عبد الله بن رستم، قال: سمعت بُرَيْدَةَ يَقُولُ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعليّ: «يا عليّ؛ إنّ الله أمرني أن أدنّبك ولا أقصيك، وأن أعلمك وأن تعي، وحقّ على الله أن تعي»، قال: فنزلت: {وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَأَعْيَةٌ} (١).

فوائد الآيات: [١-١٢]:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٢- بيان أن كلا من عاد وثمود كانوا يكذبون بالبعث وبيان ما أهلكهم الله به.
- ٣- بيان أن معصية الرسول موجبة للعذاب الدنيوي والأخروي.
- ٤- التذكير بحادثة الطوفان وما فيها من عظة وعبرة.

القرآن

{فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً (١٣) وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨)}

[الحاقة : ١٣-١٨]

التفسير:

فإذا نفخ الملك في «القرن» نفخة واحدة، وهي النفخة الأولى التي يكون عندها هلاك العالم، ورفعت الأرض والجبال عن أماكنها فكسرتا، ودُقَّتَا دقة واحدة. ففي ذلك الحين قامت القيامة، وانصدعت السماء، فهي يومئذ ضعيفة مسترخية، لا تماسك فيها ولا صلابة، والملائكة على جوانبها وأطرافها، ويحمل عرش ربك فوقهم يوم القيامة ثمانية من الملائكة العظام. في ذلك اليوم تُعرضون على الله -أيها الناس- للحساب والجزاء، لا يخفى عليه شيء من أسراركم.

قوله تعالى: {فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً} [الحاقة : ١٣]، أي: "فإذا نفخ الملك في «القرن» نفخة واحدة، وهي النفخة الأولى التي يكون عندها هلاك العالم" (٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ} إسرافيل {نَفْخَةً وَاحِدَةً}، وهي النفخة الأولى" (٣).

قوله تعالى: {وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ} [الحاقة : ١٤]، أي: "ورفعت الأرض والجبال عن أماكنها فكسرتا" (٤).

قال مقاتل: "يقول: حمل ما على الأرض من ماء أو شجر أو شيء، وحملت الجبال من أماكنها فضربت على الأرض" (٥).

قال الزمخشري: " {حُمِلَتْ} : ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها أنها تحمل الأرض والجبال. أو بخلق من الملائكة. أو بقدره الله من غير سبب" (٦).

قوله تعالى: {فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً} [الحاقة : ١٤]، أي: "ودُقَّتَا دقة واحدة" (٧).

قال الطبري: "يقول: فزلزلنا زلزلة واحدة" (٨).

قال مقاتل: "يعني: فكسرتا كسرة واحدة فاستوت بما عليها مثل الأديم الممدود" (٩).

قال ابن زيد: "صارت غبارا" (١).

(١) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٣) تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٢/٤.

(٦) الكشاف: ٦٠١/٤.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٨) تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٣.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٢/٤.

قال الزمخشري: " فضرِب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا. والدك أبلغ من الدق. وقيل: فيسطنا بسطة واحدة، فصارتا أرضا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، من قولك: اندك السنم إذا انفرش. وبغير أدك وناقاة دكاء. ومنه: الدكان" (١).

عن الزهري: " {فدكتنا دكة واحدة}، قال: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه»، ثم يقول: «لي الملك أين ملوك الأرض؟» (٢).

قوله تعالى: {فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} [الحاقة : ١٥]، أي: " ففي ذلك الحين قامت القيامة" (٤).

قال الطبري: يقول: " فيومئذ وقعت الصيحة الساعة، وقامت القيامة" (٥).

قال مقاتل: " وقعت الصيحة الآخرة، يعني: النفخة الآخرة" (٦).

قال الكلبي: " قامت القيامة" (٧).

قوله تعالى: {وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ} [الحاقة : ١٦]، أي: " وانصدعت السماء" (٨).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: وانصدعت السماء" (٩).

قوله تعالى: {فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ} [الحاقة : ١٦]، أي: " فهي يومئذ ضعيفة مسترخية، لا تماسك فيها ولا صلابة" (١٠).

قال الطبري: " يقول: منشقة متصدعة" (١١).

قال ابن عباس: " يعني: متمزقة ضعيفة" (١٢).

قال الزمخشري: " مسترخية ساقطة القوة جدا بعد ما كانت محكمة متمسكة" (١٣).

قوله تعالى: {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا} [الحاقة : ١٧]، أي: " والملائكة على جوانبها وأطرافها" (١٤).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: والملك على أطراف السماء حين تشقق وحافاتهما" (١٥).

قال مقاتل: " يعني: نواحيها وأطرافها وهي السماء الدنيا" (١٦).

قال الزجاج: " المعنى: الملائكة على جوانبها، ورجا كل شيء: ناحيته، مقصور، والتثنية: رجوان، والجمع: أرجاء" (١٧).

قال الزمخشري: " يعني: أنها تنشق، وهي مسكن الملائكة، فينضون إلى أطرافها وما حولها من حافاتهما" (١٨).

عن مجاهد، قوله: " {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا}، قال: أطرافها" (١٩).

(١) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢٣.

(٢) الكشف: ٦٠١/٤.

(٣) تفسير عبدالرزاق (٣٣٠٧): ص ٣٤٠/٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٥) تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٣.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٢/٤.

(٧) التفسير البسيط للواحدى: ١٥٥/٢٢.

(٨) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٩) تفسير الطبري: ٥٨١/٢٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(١١) تفسير الطبري: ٥٨١/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.

(١٣) الكشف: ٦٠١/٤.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(١٥) تفسير الطبري: ٥٨٢/٢٣.

(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٣/٤.

(١٧) معاني القرآن: ٢١٦/٥.

(١٨) الكشف: ٦٠١/٤.

(١٩) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.

قال سعيد بن جبير: "على حافات السماء"^(١).
 قال سعيد بن المسيب: الأرجاء حافات السماء"^(٢).
 عن الأجلح، قال، قلت للضحاك: "ما أرجاؤها، قال: حافاتهما"^(٣).
 عن قتادة: "وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا": على حافاتهما"^(٤).
 قال قتادة، وسفيان: "على نواحيها"^(٥).
 قال معمر: "بلغني أنها أقطارها"^(٦).
 عن ابن عباس، وسعيد بن جبير: "على ما لم يه منها"^(٧).
 قال ابن عباس: "يقول: والملك على حافات السماء حين تشقق؛ ويقال: على شفة، كل شيء تشقق عنه"^(٨).

قال الضحاك: "إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، فأحاطوا بالأرض ومن عليها، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فصفوا صفا دون صفا، ثم نزل الملك الأعلى على مجنبيه اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندوا، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله الله: {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُؤْتُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ}، وذلك قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ}، وقوله: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}، وذلك قوله: {وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا}"^(٩).

قوله تعالى: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} [الحاقة : ١٧]، أي: "ويحمل عرش ربك فوقهم يوم القيامة ثمانية من الملائكة العظام"^(١٠).
 وفي قوله تعالى: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} [الحاقة : ١٧]، وجوه من التفسير:

أحدها: ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة. وهم الكروبيون، قاله ابن عباس^(١١)، ومقاتل^(١٢)، وسهل بن عبدالله التستري^(١٣)، وحكاه الفراء^(١٤).

قال سهل: "يعني: ثمانية أجزاء من الكروبيين، لا يعلم عدتهم إلا الله"^(١٥).
 وقال الضحاك، عن ابن عباس: "الكَرُوبِيُّونَ ثمانية أجزاء، كل جنس منهم بقدر الإنس والجن والشياطين والملائكة"^(١٦).

(١) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٨١/٢٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٨٢/٦، وتفسير ابن كثير: ٢١٢/٨.

(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٣/٤.

(١٣) انظر: تفسير التستري: ١٧٥.

(١٤) انظر: معاني القرآن: ١٨١/٣.

(١٥) انظر: تفسير التستري: ١٧٥.

(١٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢١٢/٨.

الثاني : ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عدّتهن إلا الله. قاله ابن عباس^(١)، والضحاك^(٢)، والكلبي^(٣).

قال ابن عباس: "هي الصفوف من وراء الصفوف"^(٤).

الثالث: ثمانية من الملائكة. قاله العباس بن عبدالمطلب^(٥)، وسعيد بن جبير^(٦)، وقتادة^(٧)، وعبد الله بن عمرو^(٨)، وشهر بن حوشب^(٩)، والربيع بن أنس^(١٠)، وابن زيد^(١١).

قال قتادة: "هم اليوم أربعة من الملائكة، وهم يومئذ ثمانية"^(١٢).

قال الربيع بن أنس: "ثمانية من الملائكة"^(١٣).

وروي الثعلبي عن العباس بن عبد المطلب قال: "ثمانية أملاك على صورة الأوعال"^(١٤).

قال الزجاج: "يروى ثمانية أملاك، أرجلهم في تخوم الأرض السابعة، والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرفون يسبحون"^(١٥).

عن وهب، قال: "قال ابن زيد في قوله: {ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية}، قال: ثمانية أملاك، وقال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يحملة اليوم أربعة، ويوم القيامة ثمانية"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أقدامهم لفي الأرض السابعة، وإن مناكبهم لخارجة من السموات عليها العرش". قال ابن زيد: الأربعة، قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لما خلقهم الله قال: تدرون لم خلقتكم؟ قالوا: خلقتنا ربنا لما تشاء، قال لهم: تحملون عرشي، ثم قال: سلوني من القوة ما شئتم أجعلها فيكم، فقال واحد منهم: قد كان عرش ربنا على الماء، فاجعل في قوة الماء، قال: قد جعلت فيك قوة الماء؛ وقال آخر: اجعل في قوة السموات، قال: قد جعلت فيك قوة السموات؛ وقال آخر: اجعل في قوة الأرض، قال: قد جعلت فيك قوة الأرض والجبال؛ وقال آخر: اجعل في قوة الرياح، قال: قد جعلت فيك قوة الرياح؛ ثم قال: احملوا، فوضعوا العرش على كواهلهم، فلم يزلوا؛ قال: فجاء علم آخر، وإنما كان علمهم الذي سألوه القوة، فقال لهم: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقالوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فجعل الله فيهم من الحول والقوة ما لم يبلغه علمهم، فحملوا"^(١٦).

عن ابن إسحاق، قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "هم اليوم أربعة"، يعني: حملة العرش "وإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية وقد قال الله: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ}"^(١٧).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٣-٥٨٢/٢٣.

(٢) نقلا عن: الكشف: ٦٠٢/٤.

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣٣١٢): ص ٣٤١/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٣.

(٥) رواه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨/١٠-٢٩، وانظر: النكت والعيون: ٨١/٦.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٩٦٨): ص ٣٣٧٠/١٠.

(٧) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٢٩/٥-.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٩٦٦): ص ٣٣٧٠/١٠.

(٩) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣٣١٤): ص ٣٤٢/٣.

(١٠) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٣/٢٣-٥٨٤.

(١٢) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٢٩/٥-.

(١٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٤) الكشف والبيان: ٢٩-٢٨/١٠.

(١٥) معاني القرآن: ٢١٦/٥.

(١٦) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٣-٥٨٤.

(١٧) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٣.

قال عبد الله بن عمرو: "حملة العرش ثمانية، ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام"^(١).

عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وأذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش، بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعمائة عام"^(٢).

قال ميسرة: "أرجلهم في التخوم لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور"^(٣). قال ابن زيد: "لم يسم من حملة العرش إلا إسرافيل. وميكائيل ليس من حملة العرش"^(٤).

عن شهر بن حوشب، قال: "حملة العرش ثمانية"، قال: "أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، كأنهم ينظرون إلى أعمال بني آدم"^(٥).

وقال وهب بن منبه: "أربعة ملائكة يحملون العرش على أكتافهم لكل واحد منهم أربعة أوجه: وجه وجه ثور، ووجه وجه أسد، ووجه وجه نسر، ووجه وجه إنسان، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة، أما جناحان فعلى وجهه من أن ينظر إلى العرش فيصعق، وأما جناحان فيهبو بهما ليس لهم كلام إلا أن يقولوا: «قدسوا الله القوي ملأت عظمته السموات والأرضين»"^(٦).

عن أبي الزاهرية قال: "أنبت أن «لبنان» أحد حملة العرش الثمانية يوم القيامة"^(٧). قال ابن كثير: "أي: يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة. ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العرش العظيم، أو: العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء، والله أعلم بالصواب"^(٨).

وعن الحسن: "الله أعلم كم هم، أثمانية أم ثمانية آلاف؟"^(٩). قال الزمخشري: "ويجوز أن تكون الثمانية من الروح، أو من خلق آخر، فهو القادر على كل خلق، {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} [يس: ٣٦]"^(١٠).

قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ} [الحاقة: ١٨]، أي: "في ذلك اليوم تُعرضون على الله - أيها الناس- للحساب والجزاء"^(١١).

قال الطبري: يقول: "يومئذ أيها الناس تعرضون على ربكم، وقيل: تعرضون ثلاث عرضات"^(١٢).

قال سهل: "أي: تعرضون على الحق عز وجل، فيحاسبكم بأعمالكم"^(١٣). قال ابن كثير: "أي تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر"^(١٤).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٦٦): ص ٣٣٧٠/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٦٧): ص ٣٣٧٠/١٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٦٩): ص ٣٣٧٠/١٠.

(٥) تفسير عبدالرزاق (٣٣١٤): ص ٣٤٢/٣.

(٦) تفسير عبدالرزاق (٣٣١٣): ص ٣٤٢/٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٧٠): ص ٣٣٧١/١٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢١٢/٨.

(٩) نقلا عن: الكشاف: ٦٠٢/٤.

(١٠) الكشاف: ٦٠٢/٤.

(١١) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٨٤/٢٣.

(١٣) انظر: تفسير التستري: ١٧٥.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٢١٢/٨-٢١٣.

قال الزمخشري: "العرض: عبارة عن المحاسبة والمساءلة. شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله"^(١).

عن أبي موسى الأشعري، قال: "تعرض الناس ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير. وأما الثالثة، فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه، وأخذ بشماله"^(٢).

عن عبد الله، قال: "يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: عرضتان معاذير وخصومات، والعرضة الثالثة تطير الصحف في الأيدي"^(٣).

قال قتادة: "تعرضون ثلاث عرضات؛ فأما عرضتان ففيهما الخصومات والمعاذير، وأما الثالثة فتطير الصحف في الأيدي"^(٤).

قال قتادة ذكر لنا: أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «يُعرض الناس ثلاث عرضات يوم القيامة؛ فأما عرضتان ففيهما خصومات ومعاذير وجدال، وأما العرضة الثالثة فتطير الصحف في الأيدي». اللهم، اجعلنا ممن تؤتاه كتابه بيمينه. قال: وكان بعض أهل العلم يقول: إنني وجدت أكيس الناس من قال: {هاؤم أقرءوا كتابية إنني ظننت أني ملأق حسايبية}. قال: ظن ظناً يقيناً، فنفعه الله بظنه. قال: وذكر لنا: أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «من استطاع أن يموت وهو يحسن الظن بالله فليفعل»^(٥).

قوله تعالى: {لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقة: ١٨]، أي: "لا يخفى عليه شيء من أسراركم"^(٦).

قال الكلبي: "لا يخفى على الله منكم شيء"^(٧).

قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: لا تخفى على الله منكم خافية، لأنه عالم بجميعكم، محيط بكلكم"^(٨).

قال مقاتل: "يقول: لا يخفى الصالح منكم، ولا الطالح إذا عرضتم"^(٩).

قال الزمخشري: "سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم"^(١٠).

قال سهل: "لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، كل ذلك معروف محصي عليكم في علمه السابق، فيسأله عن جميع ذلك، يعني يسأله فيقول له: ألم تكن عارفاً بالساعات من أجلي؟ ألم يوسع لك حتى في المجالس من أجلي؟ ألم تسألني أن أزوجك فلانة أمتي أحسن منك فزوجناكها؟ فهذا سؤال نعمه عليك فكيف سؤاله عن معصيته"^(١١).

وقد حكى عن عتبة الغلام، أنه قال: "إن العبد المؤمن ليقف بين يدي الله تعالى بالذنب الواحد مائة عام"^(١٢).

(١) الكشاف: ٦٠٢/٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٣. وانظر: المسند (٤١٤/١٤) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٧٧) وقال البوصيري في الزوائد (٣١٥/٣): "هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع، الحسن لم يسمح من أبي موسى. قاله علي بن المدني وأبو حاتم وأبو زرعة".

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٣١٤ / ٢. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٣ مختصراً مرسلًا. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٧) تفسير البغوي ٢١١ / ٨.

(٨) تفسير الطبري: ٥٨٤/٢٣.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٣/٤.

(١٠) الكشاف: ٦٠٢/٤.

(١١) انظر: تفسير التستري: ١٧٥.

(١٢) نقلًا عن: تفسير التستري: ١٧٥. وعتبة الغلام: عتبة بن أبان بن صمعة الأنصاري، من زهاد أهل البصرة وعبادهم. جالس الحسن البصري، وأخذ عنه هديه في التقشف. وسمي بالغلام لجدده واجتهاده، لا لصغر سنه. (مشاهير علماء الأمصار ص ١٥٢ وصفوة الصفوة ٣ / ٣٧٠).

قال عمر بن الخطاب،- رضي الله عنه- : "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن تُوزنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزيّنوا للعرض الأكبر :{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ}"^(١).
وقرى: «لَا يَخْفَى»^(٢).

فوائد الآيات: [١٣-١٨]:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٢- بيان كيفية الانقلاب الكوني لنهاية الحياة الأولى وبداية الحياة الثانية.
- ٣- تقرير العرض على الله عز وجل للحساب ثم الجزاء.

القرآن

{فَأَمَّا مَنْ أوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)} [الحاقة : ١٩-٢٤]

التفسير:

فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه، فيقول ابتهاجاً وسروراً: خذوا اقروا كتابي، إني أيقنت في الدنيا بأنني سألقى جزائي يوم القيامة، فأعددت له العدة من الإيمان والعمل الصالح، فهو في عيشة هنيئة مرضية، في جنة مرتفعة المكان والدرجات، ثمارها قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع. يقال لهم: كلوا أكلا واشربوا شرباً بعيداً عن كل أذى، سالمين من كل مكروه؛ بسبب ما قدّمتم من الأعمال الصالحة في أيام الدنيا الماضية.

قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ} [الحاقة : ١٩]، أي: "فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه، فيقول ابتهاجاً وسروراً: خذوا اقروا كتابي"^(٣).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه، فيقول تعالى: {اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ}"^(٤).

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن سعادة من أوتى كتابه يوم القيامة بيمينه، وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه: {هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ}، أي: خذوا اقروا كتابي؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة؛ لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات"^(٥).

قال السعدي: "هؤلاء هم أهل السعادة يعطون كتبهم التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم تمييزاً لهم وتنويهاً بشأنهم ورفعاً لمقدارهم، ويقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور ومحبة أن يطلع الخلق على ما من الله عليه به من الكرامة: {هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ} أي: دونكم كتابي فاقروه فإنه يبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب"^(٦).

قال ابن زيد، في قول الله: "{هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ}، قال: تعالوا"^(٧).
قال قتادة: "كان بعض أهل العلم يقول: وجدت أكيس الناس من قال: {هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ}"^(٨).

(١) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا برقم (٢)، وذكره ابن كثير في مسند عمر (٦١٨/٢) وقال: "أثر مشهور وفيه انقطاع، وثابت بن الحجاج هذا جزري تابعي صغير لم يدرك، ولم يرو عنه سوى جعفر بن برقان، وله عند أبي داود في السنن حديثان".

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٨١/٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٤) تفسير الطبري: ٥٨٥/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢١٣/٨.

(٦) تفسير السعدي: ٨٨٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٣.

عن أبي عثمان قال : "المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله، فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرأها، فيرجع إليه لونه. ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات، قال : فعند ذلك يقول : {هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ}""^(١).

قال ابن قتيبة: "يقال: «بمعنى: هاكم اقرءوا كتابيه»؛ أبدلت الهمزة من الكاف"^(٢).

قال أبو حيان: "وهذا ضعيف. إلا إن كان عن أنها تحل محلها في لغة من قال: هاك وهاك وهاكما وهاكم وهاكن؛ فيمكن أنه بدل صناعي"^(٣).

قال عبد الرحمن بن زيد : "معنى : {هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ}، أي : ها اقرءوا كتابيه، و "ؤم" زائدة"^(٤). قال ابن كثير: "والظاهر أنها بمعنى : هاكم"^(٥).

قوله تعالى: {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ} [الحاقة : ٢٠]، أي: "إني أيقنت في الدنيا بأنني سألقى جزائي يوم القيامة، فأعددت له العدة من الإيمان والعمل الصالح"^(٦).

قال الطبري: "يقول: إني علمت أني ملق حسابيه إذا وردت يوم القيامة على ربي"^(٧).

قال ابن كثير: "أي : قد كنت موقفا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة، كما قال : {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ} [البقرة : ٤٦]"^(٨).

قال السعدي: "والذي أوصلني إلى هذه الحال، ما من الله به علي من الإيمان بالبعث والحساب، والاستعداد له بالممكن من العمل، ولهذا قال: {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ} أي: أيقنت فالظن -هنا-بمعنى: اليقين"^(٩).

عن ابن عباس، قوله: " {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ}، يقول: أيقنت"^(١٠).

قال قتادة: "يقول: إِنِّي قَد عَلِمْتُ"^(١١).

قال قتادة: "ظن ظنا يقينا، فنفعه الله بظنه"^(١٢).

قال قتادة: "ما كان من ظن الآخرة فهو علم"^(١٣).

قال مجاهد: "كل ظن في القرآن {إِنِّي ظَنَنْتُ}، يقول: أي: علمت"^(١٤).

قال ابن زيد: "إن الظن من المؤمن يقين، وإن «عسى» من الله واجب، {فَعَسَىٰ أَوْلَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}، {فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ}"^(١٥).

قال الحسن: "إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن فأساء العمل"^(١٦).

عن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال: إن الله يقف عبده يوم القيامة فيبدي سيئاته في ظهر صحيفته فيقول له: أنت عملت هذا؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول له: إني لم أفضحك به،

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢١٤/٨.

(٢) غريب القرآن: ٤٨٤.

(٣) البحر المحيط: ٣١٩ / ٨.

(٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢١٣/٨.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢١٣/٨.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٧) تفسير الطبري: ٥٨٥/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢١٤/٨.

(٩) تفسير السعدي: ٨٨٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٣.

(١١) أخرجه عبد الرزاق: ٣١٥ / ٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٣.

(١٥) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٣.

(١٦) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٤٤ / ٢.

وإني قد غفرت لك فيقول عند ذلك: {هَآؤُمُ أَقْرَعُوا كِتَابِيَهٗ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ}، حين نجا من فضيحته يوم القيامة^(١).

عن عمر بن ذر، في قوله: "فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هَآؤُمُ اقْرءُوا كِتَابِيَهٗ} قال: حَمَل -وربَّ الكعبة- ظَنَّهُ على اليقين، ثم نادى مُسْفِر وجهه، تَلَجَّ قلبه، مُطْلَقَةً يداه. {وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيَهٗ} أخذ ابن ذرّ يقول: صَدَقْتَ، يا كذاب، صدقت، يا كذاب، ينادي مُسْوَدَّ وجهه، كاسفُ باله، مُغْلَوْلَةٌ يداه إلى عنقه...^(٢).

عن أبي الضيف- وكان من أصحاب معاذ بن جبل- قال: "يدخل أهل الجنة الجنة على أربعة أصناف المتقين ثم الشاكرين ثم الخائفين ثم أصحاب اليمين قلت: لم سموا أصحاب اليمين قال: لأنهم عملوا بالحسنات والسيئات فأعطوا كتبهم بأيمانهم فقرأوا سيئاتهم حرفا حرفا قالوا يا ربنا هذه سيئاتنا فأني حسناتنا؟ فعند ذلك محا الله السيئات وأبدلها حسنات فعند ذلك قالوا: {هَآؤُمُ اقْرءُوا كِتَابِيَهٗ}، فهم أهل الجنة"^(٣).

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} [الإسراء : ٧١]، قال: يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستين ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاجا من نور يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون: اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا، حتى يأتيهم فيقول: أبشروا، لكل رجل منكم مثل هذا. وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستين ذراعا على صورة آدم ويلبس تاجا من نار فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا، اللهم لا تأتنا بهذا. قال: فيأتيهم فيقولون: ربنا أخره فيقول: أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا^(٤).

عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس!» فقيل له: فأين أبو بكر؟ قال: «هيها هيهات زفته الملائكة إلى الجنة!»^(٥).

عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عائشة كل الناس يحاسبون يوم القيامة إلّا أبو بكر»^(٦).

قوله تعالى: {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} [الحاقة : ٢١]، أي: "فهو في عيشة هنيئة مرضية"^(٧).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فالذي وصفت أمره، وهو الذي أوتي كتابه بيمينه، في عيشة مرضية، أو عيشة فيها الرضا، فوصفت العيشة بالرضا وهي مرضية، لأن ذلك مدح للعيشة، والعرب تفعل ذلك في المدح والدم فتقول: هذا ليل نائم، وسرّ كاتم، وماء دافق، فيوجهون الفعل إليه، وهو في الأصل مقول لما يراد من المدح أو الدم"^(٨).

قال السعدي: "أي: جامعة لما تشتهيهِ الأنفس، وتلذ الأعين، وقد رضوها ولم يختاروا عليها غيرها"^(٩).

قال سعيد بن جبیر: {عِيشَةٌ رَاضِيَةٌ}، " يُرِيدُ: فيها الرضا"^(١٠).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٧٢): ص ٣٣٧١/١٠.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١١٤ - ١١٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٤٤٢): ص ٢٧٣٥/٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٣٤٧): ص ٢٣٣٩/٧.

(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٠/١٠.

(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٠/١٠. وانظر: كنز العمال: ١١/ ٥٥٨، ح ٣٢٦٣٥، وح ٣٢٦٣٦ بتفاوت.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٨) تفسير الطبري: ٥٨٦/٢٣.

(٩) تفسير السعدي: ٨٨٣.

(١٠) علقه البخاري في صحيحه (ت: مصطفى البغا) كتاب التفسير، عقب باب تفسير سورة الحاقة ٤/ ١٨٧١.

قوله تعالى: {فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} [الحاقة : ٢٢]، أي: "في جنة مرتفعة المكان والدرجات" (١).
قال الطبري: "يقول: في بستان عال رفيع" (٢).
قال ابن كثير: "أي: رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمة دورها، دائم حبورها" (٣).
قال الزمخشري: "عَالِيَةٍ: مرتفعة المكان في السماء. أو رفيعة الدرجات. أو رفيعة المباني والقصور والأشجار" (٤).
عن الضحاك: "أن الجنة أعلى من النار فسميت لذلك عالية" (٥).
قال عطاء: "والدرجة مثل ما بين السماء والأرض" (٦).
عن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أمامة قال: "سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل يتزاور أهل الجنة؟ قال: «نعم إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى، يحيونهم ويسلمون عليهم، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلى، تقصر بهم أعمالهم»" (٧).
وقد ثبت في الصحيح: "إن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض" (٨).
قوله تعالى: {فَطُوفُهَا دَانِيَةٌ} [الحاقة : ٢٣]، أي: "ثمارها قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع" (٩).
قال الطبري: "يقول: ما يقطف من الجنة من ثمارها دان قريب من قاطفه" (١٠).
قال السعدي: "أي: ثمرها وجناها من أنواع الفواكه قريبة، سهلة التناول على أهلها، ينالها أهلها قياما وقعودا ومنكئين" (١١).
عن الضحاك: "فَطُوفُهَا، قال: ثمارها" (١٢).
قال قتادة: "دنت فلا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك" (١٣).
قال الحسن: "تدنو منه حتى يتناولها من حيث شاء" (١٤).
عن حنيم، قال: "سمعت نبيعا وسئل عن: {فَطُوفُهَا دَانِيَةٌ}. فيقول: تدنو إليه وهو قائم، فيأخذ من فاكهتها ما أحب، ثم تدنو إليه وهو قاعد، فيأخذ من فاكهتها ما أحب، ثم ترجع كما كانت" (١٥).
عن أبي إسحاق، قال: "سمعت البراء يقول في هذه الآية: {فَطُوفُهَا دَانِيَةٌ}، قال: يتناول الرجل من فواكهها وهو نائم" (١٦).

- (١) التفسير الميسر: ٥٦٧.
- (٢) تفسير الطبري: ٥٨٦/٢٣.
- (٣) تفسير ابن كثير: ٢١٤/٨.
- (٤) الكشاف: ٦٠٣/٤.
- (٥) النكت والعيون: ٢٦٠/٦.
- (٦) التفسير البسيط للواحدي: ٤٧٦/٢٣، وورد بمثله من غير عزو في "الباب التأويل" ٣٧٢ / ٤.
- (٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٧٣): ص ٣٣٧١/١٠.
- (٨) صحيح البخاري برقم (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.
- (٩) التفسير الميسر: ٥٦٧.
- (١٠) تفسير الطبري: ٥٨٦/٢٣.
- (١١) تفسير السعدي: ٨٨٣.
- (١٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
- (١٣) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢٣.
- (١٤) أخرجه أبو حاتم الرازي في الزهد ص ٤١.
- (١٥) أخرجه أبو حاتم الرازي في الزهد ص ٤١.
- (١٦) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢٣.

عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز : «بسم الله الرحمن الرحيم» ، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان، أدخلوه الجنة عالية، قطفوها دانية"^(١).

وفي رواية أخرى: " يعطى المؤمن جَوازاً على الصراط : «بسم الله الرحمن الرحيم» ، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان، أدخلوه الجنة عالية، قطفوها دانية"^(٢).
قوله تعالى: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة : ٢٤] ، أي: " يقال لهم: كلوا أكلا واشربوا شرباً بعيداً عن كل أذى، سالمين من كل مكروه؛ بسبب ما قدّمتم من الأعمال الصالحة في أيام الدنيا الماضية"^(٣).

قال الطبري: " يقول لهم ربهم جل ثناؤه: كلوا معشر من رضيت عنه، فأدخلته جنتي من ثمارها، وطيب ما فيها من الأطعمة، واشربوا من أشربتها، هَنِيئًا لَكُمْ لا تتأذون بما تأكلون، ولا بما تشربون، ولا تحتاجون من أكل ذلك إلى غائط ولا بول، جزاء من الله لكم، وثوابا بما أسلفتم، أو على ما أسلفتم: أي على ما قدّمتم في دنياكم لأخرتكم من العمل بطاعة الله، في أيام الدنيا التي خلت فمضت"^(٤).

قال ابن كثير: " أي : يقال لهم ذلك ؛ تفضلا عليهم، وامتنانا وإنعاما وإحسانا. وإلا فقد ثبت في الصحيح، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «اعملوا وَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا واعلموا أن أحدا منكم لن يدخله عمله الجنة". قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : "ولا أنا، إلا أن يَتَّعَمَّنِي الله برحمة منه وفضل»"^(٥)^(٦).

قال السعدي: " وذلك الجزاء حصل لكم {بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} من الأعمال الصالحة -وترك الأعمال السيئة- من صلاة وصيام وصدقة وحج وإحسان إلى الخلق، وذكر الله وإنابة إليه"^(٧).

عن ابن زيد، في قوله: " {بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}، قال: أيام الدنيا بما عملوا فيها"^(٨).

وعن مجاهد: "أيام الصيام"^(٩). قال الزمخشري: "أي: كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله"^(١٠).

عن عبد العزيز بن رفيع: " {بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}، قال: الصوم"^(١١).
قال الحسن: " سمعنا أنه الصيام"^(١).

(١) المعجم الكبير للطبراني (٢٧٢/٦) وعبد الرحمن بن زياد ضعيف، ورواه ابن عدى في الكامل (٣٤٤/١) من طريق إسحاق الدبري، به. وقال : "حدث عن عبد الرزاق بحديث منكر" ثم ذكر هذا الحديث.
(٢) رواه الضياء في صفة الجنة كما في تفسير ابن كثير: ٢١٤/٨، ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٤٤٦/٢) من طريق أبي بكر - محمد بن خشام - عن العباس البلخي، عن سعدان بن سعيد الحكمي عن سليمان التيمي به. وقال ابن الجوزي : " هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أما الطريق الأول - أي طريق عبد الرزاق - ففيه عبد الرحمن بن زياد قال أحمد بن حنبل : نحن لا نروى عن عبد الرحمن. وقال ابن حبان : يروى الموضوعات عن الثقات ويدلس. وأما الطريق الثاني، فقال الدارقطني : تفرد به سعدان عن التيمي. قال ابن الجوزي : سعدان مجهول، وكذلك محمد بن خشام".

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٤) تفسير الطبري: ٥٨٦/٢٣-٥٨٧.

(٥) صحيح البخاري برقم (٥٦٧٣) وصحيح مسلم برقم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢١٤/٨.

(٧) تفسير السعدي: ٨٨٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٨٧/٢٣.

(٩) نقلا عن: الكشاف: ٦٠٣/٤.

(١٠) الكشاف: ٦٠٣/٤.

(١١) أخرجه ابن عدي في الكامل ٧٢٥ / ٢، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٤٩)، وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ١٠٤ / ٤ (١٤٧) -، وأبو عمرو الداني في المكتفى ص ٢٢١ (٤٢). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

قال الثعلبي: "قدّمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة في الأيام الماضية وهي الدنيا"^(٢).
عن قتادة: "قال الله: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}، إن أيامكم هذه أيام خالية: هي أيام فانية، تؤدي إلى أيام باقية، فاعملوا في هذه الأيام، وقدموا فيها خيراً إن استطعتم، ولا قوّة إلا بالله"^(٣).

عن يوسف بن يعقوب الخيفي، يقول: "بلغنا أن الله سبحانه وتعالى يقول يوم القيامة: يا أوليائي طال ما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاكم عن الأشربة، وغارت أعينكم، وخمست بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}"^(٤).

فوائد الآيات: [١٩-٢٤]:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء أي الإيمان باليوم الآخر.
- ٢- آثار الإيمان بالبعث والجزاء ظاهرة في سلامة كتاب المؤمن من السيئات. وقد علل لذلك بقوله إنني ظننت أنني ملاق حسابي فلذا لم أعص ربي.
- ٣- إثبات حقيقة هي قول العامة الدنيا مزرعة الآخرة أي من عمل في الدنيا نال ثمار عمله في الآخرة خيراً أو شراً.

القرآن

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ (٢٥) وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيهِ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أُعْطِيَ عَنِّي مَالِيَةَ (٢٨) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ (٢٩)} [الحاقة : ٢٥-٢٩]

التفسير:

وأما من أعطي كتاب أعماله بشماله، فيقول نادماً متحسراً: يا ليتني لم أعط كتابي، ولم أعلم ما جزائي؟ يا ليت الموتة التي مني في الدنيا كانت القاطعة لأمري، ولم أبعث بعدها، ما نفعتني مالي الذي جمعته في الدنيا، ذهبت عني حجتي، ولم يعد لي حجة أحتج بها.
قوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ} [الحاقة : ٢٥]، أي: "وأما من أعطي كتاب أعماله بشماله، فيقول نادماً متحسراً: يا ليتني لم أعط كتابي"^(٥).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وأما من أعطي يومئذ كتاب أعماله بشماله، فيقول: يا ليتني لم أعط كتابيه"^(٦).

قال سهل بن عبدالله: "أي: بما فيه من الأعمال الخبيثة والكفر، فيتمنى أن يكون غير مبعوث"^(٧).

قال ابن كثير: "وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله، فحينئذ يندم غاية الندم"^(٨).

قال مجاهد: "تجعل شماله وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه"^(٩).

قال مجاهد: "يخلع يده وراء ظهره"^(١٠).

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧ / ٣٣١.

(٢) الكشف والبيان: ٣٠/١٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٨٧/٢٣.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٠/١٠.

(٥) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٦) تفسير الطبري: ٥٨٧/٢٣.

(٧) تفسير التستري: ١٧٦.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢١٦/٨.

(٩) تفسير مجاهد ص ٧١٤ بنحوه، وأخرجه الفريابي - كما في تعليق التعليق ٤ / ٣٦٤، وفتح الباري ٨ / ٦٩٧ - ، وابن جرير ٢٤ / ٢٤٠. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في البعث.

(١٠) تفسير الثعلبي: ١٥٩/١٠.

عن رجل من بني أسد، قال: قال عمر لكعب: "ويحك، يا كعب! حدّثنا حديثاً من حديث الآخرة. قال: نعم، يا أمير المؤمنين، إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ، ولم يبق أحد من الخلائق إلا وهو ينظر إلى عمله فيه. قال: ثم يؤتى بالصحف التي فيها أعمال العباد. قال: فُنشر حول العرش، فذلك قوله: {ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها} [الكهف: ٤٩]. قال الأسدي: الصغيرة ما دون الشرك، والكبيرة الشرك، إلا أحصاها. قال كعب: ثم يُدعى المؤمن، فيعطى كتابه بيمينه، فينظر فيه، فحسنته باديات للناس، وهو يقرأ سيناته لكي لا يقول: كانت لي حسنات فلم تُذكر. فأحبّ الله أن يُريه عمله كله، حتى إذا استنقص ما في الكتاب وجد في آخر ذلك كله أنه مغفور، وإنك من أهل الجنة، فعند ذلك يُقبل إلى أصحابه، ثم يقول: {هاؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه} [الحاقة: ١٩ - ٢٠]، ثم يُدعى الكافر، فيعطى كتابه بشماله، ثم يُلفّ، فيجعل من وراء ظهره، ويُلوى عنقه، فذلك قوله: {وأما من أوتي كتابه وراء ظهره} يُنظر في كتابه، فسيناته باديات للناس، وينظر في حسنته، لكي لا يقول: أفأثاب على السيئات؟^(١).
قوله تعالى: {وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَّة} [الحاقة: ٢٦]، أي: "ولم أعلم ما جزائي"^(٢).
قال الطبري: "يقول: ولم أدر أيّ شيء حسابيه"^(٣).
قوله تعالى: {بِالْيَمِينِهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ} [الحاقة: ٢٧]، أي: "يا ليت الموتة التي مئها في الدنيا كانت القاطعة لأمري، ولم أبعث بعدها"^(٤).
قال الطبري: "يقول: يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت هي الفراغ من كلّ ما بعدها، ولم يكن بعدها حياة ولا بعث، والقضاء: وهو الفراغ"^(٥).
قال سهل بن عبدالله: "يعني: يا ليت الموتة الأولى كانت عليّ فلم أبعث"^(٦).
عن محمد بن كعب القرظي: "يا ليتّها كانت القاضية"، قال: الموت"^(٧).
قال الضحاك: "يا ليتّها كانت موتة لا حياة بعدها"^(٨).
قال قتادة: "تمنى الموت، ولم يكن في الدنيا شيء أكره عنده من الموت"^(٩).
عن ابن زيد، قوله: "يا ليتّها كانت القاضية": الموت"^(١٠).
قوله تعالى: {مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّة} [الحاقة: ٢٨]، أي: "ما نفعني مالي الذي جمعته في الدنيا"^(١١).
قال الطبري: "يعني: أنه لم يدفع عنه ماله الذي كان يملكه في الدنيا من عذاب الله شيئاً"^(١٢).
قال سهل بن عبدالله: "كثرة مالي، حيث لم أؤد منه حق الله، ولم أصل به القرابة"^(١٣).
قال ابن كثير: "أي: لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه، بل خلص الأمر إليّ وحدي، فلا معين لي ولا مجير"^(١٤).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد ١ / ٥١٩.

(٢) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٣) تفسير الطبري: ٥٨٧/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٥) تفسير الطبري: ٥٨٧/٢٣.

(٦) تفسير التستري: ١٧٦.

(٧) عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور.

(٨) أخرجه هناد (٢٢٤).

(٩) أخرجه الطبري: ٥٨٧/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٨٧/٢٣.

(١١) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٨٨/٢٣.

(١٣) تفسير التستري: ١٧٦.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٢١٦/٨.

قوله تعالى: {هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ} [الحاقة : ٢٩]، أي: "ذهبت عني حجتِي، ولم يَعدْ لي حجة أحتج بها"^(١).

قال سهل بن عبدالله: "يعني: حجتِي وعذري"^(٢).

قال الطبري: "يقول: ذهبت عني حججِي، وضلت، فلا حجة لي أحتج بها"^(٣).

عن عكرمة، ومجاهد: {هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ}، قال: حُجَّتِي"^(٤). وروي عن القرظي مثله^(٥).

قال عكرمة: "يعني: حُجَّتُه"^(٦).

قال ابن عباس: "يقول: ضلت عني كلّ بيّنة فلم تغن عني شيئاً"^(٧).

قال الضحاك: "يقول: بينتِي ضلّت عني"^(٨).

قال قتادة: "أما والله ما كلّ من دخل النار كان أمير قرية يجيبها، ولكن الله خلقهم وسلطهم على أقرانهم، وأمرهم بطاعة الله، ونهاهم عن معصية الله"^(٩).

وروي عن ابن زيد، في قوله: {هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ}، قال: سلطان الدنيا"^(١٠).

القرآن

{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤)} [الحاقة : ٣٠-٣٤]

التفسير:

يقال لخزنة جهنم: خذوا هذا المجرم الأثيم، فاجمعوا يديه إلى عنقه بالأغلال، ثم أدخلوه الجحيم ليقاسي حرها، ثم في سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعًا فأدخلوه فيها؛ إنه كان لا يصدّق بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، ولا يعمل بهديه، ولا يحث الناس في الدنيا على إطعام أهل الحاجة من المساكين وغيرهم.

قوله تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ} [الحاقة : ٣٠]، أي: "يقال لخزنة جهنم: خذوا هذا المجرم الأثيم، فاجمعوا يديه إلى عنقه بالأغلال"^(١١).

عن ابن جريج: " {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ}، قال: أخبرت أنه أبو جهل"^(١٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لملائكته من خزان جهنم: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ}"^(١٣).

قال ابن كثير: "أي : يأمر الزبانية أن تأخذه عنقًا من المحشر، فَغُلُّه، أي : تضع

الأغلال في عنقه، ثم تُورده إلى جهنم فتصلي به إياها، أي : تغمره فيها"^(١٤).

وقال الفضيل - هو ابن عياض - : "إذا قال الرب، عز وجل : {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ} ابتدره

سبعون ألفاً ملك، أيهم يجعل الغل في عنقه"^(١٥).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٢) تفسير التستري: ١٧٦.

(٣) تفسير الطبري: ٥٨٨/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٨٨/٢٣.

(٥) عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور.

(٦) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٨٨/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٨٨/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٨٨/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٨٨/٢٣.

(١١) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(١٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٣) تفسير الطبري: ٥٨٨/٢٣.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٢١٦/٨.

عن المنهال بن عمرو قال : "إذا قال الله، عز وجل {خذوه} ابتدره سبعون ألف ملك، إن الملك منهم ليقول هكذا، فيلقي سبعين ألفا في النار"^(٢).

وروى ابن أبي الدنيا في "الأهوال" : "أنه يبتدره أربعمائة ألف، ولا يبقى شيء إلا دقّه، فيقول : ما لي ولك ؟ فيقول : إن الرب عليك غضبان، فكل شيء غضبان عليك"^(٣).

قوله تعالى: {ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ} [الحاقة : ٣١]، أي: "ثم أدخلوه الجحيم ليفاسي حرها"^(٤). قال الطبري: "يقول: ثم في نار جهنم أوردوه ليصلى فيها"^(٥).

قال الزجاج: "المعنى: اجعلوه يصلى النار"^(٦).

قال ابن كثير: "أي : اغمروه فيها"^(٧).

قوله تعالى: {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة : ٣٢]، أي: "ثم في سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعًا فأدخلوه فيها"^(٨).

قال الطبري: "يقول: ثم اسلكوه في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا، بذراع الله أعلم بقدر طولها وقيل: إنها تدخل في دُبره، ثم تخرج من منخريه"^(٩).

قال الزمخشري: "سلكه في السلسلة: أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أثنائها، وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة، وجعلها سبعين ذراعًا إرادة الوصف بالطول، كما قال: إن تستغفر لهم سبعين مرة، يريد: مرات كثيرة، لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد. والمعنى في تقديم السلسلة على السلك: مثله في تقديم الجحيم على النصلية. أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة، كأنها أفضع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم، ومعنى {ثُمَّ} الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم، وما بينها وبين السلك في السلسلة، لا على تراخي المدة"^(١٠).

قال كعب الأحماس : "كل حلقة منها قدر حديد الدنيا"^(١١).

عن ابن عباس، قوله: "فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ"، قال: بذراع الملك فاسلكوه، قال: تسلك في دُبره حتى تخرج من منخريه، حتى لا يقوم على رجله"^(١٢).

عن نسير بن ذعلوق، قال: "سمعت نوحًا يقول في رحبة الكوفة، في إمارة مصعب بن الزبير، في قوله: {فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا}، قال: الذراع: سبعون باعًا، الباع: أبعد ما بينك وبين مكة"^(١٣). وفي رواية: "كلّ ذراع سبعون باعًا، كلّ باع أبعد مما بينك وبين مكة، وهو يومئذ في مسجد الكوفة"^(١٤).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَوْ أَنَّ رُصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ، وَأَشَارَ إِلَى جَمْعَةٍ، أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ مَسِيرَةٌ خَمْسَ مِئَةِ سَنَةٍ، لَبَلَغَتِ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ قَعْرَهَا أَوْ أَصْلَهَا"^(١٥).

- (١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢١٦/٨.
- (٢) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢١٦/٨.
- (٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢١٦/٨.
- (٤) التفسير الميسر: ٥٦٧.
- (٥) تفسير الطبري: ٥٨٨/٢٣.
- (٦) معاني القرآن: ٢١٨/٥.
- (٧) تفسير ابن كثير: ٢١٦/٨.
- (٨) التفسير الميسر: ٥٦٧.
- (٩) تفسير الطبري: ٥٨٩/٢٣.
- (١٠) الكشف: ٦٠٤/٤-٦٠٥.
- (١١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢١٦/٨.
- (١٢) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢٣.
- (١٣) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢٣.
- (١٤) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢٣.
- (١٥) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢٣، وانظر: المسند (١٩٧/٢) وسنن الترمذي برقم (٢٥٨٨).

عن الضحاك: "فأسئلُوهُ"، قال: السلك: أن تدخل السلسلة في فيه، وتخرج من دبره"^(١). قال مجاهد: "بلغني: أن السلسلة تدخل من مَفَعَدَتِهِ، حتى تخرج من فيه، ثم يُوثق بها بعد، أو من فيه حتى تخرج من مَفَعَدَتِهِ"^(٢).

عن سُويد بن نجیح -من طريق المسيّب- قال: "بلغني: أن جميع أهل النار في تلك السلسلة، ولو أن حلقة منها وُضعت على جبل لذاب من حرّها"^(٣).

وقال ابن جريج، قال ابن عباس: {فأسئلُوهُ}، تدخل في آسته ثم تخرج من فيه، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى"^(٤).

عن ابن عباس في قوله: {فأسئلُوهُ}، قال: تسلك في دبره حتى تخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجله"^(٥).

قوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ لَأَ يُوْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ} [الحاقة: ٣٣]، أي: إنه كان لا يصدّق بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، ولا يعمل بهديه"^(٦).

قال الطبري: "يقول: افعلوا ذلك به جزاء له على كفره بالله في الدنيا، إنه كان لا يصدّق بوحدانية الله العظيم"^(٧).

قال الزمخشري: " {إِنَّهُ} تعليل على طريق الاستئناف، وهو أبلغ، كأنه قيل: ما له يعذب هذا العذاب الشديد؟ فأجيب بذلك"^(٨).

قوله تعالى: {وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ} [الحاقة: ٣٤]، أي: "ولا يحث الناس في الدنيا على إطعام أهل الحاجة من المساكين وغيرهم"^(٩).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبرا عن هذا الشقي الذي أوتي كتابه بشماله: إنه كان في الدنيا لا يحضُّ الناس على إطعام أهل المسكنة والحاجة"^(١٠).

قال مقاتل: "يقول: كان لا يطعم المسكين في الدنيا"^(١١).

قال ابن كثير: "أي: لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته، ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم؛ فإن الله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعونة على البر والتقوى؛ ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم»"^(١٢) (١٣).

قال الزمخشري: "في قوله: {وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ} دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين: أحدهما: عطفه على الكفر، وجعله قرينة له.

(١) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢٣.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣) أخرجه الثعلبي ٣١ / ١٠.

(٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢١٦/٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٧٥): ص ٣٣٧٢/١٠.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٧) تفسير الطبري: ٥٩٠/٢٣.

(٨) الكشف: ٦٠٥/٤.

(٩) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٩٠/٢٣.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٤/٤.

(١٢) من حديث أنس، وعلي وأم سلمة، وسفيينة، رضي الله عنهم، وحديث علي، رضي الله عنه: "كان آخر كلام النبي صلى الله عليه وسلم... فذكره، رواه الإمام أحمد في المسند (٧٨/١) وأبو داود في السنن برقم (٥١٥٤).

(١٣) تفسير ابن كثير: ٢١٦/٨.

والثاني: ذكر الحزب دون الفعل، ليعلم أنّ تارك الحزب بهذه المنزلة، فكيف بتارك الفعل، وما أحسن قول القائل^(١):

إذا نزل الأضياف كان عذورا ... على الحيّ حتى تستقلّ مراجله
يريد: حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم^(٢).

روي عن أبي الدرداء: "أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، وكان يقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع نصفها الآخر؟"^(٣).

قال النسفي: "وهذه الآيات ناطقة على أن المؤمنين يرحمون جميعاً والكافرين لا يرحمون لأنه قسم الخلق نصفين فجعل صنفاً منهم أهل اليمين ووصفهم بالإيمان فحسب بقوله {إني ظننتُ أنّي ملاق حسّابيّة}، وصنفاً منهم أهل الشمال ووصفهم بالكفر بقوله: {إنّه كان لا يؤمن بالله العظيم}، وجاز أن الذي يعاقب من المؤمنين إنما يعاقب قبل أن يؤتى كتابه بيمينه"^(٤).

القرآن

{فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥)} [الحاقة : ٣٥]

التفسير:

فليس لهذا الكافر يوم القيامة قريب يدفع عنه العذاب.

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: {فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ} وذلك يوم القيامة، {هَاهُنَا}، يعني: في الدار الآخرة، قريب يدفع عنه، ويعيظه مما هو فيه من البلاء"^(٥).

قال ابن كثير: "أي: ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله، لا حميم - وهو القريب - ولا شفيع يطاع"^(٦).

قال ابن زيد، في قوله: "حَمِيمٌ"، القريب في كلام العرب"^(٧).

قال النسفي: "قريب يرفع عنه ويحترق له قلبه"^(٨).

قال الشوكاني: "لأنه يوم يفر فيه القريب من قريبه، ويهرب عنده الحبيب من حبيبه"^(٩).

قال الثعلبي: "حَمِيمٌ صديق، وقيل: قريب يعينه، وقيل: هو مأخوذ من الحميم، وهو الماء

الحار كأنه الصديق الذي يرق ويحترق قلبه له"^(١٠).

(١) تركنا فتى قد أيقن الجوع أنه ... إذا ما ثوى في أرحل القوم قاتله

فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهل لباته وأباجله

إذا نزل الأضياف كان عذورا ... على الحي حتى تستقل مراجله

قيل: إنه للعجير السلولي. وقيل: لزينب بنت الطثرية ترضى أباها يزيد. واللبن الطائر والخائر: بمعنى. شبه

الجوع بإنسان عدو للقوم على سبيل المكنية، وإثبات الإيقان له تخييل، وكذلك قتله، وهذا مبالغة في وصف يزيد

بالكرم، وأنه مانع للجوع من دخوله بيوت القوم ولحوقه بهم، حتى كأن الجوع يخافه ويتيقن أنه إذا دخل بيوت

القوم قتله يزيد. ويجوز أن فاعل ثوى: ضمير يزيد، لكن الأول أبلغ، لأنه يفيد أن الجوع لم يدخل على القوم

لخوفه من يزيد، وقد: فعل مبني للمجهول، وقد السيف: مفعول مطلق، أي خلق على شكل السيف في المضي في

المكان وتنفيذ العزائم. والمتضائل المتضاعف المتخاضع، والرهل - كتعب -: الاسترخاء. والرهل - كحذر -: وصف

منه، وجمع اللبّة باعتبار ما حولها. والأباجل: جمع أبجل، وهو عرق غليظ في الفخذ والساق وفرس وهن

الأباجل سريع الجري، والعذور - بالعين المهملة وتشديد الواو -: سيئ الخلق قليل الصبر عن مطلوبه، كأنه يحتاج

إلى الاعتذار عن سوء خلقه. والمراجل: القدر العظام يقول: تركنا في المعركة فتى كريما جوادا سريعا في

قرى الصيفان، إذا نزلوا به كان سيئ الخلق على أهله، حتى ترتفع قدوره الأثافي، فيحسن خلقه كما كان.

(٢) الكشف: ٦٠٥/٤.

(٣) نقلا عن: الكشف: ٦٠٥/٤.

(٤) تفسير النسفي: ٥٣٣/٣.

(٥) تفسير الطبري: ٥٩٠/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢١٧/٨.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٩٠/٢٣.

(٨) تفسير النسفي: ٥٣٣/٣.

(٩) فتح القدير: ٣٤١/٥.

القرآن

{وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ (٣٦) لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧)} [الحاقة : ٣٦-٣٧]

التفسير:

وليس له طعام إلا من صديد أهل النار، لا يأكله إلا المذنبون المصرون على الكفر بالله. قوله تعالى: {وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ} [الحاقة : ٣٦]، أي: "وليس له طعام إلا من صديد أهل النار"^(١).

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: ولا له طعام كما كان لا يحضّ في الدنيا على طعام المسكين، إلا طعام من غسلين، وذلك ما يسيل من صديد أهل النار"^(٢). قال ابن كثير: "ولا طعام له -هاهنا- إلا من غسلين"^(٣). قال مقاتل: "يعني: الذي يسيل من القيح والدم من أهل النار، يعني: فليس له شراب إلا من حميم من عين من أصل الجحيم"^(٤).

قال الزجاج: "معناه: من صديد أهل النار، واشتقاقه مما ينغسل من أبدانهم"^(٥).

قال ابن أبي زمنين: "يعني: غسالة أهل النار: القيح والدم"^(٦).

قال الثعلبي: "هو صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غسالة جروحهم وقروحهم"^(٧).

قال الراغب: "الغسلين: غسالة أبدان الكفار في النار"^(٨).

عن ابن عباس، قوله: "{وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ}": صديد أهل النار"^(٩).

قال ابن عباس: "ما يخرج من لحومهم"^(١٠).

قال ابن عباس: "الغسلين الدم والماء الذي يسيل من لحومهم"^(١١).

قال ابن عباس: "ما أدري ما الغسلين؟ ولكني أظنه الزقوم"^(١٢).

قال قتادة: "شرّ الطعام وأخبثه وأبشعه"^(١٣).

وقال الربيع، والضحاك: "هو شجرة في جهنم"^(١٤).

عن الضحاك: "{غسلين}" قال: هو الضريع، شجرة يأكل منها أهل النار"^(١٥).

وقال ابن زيد: "الغسلين والزقوم لا يعلم أحد ما هو"^(١٦).

قوله تعالى: {لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ} [الحاقة : ٣٧]، أي: "لا يأكله إلا المذنبون المصرون على الكفر بالله"^(١٧).

(١) الكشف والبيان: ٣٢/١٠.

(٢) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(٣) تفسير الطبري: ٥٩٠/٢٣-٥٩١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢١٧/٨.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٤/٤.

(٦) معاني القرآن: ٢١٨/٥.

(٧) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٢/٥.

(٨) الكشف والبيان: ٣٢/١٠.

(٩) المفردات في غريب القرآن: ٦٠٧.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٩١/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٩١/٢٣.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٧٧): ص ٣٣٧٢/١٠.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٧٦)، (١٨٩٧٨): ص ٣٣٧٢/١٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٥٩١/٢٣.

(١٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢١٧/٨.

(١٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار - موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٤١٧ / ٦ (٨١)، ٤٤١ / ٦ (١٨٩).

- وعزه السيوطي إلى ابن المنذر بلفظ: غسلين: شجرة في النار.

(١٧) أخرجه الطبري: ٥٩١/٢٣.

(١٨) التفسير الميسر: ٥٦٨.

قال الطبري: " يقول: لا يأكل الطعام الذي من غسلين إلا الخاطئون، وهم المذنبون الذين ذنوبهم كفر بالله" (١).
 قال مقاتل: " يعني: المجرمين" (٢).
 قال يحيى بن سلام: " المذنبون بالشرك" (٣).
 قال الزمخشري: " {الخطؤون}: الآثمون أصحاب الخطايا. وخطئ الرجل: إذا تعدد الذنب، وهم المشركون" (٤).
 عن مجاهد أنه كان يقرأ: « لا يأكلُهُ إلَّا الخاطيُونَ » لا يَهْمز (٥).
 عن عكرمة، قال: "قرأ نافعٌ عند عبد الله بن عباس: {لا يأكله إلا الخاطئون}. فقال: مَه، كُلُّنا نخطئ" (٦).

قرأ الجمهور: {الخطؤون} مهموزاً، وهو اسم فاعل من خطيء إذا فعل غير الصواب متعمداً، والمخطئ: من يفعله غير متعمد. وقرأ الزهري وطلحة بن مصرف والحسن «الخطيئون» بياء مضمومة بدل الهمزة. وقرأ نافع في رواية عنه بضم الطاء بدون همزة (٧).
 عن صَعْصَعَةَ بن صُوحان، قال: "جاء أعرابيُّ إلى علي بن أبي طالب، فقال: كيف تقرأ هذا الحرف: « لا يأكلُهُ إلَّا الخاطُونَ »؟ كلُّ -والله- يخطو! فتبسّم عليٌّ، وقال: يا أعرابيُّ، {لا يأكلُهُ إلَّا الخاطُونَ}. قال: صدقت -والله- يا أمير المؤمنين، ما كان الله يُسَلِّم عبده. ثم النَّفَتَ عليٌّ إلى أبي الأسود، فقال: إنَّ الأعاجم قد دَخَلتْ في الدِّينِ كافةً، فَضَع للناس شيئاً يَسْتَدلُّون به على صلاح ألسنتهم. فرسم له الرفع، والنصب، والخفض" (٨).
 فوائد الآيات: [٢٥-٣٧]:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثها.
 - ٢- المال الذي باع المفلسون فيه الأمة والملة لا يغني يوم القيامة عن صاحبه شيئاً.
 - ٣- التنديد بالكفر بالله وأهله.
 - ٤- عظم جريمة منع الحقوق المالية من الزكاة وغيرها.
 - ٥- دلت آية: {وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ}، على أن الكفار يعاقبون على ترك الصلاة والزكاة. وهو المراد من قول جمهور الأصوليين: إن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة.
 - ٦- إذا كان المؤمن يفاخر بكتابه ابتهاجا وفرحاً، فإن الكافر الشقي يتمنى الموت، ويكره البعث والعودة إلى الحياة مرة أخرى.
- قال القفال: "تمنى الموت حين رأى من الخجل وسوء المنقلب ما هو أشدّ وأشنع من الموت" (٩).
- ٧- ليس للشقي في الآخرة حميم، أي: قريب يدفع عنه العذاب، ويحزن عليه لأنهم يتحامون ويفرون منه، كقوله: وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً [المعارج: ١٠]، وقوله: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} [غافر: ١٨].

القرآن

- (١) تفسير الطبري: ٥٩١/٢٣.
- (٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٤/٤.
- (٣) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٣٠١.
- (٤) الكشاف: ٦٠٦/٤.
- (٥) عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور.
- (٦) أخرجه الواحدي في الوسيط ٣٤٨/٤.
- (٧) انظر: فتح القدير للشوكاني: ٣٤١/٥.
- (٨) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٦٨٤).
- (٩) نقل عن: غرائب القرآن وרגائب الفرقان للنيسابوري: ٣٥٠/٦، والتفسير المنير: ١٠٠/٢٩.

{فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدْكُرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣)} [الحاقة : ٣٨-٤٣]

التفسير:

فلا أقسم بما تبصرون من المرئيات، وما لا تبصرون مما غاب عنكم، إن القرآن لكلام الله، يتلوه رسول عظيم الشرف والفضل، وليس بقول شاعر كما تزعمون، قليلا ما تؤمنون، وليس بسجع كسجع الكهان، قليلا ما يكون منكم تذکر وتأمل للفرق بينهما، ولكنه كلام رب العالمين الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى: {فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ} [الحاقة : ٣٨-٣٩]، أي: "فلا أقسم بما تبصرون من المرئيات، وما لا تبصرون مما غاب عنكم"^(١).

قال مقاتل: {بِمَا تُبْصِرُونَ} من الخلق، {وَمَا لَا تُبْصِرُونَ} من الخلق، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: إن محمدا ساحر. فقال أبو جهل بن هشام: بل هو مجنون. فقال عقبة بن أبي معيط: بل هو شاعر. وقال النضر: كاهن وقال أبي: كذاب. فبرأه الله من قولهم فأقسم الله- تعالى- بالخلق {إِنَّهُ} إن هذا القرآن {لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ}.."^(٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فلا ما الأمر كما تقولون معشر أهل التكذيب بكتاب الله ورسوله، أقسم بالأشياء كلها التي تبصرون منها، والتي لا تبصرون"^(٣).

قال ابن عباس: "يقول: بما ترون وبما لا ترون"^(٤).

قال ابن زيد: "أقسم بالأشياء، حتى أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون"^(٥).

عن قتادة: {بِمَا تُبْصِرُونَ} أقسم بالأشياء كلها، فيدخل فيه جميع المخلوقات والموجودات. وقال: أقسم بالدنيا والآخرة"^(٦).

قال جعفر الصادق: "بِمَا تُبْصِرُونَ} من صُنْعِي فِي مُلْكِي، {وَمَا لَا تُبْصِرُونَ} من برِّي بأوليائي"^(٧).

قال ابن كثير: "يقول تعالى مُقسماً لخلقها بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم"^(٨).

قال ابن أبي زمنين: "أقسم بكل شيء"^(٩).

قال الثعلبي: "أراد جميع المكونات والموجودات، وقيل: الدنيا والآخرة. وقيل: ما في ظهر السماء والأرض وما في بطنها. وقيل: الأجسام والأرواح. وقيل: النعم الظاهرة والباطنة"^(١٠).

قوله تعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} [الحاقة : ٤٠] ، أي: "إن القرآن لكلام الله، يتلوه رسول عظيم الشرف والفضل"^(١١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن لقول رسول كريم، وهو محمد صلى الله عليه وسلم يتلوه عليهم"^(١٢).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٤/٤.

(٣) تفسير الطبري: ٥٩١/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٩٢/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٩٢-٥٩١/٢٣.

(٦) تفسير البغوي ٨ / ٢١٤.

(٧) تفسير الثعلبي ١٠ / ٣٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢١٧/٨.

(٩) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٣/٥.

(١٠) الكشف والبيان: ٣٢/١٠.

(١١) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٩٢/٢٣.

قال ابن كثير: " يعني : محمدًا، أضافه إليه على معنى التبليغ ؛ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ؛ ولهذا أضافه في سورة التكوير إلى الرسول الملكي : {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ} وهذا جبريل، عليه السلام" (١).

قوله تعالى: {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ} [الحاقة : ٤١]، أي: " وليس بقول شاعر كما تزعمون" (٢).

قال مقاتل: " لقول عتبة، وقول أبي جهل" (٣).

قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه: ما هذا القرآن بقول شاعر؛ لأن محمدًا لا يُحسن قيل الشعر، فتقولوا هو شعر" (٤).

قوله تعالى: {قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ} [الحاقة : ٤١]، أي: " قلما تؤمنون بهذا القرآن" (٥).

قال مقاتل: " يعني: قليلا ما تصدقون بالقرآن، يعني بـ«القليل»: أنهم لا يؤمنون" (٦).

قال الطبري: " يقول: تصدقون قليلا به أنتم، وذلك خطاب من الله لمشركي قريش" (٧).

عن قتادة: " {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ} : طهره الله من ذلك وعصمه" (٨).

قوله تعالى: {وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ} [الحاقة : ٤٢]، أي: " وليس بسجع كسجع الكهان" (٩).

قال الطبري: " يقول: ولا هو بقول كاهن، لأن محمدًا ليس بكاهن، فتقولوا: هو من سجع الكهان" (١٠).

قال قتادة: " طهره الله من الكهانة، وعصمه منها" (١١).

قوله تعالى: {قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ} [الحاقة : ٤٢]، أي: " قلما تتذكرون وتتعضون" (١٢).

قال الطبري: " يقول: تتعضون به أنتم، قليلا ما تعتبرون به" (١٣).

قال مقاتل: " فتعتبرون" (١٤).

قوله تعالى: {تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} [الحاقة : ٤٣]، أي: " ولكنه كلام رب العالمين الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم" (١٥).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: ولكنه {تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} نزل عليه" (١٦).

واختلف أهل العلم في معنى «العالم»، على أقوال:

أحدها : أن العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وهذا قول قتادة (١٧)، ومجاهد (١٨).

الثاني: أنه الإنس ، والجن ، وهذا قول سعيد بن جبير (١٩)، ومجاهد (٢٠).

(١) تفسير ابن كثير: ٢١٧/٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٤/٤.

(٤) تفسير الطبري: ٥٩٢/٢٣.

(٥) صفوة التفاسير: ٤١٤/٣.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٤/٤.

(٧) تفسير الطبري: ٥٩٢/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٩٢/٢٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٩٢/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٩٢/٢٣.

(١٢) صفوة التفاسير: ٤١٤/٣.

(١٣) تفسير الطبري: ٥٩٢/٢٣.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٤/٤.

(١٥) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(١٦) تفسير الطبري: ٥٩٢/٢٣.

(١٧) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(١٨) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(١٩) انظر: تفسير الطبري (١٥٩)، و (١٦٠): ص ١٤٤-١٤٥.

(٢٠) انظر: تفسير الطبري (١٦١)، و (١٦٢): ص ١٤٥/١.

الثالث : أنهم المرتزقون، قاله زيد بن أسلم^(١)، ونحوه قول أبي عمرو بن العلاء^(٢) : هم الروحانيون.

الرابع: العالمون: أهل الجنة وأهل النار. حكاه الثعلبي عن جعفر الصادق^(٣).
الخامس: أن «العالمين»: ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر. رواه مغيث بن شمس عن تبيع^(٤).

السادس: ما رواه الربيع بن أنس عن أبي العالية، قال: "الإنس عالم والجن عالم، وسوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة على الأرض والأرض أربع زوايا ففي كل زاوية منها أربعة آلاف وخمسمائة عالم، خلقهم الله لعبادته تبارك وتعالى"^(٥).

والظاهر أن {العالمين}: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله جل وعلا، و(العالم) جمع لا واحد له من لفظه، و(العوالم) أصناف المخلوقات في السموات والأرض في البر والبحر، فالإنس عالم، والجن عالم، والملائكة عالم^(٦). والله أعلم.

عن شريح بن عبيد الله، قال : "قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، ففقت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال : فقلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش. قال : فقرأ : {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ} قال : فقلت : كاهن. قال فقرأ : {وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَدْكُرُونَ} تنزيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} إلى آخر السورة. قال : فوقع الإسلام في قلبي كل موقع"^(٧).

قال ابن كثير: "فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب"^(٨).

القرآن

{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨)} [الحاقة : ٤٤-٤٨]

التفسير:

ولو ادّعى محمد علينا شيئاً لم نقله، لانتقمنا وأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه نياط قلبه، فلا يقدر أحد منكم أن يحجز عنه عقابنا. إن هذا القرآن لعظة للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه.

قوله تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ} [الحاقة : ٤٤]، أي: "ولو ادّعى محمد علينا شيئاً لم نقله"^(٩).

قال الطبري: يقول: "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا} محمد، {بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ} الباطلة، وتكذب علينا"^(١٠).

قال الفراء: "يقول: لو أن محمداً صلى الله عليه تقول علينا ما لم يؤمر به"^(١١).
قال ابن الجوزي: "أي: لو تكلف محمد أن يقول علينا ما لم نقله"^(١٢).

(١) حكاه عنه القرطبي في تفسيره: ٢١٣/١.

(٢) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(٣) تفسير الثعلبي: ١١٢/١.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠٢٥٢): ص ١٩٣١/٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٠٣١): ص ٢٢٠٧/٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/١، معاني القرآن للزجاج: ٤٦/١.

(٧) المسند (١٧/١).

(٨) تفسير ابن كثير: ٢١٨/٨.

(٩) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٩٢/٢٣.

(١١) معاني القرآن: ١٨٣/٣.

قال ابن كثير: "أي: محمد صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفتريا علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئا من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة" (٢).
قال ابن عطية: "التقول: أن يقول الإنسان عن آخر أنه قال شيئا لم يقله" (٣).
وقرأ ذكوان وابنه محمد: «ولو يقول» بالياء وضم القاف، وهذه القراءة معرضة بما صرحت به قراءة الجمهور (٤).

عن يزيد بن عامر السوائي: "أنهم بينما هم يطوفون بالطاغية إذ سمعوا متكلمًا وهو يقول: {وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقْوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} [الحاقة: ٤٤ - ٤٦]، ففزعنا لذلك، وقلنا: ما هذا الكلام الذي لا نعرفه؟! فنظرنا، فإذا النبي - صلى الله عليه وسلم - مُنْطَلِقًا" (٥).

قوله تعالى: {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} [الحاقة: ٤٥]، أي: "لانتقمنا وأخذنا منه باليمين" (٦).
وفي تفسير قوله تعالى: {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} [الحاقة: ٤٥]، أقوال:
أحدها: معناه: لأخذناه بالقوة والقدرة. قاله ابن عباس (٧)، ومجاهد (٨)، والفراء (٩)، والمبرد (١٠)، وابن قتيبة (١١)، والطبري (١٢)، ومنه قول الشاعر (١٣):

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين
قال الطبري: يقول: لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة" (١٤).
قال الفراء: "بالقوة والقدرة" (١٥).

قال ابن قتيبة: "وإنما أقام اليمين مقام القوة، لأن قوة كل شيء في ميامنه" (١٦).
قال ابن كثير: "قيل: معناه لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش" (١٧).
الثاني: يقول: لانتقمنا منه بالحق كقوله: {إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ} [الصافات: ٢٨]، يعني: من قبل الحق، بأنكم على الحق. قاله السدي (١٨)، ومقاتل (١٩)، وثلعب (٢٠).
الثالث: أهناه كما تقول: خذ بيده فأقمه. ذكره ابن قتيبة عن أهل اللغة (١)، والطبري (٢)، والنحاس (٣). وبه قال سهل التستري (٤).

-
- (١) زاد المسير: ٣٣٣/٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢١٨/٨.
(٣) المحرر الوجيز: ٣٦٢/٥.
(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٣٦٢-٣٦٣/٥.
(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٩٢٢).
(٦) التفسير الميسر: ٥٦٨.
(٧) انظر: الكشف والبيان: ٣٢/١٠، والمحرر الوجيز: ٣٦٣/٥.
(٨) انظر: تفسير السمعاني: ٤٢/٦.
(٩) انظر: معاني القرآن: ١٨٣/٣.
(١٠) نقلا عن: زاد المسير: ٣٣٣/٤.
(١١) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٩٩-١٠٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٢/٢٣.
(١٣) للشماخ في ديوانه ص ٣٣٦، ولسان العرب (عرب)، (يمن)، وتهذيب اللغة ٨/ ٢٢١، ١٥/ ٥٢٣، وجمهرة اللغة ص ٣١٩، ٩٩٤، وتاج العروس (عرب)، ومقاييس اللغة ٦/ ١٥٨، والإصابة ٤/ ٢٣٤، والشعر والشعراء ١/ ٢٧٨، وخزانة الأدب ١/ ٤٥٣، ٢/ ٢٢٣، وتفسير البحر المحيط ١/ ١٦٠، والعمدة ٢/ ١٣١، وأمالي القالي ١/ ٢٧٤، ونقد الشعر ص ٢٥، والبيت بلا نسبة في تفسير الطبري: ٣١/٢١.
(١٤) تفسير الطبري: ٥٩٢/٢٣.
(١٥) معاني القرآن: ١٨٣/٣.
(١٦) تأويل مشكل القرآن: ٩٩-١٠٠.
(١٧) تفسير ابن كثير: ٢١٨/٨.
(١٨) انظر: تفسير السمعاني: ٤٣/٦.
(١٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٣١/٢، ٤٢٥/٤.
(٢٠) انظر: تفسير السمعاني: ٤٣/٦.

قال سهل: "يعني: أمرنا بأخذ يده كما تفعل الملوك"^(٥).
قال الراغب: "أي: منعناه ودفعناه. فعبر عن ذلك بالأخذ باليمين كقولك: خذ بيمين فلان عن تعاطي الهجاء"^(٦).
قال ابن قتيبة: "هو قولهم إذا أرادوا عقوبة رجل: خذ بيده وافعل به كذا وكذا. وأكثر ما يقول السلطان والحاكم بعد وجوب الحكم: خذ بيده واسفع بيده.. فكأنه تعالى قال: لو كذب علينا في شيء مما يلقيه إليكم عنا، لأمرنا بالأخذ بيده"^(٧).
وحكي عن الحسن، قال: "لقطعنا يده اليمنى"^(٨).
وعن الحسن -أيضا-: "أي: أذهبنا قوته"^(٩).
قوله تعالى: {ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} [الحاقة: ٤٦]، أي: "ثم لقطعنا منه نياط قلبه"^(١٠).
قال الطبري: يقول: "ثم لقطعنا منه نياط القلب، وإنما يعني بذلك أنه كان يعاجله بالعقوبة، ولا يؤخره بها"^(١١).
قال سهل: "وهو نياط القلب، وهو العرق الذي يتعلق القلب به، إذا انقطع مات صاحبه، فنقطع ذلك السبب بمخالفته إيانا"^(١٢).
قال ابن قتيبة: "ثم عاقبناه بقطع الوتين.. وهو: عرق يتعلق به القلب، إذا انقطع مات صاحبه، ولم يرد أنا نقطعه بعينه، فيما يرى أهل النظر، ولكنه أراد: ولو كذب علينا لأمتناه أو قتلناه، فكان كمن قطع وتينه. ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما زالت أكلة خبير تعادني، فهذا أوان قطعت أبهري»"^(١٣). والأبهر: عرق يتصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه. فكأنه قال: فهذا أوان قتلني السم، فكننت كمن انقطع أبهره"^(١٤).
قال النحاس: "فأخبر الله جلّ وعزّ بحكمه في أوليائه ومن يعزّ عليه ليعتبر غيرهم"^(١٥).
عن ابن عباس: "لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ"، قال: نياط القلب"^(١٦). وفي رواية: "عرق القلب"^(١٧).
قال ابن عباس: "يعني: عرقا في القلب، ويقال: هو حبل في القلب"^(١٨).
قال مجاهد: "حبل القلب الذي في الظهر"^(١٩).

-
- (١) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٩٩-١٠٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/٢٣.
(٣) انظر: إعراب القرآن: ١٩/٥.
(٤) انظر: تفسير التستري: ١٧٦.
(٥) تفسير التستري: ١٧٦.
(٦) المفردات في غريب القرآن: ٨٩٣.
(٧) تأويل مشكل القرآن: ٩٩-١٠٠.
(٨) نقلا عن: تفسير ابن أبي زمنين: ٣٣/٥.
(٩) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٣/٦.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٨.
(١١) تفسير الطبري: ٥٩٢/٢٣.
(١٢) تفسير التستري: ١٧٦.
(١٣) أخرجه بنحو البخاري في المغازي باب ٨٣، والدارمي في المقدمة باب ١١، وأحمد في المسند ١٨/٦، والقاضي عياض في الشفا ١/٦٠٩، والخطابي في إصلاح خطأ المحدثين ٣٣، والقرطبي في تفسيره ٥/١٦٣، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٢١٨٩، والذهبي في ميزان الاعتدال ٦٢٦٣، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٣/١٢٣٩.
(١٤) تأويل مشكل القرآن: ١٠٠.
(١٥) إعراب القرآن: ١٩/٥.
(١٦) أخرجه الطبري: ٥٩٣/٢٣.
(١٧) أخرجه الطبري: ٥٩٣/٢٣.
(١٨) أخرجه الطبري: ٥٩٣/٢٣.
(١٩) أخرجه الطبري: ٥٩٣/٢٣.

قال قتادة: " حبل القلب" (١).
قال الضحاك: " وتين القلب، وهو عرق يكون في القلب، فإذا قطع مات الإنسان" (٢).
قال ابن زيد: " الوتين: نياط القلب الذي القلب متعلق به" (٣).
قال محمد بن كعب: " هو القلب ومراقه وما يليه" (٤).
قوله تعالى: {فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} [الحاقة: ٤٧]، أي: " فلا يقدر أحد منكم أن يحجز عنه عقابنا" (٥).
قال عطاء: " يقول: لا يحجزه مني أحد" (٦).
قال الكلبي: " منكم أحد يحجزنا عنه، وعن ذلك" (٧).
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: فما منكم أيها الناس من أحد عن محمد لو تقول علينا بعض الأقاويل، فأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، حاجزين يحجزوننا عن عقوبته، وما نفعه به" (٨).
قال الزجاج: " المعنى: فما منكم قوم يحجزون عنه" (٩).
قال السمعاني: " يعني: إنكم تنسبونوه إلى الكذب علي، ولو أخذته لم يقدر أحد منكم على دفعا عنه" (١٠).
قال ابن كثير: " أي: فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من ذلك. والمعنى في هذا، بل هو صادق بار راشد؛ لأن الله، عز وجل، مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات" (١١).
قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرٌ لِلْمُتَّقِينَ} [الحاقة:]، أي: " إن هذا القرآن لعظة للمتقين الذين يمثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه" (١٢).
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن عظة يتذكر به، ويتعظ به للمتقين، وهم الذين يتقون عقاب الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه" (١٣).
قال ابن كثير: " يعني: القرآن كما قال: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} [فصلت: ٤٤]" (١٤).
عن قتادة: " {وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرٌ لِلْمُتَّقِينَ}، قال: القرآن" (١٥).
قال سهل: " يعني: القرآن رحمة للمطيعين" (١٦).
عن ابن جريج: " {وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرٌ}، {وَإِنَّهُ لِحَسْرَةٌ}، {وَإِنَّهُ لِحَقُّ الْيَقِينِ}، قال: القرآن" (١٧).
عن الضحاك: " {الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك" (١).

- (١) أخرجه الطبري: ٥٩٤/٢٣.
 - (٢) أخرجه الطبري: ٥٩٤/٢٣.
 - (٣) أخرجه الطبري: ٥٩٤/٢٣.
 - (٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢١٨/٨.
 - (٥) التفسير الميسر: ٥٦٨.
 - (٦) التفسير البسيط للواحدى: ١٩٤/٢٢.
 - (٧) التفسير البسيط للواحدى: ١٩٤/٢٢.
 - (٨) تفسير الطبري: ٥٩٤/٢٣.
 - (٩) معاني القرآن: ٢١٨/٥.
 - (١٠) تفسير السمعاني: ٤٣/٦.
 - (١١) تفسير ابن كثير: ٢١٨/٨.
 - (١٢) التفسير الميسر: ٥٦٨.
 - (١٣) تفسير الطبري: ٥٩٤-٥٩٤/٢٣.
 - (١٤) تفسير ابن كثير: ٢١٨/٨.
 - (١٥) أخرجه الطبري: ٥٩٥/٢٣.
 - (١٦) تفسير التستري: ١٧٦.
 - (١٧) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٢٦٢ - ٢٦٣ (١٠٧).
- وضعف المحققون إسناده.

عن السدي: "{المتقين}"، قال: هم المؤمنون"^(٢).

القرآن

{وَأِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١)
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)} [الحاقة : ٤٩-٥٢]

التفسير:

إننا لنعلم أن منكم من يكذب بهذا القرآن مع وضوح آياته، وإن التكذيب به لندامة عظيمة على الكافرين به حين يرون عذابهم ويرون نعيم المؤمنين به، وإنه لحق ثابت ويقين لا شك فيه. فنزه الله سبحانه عما لا يليق بجلاله، وذكره باسمه العظيم.

قوله تعالى: {وَأِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ} [الحاقة : ٤٩]، أي: "إننا لنعلم أن منكم من يكذب بهذا القرآن مع وضوح آياته"^(٣).

قال الربيع: "يعني: بالقرآن"^(٤).

قال الطبري: "أي: مع هذا البيان والوضوح، سيوجد منكم من يكذب بالقرآن"^(٥).

قال السمعاني: "أي: بالقرآن وبالرسول"^(٦).

قال الزمخشري: "هو إبعاد على التكذيب. وقيل الخطاب للمسلمين. والمعنى: أن منهم

ناسا سيكفرون بالقرآن"^(٧).

قال مقاتل: "{وَأِنَّا لَنَعْلَمُ} يا أهل مكة، {أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ}"^(٨).

قال ابن عطية: "وعيد"^(٩).

قوله تعالى: {وَأِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ} [الحاقة : ٥٠]، أي: "إن التكذيب به لندامة

عظيمة على الكافرين به حين يرون عذابهم ويرون نعيم المؤمنين به"^(١٠).

قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: وأن التكذيب به لحسرة وندامة على الكافرين بالقرآن يوم

القيامة"^(١١).

قال النحاس: "أي: يتحسرون يوم القيامة على تركهم الإيمان به"^(١٢).

قال السمعاني: "أي: البعث حسرة على الكافرين"^(١٣).

قال سهل: "يعني: ما يرون من ثواب أهل التوحيد ومنازلهم وكريم مقاماتهم"^(١٤).

قال الزمخشري: "{وَأِنَّهُ} الضمير لـ«القرآن» {لِحَسْرَةٍ} على الكافرين به المكذبين له إذا

رأوا ثواب المصدقين به. أو للتكذيب"^(١٥).

(١) أخرجه الطبري (١١٧٢٤): ص ٢١١/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٢٤٨): ص ١٧٥١/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(٤) النكت والعيون: ٨٧/٦.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢١٨/٨.

(٦) تفسير السمعاني: ٤٣/٦.

(٧) الكشاف: ٦٠٧/٤.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٥/٤.

(٩) المحرر الوجيز: ٣٦٣/٥.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(١١) تفسير الطبري: ٥٩٥/٢٣.

(١٢) إعراب القرآن: ١٩/٥.

(١٣) تفسير السمعاني: ٤٣/٦.

(١٤) تفسير التستري: ١٧٦.

(١٥) الكشاف: ٦٠٧/٤.

قال ابن كثير: "ويحتمل عود الضمير على القرآن، أي: وإن القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين، كما قال: {كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ} [الشعراء: ٢٠٠، ٢٠١]، وقال تعالى: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} [سبأ: ٥٤]"^(١).
 عن أبي مالك: {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ} يقول: لندامة"^(٢).
 عن قتادة: "وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ": ذاكم يوم القيامة"^(٣).
 قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ} [الحاقة: ٥١]، أي: "وإنه لحق ثابت ويقين لا شك فيه"^(٤).

قال عطاء: يعني: القرآن مني بدأ، وأنا أرسلته إليكم"^(٥).
 قال قتادة: "إلا أن المؤمن أيقن به في الدنيا فنفعه، والكافر أيقن به في الآخرة فلم ينفعه"^(٦).

قال الطبري: يقول: "وإنه للحق اليقين الذين لا شك فيه أنه من عند الله، لم يتقوله محمد صلى الله عليه وسلم"^(٧).

قال ابن كثير: "أي: الخبر الصدق الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب"^(٨).
 قال الزجاج: "المعنى: أن القرآن لليقين حق اليقين"^(٩).
 قال السمعاني: "أي: البعث محض اليقين وعين اليقين"^(١٠).
 قال الزمخشري: "كقولك: هو العالم حق العالم، وجدّ العالم. والمعنى: لعين اليقين، ومحض اليقين"^(١١).

قال النحاس: "أي: محضه وخالصه. والكوفيون يقولون: هذا إضافة الشيء إلى نفسه"^(١٢).

قال ابن عطية: "ذهب الكوفيون إلى أنها إضافة الشيء إلى نفسه كدار الآخرة ومسجد الجامع. وذهب البصريون والحدائق إلى أن الحق مضاف إلى الأبلغ من وجوهه"^(١٣).
 وقال المبرد: "إنما هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين"^(١٤).
 قوله تعالى: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الحاقة: ٥١]، أي: "فنزّه الله سبحانه عما لا يليق بجلاله، واذكره باسمه العظيم"^(١٥).

قال ابن كثير: "أي: الذي أنزل هذا القرآن العظيم"^(١٦).
 قال الطبري: "بذكر ربك وتسميته العظيم، الذي كلّ شيء في عظمته صغير"^(١٧).

(١) تفسير ابن كثير: ٢١٩/٨.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢١٩/٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٩٥/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(٥) التفسير البسيط للواحدى: ١٩٦/٢٢.

(٦) النكت والعيون: ٨٨/٦.

(٧) تفسير الطبري: ٥٩٥/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢١٩/٨.

(٩) معاني القرآن: ٢١٨/٥.

(١٠) تفسير السمعاني: ٤٣/٦.

(١١) الكشاف: ٦٠٧/٤.

(١٢) إعراب القرآن: ١٩/٥.

(١٣) المحرر الوجيز: ٣٦٣/٥.

(١٤) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٣٦٣/٥.

(١٥) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(١٦) تفسير ابن كثير: ٢١٩/٨.

(١٧) تفسير الطبري: ٥٩٥/٢٣.

قال النحاس: "أي نزهه وبرئه مما نسب إليه من الأنداد والأولاد والشبه «العظيم» الذي كل شيء صغير دونه"^(١).
 قال الزمخشري: "كقولك: هو العالم حق العالم، وجدّ العالم. والمعنى: لعين اليقين، ومحض اليقين"^(٢).
 قال السمعاني: "فَسَبَّحَ {فَسَبَّحَ} الله بذكر اسمه {العظيم} وهو قوله: «سبحان الله»، واعبده شكرا على ما أهلك له من إيحائه إليك"^(٣).
 قال الزجاج: "التسبيح: معناه تَنْزِيهُ اللَّهِ مِنَ السُّوءِ وتَنْزِيهِهِ تَعَالَى"^(٤).
 عن عطاء: {فَسَبَّحَ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}، قال: "فصل لربك الذي عصمك من كل ما رموك به"^(٥).

وعن ابن عباس: {فَسَبَّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ}، قال: "فصل لربك"^(٦).
 عن إياس بن عامر، قال: سمعت عقبة بن عامر الجهني، يقول: "لما نزلت: {فَسَبَّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: ٧٤] ، قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت: {سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] ، قال: «اجعلوها في سجودكم»"^(٧).

-
- (١) إعراب القرآن: ١٩/٥.
 (٢) الكشف: ٦٠٧/٤.
 (٣) تفسير السمعاني: ٤٣/٦.
 (٤) معاني القرآن: ٢١٨/٥.
 (٥) التفسير البسيط للواحدى: ١٩٦/٢٢.
 (٦) النكت والعيون: ٨٨/٦.
 (٧) المسند (١٧٤١٤): ص ٦٣٠/٢٨، وأخرجه الدارمي (١٣٠٥) ، ويعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" ٥٠٢/٢ ، وأبو يعلى (١٧٣٨) ، وابن خزيمة (٦٠٠) و (٦٧٠) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٣٥/١ ، والطبراني في "الكبير" ١٧ / (٨٨٩) ، والحاكم ٤٧٧/٢ ، وابن عبد البر في "المتهيد" ١١٩/١٦ من طريق أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ، بهذا الإسناد. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال الذهبي في "تلخيصه": الحديث صحيح.
 وأخرجه الطيالسي (١٠٠٠) ، وأبو داود (٨٦٩) ، وابن ماجه (٨٨٧) ، وابن خزيمة (٦٠١) و (٦٧٠) ، وابن حبان (١٨٩٨) ، والحاكم ٢٢٥/١ ، والبيهقي في "التفسير" ٢٨/٧ ، والمزي في ترجمة إياس من "تهذيب الكمال" ٤٠٥/٣ من طريق عبد الله بن المبارك، عن موسى بن أيوب الغافقي، به، وصحح الحاكم إسناده، فتعقبه الذهبي بقول: إياس ليس بالمعروف.
 وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٣٥/١ من طريق عم أحمد بن عبد الرحمن بن وهب- وهو عبد الله بن وهب-، والطبراني ١٧ / (٨٩١) من طريق ابن لهيعة، كلاهما عن موسى بن أيوب الغافقي، به.
 وأخرجه الطبراني ١٧ / (٨٩٠) من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث، عن موسى بن أيوب، عن رجل من قومه سماه، عن عقبة بن عامر. وزاد: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ركع قال: "سبحان ربي العظيم" ثلاث مرات، وإذا سجد قال: "سبحان ربي الأعلى" ثلاث مرات. والرجل المبهم هو بلا شك إياس بن عامر الغافقي.
 وأخرجه أبو داود (٨٧٠) عن أحمد بن يونس، عن الليث، عن أيوب بن موسى أو موسى بن أيوب- على الشك- عن رجل من قومه، عن عقبة بن زيادة الطبراني السابقة. وقال: وهذه الزيادة نخاف ألا تكون محفوظة. قلنا: لكن روي لهذه الزيادة شواهد تتقوى بها وإن كان لا يخلو واحد منها من مقال: فعن عبد الله بن مسعود عند أبي داود (٨٨٦) ، والترمذي (٢٦١) ، وقال: حديث ابن مسعود ليس إسناده بمتصل، عون بن عبد الله بن عتبة لم يلق ابن مسعود. وقال أبو داود: هذا مرسل، عون لم يدرك عبد الله.
 وعن جبير بن مطعم عند البزار (٣٤٤٧) ، والطبراني (١٥٧٢) ، والدارقطني ٣٤٢/١ ، وفي إسناده عبد العزيز بن عبيد الله الحمصي، وهو ضعيف. وعن أبي مالك الأشعري. سيرد ٣٤٣/٥ ، وفي إسناده شهر بن حوشب، وهو ضعيف.
 وعن أقرم بن زيد الخزاعي عند الدارقطني ٣٤٣/١ ، وفي إسناده من لا يعرف.
 وعن أبي بكره عند البزار (٣٦٨٦) وفيه من لا يعرف أيضا.
 قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم، يستحبون أن لا ينقص الرجل في الركوع والسجود من ثلاث تسبيحات.

فوائد الآيات: [٣٨-٥٢]:

- ١- الله تعالى أن يحلف بما يشاء من مخلوقاته لحكم عالية وليس للعبد أن يحلف بغير الرب تعالى.
 - ٢- أقسم الله تعالى بالأشياء المخلوقة كلها، ما يراه الناس وما لا يرونه على أن القرآن العظيم من قول الله عز وجل، وليس قول الرسول في الحقيقة، لكن نسب القول في الظاهر إلى الرسول لأنه تاليه ومبلغه والعامل به، كقولنا: هذا قول مالك.
 - ٣- تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية.
 - ٤- ليس القرآن أيضا بقول شاعر لأنه مباين لصنوف الشعر كلها، ولا بقول كاهن لأنه ورد بسبب الشياطين وشمهم، فلا يمكن أن يكون ذلك بإلهام الشياطين، إلا أن المشركين المعاندين لا يقصدون الإيمان، فذلك أعرضوا عن التدبير، ولو قصدوا الإيمان لعلموا كذب قولهم: إنه شاعر لمغايرة تركيب القرآن أنواع الشعر، وهم أيضا لا يتذكرون كيفية نظم القرآن، واشتماله على شتم الشياطين، فقالوا: إنه نوع من أنواع الكهانة.
 - ٥- وصف الرسول بالكرم وبكرامته على الرب تعالى.
 - ٦- عجز الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الكذب على الله تعالى وعدم قدرته على ذلك لو أرادته ولكن الذي لا يكذب على الناس لا يكذب على الله كما قال هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله رداً على أبي سفيان لما قال له لم نجرب عليه كذبا قط..
 - ٧- مهام القرآن: أنه تذكرة للمتقين الخائفين الذين يخشون الله، وقد أوعده الله على التكذيب به، وتكذيب القرآن سبب حسرة الكافرين في القيامة إذا رأوا ثواب المصدقين به، أو في الدنيا إذا رأوا دولة المؤمنين لأن القرآن العظيم حق يقين لا ريب فيه، وحق لا بطلان فيه.
 - ٨- مشروعية التسبيح بقول: «سبحان ربي العظيم» إن صح أنه لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «اجعلوها في ركوعكم»^(١)، فكانت سنة مؤكدة: «سبحان ربي العظيم» ثلاثاً في الركوع أو أكثر.
- «آخر تفسير سورة (الحاقة)، والحمد لله وحده»**
- نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قلنا: وفي الباب أيضا عن حذيفة بن اليمان، لكن دون تقييد الذكر في الركوع والسجود بعدد، وهو عند مسلم (٧٧٢)، وسيأتي في "المسند" ٣٨٢/٥.

قال السندي: قوله: "اجعلوها" أي: اعملوا بها واجعلوا السبحة التي تدل عليها هي، والمراد: قولوا: سبحان ربي العظيم ...

(١) سبق تخريجه.

بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة «المعارج»

«سورة المعارج» هي السورة السبعون في ترتيب المصحف، أما ترتيبها في النزول فهي السورة الثامنة والسبعون، وكان نزولها بعد سورة «الحاقة» وقبل سورة «النبأ»، وآياتها ثلاث وأربعون في عد الشام، وأربع في عد الباقيين. كلماتها مائتان وثلاث عشرة. وحروفها سبعمائة وسبع وخمسون. المختلف فيها آية: {أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج : ٤]، فواصل آياتها: «جعلناهم»، على الميم: {مَعْلُومٌ} [المعارج : ٢٤]، و{وَالْمَحْرُومُ} [المعارج : ٢٥]، وعلى الجيم: {الْمَعَارِجُ} [المعارج : ٣]، وعلى اللام: {كَالْمُهْلِ} [المعارج : ٨]^(١).

- أسماء السورة:

■ أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة المعارج»:

اشتهرت تسميتها بسورة «المعارج»، وسميت بها في معظم المصاحف وكتب التفسير، ووجه تسميتها لقوله تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج : ٤]، أي: تصعد إليه الملائكة وجبريل الأمين الذي خصه الله بنقل الوحي إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام، وخصه بالذكر لشرفه وفضل منزلته، وهو المسمى بالروح في قوله تعالى: {نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ} [الشعراء: ١٩٣]^(٢).

وقد ورد لفظ: «المعارج»، أيضا في سورة «الزخرف»، قال تعالى: {وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُفُوفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} [الزخرف : ٣٣].

■ ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:

■ الاسم الأول: سورة «سال سائل» أو «سال»:

عرفت تسمية السورة بهذا الاسم في عهد الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم-، وعنونت بذلك في بعض كتب التفسير^(٣)، والسنة، ووجه تسميتها بذلك لأنها افتتحت بها السورة في قوله تعالى: {سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} [المعارج : ١]، ولم يرد مثلها في غيرها من سور القرآن.

■ الاسم الثاني: سورة «الواقع»:

وردت هذه التسمية في بعض كتب علوم القرآن، وعلل الفيروزآبادي تسميتها بذلك لوقوع هذا اللفظ في {بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} [المعارج : ١]^(٤). وذكرها الألوسي في تفسيره بلفظ: «المواقع»^(٥).

■ الاسم الثالث: سورة «ذي المعارج»:

ذكر هذه التسمية الفيروزآبادي^(٦)، ولعل وجه تسميتها بذلك يعود لقوله تعالى: {مَنْ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ} [المعارج : ٣].

وهذه التسميات مقتبسة من كلمات وقعت في الآيتين الأولى والثانية من السورة، وبذلك هي أسماء اجتهادية، وليست توقيفية، إذ يلزم من ذلك أن تسمى أي سورة من سور القرآن الكريم بكثير من بعض الكلمات التي جاءت فيها، أضف إلى ذلك عدم ورود احاديث تعزز مثل هذه الأسماء.

■ مكية السورة ومدنيتها:

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.

(٢) انظر: التفسير المنير: ١٠٩/٢٩.

(٣) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ٣٤/٥، والكشف والبيان: ٣٤/١٠، وتفسير ابن كثير: ٢٢٠/٨.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.

(٥) انظر: روح المعاني: ٦٢/١٥.

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.

- عن ابن عباس، قال: نزلت سورة سأل بمكة^(١)، وروى عن ابن الزبير مثله^(٢).
قال ابن عطية: "هي مكية لا خلاف بين الرواة في ذلك"^(٣).
قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"^(٤).
قال القرطبي: "هي مكية باتفاق"^(٥).
وقال الألوسي: "وفي مجمع البيان عند الحسن إلا قوله تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ} [المعارج: ٢٤]"^(٦).
■ مناسبة السورة لما قبلها:
نزلت هذه السورة بعد «الحاقة»، وهي كالتتمة لها في بيان أوصاف يوم القيامة والنار، وأحوال المؤمنين والمجرمين في الآخرة^(٧).
■ أغراض السورة ومقاصدها
١- تدور مقاصد سورة المعارج في بداية السورة حول عصيان أهل مكة المكرمة واستهزائهم بالعذاب الذي توعد الله تعالى به الكافرين والمشركين، إضافة إلى معاندتهم ومكابرتهم وعلى رأسهم النضر بن الحارث الذي دعا على نفسه وعلى أهله وقومه بالهلاك، قال تعالى في محكم التنزيل: {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَتَرَاهُ قَرِيبًا (٧)} [المعارج : ٦ - ٧].
٢- ومن مقاصد سورة المعارج أيضًا أنها تبيّن مصير المجرمين والكفار والعذاب الذي أعده الله تعالى لهم، وذلك وعيد من الله، قال تعالى: {يُبَيِّصُ وُجُوهَهُمْ يَوْمَئِذٍ لَوْ يَفْقَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِيهِ (١١) وَصَاحِبِيهِ وَأَخِيهِ (١٢)} [المعارج : ١١ - ١٢]، وتصف بعد ذلك النار التي أعدها لهم الله تعالى، قال تعالى: {كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٨)} [المعارج : ١٥ - ١٨]، وهذه النار ستنادي على الكافر ليأتي وينال جزاءه يوم القيامة.
٣- ومن مقاصد السورة أنها توضّح طبيعة الإنسان وتذكر صفاته الطبيعية من جزع عند المصيبة، وعدم شكر الله تعالى على نعمه، إلا من رحم الله، وهم المؤمنون الحقيقيون الذين ذكر الله صفاتهم بعد ذلك، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيْنَ يَدَيْ يَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُتَشَفِّعُونَ (٢٧)} [المعارج : ٢٤ - ٢٧].
٤- ثم ختمت مقاصد سورة المعارج الحديث بالإشارة إلى الطمع الموجود عند الكفار والمجرمين لدخول الجنة رغم كفرهم وتكذيبهم للرسول والأنبياء، وفي النهاية تنوعدهم بعذاب أليم في ذلك اليوم الموعود، قال تعالى: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذِلَّةً ذَلِكِ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)} [المعارج : ٤٣ - ٤٤].
قال الفيروزآبادي: "مقصود السورة: بيان جرأة الكافر في استعجال العذاب، وطول القيامة وهولها، وشغل الخلائق في ذلك اليوم المهيب، واختلاف حال الناس في الخير والشر ومحافظة المؤمنين على خصال الخير، وطمع الكفار في غير مطمع، وذل الكافرين في يوم القيامة في قوله: {تَرْهُفُهُمْ ذِلَّةً} [المعارج : ٤٤]"^(٨).

(١) الدر المنثور: ٢٧٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٢٧٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) المحرر الوجيز: ٣٦٤/٥.

(٤) زاد المسير: ٣٣٥/٤.

(٥) تفسير القرطبي: ٢٧٨/١٨.

(٦) روح المعاني: ٦٢/١٥.

(٧) انظر: تفسير المراغي: ٦٥/٢٩، والتفسير المنير للزحيلي: ١٠٩/٢٩.

(٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.

■ الناسخ والمنسوخ:

فيها من المنسوخ آيتان: م {قَاصِرٌ صَبْرًا جَمِيلًا} [المعارج : ٥]، م {قَدَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} [المعارج : ٤٢] نسختا بآية السيف^(١).

■ فضائل السورة:

- عن الماجشون، قال: سمعت أبا بن عثمان: "قرأ في كسوف: {سَأَلَ سَائِلٌ} [المعارج: ١] " الآية"^(٢).

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة سأل سائلٌ أعطاه الله ثواب: «الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ»"^(٣). [موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٨٣٢٦): ص ٢٢٠/٢.

(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٥/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١١٦/١٠. [موضوع]

القرآن

{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَع (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤)} [المعارج : ١ - ٤]

التفسير:

دعا داع من المشركين على نفسه وقومه بنزول العذاب عليهم، وهو واقع بهم يوم القيامة لا محالة، ليس له مانع يمنعه من الله ذي العلو والجلال، تصعد الملائكة وجبريل إليه تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا، وهو على المؤمن مثل صلاة مكتوبة.
سبب النزول:

عن ابن عباس: "سَأَلَ سَائِلٌ {المعارج: ١}، قال: نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة" (١).

عن ابن عباس: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَع} [المعارج : ١]، قال: «النضر بن الحارث بن كلدة» (٢).

عن ابن عباس: "سَأَلَ سَائِلٌ {المعارج: ١}، قال: هو النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء" (٣).

عن سعيد بن جبیر: "سَأَلَ سَائِلٌ {المعارج: ١}، قال: هو النضر بن الحارث بن كلدة، قال: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء» (٤).

قال مقاتل: "نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة ابن كلدة القرشي من بني عبد الدار بن قصي، وذلك أنه قال: اللهم إن كان ما يقول محمد هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فأمطر علينا حجارة السماء أو انتنا بعذاب أليم. فقتل يوم بدر" (٥).

قوله تعالى: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَع} [المعارج : ١]، أي: "دعا داع من المشركين على نفسه وقومه بنزول العذاب عليهم" (٦).

قال الطبري: "يقول: سأل بعذاب للكافرين واجب لهم يوم القيامة واقع بهم، ومعنى {لِلْكَافِرِينَ}: على الكافرين" (٧).

قال الفراء: "دعا داع بعذاب واقع، وهو: النضر بن الحارث بن كلدة، قال: اللهم إن كان ما يقول محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو انتنا بعذاب أليم، فأسر يوم بدر، فقتل صبورا هو وعقبته، وقوله: {بِعَذَابٍ وَقَع}. يريد: للكافرين، و«الواقع» من نعت «العذاب»" (٨).

قال ابن عباس: "ذاك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع" (٩).

قال الضحاك: "واقع على الكافرين" (١٠).

قال قتادة: "سأل عذاب الله أقوام، فبين الله على من يقع؛ على الكافرين" (١١).

(١) مسند البزاز (٥٠٩٨): ص ٢٩٨/١١، وقال: "وهذا الحديث لا نعلم أحدا رواه إلا أبو أسامة".

(٢) السنن الكبرى للنسائي (١١٥٥٦): ص ٣١٢/١٠.

(٣) الدر المنثور: ٢٧٧/٨، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه.

(٤) المستدرک (٣٨٥٤): ص ٥٤٥/٢. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٥/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(٧) تفسير الطبري: ٦٠٠/٢٣.

(٨) معاني القرآن: ١٨٣/٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٣.

عن مجاهد، قوله: "سَأَلَ سَائِلٌ، قال: دعا داع، {بَعْدَابٍ وَاقِعٌ}، قال: يقع في الآخرة، قال: وهو قولهم: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنَ السَّمَاءِ} [الأنفال : ٣٢]"^(١).

وروي عن ابن زيد، في قوله الله: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}، قال: قال بعض أهل العلم: هو واد في جهنم يقال له سائل"^(٢).

وقرى: «سَال سَائِلٌ»، فلم يهمز «سأل»، ووجهه إلى أنه فعل من: السيل"^(٣).
قوله تعالى: {لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ} [المعارج : ٢]، أي: "وهو واقع بهم يوم القيامة لا محالة، ليس له مانع يمنعه"^(٤).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ليس للعذاب الواقع على الكافرين من الله دافع يدفعه عنهم"^(٥).

قال الفراء: "اللام التي في «الكافرين» دخلت للعذاب لا للواقع"^(٦).
قوله تعالى: {مَنْ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ} [المعارج : ٣]، أي: "وهو صادر من الله من الله ذي العلو والجلال"^(٧).

قال الطبري: "يعني: ذا العلوّ والدرجات والفواضل والنعم"^(٨).
قال ابن عباس: "يقول: العلوّ والفواضل"^(٩).
قال قتادة: "ذي الفواضل والنعم"^(١٠).
عن مجاهد، قوله: "مَنْ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ}، قال: معارج السماء"^(١١).
قال ابن زيد: "الله ذو المعارج"^(١٢).
قال ابن عباس: "ذي الدرجات"^(١٣).

قوله تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج : ٤]، أي: "تصعد الملائكة وجبريل إليه تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا"^(١٤).

قال الطبري: "تصعد الملائكة والروح، وهو جبريل عليه السلام إليه، يعني إلى الله جلّ وعزّ، كان مقدار صعودهم ذلك في يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة، وذلك أنها تصعد من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره، من فوق السموات السبع"^(١٥).
قال السمعاني: "وقيل: «الروح» هم في خلق السماء يشبهون الأدميين، وليسوا بأدميين"^(١٦).

(١) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(٥) تفسير الطبري: ٦٠٠/٢٣.

(٦) معاني القرآن: ١٨٣/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦٨، وصفوة التفاسير: ٤١٩/٣.

(٨) تفسير الطبري: ٦٠٠/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦٠١-٦٠٠/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦٠١/٢٣.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(١٥) تفسير الطبري: ٦٠١/٢٣.

(١٦) تفسير السمعاني: ٤٥/٦.

واختلف في قوله تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج : ٤]، على وجوه:

أحدها: أنه مقدار صعود الملائكة من أسفل الأرض إلى العرش، لو صعده غيرهم قطعه في خمسين ألف سنة، وهذا معنى قول ابن عباس^(١)، ومجاهد^(٢).

عن ابن عباس: "منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق سبع سموات مقداره خمسين ألف سنة، و«يوم كان مقداره ألف سنة»، يعني: بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة، لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام"^(٣).

وقال ابن عباس: "غلظ كل أرض خمسمائة عام، فذلك أربعة عشر ألف عام، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام، فذلك قوله: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج : ٤]"^(٤).

عن مجاهد: "ففي يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة"، قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة؛ ويوم كان مقداره ألف سنة، يعني: بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة، لأن ما بين السماء إلى الأرض، مسيرة خمس مئة عام"^(٥).

الثاني: أنه مدة الدنيا، مقدار خمسين ألف سنة، لا يدري أحد كم مضى وكم بقي إلا الله، قاله عكرمة^(٦)، ومجاهد-أيضا-^(٧).

عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قال معمر: وبلغني أيضا، عن عكرمة، في قوله: {مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}: لا يدري أحد كم مضى، ولا كم بقي إلا الله"^(٨).

الثالث: أنه يوم القيامة، قاله ابن عباس-أيضا-^(٩)، والحسن^(١٠)، وعكرمة^(١١)، والضحاك^(١٢)، وقتادة^(١٣)، ومحمد بن كعب القرظي^(١٤)، وابن زيد^(١٥)، وهذا هو مقدار يوم القيامة من وقت البعث إلى أن يفصل بين الخلق.

قال السمعاني: "هو يوم القيامة، وهو أصح القولين"^(١٦).

عن عكرمة: "ففي يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة"، قال: يوم القيامة"^(١٧).

قال قتادة: "ذاكم يوم القيامة"^(١٨).

قال الضحاك: "يعني: يوم القيامة"^(١٩).

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ((١٨٩٨٧))، و(١٨٩٨٨): ص ٣٣٧٣/١٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٠١/٢٣، وزاد المسير: ٣٣٦-٣٣٧/٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ((١٨٩٨٧))، ص ٣٣٧٣/١٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ((١٨٩٨٨))، ص ٣٣٧٣/١٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٠١/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٠٢-٦٠١/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٩٠/٦، وزاد المسير: ٣٣٦-٣٣٧/٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٠١/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٩٠/٦، وزاد المسير: ٣٣٦-٣٣٧/٤.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(١٦) تفسير السمعاني: ٤٥/٦.

(١٧) أخرجه الطبري: ٦٠١/٢٣.

(١٨) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(١٩) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٣.

قال ابن زيد: " هذا يوم القيامة" (١).
 قال ابن عباس: " فهذا يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة" (٢).
 قال ابن عباس: " لو قدرتموه لكان خمسين ألف سنة من أيامكم، قال: يعني يوم القيامة" (٣).
 قال عكرمة: " في يوم واحد يفرغ في ذلك اليوم من القضاء كقدر خمسين ألف سنة" (٤).
 عن الحسن، قال: " يكون عليهم كصلاة مكتوبة" (٥).
 قال إبراهيم التيمي: " قدر يوم القيامة على المؤمن قدر ما بين الظهر إلى العصر" (٦).
 عن أبي الهيثم عن سعيد، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}، ما أطول هذا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَأَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لِيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَحَفَّ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ يُصَلِّيَهَا فِي الدُّنْيَا» (٧).
 وروي عن ابن أبي مليكة: " أن رجلاً سأل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: إنما سألتك لتخبرني، قال: هما يومان ذكرهما الله في القرآن، الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم (٨). وفي رواية: " هما يومان ذكرهما الله جلّ وعزّ، الله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم" (٩).

القرآن

{فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥)} [المعارج : ٥]

التفسير:

فاصبر -أيها الرسول- على استهزائهم واستعجالهم العذاب، صبراً لا جزع فيه، ولا شكوى منه لغير الله.

وفي تفسير الآية الكريمة أقوال:

أحدها : أنه الصبر الذي ليس فيه جزع ، قاله مجاهد (١٠).
 قال مقاتل: " يعزي نبيه- صلى الله عليه وسلم- صبراً لا جزع فيه تكذيبهم إياك بأن العذاب غير كائن" (١١).
 وقال الحسن: " الصبر الجميل: الذي ليس فوقه جزع إلا إلى الله" (١٢).
 قال ابن أبي زمنين: " ليس فيه جزع على تكذيب المشركين لك" (١٣).
 قال النحاس: " فاصبرُ على أذاهم، صَبْرًا جَمِيلًا لا جزع فيه" (١٤).
 قال الطبري: " يعني: صبراً لا جزع فيه. يقول له: اصبر على أذى هؤلاء المشركين لك، ولا يثنيك ما تلقى منهم من المكروه عن تبليغ ما أمرك ربك أن تبليغهم من الرسالة" (١٥).

(١) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٨٩): ص ٣٣٧٤/١٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٠١/٢٣.

(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٦) أخرجه عبد الرزاق ٣١٦/٢. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٠٣-٦٠٢/٢٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٤/١٥، وتفسير مجاهد: ٣٩٣.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٦/٤.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٩٩): ٢١١٢/٧.

(١٣) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٥/٥.

(١٤) إعراب القرآن: ٢١/٥.

(١٥) تفسير الطبري: ٦٠٣/٢٣.

الثاني : أنه الصبر الذي لا شكوى فيه إلا إلى الله جل وعز. قاله الفراء^(١).
حبان بن أبي جبلة: أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله: {فَصَبِرْ جَمِيلًا} [يوسف : ١٨، ٨٣] قال: صبر لا شكوى فيه"^(٢).

وفي رواية: "صبر لا شكوى فيه. قال: من بثّ فلم يصبر"^(٣).
وقال سهل: "أي: رضا من غير شكوى، فإن الشكوى بلوى، ودعوى الصبر معه دعوى، وإن لله تعالى عبادة شكوا به منه إليه حجة تمسك النفس الطبع عن التفات إلى شيء غير الذي من أجله صبر الصابر"^(٤).

الثالث : أنه الانتظار من غير استعجال، قاله ابن بحر^(٥).

الرابع : أنه المجاملة في الظاهر، قاله الحسن^(٦).

عن قيس بن الحجاج في قوله: {فاصبر صبرا جميلا} قال: هو أن يكون صاحب المصيبة في القوم ولا يدرى من هو، وإنما أمره بالصبر؛ لأن المشركين كانوا يؤذونه، فأمره بالصبر إلى أن ينزل بهم عذابه"^(٧).

قال الزجاج: "هذا يدل على أن ذلك قبل أن يؤمر النبي عليه السلام بالقتال"^(٨).
قال ابن زيد: "هذا حين كان يأمره بالعفو عنهم، لا يُكافئهم، فلما أمر بالجهاد والغلظة عليهم أمر بالشدة والقتل حتى يتركوا، ونسخ هذا"^(٩).

قال الطبري: "وهذا الذي قاله ابن زيد أنه كان أمر بالعفو بهذه الآية، ثم نسخ ذلك لا وجه له، لأنه لا دلالة على صحة ما قال من بعض الأوجه التي تصح منها الدعوى، وليس في أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الصبر الجميل على أذى المشركين ما يوجب أن يكون ذلك أمرا منه له به في بعض الأحوال؛ بل كان ذلك أمرا من الله له به في كل الأحوال، لأنه لم يزل صلى الله عليه وسلم من لدن بعثه الله إلى أن اخترمه في أذى منهم، وهو في كل ذلك صابر على ما يلقي منهم من أذى قبل أن يأذن الله له بحربهم، وبعد إذنه له بذلك"^(١٠).

القرآن

{إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧)} [المعارج : ٦-٧]

التفسير:

إن الكافرين يستبعدون العذاب ويرونه غير واقع، ونحن نراه واقعا قريبا لا محالة.
قوله تعالى: {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا} [المعارج : ٦]، أي: "إن الكافرين يستبعدون العذاب ويرونه غير واقع"^(١١).

قال مقاتل: "يعني كفار مكة، {بَعِيدًا}، يعني: العذاب أنه غير كائن"^(١٢).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المشركين يرون العذاب الذي سألو عنه، الواقع عليهم، بعيدا وقوعه، وإنما أخبر جل ثناؤه أنهم يرون ذلك بعيدا، لأنهم كانوا لا يصدّقون به، وينكرون البعث بعد الممات، والثواب والعقاب، فقال: إنهم يرونه غير واقع"^(١).

(١) انظر: معاني القرآن: ٥٤/٢.

(٢) أخرجه الطبري (١٨٨٧٣): ص ٥٨٥/١٥.

(٣) أخرجه الطبري (١٨٨٧٢): ص ٥٨٤/١٥-٥٨٥.

(٤) تفسير التستري: ١٧٧.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٩١/٦.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٩١/٦.

(٧) تفسير السمعاني: ٤٦/٦.

(٨) معاني القرآن: ٢٢٠/٥.

(٩) تفسير الطبري: ٦٠٣/٢٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٦٠٣/٢٣.

(١١) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٦/٤.

قال الزجاج: " يرونه بعيداً عندهم كأنهم يستبعدونه على جهة الإحالة، كما تقول لمناظرك: هذا بعيد لا يكون" (٢).

قال النحاس: " لأنهم لا يؤمنون به. قيل: الضمير في «إنهم» للكافرين وفي «يرونه» للعذاب" (٣).

قال سهل: " يعني: أنهم يرون المقضي عليهم من الموت والبعث والحساب بعيدا لبعدهم" (٤).

عن الأعمش: " {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا}، قال: الساعة" (٥).

عن ابن جريج: " {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا} قال: بتكذيبهم" (٦).

قوله تعالى: {وَنَرَاهُ قُرْبِيًّا} [المعارج : ٧]، أي: " ونحن نراه واقعاً قريباً لا محالة" (٧).

عن ابن جريج: " {وَنَرَاهُ قُرْبِيًّا} قال: صدقاً كأنناً" (٨).

قال الطبري: يقول: " ونحن نراه قريباً، لأنه كائن، وكل ما هو آت قريب" (٩).

قال النحاس: " لأنه كائن، وكل كائن قريب" (١٠).

قال الزجاج: " أي: صحيحاً يقرب فهم مثله بما دل الله على يوم البعث بقوله: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ}، وما أشبه هذا من الاحتجاجات في البعث" (١١).

قال سهل: " فإن كل كائن قريب، والبعيد ما لا يكون. ثم قال: إن العلماء طلبوا الوسوسة في الكتاب والسنة، فلم يجدوا لها أصلاً إلا فضول الحلال وفضول الحلال أن يرى العبد وقتاً غير وقته الذي هو فيه وهو الأمل" (١٢).

وسئل سهل: "بم ترحل الدنيا من القلب؟ فقال: بقصر الأمل. فقيل: وما قصر الأمل؟

فقال: قطع الهموم بالمضمون، والسكون إلى الضامن" (١٣).

القرآن

{يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩)} [المعارج : ٨-٩]

التفسير:

يوم تكون السماء سائلة مثل خثالة الزيت، وتكون الجبال كالصوف المصبوغ المنفوش الذي درته الريح.

قوله تعالى: {يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ} [المعارج : ٨]، أي: " يوم تكون السماء سائلة مثل خثالة الزيت" (١٤).

قال النحاس: " يكون التقدير: يقع هذا أو يبصرونهم يوم تكون السماء كالمهل" (١٥).

(١) تفسير الطبري: ٦٠٣/٢٣.

(٢) معاني القرآن: ٢٢٠/٥.

(٣) إعراب القرآن: ٢١/٥.

(٤) تفسير التستري: ١٧٧.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال - موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٠٢ (١٦٤) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(٨) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٩) تفسير الطبري: ٦٠٣/٢٣.

(١٠) إعراب القرآن: ٢١/٥.

(١١) معاني القرآن: ٢٢٠/٥.

(١٢) تفسير التستري: ١٧٧.

(١٣) تفسير التستري: ١٧٧.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(١٥) إعراب القرآن: ٢١/٥.

قال الطبري: يقول: "يوم تكون السماء كالشيء المذاب"^(١).
قال مقاتل: "من الخوف، يعني: أسود غليظا كدردي الزيت بعد الشدة والقوة"^(٢).
قال الزجاج: "المهل: دُرْدِيُّ الزَيْتِ"^(٣).
قال مجاهد: "كَعَكْرُ الزَيْتِ"^(٤).
قال عطاء: "كعكر القطران"^(٥).
قال الحسن: "مثل الفضة إذا ذببت"^(٦).
قال ابن زيد: "تتحول يومئذ لونا آخر إلى الحمرة"^(٧).
قال ابن قتيبة: "«المُهْل» ما أذيب من الفضة والنحاس"^(٨).
قوله تعالى: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ} [المعارج : ٩]، أي: "وتكون الجبال كالصوف المصبوغ المنفوش الذي دَرَّتْهُ الرِّيحُ"^(٩).
قال الطبري: يقول: وتكون الجبال كالصوف"^(١٠).
قال الزجاج: "العُهْنُ: الصوف"^(١١).
قال ابن قتيبة: "أي: كالصوف، وذلك: أنها تُبَسُّ"^(١٢).
عن مجاهد وقتادة: "كَالْعِهْنِ" قال: كالصوف"^(١٣).
قال الحسن: "وهو أضعف الصوف، وأول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيباً، ثم عهداً منفوشاً، ثم تصير هباءً منثوراً"^(١٤).
قال مقاتل: "فشبهها في اللين والوهن بالصوف المنفوش بعد القوة، وذلك أوهن ما يكون من الصوف"^(١٥).
قال السعدي: "وهو الصوف المنفوش، ثم تكون بعد ذلك هباءً منثوراً فتضمحل، فإذا كان هذا الفلق والانزعاج لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة، فما ظنك بالعبء الضعيف الذي قد أثقل ظهره بالذنوب والأوزار؟ أليس حقيقاً أن ينخلع قلبه وينزعج لبه، ويذهل عن كل أحد؟"^(١٦).

القرآن

{وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠)} [المعارج : ١٠]

التفسير:

ولا يسأل قريب قريبه عن شأنه؛ لأن كل واحدٍ منهما مشغول بنفسه.
قال أبو عبيدة: "قريب قريباً"^(١٧).

- (١) تفسير الطبري: ٦٠٤/٢٣.
- (٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٦/٤.
- (٣) معاني القرآن: ٢٢٠/٥.
- (٤) أخرجه الطبري: ٦٠٤/٢٣.
- (٥) التفسير الوسيط للواحدى: ٣٥٢/٤.
- (٦) التفسير الوسيط للواحدى: ٣٥٢/٤.
- (٧) أخرجه الطبري: ٦٠٤/٢٣.
- (٨) غريب القرآن: ٤٨٥.
- (٩) التفسير الميسر: ٥٦٨.
- (١٠) تفسير الطبري: ٦٠٤/٢٣.
- (١١) معاني القرآن: ٢٢٠/٥.
- (١٢) غريب القرآن: ٤٨٥.
- (١٣) أخرجه الطبري: ٦٠٤/٢٣.
- (١٤) تفسير الثعلبي: ٢٧:٣٤٥، [ط. دار التفسير]، وتفسير البيهقي: ٢٢١/٨.
- (١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٦/٤.
- (١٦) تفسير السعدي: ٨٨٦.
- (١٧) مجاز القرآن: ٢٦٩/٢.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ولا يسأل قريب قريبه عن شأنه لشغله بشأن نفسه"^(١).
 قال السمعاني: "أي: لا يسأل قريب عن حال قريبه لشغله بنفسه"^(٢).
 قال السعدي: "أي: يشاهد الحميم، وهو القريب حميمه، فلا يبقى في قلبه متسع لسؤال حميمه عن حاله، ولا فيما يتعلق بعشرتهم ومودتهم، ولا يهمله إلا نفسه"^(٣).
 قال قتادة: "يشغل كل إنسان بنفسه عن الناس"^(٤).
 قال ابن عباس: "الحميم: القريب الذي تغضب له ويغضب لك"^(٥).
 وقرئت: {ولا يسأل حميم}، فمن قرأ: {وكلا يسأل}، فالمعنى أنهم يعرف بعضهم بعضاً، ويدل عليه قوله: {يُبَصِّرُوهُمْ}، ومن قرأ {ولا يسأل حميم حميماً}، فالمعنى: لا يسأل قريب عن قرابته^(٦).

القرآن

{يُبَصِّرُوهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِنَا بِنَبِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤)} [المعارج : ١١-١٤]

التفسير:

يروونهم ويعرفونهم، ولا يستطيع أحد أن ينفذ أحدًا. يتمنى الكافر لو يفدي نفسه من عذاب يوم القيامة بأبنائه، وزوجه وأخيه، وعشيرته التي تضمه وينتمي إليها في القرابة، وبجميع من في الأرض من البشر وغيرهم، ثم ينجو من عذاب الله.
 قوله تعالى: {يُبَصِّرُوهُمْ} [المعارج : ١١]، أي: "يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم، ولا يستطيع أحد أن ينفذ أحدًا"^(٧).

وفي قوله تعالى: {يُبَصِّرُوهُمْ} [المعارج : ١١]، وجوه من التفسير:
 أحدها : أنهم الأقرباء يبصر بعضهم بعضاً فيعرف كل إنسان قريبه، قاله ابن عباس^(٨)، وقاتدة^(٩)، وبه قال الطبري^(١٠)، والنحاس^(١١).
 قال النحاس: "لأنه قد تقدم ذكر الحميم فيكون الضمير راجعاً عليه أولى من أن يعود على ما لم يجر له ذكر"^(١٢).

قال ابن عباس: "يعرف بعضهم بعضاً، ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض، يقول: {لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}"^(١٣).
 قال قتادة: "يعرفونهم يعلمون، والله ليعرفن قوم قوماً، وأناس أناساً"^(١٤).
 قال ابن عباس: "يتعارفون مدة ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك"^(١٥).

(١) تفسير الطبري: ٦٠٤/٢٣.

(٢) تفسير السمعاني: ٤٦/٦.

(٣) تفسير السعدي: ٨٨٦.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٠٤/٢٣.

(٥) التفسير البسيط للواحدى: ٢١٣/٢٢.

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٢٠/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦٩، وصفوة التفاسير: ٤٢٠/٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٥/٢٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٥/٢٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٥/٢٣.

(١١) انظر: إعراب القرآن: ٢٢/٥.

(١٢) إعراب القرآن: ٢٢/٥.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦٠٥/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٦٠٥/٢٣.

(١٥) نقلاً عن: "الكشف والبيان": ٣٧/١٠.

قال الثعلبي: " وليس في القيامة مخلوق إلّا وهو نصب عن صاحبه من الجن والإنس فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته وعشيرته ولا يسأله، ويبصر الرجل حميمه فلا يكلمه لاشتغالهم بأنفسهم" (١).

قال القشيري: " أي: يعرفون أقاربهم، ولكن لا ترقّ قلوب بعضهم على بعض" (٢).
قال الزمخشري: " أي: يبصر الأحماء الأحماء، فلا يخفون عليهم، فما يمنعهم من المساءلة أن بعضهم لا يبصر بعضاً، وإنما يمنعهم التشاغل" (٣).
الثاني: أن المؤمنين يبصرون الكافرين، قاله مجاهد (٤).
وقال السدي: {يُبَصِّرُونَهُمْ}: يعرفونهم، أمّا المؤمن فليبيض وجهه، وأمّا الكافر فلسواد وجهه" (٥).

الثالث: أن الكافرين يبصرون الذين أضلّوهم في النار، قاله ابن زيد (٦).
الرابع: أنه يبصر المظلوم ظالمه، والمقتول قاتله. حكاه الماوردي (٧).
قال الطبري: " وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: معنى ذلك: ولا يسأل حميم حميماً عن شأنه، ولكنهم يبصرونهم فيعرفونهم، ثم يفرّ بعضهم من بعض، كما قال جلّ ثناؤه: {يَوْمَ يَرَى الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب، لأن ذلك أشبهها بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن قوله: {يُبَصِّرُونَهُمْ} تلا قوله: {وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا}، فلأن تكون الهاء والميم من ذكرهم أشبه منها بأن تكون من ذكر غيرهم" (٨).

قوله تعالى: {يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢)} [المعارج: ١٤]، أي: " يتمنى الكافر لو يفدي نفسه من عذاب يوم القيامة بأبنائه، وزوجه وأخيه" (٩).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: يودّ الكافر يومئذٍ ويتمنى أنه يفدي من عذاب الله إياه ذلك اليوم ببنيه وصاحبتة، وهي زوجته، وأخيه" (١٠).
قال ابن زيد: " صاحبة: الزوجة" (١١).
قوله تعالى: {وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ} [المعارج: ١٣]، أي: " وعشيرته التي تضمه وينتمي إليها في القرابة" (١٢).

وفي قوله تعالى: {وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ} [المعارج: ١٣]، قولان:
أحدهما: أنها أمه التي تربيته، قاله مالك (١٣).
قال معمر: " بلغني أن فصيلته أمه التي أرضعته" (١٤).
الثاني: أن «الفصيلة»: قبيلته. قاله مجاهد (١)، ومحمد بن كعب القرظي (٢)، ورواه معمر عن قتادة (٣).

- (١) الكشف والبيان: ٣٧/١٠.
- (٢) لطائف الإشارات: ٦٣٠/٣.
- (٣) الكشف: ٦١٠-٦٠٩/٤.
- (٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٥/٢٣.
- (٥) نقلاً عن: "الكشف والبيان": ٣٧/١٠.
- (٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٥/٢٣.
- (٧) انظر: النكت والعيون: ٩٢/٦.
- (٨) تفسير الطبري: ٦٠٥/٢٣.
- (٩) التفسير الميسر: ٥٦٩.
- (١٠) تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٣.
- (١١) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٣.
- (١٢) التفسير الميسر: ٥٦٩.
- (١٣) انظر: النكت والعيون: ٩٢/٦، وGrains التفسير وعجائب التأويل لتاج القراء: ١٢٥٢/٢.
- (١٤) تفسير عبدالرزاق (٣٣٣٤): ٣٤٧/٣.

قال القرظي: "قبيلته التي ينتسب إليها"^(٤).
 وقال ابن زيد: "عشيرته"^(٥).
 قال الطبري: "وهم عشيرته التي تؤويه، يعني: التي تضمه إلى رحله، وتنزل فيه
 امرأته، لقربة ما بينها وبينه"^(٦).
 قال الزجاج: "معناه: أدنى قبيلته منه"^(٧).
 قال مقاتل: "يعني: رهطه وفخذه الأدنى الذي يساوى إليهم"^(٨).
 وقال ثعلب: "آبائه الأذنين"^(٩).
 قال الراغب: "فَصِيلَةُ الرَّجُلِ: عشيرته الْمُفَصَّلَةُ عنه"^(١٠).
 قال الزمخشري: "{وَفَصِيلَتُهُ}: عشيرته الأذنون الذين فصل عنهم"^(١١).
 وقال أبو عبيدة: الفصيلة دون القبيلة، الشعوب أكثر من القبائل ثم الفصيلة، فخذة التي
 تؤويه"^(١٢).
 قال السعدي: "{وَفَصِيلَتُهُ} أي: قرابته {التي تُؤويه} أي: التي جرت عاداتها في الدنيا أن
 تتناصر ويعين بعضها بعضاً، ففي يوم القيامة، لا ينفع أحد أحداً، ولا يشفع أحد إلا بإذن
 الله"^(١٣).
 قوله تعالى: {وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْحِيهِ} [المعارج : ١٤]، أي: "وبجميع من في
 الأرض من البشر وغيرهم، ثم ينجو من عذاب الله"^(١٤).
 قال الطبري: يقول: "وبمن في الأرض جميعاً من الخلق، ثم ينجيه ذلك من عذاب الله
 إياه ذلك اليوم، وبدأ جلّ ثناؤه بذكر البنين، ثم الصاحبة، ثم الأخ، إعلماً منه عباده أن الكافر من
 عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء يفتدي نفسه، لو وجد إلى ذلك سبيل بأحب الناس إليه، كان في
 الدنيا، وأقربهم إليه نسباً"^(١٥).
 عن قتادة، قوله: "{يُؤدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَقْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ
 وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، الْأَحَبُّ لِلأَحَبِّ، والأقرب فالأقرب من أهله وعشيرته لشدائد ذلك
 اليوم"^(١٦).

القرآن

{كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى (١٥) نَرَاةَ لِلسَّوَى (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأُوَعَى (١٨)}

[المعارج : ١٥-١٨]

التفسير:

(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٣.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣) انظر: تفسير عبدالرزاق (٣٣٣٤): ٣٤٧/٣.

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٣.

(٦) تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٣.

(٧) معاني القرآن: ٢٢٠/٥.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٧/٤.

(٩) نقلاً عن: "الكشف والبيان": ٣٧/١٠.

(١٠) المفردات في غريب القرآن: ٦٣٨.

(١١) الكشف: ٦١٠/٤.

(١٢) مجاز القرآن: ٢٦٩/٢.

(١٣) تفسير السعدي: ٨٨٦.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(١٥) تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٣.

(١٦) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٣.

ليس الأمر كما تتمناه -أيها الكافر- من الافتداء، إنها جهنم تتلظى نارها وتلتهب، تنزع بشدة حرها جلدة الرأس وسائر أطراف البدن، تنادي من أعرض عن الحق في الدنيا، وترك طاعة الله ورسوله، وجمع المال، فوضعه في خزانته، ولم يؤدِّ حق الله فيه.

قوله تعالى: {كَلَّا} [المعارج : ١٥]، أي: "ليس الأمر كما تتمناه -أيها الكافر- من الافتداء" (١).

قال مقاتل: "يقول الله- تعالى-: {كَلَّا}، لا ينجيه ذلك لو افتدى بهذا كله" (٢).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: كلا ليس ذلك كذلك، ليس ينجيه من عذاب الله شيء" (٣).

قال الزجاج: " {كَلَّا}: ردع وتنبية، أي: لا يرجع أحدٌ من هؤلاء فاعتبروا" (٤).
قال السعدي: "أي: لا حيلة ولا مناص لهم، قد حقت عليهم كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون، وذهب نفع الأقارب والأصدقاء" (٥).

قوله تعالى: {إِنَّهَا لَطِي} [المعارج : ١٥]، أي: "إنها جهنم تتلظى نارها وتلتهب" (٦).
قال الفراء والطبري: "لطي: اسم من أسماء جهنم" (٧).
قال مقاتل: "يعني: بلطي استطالتها وقدرتها عليهم، يعني: النار" (٨).

عن الضحاک: {لَطِي} اسم الدرك الثامن في جهنم" (٩).
قوله تعالى: {نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى} [المعارج : ١٦]، أي: "تنزع بشدة حرها جلدة الرأس وسائر أطراف البدن" (١٠).

وفي معنى قوله تعالى: {لِّلشَّوَى} [المعارج : ١٦]، أقوال:
أحدها: أن «الشوى» الأطراف، وهي اليدان والرجلان، قاله مجاهد (١١)، أبو صالح (١٢)، قال الشاعر (١٣):

إِذَا نَظَرْتَ عَرَفْتَ النَّحْرَ مِنْهَا ... وَعَيْنَيْهَا وَلَمْ تُعْرِفْ شَوَاهَا
وقول الآخر (١٤):

سَلِيمُ الشَّطِي عَيْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا ... لَهُ حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الْفَالِي
قال الواحدي: "أكثر المفسرين على أنها: الأطراف" (١٥).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٧/٤.

(٣) تفسير الطبري: ٦٠٧/٢٣.

(٤) معاني القرآن: ٢٢١/٥.

(٥) تفسير السعدي: ٨٨٦.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٧) معاني القرآن: ١٨٤/٣، وتفسير الطبري: ٦٠٧/٢٣.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٧/٤.

(٩) النكت والعيون: ٩٣/٦.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(١١) انظر: الدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

(١٢) انظر: الدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر، وانظر: النكت والعيون: ٩٣/٦.

(١٣) بلا نسبة في النكت والعيون: ٩٣/٦، وتفسير القرطبي: ٢٨٩/١٨، واللباب: ٣٦٤/١٩.

(١٤) ورد البيت في: "ديوان امرؤ القيس": ١٤٣، دار صادر، و"الأضداد" لابن الأنباري: ٢٣٠، و"الكشف والبيان" ١٢: ١٨٤/١، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٨٩/١٨، ومعناه: الشطي: عظم لاصق بالذراع. الشوى: اليدان والرجلان، الشنج: الصلب، النسا: عرق في الفخذ، الحجبات: رؤوس عظام الوركين. الفالي: اللحم الذي على الورك، وأصله الفائل. كما ورد الشطر الأول من البيت منسوباً لدريد بن الصمة في شعر يرثي به عبد الله أخاه، وقد نقلته بنو عيس، قال: سليم الشطي عَيْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا ... طَوِيلُ الْقَرَانِ نَهْدِ أَسِيلِ الْمُقَدِّ
انظر: "ديوان دريد بن الصمة": ٥١.

(١٥) التفسير البسيط: ٢٢٢/٢٢.

الثاني: أنها اليدان والرجلان والرأس من الأدميين. وهذا قول أبي عبيدة^(١)، والفراء^(٢)، والطبري^(٣)، والزجاج^(٤). ومنه قول الشاعر^(٥):
قالت فُتَيْلَةُ ما له ... قد جُلْتُ شَيْباً شِوَاهُ

قال الطبري: "إنها تنزع جلدة الرأس وأطراف البدن، والشَوَى: جمع شِوَاة، وهي من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلاً يقال: رمى فأشوى إذا لم يصب مقتلاً"^(٦).
قال أبو عبيدة: وسمعت رجلاً من أهل المدينة يقول: اقتشعرت شواتي، وشوى الفرس قوائمه، يقال عبل الشوى ولا يكون هذا للرأس لأنهم وصفوا الخيل بأسالة الخدين وعتق الوجه ورقته"^(٧).

قال القشيري: "قاعة للأطراف. تكشط الجلد عن الوجه وعن العظم"^(٨).
قال الفخر الرازي: "ويقال للرامي: إذا لم يصب المقتل أشوى، أي: أصاب الشوى"^(٩).
قال السمعاني: "الأكثر أن «الشوى»: هو الأطراف مثل اليدين والرجلين وغير ذلك"^(١٠).

قال السعدي: "أي: للأعضاء الظاهرة والباطنة من شدة عذابها"^(١١).
الثالث: أنه جمع شِوَاة، وهي جلدة الرأس. وهذا قول مجاهد^(١٢)، وسعيد بن جبير^(١٣)، ومحمد بن كعب^(١٤)، وابن قتيبة^(١٥)، ودليل هذا التفسير قول كثير عزّة^(١٦):
لأصبحت هدتك الحوادث هذه ... لها فشِوَاة الرأس باد قتيرها
قال سعيد بن جبير: "فروة الرأس"^(١٧).
قال ابن عباس: "تنزع الرأس"^(١٨).
عن ابن عباس: "نزعاً للشوى"، قال: تنزع أمّ الرأس"^(١٩).
الرابع: أنه العصب والعقب، قاله سعيد بن جبير -أيضاً-^(٢٠).

(١) انظر: مجاز القرآن: ٢٦٩/٢.

(٢) انظر: معاني القرآن: ١٨٥/٣.

(٣) تفسير الطبري: ٦٠٧/٢٣.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٢٢١/٥.

(٥) ورد البيت في "ديوانه" ١٣٨، وانظر: مادة: (شوى) من غير نسبة في "تهذيب اللغة" ١١ / ٤٤٢، و"الصاح" ٦ / ٢٣٩٩، و"لسان العرب" ١٤ / ٤٤٧، و"تاج العروس" ١٠ / ٢٠٤، كتاب "الأضداد" لابن الأثير ٢٣٠، و"مجاز القرآن" ٢ / ٢٦٨، و"جامع البيان" ٦٠٧/٢٣، و"معاني القرآن وإعرابه" ٥ / ٣٢٠، و"النكت والعيون" ٦ / ٩٣، و"المحرر الوجيز" ٥ / ٣٦٥، و"التفسير الكبير" ٣٠ / ١٢٨، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٨ / ٢٨٨، و"إعراب القراءات السبع" لابن خالويه ٢ / ٣٩٠، و"البحر المحيط" ٨ / ٣٣٠، و"الدر المصون" ٦ / ٣٧٧، و"فتح القدير" ٥ / ٢٩٠، و"روح المعاني" ٢٩ / ٦٠.

(٦) تفسير الطبري: ٦٠٧/٢٣.

(٧) مجاز القرآن: ٢٦٩/٢-٢٧٠.

(٨) لطائف الإشارات: ٦٣٠/٣.

(٩) مفاتيح الغيب: ٦٤٣/٣٠.

(١٠) تفسير السمعاني: ٤٧/٦.

(١١) تفسير السعدي: ٨٨٦.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٨/٢٣، والنكت والعيون: ٩٣/٦.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٤) انظر: الدر المنثور: ٢٨١/٨-٢٨٢، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٥) انظر: غريب القرآن: ٤٨٦.

(١٦) البيت له في "الكشف والبيان": ٣٨/١٠، وتفسير القرطبي: ١٨ / ٢٨٨. والقتير: الشيب.

(١٧) انظر: الدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٨) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٣.

(١٩) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٣.

(٢٠) انظر: "الكشف والبيان": ٣٨/١٠، و"تفسير البغوي" ٤ / ٣٩٤، و"زاد المسير" ٤ / ٣٣٧، و"التفسير الكبير" ٣٠ / ١٢٨. ومعنى العَصَبِ بفتح الحاء: أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدها. انظر: "لسان العرب" ١ / ٦٠٢.

الخامس : نزاعة اللحم الساقين. وهذا قول أبي صالح^(١).
السادس : أنه محاسن وجه بني آدم، قاله الحسن^(٢)، وقتادة^(٣)، وأبو العالية^(٤)، وثابت البناني^(٥).
قال قتادة: "لهامته ومكارم وجهه"^(٦).
وقال الحسن: "نزاعة لهامته ومكارم خلقه وأطرافه"^(٧).
السابع : للهام تحرق كل شيء منه، ويبقى فؤاده نضيجا. قاله الحسن^(٨).
الثامن: أنه اللحم والجلد الذي على العظم، لأن النار تشويهه، قاله الضحاك^(٩).
قال الضحاك: "تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا"^(١٠).
وعن الحسن، قال {نَزَاعَةُ لِلشَّوَى}، قال: للهام، قال: «تأكله النار، حتى لا تبقى منه شيئا غير فؤاده نضيج»^(١١).
وقال قرة بن خالد: "نزاعة للهام تحرق كل شيء منه ويبقى فؤاده نضجا"^(١٢).
وقال ابن زيد: "الشوى: الأراب العظام، ذاك الشوى"^(١٣).
وروي عن عباس، قوله: "نزاعة للشوى"، يعني: الجلود والهام"^(١٤).
قوله تعالى: {تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى} [المعارج : ١٧]، أي: "تنادي من أعرض عن الحق في الدنيا، وترك طاعة الله ورسوله"^(١٥).
قال مجاهد: "أدبر عن الطاعة وتولى عن الحق"^(١٦).
وقال قتادة: "أدبر عن أمر الله وتولى عن كتاب الله"^(١٧).
قال الزجاج: "تدعو الكافر باسمه والمنافق باسمه"^(١٨).
قوله تعالى: {وَجَمَعَ فَأَوْعَى} [المعارج : ١٨]، أي: "وجمع المال، فوضعه في خزائنه، ولم يؤد حق الله فيه"^(١٩).
قال الطبري: "وجمع مالا فجعله في وعاء، ومنع حق الله منه، فلم يترك ولم ينفق فيما أوجب الله عليه إنفاقه فيه"^(٢٠).

-
- (عصب)، و"المصباح المنير" ٢ / ٤٩٢. والعقب -أيضاً بفتحيتين-: أطناب المفاصل، وبكسر القاف: مؤخر القدم، والمراد هنا المعنى الأول. انظر: "المصباح المنير" ٢ / ٥٠٠، (عقب).
(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٣، والدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر، وانظر: الكشف والبيان: ٣٨/١٠.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٩٣/٦، وزاد المسير: ٣٣٧/٤.
(٣) الدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.
(٤) انظر: زاد المسير: ٣٣٧/٤.
(٥) انظر: الكشف والبيان" ١٢ / ١٨٣ ب، و"التفسير الكبير" ٣ / ١٢٨، و"الدر المنثور" ٨ / ٢٨٢، وعزاه إلى ابن المنذر، و"فتح القدير" ٥ / ٢٩٠.
(٦) الدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٣.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٩٣/٦.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٣.
(١١) تفسير عبدالرزاق (٣٣٢٥): ص ٣٤٥/٣.
(١٢) الدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٣.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٦٩.
(١٦) النكت والعيون: ٩٤/٦.
(١٧) النكت والعيون: ٩٤/٦.
(١٨) معاني القرآن: ٥ / ٢٢٢.
(١٩) التفسير الميسر: ٥٦٩.
(٢٠) تفسير الطبري: ٦١٠/٢٣.

قال الماوردي: "يعني الذي أدبر وتولى جمع المال فأوعى ، بأن جعله في وعاء حفظا له ومنعا لحق الله منه"^(١).

عن مجاهد: " {وَجَمَعَ فَأَوْعَى}، قال: جمع المال"^(٢).

قال قتادة: "كان جموعا قوموا للخبيث"^(٣).

قال قتادة: "فكان جموعا منوعا"^(٤).

عن الحكم -رضي الله عنه- قال: "كان عبد الله بن حكيم لا يربط كيسه، قال: سمعت الله يقول: {وَجَمَعَ فَأَوْعَى}"^(٥).

فوائد الآيات: [١٨-١]:

١- حرمة سؤال العذاب فإن عذاب الله لا يطاق ولكن تسأل الرحمة والعافية.

٢-وجوب الصبر على الطاعة وعلى البلاء فلا تسخط ولا تجزع.

٣-تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٤-عظم هول الموقف يوم القيامة وصعوبة الحال.

٥-التنديد بالمعرضين عن طاعة الله ورسوله الجامعين للأموال المشتغلين بها حتى سلبتهم الإيمان والعباد بالله فأصبحوا يشكون في الله وآياته ولفائه.

القرآن

{إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِنَّا الْمُضَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَانِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِنَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠)} [المعارج : ١٩-٣٠]

التفسير:

إن الإنسان جُبِلَ على الجزع وشدة الحرص، إذا أصابه المكروه والعسر فهو كثير الجزع والأسى، وإذا أصابه الخير واليسر فهو كثير المنع والإمساك، إلا المقيمين للصلاة الذين يحافظون على أدائها في جميع الأوقات، ولا يَشْغَلُهُمْ عنها شغل، والذين في أموالهم نصيب معين فرضه الله عليهم، وهو الزكاة لمن يسألهم المعونة، ولمن يتعفف عن سؤالها، والذين يؤمنون بيوم الحساب والجزاء فيستعدون له بالأعمال الصالحة، والذين هم خائفون من عذاب الله. إن عذاب ربهم لا ينبغي أن يأمنه أحد. والذين هم حافظون لفروجهم عن كل ما حرم الله عليهم، إلا على أزواجهم وإمائهم، فإنهم غير مؤاخذين.

قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا} [المعارج : ١٩]، أي: "إن الإنسان جُبِلَ على الجزع وشدة الحرص"^(٦).

قال مقاتل: "فهو أمية بن خلف الجمحي"^(٧).

قال الزمخشري: "الخير: المال والغنى، والشر: الفقر. أو الصحة والمرض: إذا صحَّ

الغنى منع المعروف وشحَّ بماله، وإذا مرض جزع وأخذ يوصى"^(٨).

(١) معاني القرآن: ٢٢٢/٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢٣. وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) معاني القرآن: ٢٢٢/٥.

(٥) الدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى ابن سعد.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٧/٤.

(٨) الكشاف: ٦١٢/٤.

قال السعدي: " وهذا الوصف للإنسان من حيث هو وصف طبيعته الأصلية، أنه هلوع"^(١).

وفي معنى: «الهلوع»، أقوال:

أحدها: أنه الموصوف بما يلي هذه الآية، رواه عطية عن ابن عباس^(٢)، وبه قال الحسن^(٣)، وأبو عبيدة^(٤)، والزجاج^(٥).

قال ابن عباس: " هو الذي قال الله: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا}"^(٦).
عن حميد الطويل، قال: سألت الحسن، عن قوله عز وجل: {خُلِقَ هَلُوعًا} [المعارج: ١٩]، قال: «اقرأ ما بعدها» فقرأت: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا} [المعارج: ٢١]، قال: " هذا الهلوع: هكذا خلق الإنسان"^(٧).

قال أبو عبيدة: " قد فسرها الله: لا يصبر: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا}، و«الهلاع»: مصدره وهو أسوأ الجزع"^(٨).

قال الزجاج: " الهلوع: على ما في الآية من التفسير يفزع ويجزَع من الشر"^(٩).

قال النحاس: " الهلوع -فيما حكاه أهل اللغة-: الذي يستعمل في حال الفقر ما لا ينبغي أن يستعمله من الجزع وقلة التأسّي وفي الغنى ما لا ينبغي أن يستعمله من منع الحقّ الواجب وقلة الشكر. وقد بين هذا بقوله: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا}"^(١٠).

الثاني: أنه الحريص على ما لا يحلُّ له، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(١١)، وبه قال حصين^(١٢).
عن يحيى، قال خالد: " وسألت شعبة عن قوله: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا}، فحدثني شعبة

عن حصين أنه قال: الهلوع: الحريص"^(١٣).

الثالث: البخيل، قاله الحسن^(١٤)، والضحاك^(١٥).

قال الضحاك: " هو بخيل ممنوع للخير، جزوع إذا نزل به البلاء، فهذا الهلوع"^(١٦).

الرابع: الشحيح، قاله ابن جبير^(١٧).

قال سعيد بن جبير: " شحيحاً جزوعاً"^(١٨).

الخامس: الشره، حكاه الثعلبي عن مجاهد^(١٩).

السادس: الضجور، قاله عكرمة^(٢٠)، وقتادة^(٢١)، ومقاتل^(١)، والفراء^(٢).

(١) تفسير السعدي: ٨٨٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢٣-٦١٢.

(٣) انظر: تفسير مجاهد: ٦٧٤.

(٤) انظر: مجاز القرآن: ٢٧٠/٢.

(٥) انظر: معاني القرآن: ٢٢٢/٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٦١١/٢٣-٦١٢.

(٧) انظر: تفسير مجاهد: ٦٧٤.

(٨) مجاز القرآن: ٢٧٠/٢.

(٩) معاني القرآن: ٢٢٢/٥.

(١٠) إعراب القرآن: ٢٣/٥.

(١١) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٩/١٠، وانظر: زاد المسير: ٣٣٨/٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦١١/٢٣.

(١٤) انظر: الكشف والبيان: ٣٩/١٠، والنكت والعيون: ٩٤/٦، وزاد المسير: ٣٣٨/٤.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢٣.

(١٦) أخرجه الطبري: ٦١١/٢٣.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢٣.

(١٨) أخرجه الطبري: ٦١١/٢٣.

(١٩) انظر: الكشف والبيان: ٣٩/١٠، وزاد المسير: ٣٣٨/٤.

(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢٣.

(٢١) انظر: النكت والعيون: ٩٤/٦، وزاد المسير: ٣٣٨/٤.

قال الفراء: "الهلوع: الضجور، وصفته كما قال الله: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١)} [المعارج : ٢٠ - ٢١]، فهذه صفة الهلوع"^(٣).
قال أبو أحمد السامري: "يعني: ضجورا بلغة خثعم"^(٤).
السابع: يعني: متقلبا في حركات الشهوات واتباع الهوى. قاله سهل التستري^(٥).
الثامن : أنه الجزوع. قاله قتادة^(٦)، وابن زيد^(٧).
وحكي الماوردي عن مجاهد قال: "أنه الشديد الجزع"^(٨).
قال ابن قتيبة: "«الهلوع»: الشديد الجزع. والاسم: "الهلاع". ومنه يقال: ناقة هُلُوعًا؛ إذا كانت ذكيَّة حديدة النفس"^(٩).
قال الخطيب الإسكافي: "الهلع- في كلام العرب- أصله: القلق والتسرع في الحرص والجزع، يقال: ناقة هلواع: أي مسرعة، وظلمان هو الهلع: أي: مسرعات"^(١٠).
قال الثعلبي: "تقول العرب: ناقة هلواع إذا كانت سريعة السير خفيفة. قال الشاعر^(١١):
صكاء علبة إذا استدبرتها ... حرج إذا استقبلتها هلواع"^(١٢).
قال تاج القراء: "أصل الكلمة من السرعة، تقول: نعامة هالعة، أي مسرعة، وناقة هلواع كذلك. والجمهور على أن معنى الهلوع ما فسره الله بقوله: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا}"^(١٣).
قال ابن الطبري: "الهلع: شدة الجزع مع شدة الحرص والضجر"^(١٤).
وقال ابن عطاء: "الهلوع: الذي يرضى عند الموجود ويسخط عند المفقود"^(١٥).
وقال أبو الحسن الوراق: "نساء عند النعمة دعاء عند المحنة"^(١٦).
قال النبي صلى الله عليه وسلم: «شر ما أعطى العبد شح هالع وجبن خالع»^(١٧).
قوله تعالى: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا} [المعارج : ٢٠]، أي: "إذا أصابه المكروه والعسر فهو كثير الجزع والأسى"^(١٨).
قال الطبري: "يقول: إذا قلَّ ماله وناله الفقر والعدم فهو جزوع من ذلك، لا صبر له عليه"^(١٩).

-
- (١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٧/٤.
(٢) انظر: معاني القرآن: ١٨٥/٣.
(٣) معاني القرآن: ١٨٥/٣.
(٤) اللغات في القرآن: ٥١.
(٥) انظر: تفسير التستري: ١٧٧.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢٣.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٩٤/٦.
(٩) غريب القرآن: ٤٨٦.
(١٠) درة التنزيل وغرة التأويل: ١٥٣/١.
(١١) في اللسان مادة هلع: "وأنشد الباهلي للمسيب بن علس يصف ناقة شبيها بالنعامة" وذكر البيت. قال الباهلي: قوله "صكاء" شبيها بالنعامة، "ثم وصف النعامة بالصكك وليس الصكاء من وصف الناقة".
(١٢) الكشف والبيان: ٣٩/١٠.
(١٣) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١٢٥٢/٢. ثم قال: "العجيب: مقاتل: الهلوع دابة من وراء جبل قاف يأكل كل يوم سبع صحارى من الحشيش ويشرب سبع بحار من ماء، لا تصبر مع الحر ولا مع البرد، تفكر كل ليلة ماذا تأكل غدا، فشبه الإنسان بها".
(١٤) تفسير الطبري: ٦١٠/٢٣.
(١٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ٣٩/١٠.
(١٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ٣٩/١٠.
(١٧) لفائق في غريب الحديث: ٤٠٤ /٣، والكشف والبيان: ٣٩/١٠.
(١٨) التفسير الميسر: ٥٦٩.
(١٩) تفسير الطبري: ٦١١/٢٣.

قال السعدي: " فيجزع إن أصابه فقر أو مرض، أو ذهاب محبوب له، من مال أو أهل أو ولد، ولا يستعمل في ذلك الصبر والرضا بما قضى الله" (١).

قوله تعالى: {وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا} [المعارج : ٢١]، أي: " وإذا أصابه الخير واليسر فهو كثير المنع والإمساك" (٢).

قال الطبري: " يقول: وإذا كثر ماله، ونال الغنى فهو منوع لما في يده، بخيل به، لا ينفقه في طاعة الله، ولا يؤدّي حق الله منه" (٣).

قال السعدي: " فلا ينفق مما آتاه الله، ولا يشكر الله على نعمه وبره، فيجزع في الضراء، ويمنع في السراء" (٤).

قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُصَلِّينَ} [المعارج : ٢٢]، أي: " إلا المقيمين للصلاة" (٥).

قال الطبري: " يقول: إلا الذين يطيعون الله بأداء ما افترض عليهم من الصلاة، فإن أولئك غير داخلين في عداد من خلق هلوغا، وهو مع ذلك يريه كافر لا يصلي لله، وقيل: عُني بقوله: {إِنَّمَا الْمُصَلِّينَ}، المؤمنون الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقيل: عُني به كل من صلى الخمس" (٦).

قال السعدي: " فإنهم إذا مسهم الخير شكروا الله، وأنفقوا مما خولهم الله، وإذا مسهم الشر صبروا واحتسبوا" (٧).

قال الصابوني: " استثناهم من أفراد البشر الموصوفين بالهلع، لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا، فلا يجزعون من شرها ولا يبخلون بخيرها" (٨).

قوله تعالى: {الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ} [المعارج : ٢٣]، أي: " الذين يحافظون على أداء صلاتهم في جميع الأوقات، ولا يشغلهم عنها شاغل" (٩).

قال الطبري: يقول: " وهم على أداء صلاتهم مقيمون لا يضيعون منها شيئاً" (١٠).

قال السعدي: " أي: مداومون عليها في أوقاتها بشروطها ومكملاتها، وليسوا كمن لا يفعلها، أو يفعلها وقتا دون وقت، أو يفعلها على وجه ناقص" (١١).

عن إبراهيم: " {الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ}، قال: المكتوبة" (١٢). وفي رواية: " الصلوات الخمس" (١٣).

وقال ابن زيد: " هؤلاء المؤمنون الذين مع النبي صلى الله عليه وسلم على صلاتهم دائمون" (١٤).

عن قتادة قوله: " {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ... } إلى قوله: {دَائِمُونَ}، ذكر لنا أن دانيال نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال: يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا، أو عاد

(١) تفسير السعدي: ٨٨٧.

(٢) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٣) تفسير الطبري: ٦١١/٢٣.

(٤) تفسير السعدي: ٨٨٧.

(٥) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٦) تفسير الطبري: ٦١١/٢٣.

(٧) تفسير السعدي: ٨٨٧.

(٨) صفوة التفاسير: ٤٢١/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(١٠) تفسير الطبري: ٦١١/٢٣.

(١١) تفسير السعدي: ٨٨٧.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢٣.

ما أرسلت عليهم الريح العقيم، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة، فعليكم بالصلاة فإنها خُلِقَ للمؤمنين حسن" (١).

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: حدثتني عائشة -زوج النبي صلى الله عليه وسلم- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيفُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا" قالت: وكان أحب الأعمال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دُوم عليه. قال: يقول أبو سلمة: إن الله يقول: {الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ} (٢).

وعن عقبه بن عامر الجهني، في قوله: {الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ}، قال: "هم الذين إذا صلوا لم يلتفتوا خَلْفَهُمْ، ولا عن أيمنهم، ولا عن شمائلهم" (٣).

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥)} [المعارج: ٢٤ - ٢٥]، أي: "والذين في أموالهم نصيب معين فرضه الله عليهم، وهو الزكاة لمن يسألهم المعونة، ولمن يتعفف عن سؤالها" (٤).

اختلف أهل العلم في المعنى بـ«حَقٌّ مَعْلُومٌ» الذي ذكره الله في هذا الموضع، على قولين:

أحدهما: أن «الحقَّ المعلوم»: الزكاة المفروضة. قاله قتادة (٥)، وابن سيرين (٦)، وابن أبي مريم (٧). الثاني: أنه سوى الصدقة يصل بها رحمه، أو يقري بها ضيفا، أو يحمل بها كلا أو يُعِين بها محروماً. وهذا قول ابن عباس (٨)، وابن عمر (٩)، ومجاهد (١٠).

وروي عن قرعة: "أن ابن عمر سئل عن قوله: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}، أي الزكاة؟ فقال: إن عليك حقوقاً سوى ذلك" (١١).

قال الشعبي وإبراهيم: "إن في المال حقا سوى الزكاة" (١٢). عن مجاهد: "في أموالهم حَقٌّ مَعْلُومٌ"، قال: سوى الزكاة، وأجمعوا على أن السائل هو الذي وصفت صفته" (١٣).

واختلفوا أيضا في معنى «المحروم» في هذا الموضع، على أقوال: أحدها: أنه المُحَارِفُ الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه، وهذا قول عائشة (١٤)، وابن عباس -في رواية (١٥)، ومجاهد (١٦)، والضحاك (١٧)، وسعيد بن المسيب (١٨)، ونافع (١٩)، وعطاء (٢٠)، وإبراهيم (١)، وبه قال ابن قتيبة (٢).

(١) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦١٣/٢٣.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٦٦/٥.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٦٦/٥.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦١٣/٢٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦١٣/٢٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦١٣/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٦١٣/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦١٣/٢٣.

(١٣) أخرجه تفسير الطبري: ٦١٣/٢٣.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٦٥٦): ص ٣٣١٢/١٠.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦١٤/٢٣، و ٤١٤/٢٢.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٦١٥/٢٣، و ٤١٤/٢٢.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤١٤/٢٢.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٦١٥/٢٣، و ٤١٥/٢٢.

(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٤١٥/٢٢.

(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٦١٥/٢٣، و ٤١٥/٢٢.

قال ابن عباس: "المحروم: هو المحارف الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه، فلا يسأل الناس" (٣).

قال مجاهد: "المحروم: الذي لا يُهدى له شيء وهو محارف" (٤).
قال إبراهيم: "المحروم: هو المحارف الذي ليس له أحد يعطف عليه، أو يعطيه شيئاً" (٥).

قال إبراهيم: "المحروم: الذي لا فيء له في الإسلام، وهو محارف في الناس" (٦).
وقال عطاء: "هو المحدود المحارف" (٧).
قال النحاس: "صح عن ابن عباس قال: «المحروم المحارف»" (٨).
قال الضحاك: "هو الرجل المحارف الذي لا يكون له مال إلا ذهب، قضى الله له ذلك" (٩).

عن مجاهد، وعطاء، وقالوا: "المحروم: المحارف في الرزق، وفي التجارة" (١٠).
قال الفراء: "فأمّا السائل: فالطوّاف على الأبواب، وأمّا المحروم: فالمحارف" (١١).
قال ابن قتيبة: "والمَحْرُومُ {المُحَارَفُ} وهو: المقتر عليه في الرزق" (١٢).
الثاني: أنه المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئاً ولا يعلم بحاجته، قاله قتادة (١٣)، وابن شهاب الزهري (١٤).

عن قتادة، قوله: "وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ"، هذان فقيرا أهل الإسلام، سائل يسأل في كفه، وفقير معتفف، ولكليهما عليك حق يا ابن آدم" (١٥).
قال قتادة: "السائل الذي يسأل بكفه، والمحروم: المتعفف، ولكليهما عليك حق يا ابن آدم" (١٦).

قال الزهري: "السائل: الذي يسأل، والمحروم: المتعفف الذي لا يسأل" (١٧).
عن الزهري: "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمران والأكلة والأكلتان، قالوا: فمن المسكين يا رسول الله؟ قال: الذي لا يجد غنى، ولا يعلم بحاجته فيتصدق عليه فذلك المحروم" (١٨).

عن محمد بن كعب القرظي: "المحروم صاحب الحاجة، ثم قرأ: ﴿إِنَّا لَمُعْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٦٧] (١٩). قال الثعلبي: ونظيره في قصة ضروان (١) ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾" (٢).

-
- (١) انظر: تفسير الطبري: ٦١٥/٢٣.
 - (٢) انظر: غريب القرآن: ٤٢١.
 - (٣) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٣.
 - (٤) أخرجه الطبري: ٦١٤/٢٣.
 - (٥) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٣.
 - (٦) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٣.
 - (٧) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٣.
 - (٨) إعراب القرآن: ٢٣/٥.
 - (٩) أخرجه الطبري: ٤١٤/٢٢.
 - (١٠) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٩٨٥): ص ٢٣٨/٣.
 - (١١) معاني القرآن: ٨٤/٣.
 - (١٢) انظر: غريب القرآن: ٤٢١.
 - (١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦١٧/٢٣، و ٤١٦/٢٢.
 - (١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤١٦/٢٢.
 - (١٥) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٢.
 - (١٦) أخرجه الطبري: ٦١٧/٢٣، و ٤١٦/٢٢.
 - (١٧) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٢.
 - (١٨) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٢.
 - (١٩) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٢/٩.

قال النحاس: "حدثنا الزهري محمد بن مسلم^(٣)، أنه قال: المحروم: الذي لا يسأل، وأكثر الصحابة على أنه: المحارف. وليس هذا بمتناقض، لأن «المحروم» -في اللغة-: الممنوع من الشيء، فهو مشتمل على كل ما قيل فيه"^(٤).

الثالث: أنه الذي يجيء بعد الغنيمة وليس له فيها سهم، قاله محمد بن الحنفية^(٥).

عن إبراهيم: "عن الحكم، عن إبراهيم أن ناساً قَدِمُوا على علي رضي الله عنه الكوفة بعد وقعة الجمل، فقال: اقسموا لهم، وقال: هذا المحروم"^(٦).

قال إبراهيم: "المحروم: الذي لا فيء له في الإسلام، وهو محارف من الناس"^(٧). وفي رواية: "المحروم: المحارف الذي ليس له في الغنيمة شيء"^(٨).

عن محمد بن الحنفية: "أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية، فغنموا، وفتح عليهم، فجاء قوم لم يشهدوا، فنزلت: {فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}، يعني: هؤلاء"^(٩).

الرابع: أنه من ليس له سهم في الإسلام، قاله ابن عباس^(١٠).

قال ابن عباس: "المحروم: الذي لا سهم له في الإسلام، وهو محارف من الناس"^(١١).

قال ابن عباس: "المحارف الذي ليس له في الإسلام نصيب"^(١٢). وفي رواية: "المحروم المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم"^(١٣).

قال مقاتل: "لِلسَّائِلِ}، يعني: المسكين، {وَالْمَحْرُومِ} الفقير الذي لا سهم له، ولم يجعل الله للفقراء سهماً في الفء ولا في الخمس، فمن سُمي الفقير: المحروم، لأن الله حرّمهم نصيبهم، فلما نزلت براءة بدأ الله بهم فقال- تعالى- {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ..} فبدأ بهم، فنسخت هذه الآية الْمَحْرُومِ"^(١٤).

قال هبة الله: "قوله تعالى: {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [الذاريات: ١٩]، نسخ ذلك بآية الزكاة"^(١٥).

الخامس: أنه الذي لا ينمى له مال. قاله عكرمة^(١٦).

عن حصين، قال: "سألت عكرمة، عن السائل والمحروم؟ قال: السائل: الذي يسألك، والمحروم: الذي لا ينمى له مال"^(١٧).

قال الزجاج: "والأكثر في اللغة: لا ينمى له مال"^(١٨).

السادس: أنه المصاب بثمره وزرعه يعينه من لم يصب، قاله زيد بن أسلم^(١)، وابنه^(٢).

(١) ضروان: اسم أرض باليمن فيها الجنة المشار إليها. انظر: الدر المنثور ٦: ٢٥٣.

(٢) الكشف والبيان: ١١٢/٩.

(٣) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، القرشي المدني، تابعي جليل، وامام علم، كان عالم الحجاز والشام، وكان آية في الحفظ، حتى انه قال ما استودعت قلبي شيئاً فسيه، وقال الليث بن سعد: ما رأيت عالماً قط اجتمع من ابن شهاب، وقال مالك: لم يكن في الناس له نظير توفي عام ١٢٤ هـ.

(٤) إعراب القرآن: ١٦٠/٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦١٦/٢٣، و٤١٧/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٣، وانظر: ٤١٧/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٦١٦/٢٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦١٥/٢٣، و٤١٤/٢٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦١٤/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦١٤/٢٣.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٢٩/٤.

(١٥) الناسخ والمنسوخ: ١٦٨.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٦١٦/٢٣، و٤١٧/٢٢.

(١٧) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٢.

(١٨) معاني القرآن: ٥٣/٥.

قال ابن زيد: "المحروم: المصاب ثمره وزرعه، وقرأ: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ}، حتى بلغ: {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}، وقال أصحاب الجنة: {إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}"^(٣).

عن عبد الله بن عياش، قال: "قال زيد بن أسلم في قول الله: {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} قال ليس ذلك بالزكاة، ولكن ذلك مما ينفقون من أموالهم بعد إخراج الزكاة، والمحروم: الذي يُصاب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته، فيكون له حقّ على من لم يصبه ذلك من المسلمين، كما قال لأصحاب الجنة حين أهلك جنتهم قالوا {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} وقال أيضاً: {لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}"^(٤).

عن أبي قلابة، قال: جاء سيل باليمامة، فذهب بمال رجل، فقال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: هذا المحروم"^(٥).

وفي رواية عن أبي قلابة، قال: "كان رجل من أهل اليمامة له مال، فجاء سيل فذهب بماله، فقال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: هذا المحروم، فاقسموا له"^(٦).
السابع: أنه المملوك، قاله عبد الرحمن بن حميد^(٧).

الثامن: إن المحروم من حرم وصيته. رواه أنس مرفوعاً^(٨).

التاسع: أنه الكلب، قال محمد بن إسحاق: "حدثني بعض أصحابنا قال: كنا مع عمر بن عبد العزيز في طريق مكة فجاء كلب فانترع عمر كتف شاة فرمى بها إليه، وقال: يقولون: إنه المحروم"^(٩).

قال الجصاص: "من تأوله على الكلب فإنه لا يجوز أن يكون المراد عنده بحق معلوم الزكاة لأن إطعام الكلب لا يجزي من الزكاة فينبغي أن يكون المراد عنده حقا غير الزكاة فيكون في إطعام الكلب قرابة كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن في كل ذي كبد حرى أجرا وإن رجلا سقى كلبا فغفر الله له»^(١٠)، والأظهر في قوله حق معلوم أنه الزكاة لأن الزكاة واجبة لا محالة وهي حق معلوم فوجب أن يكون مرادا بالآية إذ جائز أن ينطوي تحتها ويكون اللفظ عبارة عنها ثم جائز أن يكون جميع ما تأول السلف عليه المحروم مرادا بالآية في جواز إعطائه الزكاة وهو يدل على أن الزكاة إذا وضعت في صنف واحد أجزأ لأنه اقتصر على السائل والمحروم دون الأصناف المذكورة في آية الصدقات وفرق الله تعالى في الآية بين السائل والمحروم لأن الفقير قد يحرم نفسه بتركه المسألة وقد يحرمه الناس بترك إعطائه فإذا لم يسئل فقد حرم نفسه بترك المسألة فسمي محروما من هذا الوجه لأنه يصير محروما من وجهين من قبل نفسه ومن قبل الناس"^(١١).

(١) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٢-٤١٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤١٧/٢٢-٤١٨.
(٣) أخرجه الطبري: ٦١٦/٢٣، و٤١٧/٢٢-٤١٨.
(٤) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٢-٤١٨.
(٥) أخرجه الطبري: ٦١٦/٢٣، و٤١٥/٢٢.
(٦) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٢/٩.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٦٦/٥.
(٨) انظر: أحكام القرآن للجصاص: ٦٢٦/٣.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤١٩/٧، وحكاه عنه النحاس في: الناسخ والمنسوخ: ٦٨٣، والماوردي في النكت والعيون: ٣٦٦/٥.

(١٠) الحديث في البخاري عن أبي هريرة كتاب الشرب والمساقاة: (٢٣٦٣):ص١١١/٣.
عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بيننا رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا، فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له"، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: "في كل كبد رطبة أجر"».
(١١) أحكام القرآن: ٢٩٦/٥.

التاسع: أنه من وجبت نفقته من ذوي الأنساب لأنه قد حرم كسب نفسه ، حتى وجبت نفقته في مال غيره. أفاده الماوردي^(١).

قال الطبري: "والصواب من القول في ذلك عندي أنه الذي قد حُرِمَ الرزق واحتاج، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره، فصار ممن حرمه الله ذلك، وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسألة، ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الوقعة، فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعم، كما قال جلّ ثناؤه: {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}"^(٢).

قال النحاس: "وإنما وقع الاختلاف في هذا لأنها صفة أقيمت مقام الموصوف، و«المحروم»: هو الذي قد حرم الرزق واحتاج. فهذه الأقوال كلها داخلة في هذا غير أنه ليس فيها أجل مما روي عن ابن عباس ولا أجمع أنه: «المحارف»"^(٣).

قال الشعبي: "أعنانني أن أعلم ما {المَحْرُومِ}"^(٤)، لقد سألت عن المحروم منذ سبعين سنة، فما أنا اليوم بأعلم مني من يومئذ"^(٥).

قال الحسن البصري: "أدركت أقواماً إن كان الرجل ليعزم على أهله أن لا يردوا سائلاً، ولقد أدركت أقواماً إن كان الرجل ليخلف أخاه في أهله أربعين عاماً، وإن أهل البيت يبتلون بالسائل، ما هو من الجن ولا من الإنس، وإن الذين كانوا من قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغاً، ويبتاعون بالفضل أنفسهم. رحم الله امرأ جعل العيش عيشاً واحداً، فأكل كسرة وليس خلفاً، ولزق بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكى على الخطيئة، وهرب من العقوبة، وابتغى الرحمة، حتى يأتي عليه أجله وهو كذلك"^(٦).

وحكي: «أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله مالي لا أحب الموت، جعلني الله فداك؟ فقال: هل لك مال؟ قال: نعم. قال: قدم مالك. قال: لا أطيق ذلك يا رسول الله. قال: فإن قلب المرء مع ماله، إن قدمه أحب أن يلحقه، وإن أخره أحب أن يتخلف معه»"^(٧).

عن الحرث بن النعمان- ابن أخت سعيد بن جبيرة- قال: "سمعت أنس بن مالك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا أنس ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون: يا ربّ ظلمونا حقوقنا التي فرضتها عليهم. قال: فيقول: وعزّتي وجلالي لأقربنكم ولأبعدنهم»، قال: فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه هذه الآية: {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}"^(٨).

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ} [المعارج : ٢٦]، أي: "والذين يؤمنون بيوم الحساب والجزاء فيستعدون له بالأعمال الصالحة"^(٩).

قال الطبري: "يقول: وإلا الذين يقرّون بالبعث يوم البعث والمجازاة"^(١٠). قال ابن كثير: "أي : يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب"^(١١).

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٦٧/٥.

(٢) تفسير الطبري: ٤١٨/٢٢.

(٣) الناسخ والمنسوخ: ٦٨٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٦١٦/٢٣، و٤١٨/٢٢.

(٥) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٢/٩.

(٦) الحلية ١٤٩ / ٢ وكتاب الزهد الكبير للبيهقي (١٣): ص ٦٥ / ٢.

(٧) الفردوس بمأثور الخطاب ٢٠٥ / ٣ (رقم ٤٥٨٠)، وتفسير التستري: ١٥٣.

(٨) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٣/٩.

(٩) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(١٠) تفسير الطبري: ٦١٧/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٢٧/٨.

قال السعدي: "أي: يؤمنون بما أخبر الله به، وأخبرت به رسله، من الجزاء والبعث، ويتيقنون ذلك فيستعدون للآخرة، ويسعون لها سعيها. والتصديق بيوم الدين يلزم منه التصديق بالرسل، وبما جاءوا به من الكتب"^(١).

عن قتادة: {يَوْمَ الدِّينِ}، قال: "يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم"^(٢).

وقال مجاهد: "يوم الحساب"^(٣).

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ} [المعارج : ٢٧]، أي: "والذين هم خائفون من عذاب الله"^(٤).

قال الطبري: "يقول: والذين هم في الدنيا من عذاب ربهم وجلون أن يعذبهم في الآخرة، فهم من خشية ذلك لا يضيعون له فرضا، ولا يتعدون له حدا"^(٥).

قال ابن كثير: "أي: خائفون وجلون"^(٦).

قال السعدي: "أي: خائفون وجلون، فيتركون لذلك كل ما يقربهم من عذاب الله"^(٧).

قوله تعالى: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ} [المعارج : ٢٨]، أي: "إن عذاب ربهم لا ينبغي أن يأمنه أحد"^(٨).

قال ابن كثير: "أي: لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى"^(٩).

قال السعدي: "أي: هو العذاب الذي يخشى ويحذر"^(١٠).

قال الطبري: "أن ينال من عصاه وخالف أمره"^(١١).

قال ابن عباس: "لمن أشرك أو كذب أنبياءه"^(١٢).

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} [المعارج : ٢٩]، أي: "والذين هم حافظون لفروجهم عن كل ما حرم الله عليهم"^(١٣).

قال يحيى: "من الزنا"^(١٤).

قال الزجاج: "أي: حافظون فروجهم عن المعاصي"^(١٥).

قال ابن كثير: "أي: يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله"^(١٦).

قال الطبري: "يعني: أقبالهم حافظون عن كل ما حرم الله عليهم وضعها فيه"^(١٧).

قال السعدي: "فلا يطأون بها وطأ محرما، من زنى أو لواط، أو وطء في دبر، أو حيض، ونحو ذلك، ويحفظونها أيضا من النظر إليها ومسها، ممن لا يجوز له ذلك، ويتركون أيضا وسائل المحرمات الداعية لفعل الفاحشة"^(١٨).

(١) تفسير السعدي: ٨٨٧.

(٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.

(٣) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٥) تفسير الطبري: ٦١٧/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٢٧/٨.

(٧) تفسير السعدي: ٨٨٧.

(٨) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٢٧/٨.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٨٧.

(١١) تفسير الطبري: ٦١٧/٢٣.

(١٢) تفسير القرطبي: ٢٩١/١٨.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(١٤) تفسير يحيى بن سلام: ٣٩٣/١.

(١٥) معاني القرآن: ٦/٤.

(١٦) تفسير ابن كثير: ٢٢٧/٨.

(١٧) تفسير الطبري: ٦١٧/٢٣.

(١٨) تفسير السعدي: ٨٨٧.

قوله تعالى: {إِنَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} [المعارج : ٣٠]، أي: "إلا على أزواجهم وإيمانهم"^(١).

قال ابن عباس: "يقول: رضي الله لهم إتيانهم أزواجهم، وما ملكت أيمانهم"^(٢).
قال ابن كثير: أي: "ولا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم ، وما ملكت أيمانهم من السراري"^(٣).

قال الزجاج: "فإنهم لا يلامون على ما أحل لهم من تزوج أربع، ومن ملك اليمين، والمعنى أنهم يلامون على ما سوى أزواجهم وملك أيمانهم"^(٤).

قال يحيى: "إن شاء تزوج واحدة، وإن شاء تزوج اثنتين، وإن شاء ثلاثاً، وإن شاء أربعاً، لا يحل له ما فوق ذلك، يطأ بملك يمينه كم شاء"^(٥).

قوله تعالى: {فَأَيْتَهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المعارج : ٣٠]، أي: "فإنهم غير مؤاخذين"^(٦).
قال يحيى: "في أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، لا لوم عليهم في ذلك، أي لا إثم عليهم"^(٧).

قال السعدي: "في وطنهن في المحل الذي هو محل الحرث"^(٨).
قال الطبري: "أنهم غير ملومين في ترك حفظها {على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم} من إيمانهم"^(٩).

قال ابن كثير: "ومن تعاطى ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج"^(١٠).
قال مجاهد: "يحفظ فرجه إلا من امرأته أو أمته، فإنه لا يلام على ذلك"^(١١).

القرآن

{فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَانِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥)} [المعارج : ٣١-٣٥]

التفسير:

فمن طلب لقضاء شهوته غير الزوجات والمملوكات، فأولئك هم المتجاوزون الحلال إلى الحرام. والذين هم حافظون لأمانات الله، وأمانات العباد، وحافظون لعهودهم مع الله تعالى ومع العباد، والذين يؤدّون شهاداتهم بالحق دون تغيير أو كتمان، والذين يحافظون على أداء الصلاة ولا يخلون بشيء من واجباتها. أولئك المتصفون بتلك الأوصاف الجليلة مستقرّون في جنات النعيم، مكرمون فيها بكل أنواع التكريم.

قوله تعالى: {فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ} [المعارج : ٣١]، أي: "فمن طلب لقضاء شهوته غير الزوجات والمملوكات"^(١٢).

قال الطبري: "فمن التمس لفرجه منكحاً سوى زوجته، أو ملك يمينه، ففاعلو ذلك"^(١٣).

(١) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٢) أخرجه الطبري: ١١/١٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٦٢/٥.

(٤) معاني القرآن: ٦/٤.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٣٩٣/١.

(٦) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٣٩٣/١.

(٨) تفسير السعدي: ٨٨٧.

(٩) تفسير الطبري: ٦١٧/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٦٢/٥.

(١١) التفسير البسيط للواحدي: ٥٢٦/١٥.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(١٣) تفسير الطبري: ٦١٧/٢٣.

قال مقاتل: "يقول: فمن ابتغى الفواحش بعد الحلال"^(١).
قال يحيى: "وراء أزواجه أو ما ملكت يمينه"^(٢).
قال السعدي: "أي: غير الزوجة وملك اليمين"^(٣).
قوله تعالى: {فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} [المعارج : ٣١]، أي: "فأولئك هم المتجاوزون الحلال إلى الحرام"^(٤).
قال مقاتل: "يعني: المعتدين في دينهم"^(٥).
قال ابن كثير: "أي: المعتدون"^(٦).
قال الطبري: "العادون، الذي عدوا ما أحل الله لهم إلى ما حرم عليهم فهم الملمومون"^(٧).
قال يحيى: "الزناة، تعدوا الحلال إلى الحرام"^(٨).
عن ابن زيد، قوله: "فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ"، قال: الذين يتعدون الحلال إلى الحرام"^(٩).
قال أبو عبد الرحمن: "من زنى فهو عاد"^(١٠).
قال السدي: "أي: فأولئك هم المعتدون"^(١١).
قال ابن عباس: "نهاهم الله نهيا شديدا، فقال: {فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}، فسمى الزاني من العادين"^(١٢).
قال الزجاج: "معناه في العُدْوَان. وهي المبالغة في مخالفة أمر الله ومجاوزة القدر في الظلم"^(١٣).
قال السعدي: "أي: المتجاوزون ما أحل الله إلى ما حرم الله، ودلت هذه الآية على تحريم نكاح المتعة، لكونها غير زوجة مقصودة، ولا ملك يمين"^(١٤).
عن الزهري، قال: "سألت القاسم بن محمد بن أبي بكر عن متعة النساء، فقال: «إني لأرى تحريمه في القرآن»، قال: قلت: فأين؟ قال: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِنَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}"^(١٥).
قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} [المعارج : ٣٢]، أي: "والذين هم حافظون لأمانات الله، وأمانات العباد، وحافظون لعهودهم مع الله تعالى ومع العباد"^(١٦).
عن سعيد بن جبير: "والذين هم لأماناتهم: يعني بهذا ما ائتمنوا عليه فيما بينهم وبين الناس، {وعهدهم} قال: يوفون العهد، {راعون} قال: حافظون"^(١٧).
قال يحيى: "يؤدون الأمانة ويوفون بالعهد"^(١٨).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٥٢/٣.

(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٣٩٣/١.

(٣) تفسير السعدي: ٨٨٧.

(٤) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٨/٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٦٢/٥.

(٧) تفسير الطبري: ٦١٧/٢٣.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٣٩٣/١.

(٩) أخرجه الطبري: ١١/١٩.

(١٠) أخرجه الطبري: ١١/١٩.

(١١) نقلا عن: تفسير يحيى بن سلام: ٣٩٣/١.

(١٢) أخرجه الطبري: ١١/١٩.

(١٣) معاني القرآن: ٢٢٢/٥.

(١٤) تفسير السعدي: ٨٨٧.

(١٥) تفسير عبدالرزاق (١٩٥٧): ص ٤١٣/٢.

(١٦) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(١٧) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(١٨) تفسير يحيى بن سلام: ٣٩٣/١.

قال مقاتل: " يعني: يؤدون الأمانة ويوفون بالعهد، ثم قال: {رَاعُونَ}، يرعونه ويتعاهدونه كما يرعى الراعي الشفيق غنمه عن مواقع الهلكة"^(١).
قال الزجاج: "أي: يرعون العهد والأمانة ويحافظون عليها. وكل محافظ على شيء فهو مراع له. والإمام راع لرعيته"^(٢).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: وإلا الذين هم لأمانات الله التي ائتمنهم عليها من فرائضه، وأمانات عباده التي ائتمنوا عليها، وعهوده التي أخذها عليهم بطاعته فيما أمرهم به ونهاهم، وعهود عباده التي أعطاهم على ما عقده لهم على نفسه راعون، يرقبون ذلك، ويحفظونه فلا يضيعونه، ولكنهم يؤدونها ويتعاهدونها على ما أئتمنهم الله وأوجب عليهم حفظها"^(٣).

قال السعدي: "أي: مراعون لها، حافظون مجتهدون على أدائها والوفاء بها، وهذا شامل لجميع الأمانات التي بين العبد وبين ربه، كالتكاليف السرية، التي لا يطلع عليها إلا الله، والأمانات التي بين العبد وبين الخلق، في الأموال والأسرار، وكذلك العهد، شامل للعهد الذي عاهد عليه الله، والعهد الذي عاهد عليه الخلق، فإن العهد يسأل عنه العبد، هل قام به ووفاه، أم رفضه وخانه فلم يقم به؟"^(٤).

قال ابن كثير: "أي: إذا أوتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغرروا. وهذه صفات المؤمنين، وضدها صفات المنافقين، كما ورد في الحديث الصحيح: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتمن خان». وفي رواية: «إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»"^(٥)^(٦).

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ} [المعارج: ٣٣]، أي: "والذين يؤدّون شهاداتهم بالحق دون تغيير أو كتمان"^(٧).

قال مقاتل: " يعني: يقومون بها بالحق لا يمنعونها ولا يكتمونها إذا دعوا إليها"^(٨).
قال الطبري: "يقول: والذين لا يكتمون ما استشهدوا عليه، ولكنهم يقومون بأدائها، حيث يلزمهم أدائها غير مغيرة ولا مبدلة"^(٩).

قال ابن كثير: "أي: محافظون عليها لا يزيدون فيها، ولا ينقصون منها، ولا يكتمونها، {وَمَنْ يَكْتُمهَا فَلْيَنْتَهِمْ قَلْبُهُ} [البقرة: ٢٨٣]"^(١٠).

قال السعدي: "أي: لا يشهدون إلا بما يعلمونه، من غير زيادة ولا نقص ولا كتمان، ولا يحابي فيها قريبا ولا صديقا ونحوه، ويكون القصد بها وجه الله، قال تعالى: {وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ}"^(١١).

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [المعارج: ٣٤]، أي: "والذين يحافظون على أداء الصلاة ولا يخلّون بشيء من واجباتها"^(١٢).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٨/٤.

(٢) معاني القرآن: ٢٢٣/٥.

(٣) تفسير الطبري: ٦١٨/٢٣.

(٤) تفسير السعدي: ٨٨٧.

(٥) رواه البخاري (٢٦٨٢، ٢٧٤٩)، ومسلم (الإيمان / ١٠٧، ١٠٨).

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٢٧/٨.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٨/٤.

(٩) تفسير الطبري: ٦١٨/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٢٧/٨.

(١١) تفسير السعدي: ٨٨٧.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٦٩.

قال الطبري: " يقول: والذين هم على مواقيت صلاتهم التي فرضها الله عليهم وحدودها التي أوجبها عليهم يحافظون، ولا يضيعون لها ميقاتا ولا حداً"^(١).

قال السعدي: " بمداومتها على أكمل وجوها"^(٢).

قال مسلم بن صبيح: " أقام الصلاة لوقتها"^(٣).

قال مسروق: " على ميقاتها"^(٤).

قال الحسن: " على المواقيت"^(٥).

قال مقاتل: " {يُحَافِظُونَ} عليها في مواقيتها"^(٦).

قال قتادة: " على وضوئها، ومواقيتها، وركوعها، وسجودها"^(٧).

وروي عن إبراهيم: " {عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}، قال: دائمون، قال: يعني بها المكتوبة"^(٨).

قال ابن كثير: " أي : على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها، فدل على الاعتناء بها والتتويه بشرفها"^(٩).

روي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال : «استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»^(١٠).

قال ابن مسعود: «سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، أيّ العمل أحب إلى الله ؟ قال : " الصلاة على وقتها". قلت : ثم أيّ ؟ قال : " برُّ الوالدين". قلت : ثم أيّ ؟ قال : " الجهاد في سبيل الله"^(١١).

عن قتادة، عن حنظلة الكاتب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من حافظ على الصلوات الخمس، على وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن، وعلم أنه حق لله عليه دخل الجنة، أو قال: وجبت له الجنة"^(١٢).

قوله تعالى: {أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ} [المعارج : ٣٥]، أي: " أولئك المتصفون بتلك الأوصاف الجليلة مستقرُّون في جنات النعيم، مكرمون فيها بكل أنواع التكريم"^(١٣).

قال الطبري: " يقول عزّ وجل: هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال في بساتين مكرمون، يكرمهم الله بكرامته"^(١٤).

قال ابن كثير: " أي : مكرمون بأنواع الملاذ والمسار"^(١).

(١) تفسير الطبري: ٦١٨/٢٣.

(٢) تفسير السعدي: ٨٨٧.

(٣) أخرجه الطبري: ١٢/١٩.

(٤) أخرجه الطبري: ١٢/١٩.

(٥) أخرجه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة ١/ ١٣٧.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٨/٤.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٣٩٣/١.

(٨) أخرجه الطبري: ١٢/١٩.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٢٧/٨.

(١٠) جاء من حديث ثوبان : رواه ابن ماجه في السنن برقم (٢٧٧) من طريق سفيان عن منصور عن ابن أبي الجعد عنه به وفيه انقطاع. ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص : رواه ابن ماجه في السنن برقم (٢٧٨) من طريق المعتمر عن ليث عن مجاهد عنه به ، وليث بن أبي سليم ضعيف. ومن حديث أبي أمامة : رواه ابن ماجه في السنن برقم (٢٧٩) من طريق إسحاق بن أسيد عن أبي حفص الدمشقي عنه به ، وضعفه البوصيري في الزوائد.

(١١) صحيح البخاري برقم (٥٩٧٠) وصحيح مسلم برقم (٨٥)، ورواه الحاكم في المستدرک (١٨٨/١)، وقال: "فقد صحت هذه اللفظة باتفاق الثقتين ببنار بن بشار ، والحسن بن مكرم على روايتهما عن عثمان بن عمرو ، وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(١٢) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٣٩٣/١.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(١٤) تفسير الطبري: ٦١٨/٢٣.

قال السعدي: "أي: الموصوفون بتلك الصفات {فِي جَنَاتٍ مُّكْرَمُونَ}، أي: قد أوصل الله لهم من الكرامة والنعيم المقيم ما تشتهيهِ الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون، وحاصل هذا، أن الله وصف أهل السعادة والخير بهذه الأوصاف الكاملة، والأخلاق الفاضلة، من العبادات البدنية، كالصلاة، والمداومة عليها، والأعمال القلبية، كخشية الله الداعية لكل خير، والعبادات المالية، والعقائد النافعة، والأخلاق الفاضلة، ومعاملة الله، ومعاملة خلقه، أحسن معاملة من إنصافهم، وحفظ عهودهم وأسرارهم، والعفة التامة بحفظ الفروج عما يكره الله تعالى" (٢).

عن السدي: " {جنات}، قال: البساتين" (٣).

قال مجاهد: " الجنات: حوائط" (٤).

فوائد الآيات: [١٩-٣٥]:

- ١- بين شر صفات الإنسان وأنها الهلع.
- ٢- بيان الدواء لهذا الداء داء الهلع الذي لا فلاح معه ولا نجاح.
- ٣- انحصار العلاج في ثماني صفات أو ثماني مركبات دوائية.
- ٤- وجوب العمل بما اشتملت عليه الوصفة من واجبات.
- ٥- حرمة ما اشتملت عليه الوصفة من محرمات.

القرآن

{فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكُمْ مَهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩)} [المعارج : ٣٦-٣٩]

التفسير:

فأى دافع دفع هؤلاء الكفرة إلى أن يسيروا نحوك -أيها الرسول- مسرعين، وقد مدوا أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك، يتجمعون عن يمينك وعن شمالك حلقاً متعددة وجماعات متفرقة يتحدثون ويتعجبون؟ أيطمع كل واحد من هؤلاء الكفار أن يدخله الله الجنة النعيم الدائم؟ ليس الأمر كما يطمعون، فإنهم لا يدخلونها أبداً. إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ من ماء مهين كغيرهم، فلم يؤمنوا، فمن أين يتشرفون بدخول الجنة النعيم؟

قوله تعالى: {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكُمْ مَهْطِعِينَ} [المعارج : ٣٦]، أي: "فأى دافع دفع هؤلاء الكفرة إلى أن يسيروا نحوك -أيها الرسول- مسرعين، وقد مدوا أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك" (٥).

قال مقاتل: "نزلت هذه الآية في المستهزئين من قريش، والمطمعين في غزوة بدر" (٦).
قال القرطبي: "نزلت في جمع من المنافقين المستهزئين، كانوا يحضرونه- عليه السلام- ولا يؤمنون به" (٧).

وفي قوله تعالى: {مَهْطِعِينَ} [المعارج : ٣٦]، وجوه من التفسير:
أحدها : معناه: مسرعين. قاله سعيد بن جبير (٨)، وقتادة (٩)، وأبو عبيدة (١٠)، مأخوذ من: أهطع يهطع إهطاعاً. إذا أسرع. قال يزيد بن مفرغ الحميري (١١):

(١) تفسير ابن كثير: ٢٢٧/٨.

(٢) تفسير السعدي: ٨٨٧.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٨٢٤) ص: ٢٧٩٦/٩.

(٤) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(٥) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٨/٤.

(٧) تفسير القرطبي: ٢٩٣/١٨.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/١٧.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/١٧.

(١٠) انظر: مجاز القرآن: ٣٤٢/١.

(١١) ديوانه" ص ١٦٧، وورد في "مجاز القرآن" ١ / ٣٤٣، و"الوقف والابتداء" لابن الأنباري ١ / ٦٧، و"المحرر الوجيز" ٨ / ٢٥٩، وفيها (دارهم) بدل (أهلها)، وورد غير منسوب في "معاني القرآن وإعرابه" ٣ /

بِدَجْلَةٍ أَهْلَهَا وَلَقَدْ أَرَاهُمْ... بِدَجْلَةٍ مُهْطِعِينَ إِلَى السَّمَاعِ
وقال الآخر^(١):

بمھطع سرح كأنّ زمامه ... في رأس جذع من أول مشدّب
وقال الشاعر^(٢):

بمستھطع رسل كأنّ جديله ... بقيدوم رعن من صؤام ممّنع

قال الماتريدي: " فمن حمله على «الإسراع»، فمعناه: أن أئمة الكفر كانوا يأتون رسول
الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فيستمعون القرآن منه، ثم يسرعون إلى أتباعهم، ويجلسون حلّقا
حلّقا، ويحرفون ما يسمعون من رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ويلبسون على ضعفائهم
وأتباعهم؛ ليصدهم ذلك عن الإيمان بالله - عَزَّ وَجَلَّ - ورسوله، فإن كان الأمر على هذا
فتأويله: ما لهم يسرعون إليك ليسمعوا كلامك ثم يتفرقوا عن اليمين وعن الشمال ويكذبونك،
نحو أن يقول بعضهم: {مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّقْتَرَى}، و{مَا هَذَا إِلَّا أساطيرُ الأولين}، {إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
افْتَرَى عَلَى اللَّهِ}، ونحو ذلك"^(٣).

الثاني: معناه: ناظرين، قاله ابن عباس^(٤)، والضحاك^(٥)، وأبو الضحى^(٦)، وتميم بن حدلم^(٧)،
وابن زيد^(٨)، وبه قال الزجاج^(٩).

قال مجاهد: " مديمي النظر"^(١٠).

قال ابن منظور: " أهطع: أقبل على الشيء ببصره فلم يرفعه عنه"^(١١).

قال ابن عباس: " يعني بالإهطاع: النظر من غير أن يطرف"^(١٢).

عن ابن عباس: " {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مُهْطِعِينَ}، قال: قبلك ينظرون"^(١٣).

عن ابن عباس، قوله: " {مُهْطِعِينَ}، يقول: ناظرين"^(١٤).

قال أبو الضحى: " الإهطاع: التحميح الدائم الذي لا يطرّف"^(١٥).

قال الضحاك: " شدة النظر الذي لا يطرف"^(١٦). وفي رواية: " شدة النظر في غير
طرّف"^(١٧).

قال ابن زيد: " المهطع: الذي لا يطرف"^(١٨).

قال سفيان: أبصارهم شاخصة إلى السماء"^(١).

١٦٦، و"تهذيب اللغة" (هطع) ٤/ ٣٧٦٨، و"الفريد في إعراب القرآن" ٣/ ١٧٣، و"تفسير القرطبي" ٩/ ٣٧٦،
و"اللسان" (هطع) ٨/ ٤٦٧٤، و"الدر المصون" ٧/ ١٢٠، و"عمدة الحفاظ" ٤/ ٢٩٤، والمعنى: أي أنهم مقبلون
برؤوسهم إلى سماع الداعي.

(١) انظر: مجاز القرآن: ٣٤٢/١.

(٢) انظر: مجاز القرآن: ٣٤٣/١، والأساس (هطع) واللسان والتاج (قيدوم).

(٣) تأويلات أهل السنة: ١٠/ ١٢١١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/ ٦١٩، وتفسير ابن أبي حاتم (١٢٣٠٠): ص ٧/ ٢٢٥١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧/ ٣٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٧/ ٢٩.

(٧) انظر تفسير الطبري: ١٧/ ٣٠، و٢٢/ ٥٧٥.

(٨) انظر: الطبري: ٢٣/ ٦١٨-٦١٩.

(٩) انظر: معاني القرآن: ٥/ ٢٢٣.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٣٠١): ص ٧/ ٢٢٥١.

(١١) اللسان "هطع": ص ٨/ ٣٧٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٢/ ٢٩.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٣/ ٦١٩.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٢/ ٥٧٥.

(١٥) أخرجه الطبري: ١٧/ ٢٩.

(١٦) أخرجه الطبري: ٢٢/ ٣٠.

(١٧) أخرجه الطبري: ٢٢/ ٣٠.

(١٨) أخرجه الطبري: ٢٣/ ٦١٨-٦١٩.

قال الضحاك: "الإهطاع: شدة النظر في غير طرف" (٢).

قال تميم بن حدلم: "الإهطاع: التحميج" (٣) (٤).

قال الزجاج: "«المهطع»: المقبل ببصره على الشيء لا يزياله، لأنهم كانوا ينظرون إلى النبي عليه السلام نظر عداوة، قال الله تعالى: {وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [الأعراف: ١٩٨]، معناه: غيظاً وحنقاً" (٥).

قال الماتريدي: "ومن حمله على النظر، فمعناه: أنهم كانوا يجلسون من بعيد، فينظرون إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه ويطعنون عليه بالسحر والافتراء، وأنه من أساطير الأولين، فيمكرون، بمن يقتدي برسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومن يعاديه من الكفرة، فإن كان على هذا فتأويله كأنه يقول له: يجلسون من البعد ناظرين إليك، ولا يدنون منك؛ ليستمعوا ما أنزل إليك فينتفعوا به، لكنهم متفرقون عن اليمين وعن الشمال، يصدون الناس عن مجلسك، وقد علموا أن لهم إلى من يعلمهم الكتاب والحكمة حاجة؛ إذ ليس عندهم كتاب ولا علم بالأبناء المتقدمة؛ ليعلموا أنك جئت بالعلم والحكمة دون السحر والكهانة" (٦).

الثالث: عامدين، قاله قتادة (٧).

الرابع: ناظرين إليك تعجباً، قاله الكلبي (٨).

الخامس: أنه المطرق الذي لا يرفع رأسه، رواه ابن وهب عن ابن زيد (٩).

قال الثعلبي: أي: "مقبلين مسرعين عليك مادي أعناقهم مديمي النظر إليك متطلعين نحوك" (١٠).

السادس: أي: منطلقين. قاله الحسن (١١).

وقال مقاتل: يعني: "مقبلين" (١٢).

وحكي عن عطية العوفي: "معرضين" (١٣).

قال ابن كثير: "يقول تعالى منكرًا على الكفار الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهم مشاهدون له، ولما أرسله الله به من الهدى وما أيده الله به من المعجزات الباهرات، ثم هم مع هذا كله فارون منه، متفرقون عنه، شاردون يمينًا وشمالًا فرقًا فرقًا، وشيعًا شيعًا، كما قال تعالى: {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ} [المدثر: ٤٩]، [٥١] الآية وهذه مثلها؛ فإنه قال تعالى: {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مُهْطِعِينَ}، أي: فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد {مُهْطِعِينَ}، أي: مسرعين نافرين منك" (١٤).

قوله تعالى: {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ} [المعارج: ٣٧]، أي: "يتجمعون عن يمينك وعن شمالك حلقًا متعددة وجماعات متفرقة يتحدثون ويتعجبون؟" (١٥).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.

(٣) «التحميج»: إدامة النظر، والقلب كاره أو محنق، أو التحديق في النظر. يقال: حمَّجَ تحميجًا، أي نظر بخوف، وتحميج التعيين: غُورُهُمَا انظر: "المحيط في اللغة" (حمج) ٤١٨/٢.

(٤) انظر تفسير الطبري: ٣٠/١٧، و٥٧٥/٢٢.

(٥) معاني القرآن: ٢٢٣/٥.

(٦) تأويلات أهل السنة: ١٢١/١٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦١٨/٢٣، ٦١٩.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٩٦/٦.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/١٧.

(١٠) الكشف والبيان: ٤٠/١٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦١٩/٢٣.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٨/٤.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٩٦/٦.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٢٢٨/٨.

(١٥) التفسير الميسر: ٥٦٩.

وفي تفسير قوله تعالى: {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ} [المعارج : ٣٧]، أقوال:
أحدها : متفرقين ، قاله الحسن^(١)، وابن لهيعة^(٢)، وأنشد الأخير، قول الشاعر^(٣):
بمعزاة أضحت صداها ... ترى ركبائها عصبا عزينا
ومنه قول الراعي^(٤):
أخليفة الرحمن إن عشيرتي ... أمسى سرائهم إليك عزينا
قال الحسن: "عزينا: متفرقين، يأخذون يميننا وشمالنا، يقولون: ما قال هذا الرجل"^(٥).
قال ابن كثير: "أي : فرقا حول النبي صلى الله عليه وسلم لا يرغبون في كتاب الله، ولا
في نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو حال من مهطعين، أي : في حال تفرقهم واختلافهم، كما قال
الإمام أحمد في أهل الأهواء : فهم مخالفون للكتاب، مختلفون في الكتاب، متفقون على مخالفة
الكتاب"^(٦).
قال الزمخشري: أي: "فرقا شتى، جمع: عزة، وأصلها: عزوة، كأن كل فرقة تعزى
إلى غير من تعزى إليه الأخرى فهم مفترقون، قال الكمي^(٧):
ونحن وجدلٌ باعٌ تركنا ... كتائبَ جدلٍ شتى عزينا"^(٨).
الثاني : أي: مجالس مجنبيين، قال مجاهد^(٩).
الثالث: أن «العزينا»: مجالس أنداء^(١٠). قاله مسلم بن خالد الزنجي^(١١).
الرابع : أي: مُتَفَرِّقِينَ حلقا حلقا، واحدها: «عِزَّة»، وهي: العصابة من الناس. نحو هذا المعنى
ذهب ابن عباس^(١٢)، وأبو هريرة^(١٣)، والضحاك^(١٤)، وقتادة^(١٥)، وابن زيد^(١٦)، وهو اختيار
مقاتل^(١٧)، والفراء^(١٨)، والطبري^(١٩)، والزجاج^(٢٠)، والثعلبي^(٢١).

-
- (١) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٣٢١):ص١٣٨/١، والنكت والعيون: ٩٦/٦.
(٢) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢٩٩):ص١٤٨/٢.
(٣) انظر: المصدر السابق، والبيت فيه بلا نسبة.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٩٦/٦، وتفسير القرطبي: ٢٩٣/١٨. وفي الباب: ٣٧٣/١٩: «أَخْلِيفَةُ الرَّحْمَنِ إِنْ
عَشِيرَتِي ... أَمْسَى سَرَائِهِمْ عَزِينَ فُلُولًا»
(٥) أخرجه الطبري: ٦٢٠/٢٣.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٢٨/٨. [باختصار]
(٧) البيت له في: لسان العرب: ٥٣/١٥، وفي تفسير القرطبي: ٢٩٣/١٨، والبحر المحيط: ٢٦٩/١٠، وهو بلا
نسبة في "الكشف والبيان": ٤١/١٠، وللكميت.
والكتائب: جمع كنيبة وهي الجماعة. وشتى: جمع شتيت، كمرضى ومريض، وعزينا: جمع عزة، أصلها عزو،
فعوذت التاء عن الواو، من عزاه إلى كذا، أي: نسبه إليه، لأن بعضها ينتسب إلى بعض. أو لأنها تنتسب إلى
رئيسها. أو إلى أصلها الأعلى، وهذا كناية عن قتله مع كثرة جيشه.
(٨) الكشف: ٦١٤/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦١٩/٢٣.
(١٠) الأنداء: جمع: النادي: وهم القوم المجتمعون. و وفي حديث أبي سعيد «كنا أنداء فخرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم». وقيل: أراد كنا أهل أنداء. فحذف المضاف. [النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٧/٥].
(١١) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء
الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي (١٠٦):ص٦٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦١٩/٢٣.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٠/٢٣.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦١٩/٢٣.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦١٩/٢٣.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٦١٩/٢٣.
(١٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٨/٤.
(١٨) انظر: معاني القرآن: ١٨٦/٣.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٦١٩/٢٣.
(٢٠) انظر: معاني القرآن: ٢٢٣/٥.
(٢١) انظر: الكشف والبيان: ٤٠/١٠.

عن الضحاك، في قوله: «{عزيرين}»، قال: حلقا ورفقاء^(١).
قال ابن عباس: «العزيرين: العصب من الناس عن يمين وشمال، معرضين عنه، يستهزئون به»^(٢).
قال أبو هريرة: «العزيرين: الحلق المتفرقة»^(٣).
قال قتادة: «العزيرين: الحلق المجالس»^(٤).
قال قتادة: «أي: فرقا حول نبي الله صلى الله عليه وسلم لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه»^(٥).
وقال ابن زيد: «المجلس الذي فيه الثلاثة والأربعة، والمجالس الثلاثة والأربعة، أولئك العزور»^(٦).
وعلى قول ابن زيد، فإن «العزيرين»: الجمع اليسير كثلاثة وثلاثة وأربعة أربعة.
قال الفراء: «العزور: الحلق، الجماعات كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه فيقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة- كما يقول محمد صلى الله عليه- لندخلنها قبلهم، وليكونن لنا فيها أكثر مما لهم، فأنزل الله: {أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ} [المعارج: ٣٨]»^(٧).
قال الطبري: «يقول: عن يمينك يا محمد، وعن شمالك متفرقين حلقا ومجالس، جماعة جماعة، معرضين عنك وعن كتاب الله»^(٨).
قال الزجاج: «حلقا حلقا وجماعة جماعة، و{عزيرين}: جمع: عِزَّة، فكانوا عن يمينه وشماله مجتمعين»^(٩).
قال مقاتل: «يعني: حلقا حلقا جلوسا لا يدنون من النبي- صلى الله عليه وسلم- فينتفعون بمجلسه»^(١٠).
قال الأصمعي: «يقال: في الدار عزورن، أي: أصناف من الناس»^(١١).
عن جابر بن سمرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم حلق، فقال: «ما لي أراكم عزيرين؟»^(١٢). وفي رواية: «ما لي أراكم عزيرين حلقا»^(١٣).
عن عبادة بن نسي، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فرأهم عزيرين حلقا، فقال: «ما لي أراكم عزيرين حلقا كحلق الجاهلية؟ جلس رجل خلف أخيه؟»^(١٤).
قوله تعالى: {أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ} [المعارج: ٣٨]، أي: «أيطمع كل واحد من هؤلاء الكفار أن يدخله الله الجنة النعيم الدائم؟»^(١٥).
قال الطبري: «يقول: أيطمع كل امرئ من هؤلاء الذين كفروا قبلك مهطعين أن يدخله الله الجنة نعيم: أي بساتين نعيم ينعم فيها»^(١٦).

- (١) أخرجه الطبري: ٦١٩/٢٣.
- (٢) أخرجه الطبري: ٦١٩/٢٣.
- (٣) أخرجه الطبري: ٦٢٠/٢٣.
- (٤) أخرجه الطبري: ٦١٩/٢٣.
- (٥) أخرجه الطبري: ٦١٩/٢٣.
- (٦) أخرجه الطبري: ٦١٩/٢٣.
- (٧) معاني القرآن: ١٨٦/٣.
- (٨) تفسير الطبري: ٦١٩/٢٣.
- (٩) معاني القرآن: ٢٢٣/٥.
- (١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٨/٤.
- (١١) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٩٤/١٨.
- (١٢) المسند (٩٣/٥) وصحيح مسلم برقم (٤٣٠) وسنن أبي داود برقم (٤٨٢٣) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٢٢)، وتفسير الطبري: ٦٢٠/٢٣.
- (١٣) أخرجه الطبري: ٦٢٠/٢٣.
- (١٤) تفسير عبد الرزاق (٣٣٢٦): ص ٣٤٥/٣.
- (١٥) التفسير الميسر: ٥٦٩.

قال ابن كثير: "أي: أيطمع هؤلاء - والحالة هذه - من فرارهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم ونفارهم عن الحق - أن يدخلوا جنات النعيم؟" (٢).

قال مقاتل: "يعنى قريشاً، {أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ} كل واحد منهم يقول: إن لي في الجنة حقا، يقول ذلك استهزاء، يقول: أعطى منها ما يعطى المؤمنون" (٣).

قال الزجاج: "فقالوا إن كان أصحاب محمد يدخلون الجنة فإننا ندخلها قبلهم. وإن أعطوا فيها شيئا أعطينا أكثر منه، فقال عز وجل: {أَيْطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ}" (٤).

قال الثعلبي: "قال المفسرون: كان المشركون يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم ويتسمعون كلامه ولا ينتفعون به، بل يكذبونه ويكذبون عليه ويستهزءون به وبأصحابه، ويقولون: دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد، فلندخلها قبلهم وليكون لنا فيها أكثر مما لهم فأنزل الله سبحانه: {أَيْطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ}" (٥).

قال مالك بن دينار: "جنات النعيم بين جنان الفردوس وبين جنات عدن، وفيها جوارى خلقن من ورد الجنة، قيل: فمن يسكنها؟ قال: الذين عملوا بالمعاصي فلما ذكروا عظمتي راقبوني والذين انتنت أصلابهم من خشيتي وعزتي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخاقتي صرفت عنهم العذاب" (٦).

قوله تعالى: {كُلًّا} [المعارج : ٣٩]، أي: "ليس الأمر كما يطمعون" (٧).

قال مقاتل: "لا يدخلها" (٨).

قال ابن كثير: "كلا بل مأواهم الجحيم" (٩).

قوله تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ} [المعارج : ٣٩]، أي: "إننا خلقناهم مما يعلمون من

ماء مهين كغيرهم، فلم يؤمنوا، فمن أين يتشرفون بدخول جنة النعيم؟" (١٠).

واختلف في تفسير قوله تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ} [المعارج : ٣٩]، على وجوه:

أحدها: معناه: إننا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو الأمر والنهي والثواب والعقاب، فحذف «أجل»، كقول الشاعر (١١):

أزمت من آل ليلي احتكارا ... وشطت على ذي هوى أن تزارا

أي: من أجل آل ليلي. حكاة الثعلبي (١٢).

الثاني: أن «ما» بمعنى: «من»، والمعنى: إننا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون لا كالبهائم. حكاة الثعلبي-أيضا- (١٣).

الثالث: أن قوله تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ}، تقرير لوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده، فاستدلّ عليهم بالبداء التي الإعادة أهون منها وهم معترفون بها، فقال {إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ}، أي: من المنى الضعيف، كما قال: {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} [المرسلات : ٢٠]. وقال: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ

(١) تفسير الطبري: ٦٢١/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٢٩/٨.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٨/٤.

(٤) معاني القرآن: ٢٢٣/٥.

(٥) الكشف والبيان: ٤١/١٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٥٩٤): ص ١١٧٠/٤س.

(٧) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٩/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٢٩/٨.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(١١) بلا نسبة في: لسان العرب: ٨ / ١٤٤، والكشف والبيان: ٤٢/١٠.

(١٢) انظر: الكشف والبيان: ٤٢/١٠.

(١٣) انظر: الكشف والبيان: ٤٢/١٠.

وَالْتَرَائِبَ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ {الطارق : ٥ - ١٠}. أفاده ابن كثير^(١).

الرابع : إنا خلقناهم من نطفة ثم علقه ثم مضغه، فلا يستوجب الجنة أحد منهم بكونه شريفاً، لأن مادة الخلق واحدة، بل يستوجبونها بالطاعة. ذكره الثعلبي^(٢)، وابن الجوزي^(٣)، وهو معنى قول مقاتل^(٤).

قال مقاتل: "خلقوا من نُطْفَةٍ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ، ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ"^(٥).

الخامس : معناه: خلقناهم من تراب ومن نطفة، فأى شيء لهم يدخلون به الجنة، وهم لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- على العداوة وعلى البغضاء. قاله الزجاج^(٦).

السادس : إنا خلقناهم من أقدار. فيما يستحقون الجنة ولم يؤمنوا؟! حكاها ابن الجوزي^(٧)، وهو معنى قول قتادة^(٨)، والطبري^(٩).

قال الضحاك: "يعني: النطفة التي خُلق منها البشر"^(١٠).

عن معمر ، قال: "تلا قتادة {خلقناهم مما يعلمون} [المعارج: ٣٩] فقال: «خلقت من قدر يا ابن آدم فاتق الله»"^(١١).

قال الطبري: "أنا خلقناهم من مني قدر، وإنما يستوجب دخول الجنة من يستوجه منهم بالطاعة، لا بأنه مخلوق، فكيف يطمعون في دخول الجنة وهم عصاة كفره"^(١٢).

قال الزمخشري: "كأنهم ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة، ثم علل ذلك بقوله: {إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ}، إلى آخر السورة، وهو كلام دال على إنكارهم البعث، فكأنه قال: كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء، فمن أين يطمعون في دخول الجنة؟"^(١٣).

عن أنس بن مالك، قال: "كان أبو بكر الصديق إذا خطبنا ذكر مناتن ابن آدم فذكر بدء خلقه أنه يخرج من مخرج البول مرتين، ثم يقع في الرحم نطفة، ثم علقه، ثم مضغه، ثم يخرج من بطن أمه فيتلوث في بوله وخراره حتى يقدر أحدنا نفسه"^(١٤).

عن بسر بن جحاش القرشي، أن النبي صلى الله عليه وسلم بزق يوماً في كفه، فوضع عليها أصبعه، ثم قال: "قال الله: ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدلتك، مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي، قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة"^(١٥).

القرآن

{فَلَمَّا أَفَسِمُ رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١)} [المعارج : ٤٠ - ٤١]

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٢٩/٨.

(٢) انظر: الكشف والبيان: ٤١/١٠.

(٣) انظر: زاد المسير: ٣٣٩/٤.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٩/٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٩/٤.

(٦) انظر: معاني القرآن: ٢٢٣/٥.

(٧) انظر: زاد المسير: ٣٣٩/٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٢١/٢٣، وانظر: "الكشف والبيان": ٤١/١٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٢١/٢٣.

(١٠) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١١) تفسير عبدالرزاق (٣٣٣٢): ص ٣٤٧/٣، وتفسير الطبري: ٦٢١/٢٣، وانظر: "الكشف والبيان": ٤١/١٠.

(١٢) تفسير الطبري: ٦٢١/٢٣.

(١٣) الكشف: ٦١٤/٤.

(١٤) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٤١/١٠.

(١٥) مسند أحمد (١٧٨٤٢): ص ٣٨٥/٢٩. [إسناده حسن]

التفسير:

أقسم تعالى بنفسه، وهو رب المشارق والمغرب للشمس والقمر وسائر الكواكب؛ لما فيها من الآيات الباهرة الدالة على البعث، إنا لقادرون قدرة تامة على أن نستبدل بهم قومًا أفضل منهم وأطوع لله، وما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نأتي بقوم آخرين خير منهم.

قوله تعالى: {قُلْ أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ} [المعارج : ٤٠]، أي: "أقسم تعالى بنفسه، وهو رب المشارق والمغرب للشمس والقمر وسائر الكواكب؛ لما فيها من الآيات الباهرة الدالة على البعث"^(١).

قال الطبري: يقول: "فلا أقسم بربّ مشارق الأرض ومغربها"^(٢).

قال مقاتل: "وهو مائة وثمانون مشرقًا، ومائة وثمانون مغربًا في كل منزلة تطلع يومين في السنة، تطلع يومين في السنة، تطلع فيها الشمس وتغرب فيها، فأقسم الله- تعالى- بالمشارق والمغرب"^(٣).

قال الزجاج: "أي: مشارق الشمس ومغربها، وكذلك القمر، وهي مشارق الصيف ومشارق الشتاء ومغرب الصيف، ومغرب الشتاء فتشرق الشمس كل يوم من مشرق، وتغرب من مغرب، وكذلك القمر"^(٤).

قال ابن كثير: "أي : الذي خلق السموات والأرض، وجعل مشرقًا ومغربًا، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغربها. وتقدير الكلام : ليس الأمر كما يزعمون أن لا معاد ولا حساب، ولا بعث ولا نشور، بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة. ولهذا أتى ب "لا" في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفي، وهو مضمون الكلام، وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة، وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة، وهو خلق السموات والأرض، وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات، وسائر صنوف الموجودات ؛ ولهذا قال تعالى : {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غافر : ٥٧] وقال تعالى : {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ عَنْهَا بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأحقاف : ٣٣]. وقال تعالى في الآية الأخرى : {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس : ٨١، ٨٢]"^(٥).

عن عكرمة في قوله: " {رب المشارق والمغرب} قال: المنازل التي تجري فيها الشمس والقمر"^(٦).

قال قتادة: "للشمس ثلاثمائة وستون مشرقًا، وثلاثمائة وستون مغربًا"^(٧).

عن ابن عباس: " {قُلْ أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ}، قال: هو مطلع الشمس ومغربها، ومطلع القمر ومغربه"^(٨).

قال ابن عباس: "إن الشمس تطلع في ثلاث مئة وستين كوة، فإذا طلعت في كوة لم تطلع منها حتى العام المقبل، ولا تطلع إلا وهي كارهة"^(٩).

عن عكرمة، قال، قال ابن عباس: إن الشمس تطلع كل سنة في ثلاث مئة وستين كوة، تطلع كل يوم في كوة، لا ترجع إلى تلك الكوة إلى ذلك اليوم من العام المقبل، ولا تطلع إلا وهي

(١) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٢) تفسير الطبري: ٦٢٢/٢٣.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٩/٤.

(٤) معاني القرآن: ٢٢٤/٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٢٩/٨.

(٦) الدر المنثور: ٢٨٦/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٧) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٣٨/٥ -.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٣.

كارهة، تقول: ربّ لا تطلعي على عبادك، فإني أراهم يعصونك، يعملون بمعاصيك أراهم، قال أولم تسمعوا إلى قول أمية بن أبي الصلت^(١):
حتى نُجْرَ وَنُجْلَدَ

قلت: يا مولاه وتجلد الشمس؟ فقال: عضضت بهن أبيك، إنما اضطره الروي إلى الجلد^(٢).

قرأ أبو حيوة: "رب المشرق والمغرب"^(٣).

قوله تعالى: {إِنَّا لِقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ} [المعارج : ٤٠-٤١]، أي: "إنا لقادرون قدرة تامة على أن نستبدل بهم قوماً أفضل منهم وأطوع لله"^(٤).

قال الطبري: "يقول: إنا لقادرون على أن نهلكهم، ونأتي بخير منهم من الخلق يطيعونني ولا يعصونني"^(٥).

قال مقاتل: "يعنى: على أن نأتي بخلق أمثل منهم، وأطوع لله منهم، وأرضى منهم"^(٦).

وقال ابن كثير: "أي: يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه، فإن قدرته صالحة لذلك"^(٧).

قوله تعالى: {وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} [المعارج : ٤١] أي: "وما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نأتي بقوم آخرين خير منهم"^(٨).

قال الطبري: "يقول: وما يفوتنا منهم أحد بأمر نريده منه، فيعجزنا هرباً"^(٩).

قال مقاتل: "يعنى: وما نحن بمعجزين إن أردنا ذلك"^(١٠).

قال ابن كثير: "أي: بعاجزين. كما قال تعالى: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَهُ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} [القيامة : ٣، ٤]. وقال تعالى: {نَحْنُ قَادِرُونَ بِبَيْنِكُمْ الْمَوْتِ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الواقعة : ٦، ٦١]"^(١١).

القرآن

(١) هذا جزء من بيت لأمية بن أبي الصلت الثقفي:
(الشعر والشعراء لابن قتيبة - ليدن ٢٨٠) ورواية البيت بتمامه فيه: لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ لَهُمْ فِي رَسْلِهَا ... إِلَّا مُعَدَّبَةٌ وَإِلَّا نُجْلَدُ

قال: يقولون: إن الشمس إذا غربت امتنعت من الطلوع، وقالت لا أطلع على قوم يعبدونني من دون الله، حتى تدفع وتجلد، فتطلع.

ورواية البيت في الأغاني لأبي الفرج (طبعة دار الكتب ٤ : ١٣٠) مع البيت الذي قبله هي: وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ... حَمْرَاءَ مَطْلَعٍ لَوْيُهَا مُنَوَّرِدُ تَأْتِي فَلَا تُبْذَوْنَا فِي رَسْلِهَا ... إِلَّا مُعَدَّبَةٌ وَإِلَّا نُجْلَدُ ومن هاتين الروايتين يعلم أن شاهد الطبري: ميبور محرف.

قال المحقق-السيد احمد شاكر:- "والذي قاله ابن عباس في تفسير طلوع الشمس كل سنة في ٣٦٠ كوة.. إلخ، صحيح من ناحية العلم. أما تفسير بيت أمية: بأن الملائكة تدفعها حتى تطلع فتأبى فتجلد، فهو تخييل وتمثيل وزجر لمن يعبدون الشمس".

(٢) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٣.

(٣) تفسير الثعلبي: ٣٧٣/٢٧، و "مختصر في سواند القرآن" لابن خالويه (ص ١٦٢)، "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ٢٩٥ / ١٨.

وقرأ بها: ابن محيصن، والجحدري كما في "إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي ٥٦٢ / ٢، "البحر المحيط" لأبي حيان ٣٣٠ / ٨، "الدر المصون" للسمين الحلبي ٤٦٣ / ١٠.

(٤) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٥) تفسير الطبري: ٦٢٢/٢٣.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٩/٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٢٩/٨.

(٨) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٩) تفسير الطبري: ٦٢٢/٢٣.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٩/٤.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٢٩/٨.

{فَدَرُّهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نَصَبٍ يَوْفُضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذَّلَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)} [المعارج : ٤٢-٤٤]

التفسير:

لكن سبق في علمنا ومشينتنا تأخير عقوبة هؤلاء الكفار، وعدم تبديلهم بقوم آخرين، فاتركهم يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يوم القيامة الذي يوعدون فيه بالعذاب، يوم يخرجون من القبور مسرعين، كما كانوا في الدنيا يذهبون إلى آلهتهم التي اختلقوها للعبادة من دون الله، يهرولون ويسرعون، ذليلة أبصارهم منكسرة إلى الأرض، تغشاهم الحقارة والمهانة، ذلك هو اليوم الذي وعدوا به في الدنيا، وكانوا به يهزؤون ويكذبون.

قوله تعالى: {فَدَرُّهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا} [المعارج : ٤٤]، أي: "اتركهم يا محمد يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم، واشتغل أنت بما أمرت به"^(١).

قال مقاتل: "خل عنهم يا محمد {يَخُوضُوا} في الباطل، {ويَلْعَبُوا} ويلهوا في دنياهم"^(٢). قال الطبري: "يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فذر هؤلاء المشركين المهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين، يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في هذه الدنيا"^(٣).

قال ابن كثير: "أي : دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم"^(٤). قال أبو عبيدة: وهذا "وعيد"^(٥). قال الزجاج: "وهذا أمر على جهة الوعيد، كما تقول: اصنع ما شئت فإني أعاقبك عليه"^(٦).

قوله تعالى: {حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} [المعارج : ٤٤]، أي: "حتى يلاقوا يوم القيامة الذي يوعدون فيه بالعذاب"^(٧). قال السدي: "يوم القيامة"^(٨).

قال الطبري: "يقول: حتى يلاقوا عذاب يوم القيامة الذي يوعدونه"^(٩). قال ابن كثير: "أي : فسيعلمون غب ذلك ويذوقون وبالته"^(١٠). قال مقاتل: "وذلك أن الله أوعدهم في الدنيا على السنة الرسل أن العذاب كائن، لما كذب

كفار مكة النبي- صلى الله عليه وسلم، فقال الله- عز وجل-: {فَدَرُّهُمْ}، يعنى: قريشا، يعنى: فخل عنهم {يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} العذاب فيه"^(١١). وقرأ ابن محيصن ومجاهد: "حَتَّى يَلْقُوا"^(١٢).

قوله تعالى: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا} [المعارج : ٤٤]، أي: "يوم يخرجون من القبور مسرعين"^(١٣). قال الطبري: يقول: "حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدونه يوم يخرجون من الأجداث وهي القبور"^(١).

(١) صفوة التفاسير: ٤٢٣/٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٩/٤.

(٣) تفسير الطبري: ٦٢٣/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٨.

(٥) مجاز القرآن: ٢٧٠/٢.

(٦) معاني القرآن: ٢٢٤/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٥٢/٢١.

(٩) تفسير الطبري: ٦٢٣/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٨.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٩/٤.

(١٢) البحر المحيط في التفسير: ٢٧٧/١٠.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٧٠.

عن قتادة: "يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا"، أي: من القبور سراعا^(٢).
 عن ابن عباس، قوله: " {مِنَ الْأَجْدَاثِ}، يقول: من القبور"^(٣).
 قال الزجاج: "«الأجداث»: القبور، واحدها: جدث"^(٤).
 قال يحيى: "بلغني عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، قال: تجعل الأرواح في الصور ثم ينفخ فيه صاحب الصور، فيذهب كل روح إلى جسده مثل النحل، فتدخل الأرواح في أجسادها"^(٥).
 قوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ} [المعارج : ٤٤]، أي: كأنهم يسعون ويستبقون إلى أصنامهم التي نصبوها ليعبدوها"^(٦).
 قال ابن كثير: "أي : يقومون من القبور إذا دعاهم الرب، تبارك وتعالى، لموقف الحساب، ينهضون سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون"^(٧).
 قال مقاتل: "يقول: كأنهم إلى علم يسعون إليه قد نصب لهم"^(٨).
 قال الطبري: "يقول: كأنهم إلى علم قد نُصب لهم يستبقون"^(٩).
 عن مجاهد، قوله: " {يُوفِضُونَ}، قال: يستبقون"^(١٠).
 قال الفراء: "الإيفاض: الإسراع. وقال الشاعر^(١١):
 لِأُنْعَنَ نَعَامَةً مِيفَاضًا ... خَرَجَاءَ تَغْدُو تَطْلُبُ الْإِضَاضًا"^(١٢).
 قال الزجاج: "معنى {يُوفِضُونَ}: يُسْرِعُونَ"^(١٣).
 وقال المبرد: "الإيفاض: ضرب من السير"^(١٤).
 وفي قوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ} [المعارج : ٤٤]، قراءتان^(١٥):
 القراءة الأولى : «نُصُبٍ» بضم النون والصاد^(١٦)، بمعنى: الأصنام، وقد كانوا يسرعون إلى أصنامهم إذا ذهبوا إليها، فيعظموها ويستلموها.
 قال ابن كثير: "أي : كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عينوه يوفضون، يبتدرون، أيهم يستلمه أول"^(١٧).

-
- (١) تفسير الطبري: ٦٢٣/٢٣.
 (٢) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٣.
 (٣) أخرجه الطبري: ٥٣١ / ٢٠.
 (٤) معاني القرآن: ٢٩٠/٤.
 (٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٣/٢.
 (٦) صفوة التفاسير: ٤٢٣/٣.
 (٧) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٨.
 (٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٩/٤.
 (٩) تفسير الطبري: ٦٢٤/٢٣.
 (١٠) أخرجه الطبري: ٦٢٥/٢٣.
 (١١) لم أعثر على قائله. وهو بلا نسبة في: شرح أبيات معاني القرآن للفراء ومواضع الاحتجاج بها. د. ناصر حسين علي: ١٩٦ شاهد: ٤٤٠ - ٤٤١، و"لسان العرب" ١١٥ / ٧، و ٢٥٠ مادة: (أضض)، و (فض) برواية: "تغدو"، و"الإيضاض"، و"تاج العروس" ٦ / ٥، مادة: (أضض)، و"تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٣، ومعاني القرآن للزجاج: ٢٢٤/٥، برواية: "تغدو" الإيضاض"، و"الدر المصون" ٦ / ٣٨١. وموضع الشاهد: "ميفاضا" من الإيفاض، وهو الإسراع. والمعنى: الخرج: اللون، فإذا رُقع القميص الأبيض برقعة حمراء، فهو أخرج، و: "تطلب الإيضاض"، أي: تطلب موضعاً تدخل فيه وتلجأ إليه.
 (١٢) معاني القرآن: ١٨٦/٣.
 (١٣) معاني القرآن: ٢٢٤/٥.
 (١٤) نقلا عن: التفسير البسيط للواحيدي: ٢٤٠/٢٢، ولم أعثر على مصدر لقوله.
 (١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٤/٢٣، ومعاني القرآن للزجاج: ٢٢٤/٥، والكشف والبيان: ٤٢/١٠، وحجة القراءات: ٧٢٤/١، والسبعة في القراءات: ٦٥١.
 (١٦) وهي قراءة ابن عامر وحفص عن عاصم.
 (١٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٣٠/٨.

قال الحسن: "بيتدرون إلى نصبهم أيهم يستلمه أول"^(١).
قال الحسن: "كانوا يجتمعون غدوة فيجلسون فإذا طلعت الشمس تبادروا إلى أنصابهم"^(٢).

قال ابن زيد: "النصب": حجارة كانوا يعبدونها، حجارة طوال يقال لها: «نصب»،
يسرعون إليه كما يسرعون إلى نصب يوفضون؛ والأنصاب التي كان أهل الجاهلية يعبدونها
ويأتونها ويعظمونها، كان أحدهم يحمله معه، فإذا رأى أحسن منه أخذه، وألقى هذا، فقال له:
{كَلَّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ}^(٣).

قال الراغب: "نَصَبُ الشَّيْءِ: وَضْعُهُ وَضَعًا نَاتئًا كَنَصَبِ الرُّمْحِ، وَالْبِنَاءِ وَالْحَجَرِ،
والتَّصْيِبُ: الْحَجَارَةُ تُنْصَبُ عَلَى الشَّيْءِ، وَجَمْعُهُ: نَصَائِبُ وَنُصْبٌ، وَكَانَ لِلْعَرَبِ حَجَارَةٌ تَعْبُدُهَا
وَتُدْبَحُ عَلَيْهَا. قَالَ تَعَالَى: {كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُؤْفَضُونَ} [المعارج: ٤٣] ، قَالَ: {وَمَا دُبِحَ عَلَى
النُّصْبِ} [المائدة: ٣]"^(٤).

الثانية: «إلى نُصْبٍ»، بفتح النون وجزم الصاد، يعنون: إلى شيء منصوب، يقال: فلان نصب
عيني.

قال أبو عبيدة: "النصب": العلم والصنم الذي نصبوه"^(٥).
قال ابن حسنون^(٦): "يعني: إلى علم يسرعون -بلغه قریش-"^(٧).
قال الكلبي: "إلى علم وراية"^(٨).
قال ابن عباس، وقتادة: "إلى علم يسعون"^(٩).
قال الضحاك: "إلى علم ينطلقون"^(١٠).
قال سفيان: "إلى علم يستبقون"^(١١).
قال أبو العالقة: "إلى علامات يستبقون"^(١٢).
قال يحيى بن أبي كثير: "إلى غاية يستبقون"^(١٣). وحكي عن زيد بن ثابت^(١٤)، وأبي
العالقة^(١٥)، مثله^(١٦).

وحكي الثعلبي عن ابن عباس، قال: "يعني إلى غاية، وذلك حين سمعوا الصيحة
الأخيرة"^(١٧).

وقال أبو العلاء: "سمعت بعض العرب يقول: النصب: الشبكة التي يقع فيها الصيد
فيتسارع إليها صاحبها مخافة أن يفلت الصيد منها"^(١٨).

-
- (١) أخرجه الطبري: ٦٣٤/٢٣-٦٣٥.
 - (٢) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٢٥/٥.
 - (٣) أخرجه الطبري: ٦٣٤/٢٣-٦٣٥.
 - (٤) المفردات في غريب القرآن: ٨٠٧.
 - (٥) مجاز القرآن: ٢٧٠/٢.
 - (٦) هو: عبد الله بن الحسين بن حسنون أبو أحمد السامري البغدادي، المقرئ اللغوي، أخذ عن ابن مجاهد والأشعري وغيرهم، وعنه أبو الفضل الخزازي، توفي ٣٨٦ هـ. (غاية) ٤١٧/١.
 - (٧) اللغات في القرآن: ٥١.
 - (٨) نقلا عن: "الكشف والبيان": ٤٢/١٠. وفيه «ورواية».
 - (٩) أخرجه الطبري: ٦٢٥/٢٣.
 - (١٠) أخرجه الطبري: ٦٢٥/٢٣.
 - (١١) أخرجه الطبري: ٦٢٥/٢٣.
 - (١٢) أخرجه الطبري: ٦٣٥-٦٣٤/٢٣.
 - (١٣) أخرجه الطبري: ٦٣٥/٢٣.
 - (١٤) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٢٥/٥، وتفسير ابن كثير: ٢٣٠/٨.
 - (١٥) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٢٥/٥، وتفسير ابن كثير: ٢٣٠/٨.
 - (١٦) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٢٥/٥، وتفسير ابن كثير: ٢٣٠/٨.
 - (١٧) الكشف والبيان: ٤٢/١٠.

قوله تعالى: {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ} [المعارج : ٤٤]، أي: "ذليلة أبصارهم منكسرة إلى الأرض"^(١).

قال ابن كثير: "أي : خاضعة"^(٢).

قال الطبري: "يقول: خاضعة أبصارهم للذي هم فيه من الخزي والهوان"^(٣).

قال مقاتل: "يعني: خافضة أبصارهم ذليلة عند معاينة النار"^(٤).

عن قتادة: " {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ} بسواد الوجوه"^(٥).

قوله تعالى: {ثَرَّهُمْ ذَلَّةٌ} [المعارج : ٤٤]، أي: "تغشاهم الحقارة والمهانة"^(٦).

قال مقاتل: "يعني: تغشاهم مذلة"^(٧).

قال الطبري: "يقول: تغشاهم ذلة"^(٨).

قال ابن كثير: "أي : في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة"^(٩).

قوله تعالى: {ذَلِكَ الْيَوْمَ الْكَافِرُونَ} [المعارج : ٤٤]، أي: "ذلك هو اليوم الذي

وعدوا به في الدنيا، وكانوا به يهزؤون ويكذبون"^(١٠).

قال الطبري: يقول: "هذا اليوم الذي وصفت صفته، وهو يوم القيامة، الذي كان مشركو

قريش يوعدون في الدنيا أنهم لا قوه في الآخرة، كانوا يكذبون به"^(١١).

عن قتادة: " {ذَلِكَ الْيَوْمَ} : يوم القيامة، {الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} "^(١٢).

محمد بن علي الكرجي القصاب: "وفيما ذكر - جل وتعالى - من هذه الخصال كلها من

عند قوله: {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مَهْطِعِينَ} [المعارج: ٣٦]، إلى آخر السورة دليل على أن

المؤمن لا يسلك مسلكهم، ولا يؤخذ به طريقهم، ولا يرهقهم ذلك ولا هوان، إذ لو ساواهم

المؤمنون - في هذه النعوت أو في بعضها - ما كانت عقوبة لهم، وذلك بشارة للمؤمنين

كبيرة"^(١٣).

فوائد الآيات: [٣٦-٤٤]:

١- بيان الحال التي كان عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة بين ظهراي قريش وما كان يلاقي من أذاهم.

٢- بيان أن الجنة تدخل بالطهارة الروحية من قدر الشرك والمعاصي وإلا فأصل الناس واحد المنى الفذر باستثناء آدم وحواء وعيسى فآدم أصله الطين وحواء خلقت من ضلع آدم، وعيسى كان ينفخ روح القدس في كم درع مريم فكان بكلمة الله تعالى ومن عدا الثلاثة فمن ماء مهين ونطفة قذرة.

٣- الاستدلال بالنشأة الأولى على إمكان الثانية.

قال ابن جزي: "قوله: {إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ}، كناية عن: المنى الذي خلق الإنسان

منه، وفي المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه:

(١) نقلا عن: "الكشف والبيان": ٤٢/١٠.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٨.

(٤) تفسير الطبري: ٦٢٦/٢٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٩/٤.

(٦) تفسير الثعلبي: ٤٢/١٠.

(٧) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٩/٤.

(٩) تفسير الطبري: ٦٢٦/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٨.

(١١) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(١٢) تفسير الطبري: ٦٢٦/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦٢٦/٢٣.

(١٤) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام: ٤٠٨/٤.

أحدها: تحقير الإنسان والردّ على المتكبرين.
الثاني: الردّ على الكفار في طمعهم أن يدخلوا الجنة، كأنه يقول: إنا خلقناكم مما خلقنا منه
الناس، فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح لأنكم سواء في الخلقة.
الثالث: الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين، فهو قادر على أن يعيدهم كقوله: {أَلَمْ
يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَّيِّ يُمْنَى} [القيامة: ٣٧] إلى آخر السورة^(١).
٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
٥- بيان أن حياة أهل الكفر مهما تراءى لهم ولغيرهم أنها حياة مدنية سعيدة لم تعد كونها باطلا
ولهوا ولعباً.
«آخر تفسير سورة (المعارج)، والحمد لله وحده»
نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٤١٢/٢.

▪ **ثانياً:- أسمها الاجتهادي: سورة «إنا أرسلنا نوحاً»:**

ترجم لها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه، «إنا أرسلنا»، ولعله كان الشائع في كلام السلف تسميتها بأول آية بها، كما ورد عن ابن الزبير-رضي الله عنه-، قال: "نزلت سورة «إنا أرسلنا نوحاً» بمكة"^(١).

ولم يثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم- هذه التسمية، فهو اجتهادي.

▪ **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: نزلت سورة نوح بمكة"^(٢)، وروي عن ابن الزبير مثله"^(٣).

قال ابن عطية: "هي مكية بإجماع من المتأولين"^(٤).

قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"^(٥).

- {دُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء : ٣]
- {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} [الإسراء : ١٧]
- {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} [مريم : ٥٨]
- {وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} [الأنبياء : ٧٦]
- {وَإِنْ يَكْفُرُونَ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَلَهُمْ قَوْمٌ نُّوحٌ وَعَادٌ وَتَمُودٌ} [الحج : ٤٢]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [المؤمنون : ٢٣]
- {وَقَوْمٌ نُوحٌ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفرقان : ٣٧]
- {كَذَّبْتُمْ قَوْمٌ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء : ١٠٥]
- {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [الشعراء : ١٠٦]
- {قَالُوا لَنْ لَمْ نَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ} [الشعراء : ١١٦]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [العنكبوت : ١٤]
- {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا} [الأحزاب : ٧]
- {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ} [الصافات : ٧٥]
- {سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ} [الصافات : ٧٩]
- {كَذَّبْتُمْ فَلَهُمْ قَوْمٌ نُّوحٌ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ} [ص : ١٢]
- {كَذَّبْتُمْ فَلَهُمْ قَوْمٌ نُّوحٌ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [غافر : ٥]
- {مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ} [غافر : ٣١]
- {يُشْرَعُ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} [الشورى : ١٣]
- {كَذَّبْتُمْ فَلَهُمْ قَوْمٌ نُّوحٌ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَتَمُودٌ} [ق : ١٢]
- {وَقَوْمٌ نُوحٌ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [الذاريات : ٤٦]
- {وَقَوْمٌ نُوحٌ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ} [النجم : ٥٢]
- {كَذَّبْتُمْ فَلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرُ} [القمر : ٩]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد : ٢٦]
- {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَمَهُمَا فَلَمْ يُعَيِّنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} [التحريم : ١٠].

(١) الدر المنثور: ٢٨٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) الدر المنثور: ٢٨٨/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٢٨٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) المحرر الوجيز: ٣٧٢/٥.

(٥) زاد المسير: ٣٤١/٤.

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها:

- ١- أنه قال في السورة السابقة: ﴿قُلْ أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١)﴾ [المعارج : ٤٠ - ٤١]، وذكر هنا قصة نوح المشتملة على إغراقهم إلا من قد آمن، وإبدالهم بمن هم خير منهم، فكأنها وقعت موقع الاستدلال على تلك الدعوى.
- ٢- تشابه مطلع السورتين في ذكر العذاب الذي وعد به الكفار: قوم محمد صلى الله عليه وسلم في سورة المعارج، وقوم نوح عليه السلام في هذه السورة^(١).

■ أغراض السورة ومقاصدها

تكشف مقاصد سورة نوح تجليات المراحل الدعوية التي مر بها نبي الله نوح -عليه السلام-، وتسوق آيات السورة مشاهد من صبره وتحمله في سبيل نشر الدعوة، وتصف بشكل مباشر أبرز التحديات التي واجهته في تحقيق دعوته؛ فقد مثل قومه الفئة الضالة الجاحدة لأي هداية ونور، والمنغمسة في الضلال والشور، ومع ذلك لم يدع نبي الله نوح -عليه السلام- بابا إلا وجاهد في فتحه؛ راجيا لقومه الهداية، ولكنهم لم أصروا على العناد، حل بهم العقاب الإلهي.

وتتمثل مقاصد سورة نوح التفصيلية في:

- ١- التأكيد على وحدة الأديان واتفاق الأنبياء -عليهم السلام- جميعهم من نوح، وصولا إلى محمد في دعوتهم إلى توحيد الله -تعالى- وعبادته وعدم الإشراك به.
- ٢- التوجيه إلى ضرورة تجنب اتباع كل من يقود إلى الضلال، حتى إن كان ذا سلطة ومكانة؛ إذ لا ينجي من العذاب إلا اتباع الحق.
- ٣- الحرص على تقوى الله -عز وجل- وكثرة استغفاره؛ إذ إنهما من الأسباب الموجبة لسعة الرزق، ونيل البركة فيه.
- ٤- التأمل والتفكير في قدرة الله -تعالى-؛ من مراحل خلقه للإنسان، وكيفية خلق السماوات، والأرض، والشمس، والقمر، وتسخيرها للبشرية.
- ٥- الأدب في الدعوة؛ فقد لجأ النبي نوح -عليه السلام- إلى جميع الأساليب في دعوته لقومه؛ فدعاهم في كل وقت؛ ليلا، ونهارا، متخذًا كل الأسباب في دعوتهم؛ حيث صبر عليهم، وحاورهم بالرفق واللين، ورغبتهم في سعة الأرزاق، وكثرة الأولاد والأموال، ودلل على ذلك بالآيات، وأقام لهم الحجج والبراهين، وحذرهم من عدم الإيمان برسالته.
- ٦- الصبر في الدعوة؛ فقد صبر نوح -عليه السلام- في دعوته لقومه؛ إذ استمر يدعوهم تسعمئة وخمسين عاما، ومما يلزم الصبر عدم استعجال النتائج، وعدم اليأس، أو القنوط من الدعوة.

٧- وجوب التوكل على الله واللجوء إليه في كافة الأحوال.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: أمر نوح بالدعوة، وشكاية نوح من قومه، والاستغفار لسعة النعمة، وتحويل حال الخلق من حال إلى حال، وإظهار العجائب على سقوف السماء، وظهور دلائل القدرة على بسط الأرض، وغرق قوم نوح، ودعائه عليهم بالهلاك، وللمؤمنين بالرحمة، وللظالمين بالتبarr والخسارة، في قوله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح : ٢٨]"^(٢).

■ الناسخ والمنسوخ:

(١) انظر: تفسير المراعي: ٧٨/٢٩، والتفسير المنير للزحيلي: ١٣٣/٢٩.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٢/١.

السورة محكمة: لا ناسخ فيها ولا منسوخ^(١).

■ فضائل السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح»^(٢). [موضوع]
هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٣/١.
(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٤٣/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٤٣/١٠. [حديث موضوع، وقد نبه ابن حجر على ضعف رواية هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

القرآن

{إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَذِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤)} [نوح : ١ - ٤]

التفسير:

إنا بعثنا نوحاً إلى قومه، وقلنا له: حذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب موجه. قال نوح: يا قومي إني نذير لكم بين الإنذار من عذاب الله إن عصيتموه، وإني رسول الله إليكم فاعبدوه وحده، وخافوا عقابه، وأطيعوني فيما أمركم به، وأنهاكم عنه، فإن أطعتموني واستجبتم لي يصفح الله عن ذنوبكم ويغفر لكم، ويمدد في أعماركم إلى وقت مقدر في علم الله تعالى، إن الموت إذا جاء لا يؤخر أبداً، لو كنتم تعلمون ذلك لسارعتم إلى الإيمان والطاعة.

قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ} [نوح : ١]، أي: "إنا بعثنا نوحاً إلى قومه"^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا} وهو نوح بن لمك {إِلَىٰ قَوْمِهِ}"^(٢).

عن أبي صالح قال: "أرسل: بعث"^(٣).

عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أول نبي أرسل نوح صلى الله عليه

وسلم"^(٤).

وعن قتادة: "أن نوحا بعث من الجزيرة"^(٥).

قال يزيد الرقاشي: "إنما سمي نوح، لطول ما ناح على نفسه"^(٦).

قال مقاتل: "«نوح» -بالسريانية-: الساكن الذي سكنت إليه الأرض، وهو نوح بن لمك-

صلى الله عليه وسلم-"^(٧).

قال محمد بن إسحاق: "كان من حديث نوح وحديث قومه فيما قص الله على لسان نبيه

صلى الله عليه وسلم، وما يذكر أهل الكتاب من أهل التوراة، وما حفظ من الأحاديث عن عبد الله

بن عباس، وعن عبيد بن عمير أن الله بعث نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما

يدعوهم إلى الله، وقد فشت في الأرض المعاصي، وكثرت فيها الجبابرة، وعتوا على الله عتوا

كبيراً، وكان نوح فيما يذكر أهل العلم حليماً صبوراً لم يلق نبي من قومه من البلايا أكثر مما

لقي إلا نبي قتل"^(٨).

قال ابن كثير: "نوح -عليه السلام- هو أول رسول إلى أهل الأرض بعد آدم، عليه

السلام، وهو: نوح بن لامك بن متوشلح بن خنوخ - وهو إدريس النبي عليه السلام - فيما،

يزعمون، وهو أول من خط بالقلم - ابن برد بن مهليل بن قنين بن يانث بن شيث بن آدم، عليه

السلام.. وقد كان بين آدم إلى زمن نوح- عليهما السلام-، عشرة قرون، كلهم على الإسلام.

قال عبد الله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير: وكان أول ما عبدت الأصنام، أن

قوماً صالحين ماتوا، فبنى قومهم عليهم مساجدَ وصوروا صور أولئك فيها، ليتذكروا حالهم

وعبادتهم، فيتشبهوا بهم. فلما طال الزمان، جعلوا تلك الصور أجساداً على تلك الصور، فلما

تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين "وداً وسواعاً ويعوث ويعوق

(١) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٢) تفسير الطبري: ٦٢٧/٢٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٦٢٥): ص ١٥٠٥/٥.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٦٢٢): ص ١٥٠٤/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٦٢٣): ص ١٥٠٤/٥.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٦٢٦): ص ١٥٠٥/٥.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤٩/٤.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٦٢٤): ص ١٥٠٤/٥-١٥٠٥.

ونسراً". فلما تفاقم الأمر بعث الله ، سبحانه وتعالى - وله الحمد والمنة - رسوله نوحا يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له "(١)".

قوله تعالى: {أَنْ أُنذِرَ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [نوح : ١]، أي: "وقلنا له: حذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب موجع"(٢).

قال مقاتل: " {أَنْ أُنذِرَ قَوْمَكَ} العذاب {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، يعني: وجيعا في الدنيا وهو الغرق"(٣).

قال الطبري: " يقول: أرسلناه إليهم بأن أنذر قومك"(٤).

قال ابن كثير: " يقول تعالى مخبرا عن نوح، عليه السلام، أنه أرسله إلى قومه أمرا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنبأوا رفع عنهم"(٥).

قوله تعالى: {قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [نوح : ٢]، أي: " قال نوح: يا قومي إنني نذير لكم بين الإنذار من عذاب الله إن عصيتموه"(٦).

قال الطبري: " قال نوح لقومه: يا قوم إنني لكم نذير مبين، أنذركم عذاب الله فاحذروه أن ينزل بكم على كفركم به، قد أنبت لكم إنذاري إياكم"(٧).

قال مقاتل: " يعني: بين"(٨).

قال ابن كثير: " أي : بين النذارة، ظاهر الأمر واضحة"(٩).

قوله تعالى: {أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ} [نوح : ٣]، أي: " وإني رسول الله إليكم فاعبدوه وحده"(١٠).

قال مقاتل: " يقول: أن وحدوا الله"(١١).

قال الطبري: " يقول: إنني لكم نذير أنذركم، وأمركم بعبادة الله"(١٢).

قال ابن عباس: " {اعْبُدُوا}، أي: وحدوا"(١٣).

قوله تعالى: {وَأَتَّقُوا} [نوح : ٣]، أي: " وخافوا عقابه"(١٤).

قال الطبري: " يقول: واتقوا عقابه بالإيمان به، والعمل بطاعته"(١٥).

قال مقاتل: " أن تشركوا به شيئا"(١٦).

قال ابن كثير: " أي : اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه"(١٧).

قوله تعالى: {وَأَطِيعُوا} [نوح : ٣]، أي: " وأطيعوني فيما أمركم به، وأنهاكم عنه"(١٨).

قال الطبري: " يقول: وانتهوا إلى ما أمركم به، واقبلوا نصيحتي لكم"(١٩).

قال مقاتل: " فيما أمركم به من النصيحة بأنه ليس له شريك"(٢٠).

(١) تفسير ابن كثير: ٤٣١/٣-٤٣٢.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤٩/٤.

(٤) تفسير الطبري: ٦٢٧/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٣١/٨.

(٦) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٧) تفسير الطبري: ٦٢٧/٢٣.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤٩/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٣١/٨.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤٩/٤.

(١٢) تفسير الطبري: ٦٣٠-٦٢٧/٢٣.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٧):ص١٥٠/٥.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(١٥) تفسير الطبري: ٦٣٠/٢٣.

(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤٩/٤.

(١٧) تفسير ابن كثير: ٢٣١/٨.

(١٨) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(١٩) تفسير الطبري: ٦٣٠/٢٣.

قال ابن كثير: " فيما أمركم به وأنهاكم عنه" (٢).
عن قتادة، قوله: " {أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ}، قال: أرسل الله المرسلين بأن يُعبد
الله وحده، وأن تتقي محارمه، وأن يُطاع أمره" (٣).
قال الزجاج: " أرسل الله نوحاً وجميع الأنبياء بالأمر بعبادته وإيثار تقواه وطاعة
رسله" (٤).

قال السمعاني: " وهذا هو الذي بعث الله لأجله الرسل، فإن الله تعالى ما بعث رسولا إلا
ليعبدوه ويتقوه ويطيعوا رسوله" (٥).
قوله تعالى: {يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ} [نوح : ٤]، أي: " فإن أتعتموني واستجبتم لي يصفح
الله عن ذنوبكم ويغفر لكم" (٦).

قال الطبري: " يقول: يغفر لكم ذنوبكم" (٧).
قال الفراء: " «من»، قد تكون لجميع ما وقعت عليهِ، وليعضه. فأما البعض فقولك:
اشتريت من عبيدك، وأما الجميع فقولك: رويت من مائك، فإذا كانت في موضع جمع فكأن من:
عن كما تقول: اشتكيت من ماء شربته، وعن ماء شربته، كأنه في الكلام: يغفر لكم عن أذنايبكم،
ومن أذنايبكم" (٨).

قال الزجاج: معناه: " يغفر لكم ذنوبكم، ودخلت «من» تختص الذنوب من سائر
الأشياء، لم تدخل للتبويض الذنوب، ومثله قوله: {فَأَجْتَنَّبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ}، معناه: اجتنبوا
الرجس الذي هو الأوثان، ليس «الرجس» -ههنا- بعض: «الأوثان»" (٩).

قال ابن كثير: " أي : إذا فعلتم ما أمرتكم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم، غفر الله لكم
ذنوبكم. و«من» -هاهنا- قيل : إنها زائدة. ولكن القول بزيادتها في الإثبات قليل. ومنه قول
بعض العرب : "قد كان من مطر". وقيل : إنها بمعنى "عن" تقديره : يصفح لكم عن ذنوبكم
واختاره ابن جرير (١٠) وقيل : إنها للتبويض، أي يغفر لكم الذنوب العظام التي وعدكم على
ارتكابكم إياها الانتقام" (١١).

وقال السمعاني: " أي: من ذنوبكم التي أوعدكم عليها العقوبة. وقد كانت لهم ذنوب أخر
عفا الله عنها" (١٢).

قوله تعالى: {وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى} [نوح : ٤]، أي: " ويمدد في أعماركم إلى وقت
مقدر في علم الله تعالى" (١٣).

قال الطبري: " يقول: ويؤخر في آجالكم فلا يهلككم بالعذاب، لا بغرق ولا غيره إلى حين
كتب أنه يبيقكم إليه، إن أنتم أتعتموه وعبدتموه، في أم الكتاب" (١٤).
قال مقاتل: " يعني: إلى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم بالسنين ولا بغيره" (١٥).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤٩/٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٣١/٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٣.

(٤) معاني القرآن: ٢٢٧/٥.

(٥) تفسير السمعاني: ٥٣/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٧) تفسير الطبري: ٦٣٠/٢٣.

(٨) معاني القرآن: ١٨٧/٣.

(٩) معاني القرآن: ٢٢٨/٥.

(١٠) تفسير الطبري: ٦٣٠/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٣١/٨.

(١٢) تفسير السمعاني: ٥٣/٦.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(١٤) تفسير الطبري: ٦٣٠/٢٣.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤٩/٤.

الثالث: يعني أجل العذاب إذا جاء لا يؤخر ، قاله السدي^(١).

قال مقاتل: " {إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ} في العذاب في الدنيا - وهو الغرق - {إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ}"^(٢).
قال ابن كثير: " أي : بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة، فإنه إذا أمر الله تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع، فإنه العظيم الذي قهر كل شيء، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات"^(٣).

قوله تعالى: {لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [نوح : ٤]، أي: " لو كنتم تعلمون ذلك لسارعتم إلى الإيمان والطاعة"^(٤).

قال الحسن: " لو كنتم تعلمون لعلمتم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر"^(٥).

قال الطبري: " يقول: لو علمتم أن ذلك كذلك، لأنبتم إلى طاعة ربكم"^(٦).

قال مقاتل: " ولكنكم لا تعلمون"^(٧).

فوائد الآيات: [٤-١]:

١- تقرير النبوة المحمدية إذ الذي أرسل نوحاً يرسل محمداً صلى الله عليه وسلم ومن شاء إلى من شاء.

٢- تقرير التوحيد إذ نوح أرسل إلى قوم مشركين لإبطال الشرك وتحقيق التوحيد.

٣- امتثل نوح عليه السلام أمر ربه، فبلغ قومه رسالته قائلاً: يا قوم إني لكم نذير واضح الإنذار، فمن عصى الله دخل النار، وأمركم أن توحداوا الله وتعبدوه حق العبادة الخالصة له، وأن تخافوه، وأن تطيعوه فيما أمركم به، فإني رسول الله إليكم. والأمر بالعبادة يتناول جميع الواجبات والمندوبات من أفعال القلوب وأفعال الجوارح. والأمر بالتقوى يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات، والطاعة تشمل إطاعة جميع الأمور والمنهيات. فإن التزمتم العبادة والخوف من الله والطاعة لأوامره، غفر لكم بعض الذنوب، وهو ما لا يليق بحقوق المخلوقين، وينسى في أعماركم. والمعنى: أن الله تعالى كان قضى قبل خلقهم أنهم إن آمنوا، بارك في أعمارهم، وإن لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب.

٤- تقرير معتقد القضاء والقدر لقوله {وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى}، أي: في كتاب المقادير.

القرآن

{قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)} [نوح : ٥ - ١٠]

التفسير:

قال نوح: رب إني دعوت قومي إلى الإيمان بك وطاعتك في الليل والنهار، فلم يزدهم دعائي لهم إلى الإيمان إلا هرباً وإعراضاً عنه، وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان بك؛ ليكون سبباً في غفرانك ذنوبهم، وضعوا أصابعهم في آذانهم؛ كي لا يسمعوا دعوة الحق، وتغطوا بثيابهم؛ كي لا يروني، وأقاموا على كفرهم، واستكبروا عن قبول الإيمان استكباراً شديداً، ثم إني دعوتهم إلى الإيمان ظاهراً علناً في غير خفاء، ثم إني أعلنت لهم الدعوة بصوت مرتفع في حال،

(١) النكت والعيون: ٩٩/٦.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤٩/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٣١/٨.

(٤) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٥) النكت والعيون: ٩٩/٦.

(٦) تفسير الطبري: ٦٣١/٢٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤٩/٤.

وأسررت بها بصوت خفي في حال أخرى، فقلت لقومي: سلوا ربكم غفران ذنوبكم، وتوبوا إليه من كفركم، إنه تعالى كان غفاراً لمن تاب من عباده ورجع إليه.

قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا} [نوح : ٥]، أي: "قال نوح: رب إني دعوت قومي إلى الإيمان بك وطاعتك في الليل والنهار"^(١).

قال الطبري: "قال نوح لما بلغ قومه رسالة ربه، وأنذرهم ما أمره به أن ينذرهموه فعصوه، وردوا عليه ما أتاهم به من عنده {رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا} إلى توحيدك وعبادتك، وحذرتهم بأسك وسطوتك"^(٢).

قال ابن كثير: "أي : لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار، امتثالاً لأمرك وابتغاء لطاعتك"^(٣).

قال الفراء: "أي: دعوتهم بكل جهة سراً وعلانية"^(٤).
قوله تعالى: {فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا} [نوح : ٦]، أي: "فلم يزدهم دعائي لهم إلى الإيمان إلا هرباً وإعراضاً عنه"^(٥).

قال الطبري: "يقول: فلم يزدهم دعائي إياهم إلى ما دعوتهم إليه من الحق الذي أرسلتني به لهم إلا إديارا عنه وهرباً منه وإعراضاً عنه"^(٦).

قال ابن كثير: "أي : كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فرأوا منه وحادوا عنه"^(٧).
قال قتادة: "بلغنا أنهم كانوا يذهب الرجل بابنه إلى نوح، فيقول لابنه: احذر هذا لا يغوينك، فأراني قد ذهب بي أبي إليه وأنا مثلك، فحذرتني كما حذرتك"^(٨).

قوله تعالى: {وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِنُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ} [نوح : ٧]، أي: "وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان بك؛ ليكون سبباً في غفرانك ذنوبهم، وضعوا أصابعهم في آذانهم كي لا يسمعو دعوة الحق"^(٩).

قال الطبري: يقول: "وإني كلما دعوتهم إلى الإقرار بوحدانيتك، والعمل بطاعتك، والبراءة من عبادة كل ما سواك، لتغفر لهم إذا هم فعلوا ذلك جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعو دعائي إياهم إلى ذلك"^(١٠).

قال ابن كثير: "أي : سدوا آذانهم لئلا يسمعو ما أدعوهم إليه. كما أخبر تعالى عن كفار قريش: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ} [فصلت : ٢٦].
{وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ}"^(١١).

عن ابن زيد، قوله: "{جَعَلُوا أُصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ}"، لئلا يسمعو كلام نوح عليه السلام"^(١٢).

قوله تعالى: {وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ} [نوح : ٧]، أي: "وتغطوا بثيابهم؛ كي لا يروني"^(١٣).
قال الطبري: "يقول: وتغشوا في ثيابهم، وتغطوا بها لئلا يسمعو دعائي"^(١٤).

(١) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٢) تفسير الطبري: ٦٣١/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٨.

(٤) معاني القرآن: ١٨٧/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٦) تفسير الطبري: ٦٣١/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٦٣١/٢٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٨.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٣.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(١٤) تفسير الطبري: ٦٣١/٢٣.

قال سعيد بن جبير، والسدي: "غطوا رؤوسهم لئلا يسمعو ما يقول"^(١).
قال القاسم بن سلام: "يعني: تغطوا بلغة جرهم"^(٢).
وقال ابن جريح، عن ابن عباس: "تتكروا له لئلا يعرفهم"^(٣).
قال الزجاج: "قيل إنهم كانوا يسئون آذانهم ويغطون وجوههم لئلا يسمعو قَوْلَه، وليبالغوا في الإعراض عنه بتغطية الوجوه"^(٤).
قوله تعالى: {وَأَصْرُوا} [نوح: ٧]، أي: "وأقاموا على كفرهم"^(٥).
وفي قوله تعالى: {وَأَصْرُوا} [نوح: ٧]، ثلاثة وجوه:
أحدها: أنه إقامتهم على الكفر، قال قتادة: "قدما قدما في معاصي الله لالتهائهم عن مخافة الله حتى جاءهم أمر الله"^(٦).
قال ابن زيد: "«الإصرار»: إقامتهم على الشرِّ والكفر"^(٧).
قال الفراء: "أي: سكتوا على شركهم"^(٨).
قال الطبري: "يقول: وثبتوا على ما هم عليه من الكفر وأقاموا عليه"^(٩).
قال ابن كثير: "أي: استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفطيع"^(١٠).
قال مقاتل: "وأقاموا على الكذب"^(١١).
الثاني: الإصرار: أن يأتي الذنب عمداً، قاله الحسن^(١٢).
الثالث: معناه أنهم سكتوا على ذنوبهم فلم يستغفروا قاله السدي^(١٣).
قال الزجاج: "أقاموا ولم ينووا توبة منه"^(١٤).
قال سهل: "الإصرار على الذنب يورث الجهل، والجهل يورث التخطي في الباطل، والتخطي في الباطل يورث النفاق، والنفاق يورث الكفر. قيل: وما علامة المنافق؟ قال: يبصر الشيء عند مذاكرته، فإذا قام من عنده كأنه لم يخطر على قلبه، قال الله تعالى: {كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَءٌ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا} [البقرة: ٢٠]"^(١٥).
قوله تعالى: {وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا} [نوح: ٧]، أي: "واستكبروا عن قبول الإيمان استكباراً شديداً"^(١٦).
وفي قوله تعالى: {وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا} [نوح: ٧]، وجهان:
أحدهما: أن ذلك كفرهم بالله وتكذيبهم لنوح، قاله الضحاك^(١٧).
الثاني: أن ذلك تركهم التوبة، قاله ابن عباس^(١٨).
قال ابن عباس: "تركوا التوبة"^(١٩).

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٨.

(٢) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١١.

(٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٨.

(٤) معاني القرآن: ٢٢٨/٥.

(٥) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٦) النكت والعيون: ١٠٠/٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٣.

(٨) معاني القرآن: ١٨٨/٣.

(٩) تفسير الطبري: ٦٣١/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٨.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤٩/٤.

(١٢) النكت والعيون: ١٠٠/٦.

(١٣) النكت والعيون: ١٠٠/٦.

(١٤) معاني القرآن: ٢٢٨/٥.

(١٥) تفسير التستري: ١٧٨.

(١٦) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(١٧) النكت والعيون: ١٠٠/٦.

(١٨) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

قال الطبري: "يقول: وتكبروا فتعاضموا عن الإذعان للحق، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة"^(٢).

قال الفراء: "وَاسْتَكْبَرُوا { عن الإيمان"^(٣).

قال ابن كثير: "أي: واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له"^(٤).

قال الزجاج: "أخذتهم العزة من اتباع نوح، والدليل على ذلك قوله: {أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ}"^(٥).

قوله تعالى: {ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا} [نوح : ٨]، أي: ثم إنني دعوتهم إلى الإيمان ظاهراً علناً في غير خفاء"^(٦).

قال الطبري: "يقول: {ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ} إلى ما أمرتني أن أدعوهم إليه ظاهراً في غير خفاء"^(٧).

قال الزجاج: "المعنى: دعوتهم مجاهراً بالدعاء إلى توحيد الله وتقواه"^(٨).

قال ابن كثير: "أي: جهرة بين الناس"^(٩).

قال مجاهد: "«الجهار»: الكلام المعلن به"^(١٠).

قوله تعالى: {ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ} [نوح : ٩]، أي: "ثم إنني أعلنت لهم الدعوة بصوت مرتفع في حال"^(١١).

قال الطبري: "يقول: صرخت لهم، وصحت بالذي أمرتني به من الإنذار"^(١٢).

عن مجاهد، قوله: " {أَعْلَنْتُ لَهُمْ}، قال: صحت"^(١٣).

قال مجاهد: "يقول: صحت بهم"^(١٤).

قال ابن كثير: "أي: كلاماً ظاهراً بصوت عال"^(١٥).

قوله تعالى: {وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا} [نوح : ٩]، أي: "وأسررت بالدعوة بصوت خفي في حال أخرى"^(١٦).

قال الطبري: "يقول: وأسررت لهم ذلك فيما بيني وبينهم في خفاء"^(١٧).

قال ابن كثير: "أي: فيما بيني وبينهم، عليهم الدعوة لتكون أنجح فيهم"^(١٨).

قال الزجاج: "أي: خَلَطْتُ لَهُمْ دُعَاءَهُمْ فِي الْعَلَانِيَةِ بِدُعَاءِ السِّرِّ"^(١٩).

عن مجاهد، قوله: " {وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا}، قال: فيما بيني وبينهم"^(٢٠).

- (١) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
- (٢) تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٣.
- (٣) معاني القرآن: ١٨٨/٣.
- (٤) تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٨.
- (٥) معاني القرآن: ٢٢٨/٥.
- (٦) التفسير الميسر: ٥٧٠.
- (٧) تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٣.
- (٨) معاني القرآن: ٢٢٩/٥.
- (٩) تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٨.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٣.
- (١١) التفسير الميسر: ٥٧٠.
- (١٢) تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٣.
- (١٣) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٣.
- (١٤) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٣.
- (١٥) تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٨.
- (١٦) التفسير الميسر: ٥٧٠.
- (١٧) تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٣.
- (١٨) تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٨.
- (١٩) معاني القرآن: ٢٢٩/٥.
- (٢٠) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٣.

قوله تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا} [نوح : ١٠]، أي: فقلت لقومي: سلوا ربكم غفران ذنوبكم، وتوبوا إليه من كفركم، إنه تعالى كان غفارًا لمن تاب من عباده ورجع إليه" (١).

قال الطبري: "يقول: فقلت لهم: سلوا ربكم غفران ذنوبكم، وتوبوا إليه من كفركم، وعبادة ما سواه من الآلهة ووحده، وأخلصوا له العبادة، يغفر لكم، إنه كان غفارًا لذنوب من أناب إليه، وتاب إليه من ذنوبه" (٢).

قال ابن كثير: "أي: ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب، فإنه من تاب إليه تاب عليه، ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك" (٣).

القرآن

{يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَّا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦)} [نوح : ١١ - ١٦] التفسير:

إن تتوبوا وتستغفروا يُنزل الله عليكم المطر غزيرًا متتابعًا، ويكثر أموالكم وأولادكم، ويجعل لكم حدائق تُنعمون بثمارها وجمالها، ويجعل لكم الأنهار التي تسقون منها زرعكم ومواشيكم. ما لكم -أيها القوم- لا تخافون عظمة الله وسلطانه، وقد خلقكم في أطوار متدرجة: نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا ولحمًا؟ ألم تنظروا كيف خلق الله سبع سموات متطابقة بعضها فوق بعض، وجعل القمر في هذه السموات نورًا، وجعل الشمس مصباحًا مضيئًا يستضيء به أهل الأرض؟ قوله تعالى: {يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} [نوح : ١١]، أي: "إن تتوبوا وتستغفروا يُنزل الله عليكم المطر غزيرًا متتابعًا" (٤).

قال الطبري: "يقول: يسقيكم ربكم إن تبتم ووحدهم وأخلصتم له العبادة الغيث، فيرسل به السماء عليكم مدرارًا متتابعًا" (٥).

قال الزجاج: " {مِدْرَارًا}: كثيرة الدَّر، أي: كثيرة المطر، وقيل إنهم كانوا قد أجدبوا فأعلمهم أن إيمانهم بالله يجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة، الخصب والغنى في الدنيا" (٦). قال ابن كثير: " {مِدْرَارًا}: أي: متواصلة الأمطار، أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسفاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدر لكم الزرع، ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية" (٧).

عن ابن عباس، قوله: " {مِدْرَارًا}، يقول: يتبع بعضها بعضًا" (٨).

وقال ابن عباس: "متتابعًا في أوقات الحاجات" (٩).

قال ابن زيد: "يدر ذلك عليهم قطرًا ومطرًا" (١٠).

قال ابن كيسان: "غزيرًا كثيرًا" (١١).

(١) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٢) تفسير الطبري: ٦٣٣/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٨.

(٤) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٥) تفسير الطبري: ٦٣٣/٢٣.

(٦) معاني القرآن: ٢٢٩/٥.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٣٣/٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٧١١٢): ص ١٢٦٣/٤.

(٩) تفسير البيهقي: ١٢٨/٣.

(١٠) أخرجه الطبري (١٨٢٦٢): ص ٣٥٩/١٥.

(١١) تفسير الثعلبي: ٣٨١/١٤.

قال الشافعي: " «المدرار»: الكثير الدر والمطر" (١).
وعن هارون التيمي، في قول الله: "وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا" [الأنعام : ٦]، قال:
المطر في إبانته" (٢).
قال ابن الأنباري: " المدرار: "المبالغة في اتصال المطر ودوامه، يعني: أنها تدر وقت
الحاجة إليها لا أنها تدوم ليلاً ونهاراً، فتفسد" (٣).
عن الشعبي، قال: "خرج عمر بن الخطاب يستسقي، فما زاد على الاستغفار، ثم رجع
فقالوا: يا أمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت، فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي
يستنزل بها المطر، ثم قرأ: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا}، وقرأ
الآية التي في سورة «هود»، حتى بلغ: {وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} (٤).
قوله تعالى: {وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ} [نوح : ١٢]، أي: "ويكثر أموالكم وأولادكم" (٥).
قال عطاء: "يكثر أموالكم وأولادكم" (٦).
قال الطبري: "يقول: ويعطكم مع ذلك ربكم أموالاً وبنين، فيكثرها عندكم ويزيد فيما
عندكم منها.. وقال ذلك لهم نوح، لأنهم كانوا ذكراً قوم يحبون الأموال والأولاد" (٧).
قال ابن كثير: "أي: أعطاكم الأموال والأولاد" (٨).
قال الزجاج: أي: "يعطيكم زينة الدنيا وهي المال والبنون" (٩).
قال الفراء: "كانت السنون الشدائد قد ألحت عليهم، وذهبت بأموالهم لانقطاع المطر
عنهم، وانقطع الولد من نسائهم" (١٠).
قوله تعالى: {وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ} [نوح : ١٢]، أي: "ويجعل لكم حدائق تنعمون بثمارها
وجمالها" (١١).
قال الطبري: "يقول: يرزقكم بساتين" (١٢).
قال ابن كثير: "وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار" (١٣).
عن السدي: "جنتان، قال: البساتين" (١٤).
قال مجاهد: "الجنات: حوائط" (١٥).
قوله تعالى: {وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} [نوح : ١٢]، أي: "ويجعل لكم الأنهار التي تسقون منها
زرعكم ومواشيكم" (١٦).
قال الطبري: "تسقون منها جناتكم ومزارعكم" (١٧).

-
- (١) الزاهر في غريب الفاظ الشافعي.
 - (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧١١٣): ص ٤/١٢٦٤.
 - (٣) زاد المسير: ١٠/٢.
 - (٤) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٣.
 - (٥) التفسير الميسر: ٥٧١.
 - (٦) تفسير البغوي ٨ / ٢٣١.
 - (٧) تفسير الطبري: ٦٣٣/٢٣.
 - (٨) تفسير ابن كثير: ٢٣٣/٨.
 - (٩) معاني القرآن: ٢٢٩/٥.
 - (١٠) معاني القرآن: ١٨٨/٣.
 - (١١) التفسير الميسر: ٥٧١.
 - (١٢) تفسير الطبري: ٦٣٣/٢٣.
 - (١٣) تفسير ابن كثير: ٢٣٣/٨.
 - (١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٨٢٤): ص ٩/٢٧٩٦.
 - (١٥) تفسير مجاهد: ٤٩٦.
 - (١٦) التفسير الميسر: ٥٧١.
 - (١٧) تفسير الطبري: ٦٣٣/٢٣.

قال ابن كثير: " وخلل تلك الجنات بالأنهار الجارية بينها. هذا مقام الدعوة بالترغيب"^(١).
قال قتادة: " رأى نوح قوما تجزعت أعناقهم حرصا على الدنيا، فقال: هلموا إلى طاعة الله، فإن فيها درك الدنيا والآخرة"^(٢).

عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين أنه قال لسفيان الثوري: ... وإذا استبطأت الرزق، فأكثر من الاستغفار؛ فإن الله قال في كتابه: {استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يُرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموالٍ وبنيين} يعني: في الدنيا، والآخرة، {ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهاراً}"^(٣).

قوله تعالى: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح : ١٣]، أي: " ما لكم -أيها القوم- لا تخافون عظمة الله وسلطانه"^(٤).

وفي قوله تعالى: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح : ١٣]، وجوه من التفسير: أحدها: معناه: ما لكم لا ترون لله عظمة. وهذا قول ابن عباس-في رواية-^(٥)، ومجاهد^(٦)، والضحاك^(٧)، وسفيان^(٨).

قال مجاهد: " لا تبالون الله عظمة"^(٩).

قال مجاهد: " لا تبالون عظمة ربكم؛ قال: والرجاء: الطمع والمخافة"^(١٠).
عن إسماعيل الهمداني، قال: سألت عاصم بن بهدلة عن قول الله: " {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} ". قال: لا تخافون الله عظمة، قال الشاعر:

إذا لسعته النحل لم يرجُ لسعها ... وخالفها في بيت ثوبٍ عوامل"^(١١).

قال الفراء: " أي: لا تخافون الله عظمة"^(١٢).

قال القشيري: " ما لكم لا تخافون الله عظمة؟ وما لكم لا ترجون ولا تؤملون على توفيركم للأمر من الله لطفًا ونعمة؟"^(١٣).

قال الطبري: " معنى ذلك: ما لكم لا تخافون الله عظمة، وذلك أن الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد في موضع الخوف، كما قال أبو ذؤيب^(١٤):

إذا لسعته النحل لم يرجُ لسعها ... وخالفها في بيت ثوبٍ عوامل

يعني بقوله: " ولم يرجُ": لم يخف"^(١٥).

الثاني: معناه: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته. قاله سعيد بن جبير^(١٦)، ورواه عن ابن عباس^(١٧).

الثالث: ما لكم لا تعلمون الله عظمة. رواه العوفي عن ابن عباس^(١).

(١) تفسير ابن كثير: ٢٣٣/٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٣-٦٣٤.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ١٩٣ مطولًا من طريق مالك بن أنس.

(٤) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٤/٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٤/٢٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٤/٢٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٤/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٣٤/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٣٤/٢٣.

(١١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأشراف -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٨/ ٣١٣ (٤٥١) -.

(١٢) معاني القرآن: ١٨٨/٣.

(١٣) لطائف الإشارات: ٦٣٦/٣.

(١٤) البيت في (ديوان الهذليين) ١/ ١٤٣ و(أساس البلاغة) باب: (نوب): ٢/ ٢٧٩. و (مفردات الراغب) صفحة ١٨٩. وفيها «عوامل» بدلا من «عوامل».

(١٥) تفسير الطبري: ٦٣٥/٢٣.

(١٦) تفسير الثعلبي ١٠/ ٤٤، وتفسير البغوي ٨/ ٢٣١.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٤/٢٣.

الرابع: لا ترجون الله ثواباً، ولا تخافون عقاباً. قاله سعيد بن جبير^(١).
الخامس: لا تعرفون الله حقاً، ولا تشكرون له نعمة. قاله الحسن^(٢).
السادس: ما لكم لا ترجون الله عاقبة. وهذا قول قتادة^(٤)، وبه قال الزجاج^(٥).
قال الزجاج: أي: "مالكم لا ترجون عاقبة الإيمان فتوحدون الله وقد جعل لكم في -
أنفسكم آية تدل على توحيده من خلقه إياكم، ومن خلق السموات والأرضين والشمس
والقمر"^(٦).
الخامس: ما لكم لا ترجون الله طاعة، و«الوقار»: الطاعة. وهذا قول ابن زيد^(٧).
قوله تعالى: {وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا} [نوح : ١٤]، أي: "وقد خلقكم في أطوار متدرجة:
نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ولحمًا"^(٨).
قال الطبري: "يقول: وقد خلقكم حالاً بعد حال، طورا نطفة، وطورا علقة، وطورا
مضغة"^(٩).
قال القاسم بن سلام: "يعني: "ألوانا -بلغة هذيل-"^(١٠).
قال الفراء: "نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً"^(١١).
قال الزجاج: "أي: طوراً بعد طور، نقلكم من حال إلى حال ومن جهة من الخلق إلى
جهة - خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، ثم جعل المضغة عظماً، وكسا
العظم لحماً"^(١٢).
قال النحاس: "أكثر أهل التفسير على أن «الأطوار»: خلقكم نطفة ثم علقة ثم مضغة،
وقيل: اختلاف المناظر لأنك ترى الخلق فتُمَيِّز بينهم في الصور والكلام، ولا بدّ من فرق وإن
اشتبهوا. وذلك دالّ على مدبر وصانع"^(١٣).
قال ابن عباس، والضحاك: "يقول: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة"^(١٤).
قال مجاهد: "من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم ما ذكر حتى يتمّ خلقه"^(١٥).
قال مجاهد: "نطفة، ثم علقة، شيئاً بعد شيء"^(١٦).
قال يحيى بن رافع: "نطفة، ثم علقة، ثم مضغة"^(١٧).
قال قتادة: "نطفة، ثم علقة، ثم خلقاً طورا بعد طور"^(١٨).
قال قتادة: "طورا نطفة، وطورا علقة، وطورا عظماً، ثم كسا العظام لحماً، ثم أنشأه
خلقاً آخر، أنبت به الشعر، فتبارك الله أحسن الخالقين"^(١).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٤/٢٣.
(٢) تفسير الثعلبي ٤٤ / ١٠.
(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧٣٢). وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٥/٢٣.
(٥) معاني القرآن: ٢٢٩/٥.
(٦) معاني القرآن: ٢٢٩/٥.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٥/٢٣.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧١.
(٩) تفسير الطبري: ٦٣٥/٢٣.
(١٠) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١١.
(١١) معاني القرآن: ١٨٨/٣.
(١٢) معاني القرآن: ٢٢٩/٥.
(١٣) إعراب القرآن: ٢٧/٥.
(١٤) أخرجه الطبري: ٦٣٦، ٦٣٥/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ٦٣٦-٦٣٥/٢٣.
(١٦) أخرجه الطبري: ٦٣٦/٢٣.
(١٧) أخرجه أبو الشيخ (١٠٩٠).
(١٨) أخرجه الطبري: ٦٣٦/٢٣.

قال ابن زيد: "طورا النطفة، ثم طورا أمشاجا حين يمشج النطفة الدم، ثم يغلب الدم على النطفة، فتكون علفة، ثم تكون مضغة، ثم تكون عظاما، ثم تكسى العظام لحما"^(٢).
قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} [نوح : ١٥]، أي: " ألم تنظروا كيف خلق الله سبع سموات متطابقة بعضها فوق بعض"^(٣).

قال الحسن: "بعضهنّ فوق بعض، بين كلّ أرض وسماء خلقٌ وأمر"^(٤).
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح صلوات الله وسلامه عليه، لقومه المشركين بربهم، محتجا عليهم بحجج الله في وحدانيته: {أَلَمْ تَرَوْا} أيها القوم فتعتبروا، كيف خلق الله سبع سموات، سماء فوق سماء مطابقة"^(٥).

قال ابن كثير: "أي : واحدة فوق واحدة، وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط ؟ أو هي من الأمور المدركة بالحس، مما علم من التسيير والكسوفات، فإن الكواكب السبعة السيارة يكشف بعضها بعضا، فأدناها القمر في السماء الدنيا وهو يكشف ما فوقه، وعطارد في الثانية، والزهرة في الثالثة، والشمس في الرابعة، والمريخ في الخامسة، والمشتري في السادسة، وزحل في السابعة. وأما بقية الكواكب - وهي الثوابت - ففي فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت. والمتشرعون منهم يقولون : هو الكرسي، والفلك التاسع، وهو الأطلس. والأثير عندهم الذي حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك، وذلك أن حركته مبدأ الحركات، وهي من المغرب إلى المشرق ؛ وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب، ومعها يدور سائر الكواكب تبعاً، ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها، فإنها تسير من المغرب إلى المشرق. وكل يقطع فلكه بحسبه، فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة، والشمس في كل سنة مرة، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة، وذلك بحسب اتساع أفلاكها وإن كانت حركة الجمع في السرعة متناسبة. هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام"^(٦).

قوله تعالى: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا} [نوح : ١٦]، أي: " وجعل القمر في هذه السموات نوراً، وجعل الشمس مصباحاً مضيئاً يستضيء به أهل الأرض"^(٧).
قال الطبري: "يقول: وجعل القمر في السموات السبع نورا {وَجَعَلَ الشَّمْسَ} فيهن {سِرَاجًا}"^(٨).

قال ابن كثير: "أي : فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلا منهما أنموذجاً على حدة، ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدّر القمر منازل وبروجا، وفاوت نوره، فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يستسر، ليدل على مضي الشهور والأعوام، كما قال: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [يونس : ٥]"^(٩).

قال الفراء: "ذكر: أن الشمس يضيء ظهرها لما يليها من السموات، ووجهها يضيء لأهل الأرض. وكذلك القمر، والمعنى: جعل الشمس والقمر نوراً في السموات والأرض"^(١٠).
عن الضحاك: " {جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا}، يقول: خلق القمر يوم خلق سبع سموات"^(١١).

(١) أخرجه الطبري: ٦٣٦/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٣٦/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٤) أخرجه أبو الشيخ (٥٥٣، ٦٢٢). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٥) تفسير الطبري: ٦٣٦/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٣٣/٨.

(٧) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٨) تفسير الطبري: ٦٣٦/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٣٣/٨.

(١٠) معاني القرآن: ١٨٨/٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢٣.

عن عكرمة: "إنه يضيء نور القمر فيهنّ كلهنّ، كما لو كان سبع زجاجات أسفل منهنّ شهاب أضاءت كلهنّ، فكذلك نور القمر في السموات كلهنّ؛ لصفائهنّ"^(١)
 قال الحسن: "وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا"، يعني: في السماء الدنيا"^(٢).
 قال الحسن: "وجوههما في السماء، وظهورهما إليكم"^(٣).
 عن علي بن زيد: "وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا": القمر وجهه إلى السموات، وقفاه إلى أهل الأرض"^(٤).
 عن عطاء بن أبي رباح: "وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا"، قال: يضيء لأهل السماء كما يضيء لأهل الأرض"^(٥).
 قال السدي: "جعل ضوء القمر فيهنّ جميعاً كضوئه في السماء الدنيا، والنور: الضوء، وجعل الشمس فيهنّ سراجاً"^(٦).
 قال قتادة: "ذكر لنا أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقول: إن ضوء الشمس والقمر نورهما في السماء، اقرءوا إن سنتم: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} ... إلى آخر الآية"^(٧).

عن أبي الزاهرية، عن كعب الأحبار، قال: "خلق الله -تبارك وتعالى- القمر من نور، ألا ترى أنه قال: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا}! وخلق الشمس من نار، ألا ترى أنه قال: {وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}! والسراج لا يكون إلا من النار"^(٨).
 عن شهر بن حوشب، قال: "اجتمع عبد الله بن عمرو بن العاص وكعب الأحبار، وكان بينهما بعض العتب، فتعابا، فذهب ذلك، فقال عبد الله بن عمرو لكعب: سلني عما شئت، ولا تسألني عن شيء إلا أخبرتك بتصديق قلبي من القرآن. فقال له: رأيت ضوء الشمس والقمر، أهو في السموات السبع كما هو في الأرض؟ قال: نعم، ألم تر إلى قول الله: {خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}؟"^(٩).
 عن قتادة، عن عبد الله بن عمرو أنه قال: "إن الشمس والقمر وجوههما قبل السموات، وأفقيتهما قبل الأرض، وأنا أقرأ بذلك آية من كتاب الله: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}"^(١٠).

القرآن

{وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠)} [نوح : ١٧ - ٢٠]

التفسير:

والله أنشأ أصلكم من الأرض إنشاء، ثم يعيدكم في الأرض بعد الموت، ويخرجكم يوم البعث إخراجاً محققاً. والله جعل لكم الأرض ممهدة كالبساط؛ لتسلكوا فيها طرقاً واسعة.
 قوله تعالى: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا} [نوح : ١٧]، أي: "والله أنشأ أصلكم من الأرض إنشاء"^(١).

(١) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٢) تفسير الثعلبي ١٠ / ٤٥، وتفسير البيهقي ٨ / ٢٣١.

(٣) أخرجه أبو الشيخ (٥٥٣، ٦٢٢). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٧٥ -.

(٥) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٢٠). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٦) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٠٢).

(٧) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢٣. قال النحاس: "أجل ما روي فيه قول عبد الله بن عمرو: ...". [إعراب القرآن: ٢٨/٥]

(٨) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٠٩).

(٩) أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٧٦ - بنحوه. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢٣.

قال الطبري: " يقول: والله أنشأكم من تراب الأرض، فخلقكم منه إنشاء" (٢).
قال النحاس: " قيل: هذا لأن آدم صلى الله عليه وسلم خلق من طين، وقيل: النطفة مخلوقة من تراب" (٣).

قال ابن جريج: " خلق آدم من أديم (٤) الأرض كلها" (٥).
قال خالد بن معدان: " خلق الإنسان من طين ، فإنما تلين القلوب في الشتاء" (٦).
عن الشعبي، في قوله: {كَمْ أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} [الشعراء : ٧]، قال: " الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم" (٧).
قوله تعالى: {ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا} [نوح : ١٨]، أي: " ثم يعيدكم في الأرض بعد الموت" (٨).
قال الطبري: " يقول: ثم يعيدكم في الأرض كما كنتم ترابا فيصيركم كما كنتم من قبل أن يخلقكم" (٩).

قال النحاس: " بالإقبار" (١٠).
قوله تعالى: {وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا} [نوح : ١٨]، أي: " ويخرجكم يوم البعث إخراجًا محققًا" (١١).

قال الطبري: " يقول ويخرجكم منها إذا شاء أحياء كما كنتم بشرا من قبل أن يعيدكم فيها، فيصيركم ترابا إخراجا" (١٢).
قال النحاس: " إلى البعث" (١٣).

قال ابن كثير: " أي : يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة" (١٤).
قوله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا} [نوح : ١٩]، أي: " والله جعل لكم الأرض ممهدة كالبساط" (١٥).

قال الطبري: أي: " تستقرون عليها وتمتهدونها" (١٦).
قال ابن كثير: " أي: بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات" (١٧).

قوله تعالى: {لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا} [نوح : ٢٠]، أي: " لتسلخوا فيها طرقًا واسعة" (١٨).

قال الطبري: " يقول: لتسلخوا منها طرقا صعبا متفرقة؛ والفجاج: جمع فجّ، وهو الطريق" (١٩).

-
- (١) التفسير الميسر: ٥٧١.
 - (٢) تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٣.
 - (٣) إعراب القرآن: ٢٨/٥.
 - (٤) أديم الأرض: وجهها. اللسان (أدم).
 - (٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
 - (٦) النكت والعيون: ١٠٢/٦.
 - (٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٥٣٨) ص: ٢٧٥٠/٨، وانظر: المحرر الوجيز: ٢٢٦/٤.
 - (٨) التفسير الميسر: ٥٧١.
 - (٩) تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٣.
 - (١٠) إعراب القرآن: ٢٨/٥.
 - (١١) التفسير الميسر: ٥٧١.
 - (١٢) تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٣.
 - (١٣) إعراب القرآن: ٢٨/٥.
 - (١٤) تفسير ابن كثير: ٢٣٤/٨.
 - (١٥) التفسير الميسر: ٥٧١.
 - (١٦) تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٣.
 - (١٧) تفسير ابن كثير: ٢٣٤/٨.
 - (١٨) التفسير الميسر: ٥٧١.
 - (١٩) تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٣.

قال الزجاج: "أي: طرقاً بيّنة"^(١).
 قال الفراء: أي: "طرقاً، واحدها: فج، وهي الطرق الواسعة"^(٢).
 عن قتادة: "لَسَلُّكُوا مِنْهَا سُبُلًا فَجَاجًا"، قال: طرقاً وأعلاماً"^(٣).
 قال ابن عباس: "يقول: طرقاً مختلفة"^(٤).

قال ابن كثير: "أي: خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم، من نواحيها وأرجائها وأقطارها، وكل هذا مما ينبههم به نوح، عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرزاق، جعل السماء بناء، والأرض مهادا، وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد؛ لأنه لا نظير له ولا عدل له، ولا ند ولا كفاء، ولا صاحبة ولا ولد، ولا وزير ولا مشير، بل هو العلي الكبير"^(٥).
 فوائد الآيات: [١٧-٢٠]:

- ١- رسم الطريق الصحيح للدعوة القائم على الصبر وتلويح الأسلوب.
- ٢- بيان كره المشركين للتوحيد والموحدين أنهم لبغضهم لنوح ودعوة التوحيد سدوا آذانهم حتى لا يسمعون وغطوا وجوههم حتى لا يروه واستكبروا حتى لا يروا له فضلا.
- ٣- استعمال الحكمة في الدعوة فإن نوحاً لما رأى أن قومه يحبون الدنيا أرشدهم إلى الاستغفار ليحصل لهم المال والولد.
- ٤- استنبط بعض الصالحين من هذه الآية أن من كانت له رغبة في المال أو ولد فليكثر من الاستغفار الليل والنهار ولا يمل يعطه الله تعالى مراده من المال والولد.

القرآن

{قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِنَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لِمَا تَدْرَأُ إِلَهُتِكُمْ وَإِلَهُاتِنَا مَا يَكْفُرُ لَنَا وَتَدْرَأُ كِبْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) مِمَّا خَطَبَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥)} [نوح: ٢١ - ٢٥]

التفسير:

قال نوح: ربّ إن قومي بالغوا في عصياني وتكذيبي، واتبع الضعفاء منهم الرؤساء الضالين الذين لم تزدهم أموالهم وأولادهم إلا ضلالاً في الدنيا وعقاباً في الآخرة، ومكر رؤساء الضلال بتابعيهم من الضعفاء مكرًا عظيمًا، وقالوا لهم: لا تتركوا عبادة الهتكُم إلى عبادة الله وحده، التي يدعو إليها نوح، ولا تتركوا ودًا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرا، وهي أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله. وقد أضلّ هؤلاء المتبوعون كثيرًا من الناس بما زينو لهم من طرق العواية والضللال. ثم قال نوح -عليه السلام-: ولا تزد -يا ربنا- هؤلاء الظالمين لأنفسهم بالكفر والعناد إلا بعدا عن الحق. فبسبب ذنوبهم وإصرارهم على الكفر والطغيان أغرقوا بالطوفان، وأدخلوا عقب الإغراق نارًا عظيمة اللهب والإحراق، فلم يجدوا من دون الله من ينصرهم، أو يدفع عنهم عذاب الله.

قوله تعالى: {قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي} [نوح: ٢١]، أي: "قال نوح: ربّ إن قومي بالغوا في عصياني وتكذيبي"^(١).

قال الطبري: أي: "فخالفوا أمري، وردّوا عليّ ما دعوتهم إليه من الهدى والرشاد"^(١).

(١) معاني القرآن: ٢٣٠/٥.

(٢) معاني القرآن: ١٨٨/٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٣٨/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٣٨/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٣٤/٨.

(٦) التفسير الميسر: ٥٧١.

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبرا عن نوح، عليه السلام، أنه أنهى إليه، وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء، أنه مع البيان المتقدم ذكره، والدعوة المتنوعة المتشعبة على الترغيب تارة والترهيب أخرى: أنهم عصوه وكذبوه وخالفوه، واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله، ومتع بمال وأولاد، وهي نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام"^(٢).

قوله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا} [نوح: ٢١]، أي: "واتبع الضعفاء منهم الرؤساء الضالين الذين لم تزد لهم أموالهم وأولادهم إلا ضلالا في الدنيا وعقابا في الآخرة"^(٣).

قال الطبري: "يقول: واتبعوا في معصيتهم إياي من دعاهم إلى ذلك، ممن كثر ماله وولده، فلم تزد كثره ماله وولده إلا خسارا، بعدا من الله، وذهابا عن مَحَبَّة الطريق"^(٤).
قرأ أهل المدينة والشام وعاصم: «وولده»، بفتح الواو واللام، والباقون بضم الواو وسكون اللام، وهي لغة في: الولد"^(٥).

روى شبل عن مجاهد قال: "ولده: زوجه وأهله"^(٦).
وروى خارجة عن أبي عمرو بن العلاء، قال: "ولده: عشيرته وقومه"^(٧).
قوله تعالى: {وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا} [نوح: ٢٢]، أي: "ومكر رؤساء الضلال بتابعيهم من الضعفاء مكرًا عظيمًا"^(٨).

قال الطبري: "يقول: ومكروا مكرًا عظيمًا"^(٩).
قال الفراء: "«الْكُبَارُ»: الكبير، والعرب تقولُ كُبَار، ويقولون: رَجُلٌ حُسَّانٌ جُمَالٌ بالتشديد. وحُسَّانٌ جُمَالٌ بالتخفيف في كثير من أشباهه"^(١٠).

قال القشيري: "يعنى: كبراءهم وأغنياءهم الذين ضلوا في الدنيا وهلكوا في الآخرة"^(١١).
عن مجاهد، قوله: "كُبَارًا"، قال: عظيمًا"^(١٢).
وقال ابن زيد: يعني: "كثيرًا"^(١٣).

قال ابن كثير: "أي: باتباعهم في تسويلهم لهم بأنهم على الحق والهدى، كما يقولون لهم يوم القيامة: {بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا} [سبأ: ٣٣]"^(١٤).
قوله تعالى: {وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ} [نوح: ٢٣]، أي: "وقالوا لهم: لا تتركوا عبادة آلِهَتكم إلى عبادة الله وحده، التي يدعو إليها نوح"^(١٥).
قال ابن الجوزي: "أي: لا تدعُ عبادتها"^(١٦).

-
- (١) تفسير الطبري: ٦٣٨/٢٣.
 - (٢) تفسير ابن كثير: ٢٣٤/٨.
 - (٣) التفسير الميسر: ٥٧١.
 - (٤) تفسير الطبري: ٦٣٨/٢٣.
 - (٥) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٨٨/٣، و تفسير القرطبي: ٣٠٦ / ١٨.
 - (٦) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٢٨/٥.
 - (٧) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٢٨/٥. وقال النحاس: "أما أهل اللغة سوى هذه الرواية عن أبي عمرو فيقولون: ولد وولد مثل بخل وبخل وفلك وفلك، ويجوز عندهم أن يكون ولد جمع ولد وثن ووثن".
 - (٨) التفسير الميسر: ٥٧١.
 - (٩) تفسير الطبري: ٦٣٨/٢٣.
 - (١٠) معاني القرآن: ١٨٩/٣.
 - (١١) لطائف الإشارات: ٦٣٦/٣.
 - (١٢) أخرجه الطبري: ٦٣٨/٢٣.
 - (١٣) أخرجه الطبري: ٦٣٨/٢٣.
 - (١٤) تفسير ابن كثير: ٢٣٤/٨.
 - (١٥) التفسير الميسر: ٥٧١.
 - (١٦) زاد المسير: ٣٤٤/٤.

قوله تعالى: {وَلَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَعْوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح : ٢٣]، أي: "ولا تتركوا وِدًّا ولا سُوعًا ولا يَعْوثَ ويعوق ونَسْرًا، وهي أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله"^(١).

قال السمعاني: "أي: ولا تذروا {وِدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَعْوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}، هذه الأسماء أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها"^(٢).

قال ابن كثير: "وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله"^(٣).

قال ابن الجوزي: "هذه أسماء آلهتهم"^(٤).

قال الفراء: "هذه آلهة كان إبليس جعلها لهم"^(٥).

قال الطبري: "كان هؤلاء نفرًا من بني آدم فيما ذكر عن آلهة القوم التي كانوا يعبدونها"^(٦).

عن محمد بن قيس: "ويعوق ونسرا"، قال: كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دب إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر فعبدوهم"^(٧).

قال محمد بن كعب: "كان لآدم -عليه السلام- خمس بنين: ود وسواع ويعوق ونسر، وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه حزنا شديدا، فجاءهم الشيطان، فقال: هل لكم أن أصور لكم في قبلكم مثله إذا نظرتم إليه ذكرتموه، قالوا: نكره أن يجعل في قبلتنا شيئا نصلي إليه، قال: فأجعله في مؤخر المسجد. قالوا: نعم فصوره لهم من صفر وورصاص، ثم مات آخر فصوره لهم، ثم مات آخر فصوره لهم، قال: فنقصت الأشياء كما ينقصون اليوم وأقاموا على ذلك ما شاء الله، ثم تركوا عبادة الله سبحانه فاتاهم الشيطان فقال: ما لكم لا تعبدون شيئا، قالوا: من نعبد؟ قال: هذه آلهتكم وآلهة آبائكم لا ترونها مصورة في مصلاككم، قال: فعبدوها من دون الله عز وجل، حتى بعث الله عز وجل نوحا فدعاهم إلى عبادة الله سبحانه، فقالوا: {لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ} إلى قوله سبحانه وتعالى: {وَنَسْرًا}"^(٨).

عن ابن عباس أنه قال: ولد لآدم عليه السلام، أربعون ولدا، عشرون غلاما وعشرون جارية، فكان ممن عاش منهم: هابيل، وقابيل، وصالح، وعبد الرحمن - والذي كان سماه عبد الحارث - وود، وكان وِدًّا يقال له "شيث" ويقال له: "هبة الله" وكان إخوته قد سودوه، وولد له سَوَاع ويعوق ونسر"^(٩).

عن عروة بن الزبير قال: "اشتكى آدم، عليه السلام، وعنده بنوه: ود، ويعوق، ويعوق وسواع، ونسر، قال: وكان وِدًّا أكبرهم وأبرهم به"^(١٠).

عن أبي المطهر قال: ذكروا عند أبي جعفر - وهو قائم يصلي - يزيد بن المهلب، قال: فلما انفتل من صلاته قال: ذكرتم يزيد بن المهلب، أما إنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله. قال: ثم ذكر وِدًّا - قال: وكان وِدًّا رجلا مسلما وكان محببا في قومه، فلما مات عسكروا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه، فلما رأى إبليس جزعهم عليه، تشبه في صورة إنسان، ثم

(١) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٢) تفسير السمعاني: ٥٩/٦.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٣٤/٨.

(٤) زاد المسير: ٣٤٤/٤.

(٥) معاني القرآن: ١٨٩/٣.

(٦) تفسير الطبري: ٦٣٩/٢٣.

(٧) تفسير الطبري: ٦٣٩/٢٣.

(٨) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٤٦/١٠.

(٩) رواه ابن عساكر، في "تاريخ دمشق": (١٦٥/٨) "المخطوط".

(١٠) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢٣٥/٨.

قال : إني أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم أن أصور لكم مثله، فيكون في ناديكم فتذكرونه ؟ قالوا : نعم. فصوّر لهم مثله، قال : ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه. فلما رأى ما بهم من ذكره قال : هل لكم أن أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالا مثله، فيكون له في بيته فتذكرونه ؟ قالوا : نعم. قال : فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال : وأدرك أبناءهم فجعلوا يرون ما يصنعون به، قال وتناسلوا ودرّس أمر ذكرهم إياه، حتى اتخذوه إلهًا يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم، فكان أول ما عبد من غير الله : الصنم الذي سموه ودا^(١).

قال عكرمة: " كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام"^(٢).
وفي هذه الأصنام، قولان^(٣):

أحدهما: أنها أصنام للعرب لم يعبدها غيرهم. وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم، فلذلك خصوها بالذكر بعد قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾. ويكون معنى الكلام: كما قال قوم نوح لأتباعهم: لا تدرن آلهتكم قالت العرب لأولادهم وقومهم: ﴿وَلَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، ثم عاد بالذكر بعد ذلك إلى قوم نوح عليه السلام.
الثاني : أنها أصنام وصور، كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب. وهذا قول ابن عباس^(٤)، وقتادة^(٥)، وعطاء^(٦)، والثمالي^(٧)، المسيب^(٨)، وعليه الجمهور^(٩). وعلى هذا القول، الكلام كله منسوق في قوم نوح.

قال الزجاج: " هذه خمسة أصنام كانت في قوم نوح يعبدونها، ثم صارت إلى العرب، فكان وداً لكلب، وكان سواع لهمدان، وكان يغوث لمذحج، وكان نسر لحمير"^(١٠).
عن ابن عباس، والضحاك، قوله: "﴿لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، قال: هذه أصنام كانت تُعبد في زمان نوح"^(١١).
قال ابن زيد: " هذه آلهتهم التي يعبدون"^(١٢).

عن الضحاك: "﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، هي آلهة كانت تكون باليمن"^(١٣).
قال قتادة: " كانت آلهة يعبدها قوم نوح، ثم عبدتها العرب بعد ذلك، قال: فكان «وداً» لكلب بدومة الجندل، وكان «سواع» لهذيل، وكان «يغوث» لبني عطف من مراد بالجرف، وكان «يعوق» لهمدان، وكان «نسر» لذي الكلاع من حمير"^(١٤).
قال قتادة: " كان «وداً» لهذا الحي من كلب بدومة الجندل، وكانت سواع لهذيل برياط، وكان «يغوث» لبني عطف من مراد بالجرف من سبأ، وكان «يعوق» لهمدان ببلخع، وكان «نسر» لذي كلاع من حمير؛ قال: وكانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح، ثم اتخذها العرب بعد ذلك. والله ما عدا خشبة أو طينة أو حجراً"^(١٥).

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢٣٥/٨-٢٣٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٣٩/٢٣.

(٣) انظر: النكت والعيون: ١٠٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣٠٧/١٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٠/٢٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٠/٢٣.

(٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ٤٧/١٠.

(٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ٤٧/١٠.

(٨) نقلا عن: الكشف والبيان: ٤٧/١٠.

(٩) انظر: تفسير القرطبي: ٣٠٧/١٨.

(١٠) معاني القرآن: ٢٣٠/٥-٢٣١.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢٣.

(١٥) أخرجه الطبري: ٦٣٩/٢٣.

وحكي الثعلبي عن ابن عباس، قال: "كان نوح يحرس جسد آدم على جبل بالهند، يحول بين الكافرين وبين أن يطوفوا بقبره، فقال لهم الشيطان: إن هؤلاء يفخرون عليكم فيزعمون أنهم بنو آدم دونكم وإنما هو جسد وأنا أصور لكم مثله تطوفون به، فنحت خمسة أصنام وحملهم على عبادتها وهي ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فلما كان أيام الغرق دفن الطوفان تلك الأوثان وطمها التراب، فلم تنزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب، فاتخذت قضاة وذا فعبدوها بدومة الجندل، ثم توارثه بنوه الأكبر فالأكابر حتى صارت إلى كلب فجاء الإسلام وهو عندهم، وأخذ أعلى وأنعم وهما من طيئ يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زماناً، ثم إن بني ناحية أرادوا أن ينزعوه من أعلى وأنعم، ففروا به إلى الحصين أخي بني الحرث بن كعب، وأما يعوق فكان لكهلان، ثم توارثه بنوه الأكبر فالأكبر، حتى صار إلى همدان، وأما نسر فكان لخنتم يعبدونه، وأما سواع فكان لآل ذي الكلاع يعبدونه"^(١).

وحكي الثعلبي عن عطاء وقتادة والشمالي والمسيب: "صارت أوثان قوم نوح إلى العرب فكان ود لكلب بدومة الجندل، وكان سواع برهاط لهذيل، وكان يغوث لبني غطيف من مراد بالجوف، وكان يعوق لهمدان، وكان نسر لآل ذي الكلاع من حمير، وأما اللات فلثقيف، وأما العزى فلسليم وغطفان وخنتم ونصر وسعيد بن بكر، وأما مناة فكانت لقديد، وأما أساف ونائلة وهبل فلأهل مكة، وكان أساف حيال الحجر الأسود، وكانت نائلة حيال الركن اليماني، وكان هبل في جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعاً"^(٢).

وقال الواقدي: "كان ودّ على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر من الطير"^(٣).

قال أبو عثمان النهدي: "رأيت «يغوث»، وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل أجرد، ويسيرون معه لا يهيجونه، حتى يكون هو الذي يبرك فإذا برك نزلوا وقالوا: قد رضي لكم المنزل، فيضربون عليه بناء وينزلون حوله"^(٤).

قرأ أهل المدينة: «وُدًّا» بالضم، وقرأ الأعمش وعاصم: {وُدًّا}، بالفتح^(٥). وفي قراءة عبد الله: «وَلَا تَدْرُنَّ وُدًّا وَلَا سُوَاعًا وَيَغُوثًا وَيَعُوقًا وَنَسْرًا» بالالف^(٦). قوله تعالى: {وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا} [نوح: ٢٤]، أي: "وقد أضلّ هؤلاء المتبوعون كثيراً من الناس بما زينوا لهم من طرق العواية والضلال"^(٧).

قال الفراء: "يقول: هذه الأصنام قد ضل بها قوم كثير"^(٨). قال الطبري: "وقد ضلّ بعبادة هذه الأصنام التي أحدثت على صور هؤلاء النفر المسمين في هذا الموضع كثير من الناس فسبب الضلال إذ ضلّ بها عابدها إلى أنها المضيلة"^(٩).

قال ابن كثير: "يعني: الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقاً كثيراً، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم. وقد قال الخليل، عليه السلام، في دعائه: {وَاجْتَنِبْني وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ} [إبراهيم: ٣٥، ٣٦]"^(١٠).

(١) الكشف والبيان: ٤٦/١٠.

(٢) الكشف والبيان: ٤٦/١٠.

(٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ٤٦/١٠.

(٤) نقلا عن: النكت والعيون: ١٠٤/٦.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٨٩/٣.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٨٩/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٨) معاني القرآن: ١٨٩/٣.

(٩) تفسير الطبري: ٦٤٠/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٨.

قوله تعالى: {وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا} [نوح : ٢٤]، أي: "ثم قال نوح -عليه السلام-: ولا تزد -يا ربنا- هؤلاء الظالمين لأنفسهم بالكفر والعناد إلا بُعْدًا عن الحق"^(١).
قال الطبري: "يقول: ولا تزد الظالمين أنفسهم بكفرهم بأيأتنا إلا ضلالا إلا طبعًا على قلبه، حتى لا يهتدي للحق"^(٢).

قال النحاس: "قيل: المعنى: لا توقعهم، وقيل: إلا ضلالا عن الثواب وطريق الجنة"^(٣).
قال ابن كثير: "هذا دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم، كما دعا موسى على فرعون ومثله في قوله: {رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} [يونس : ٨٨] وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه، وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به"^(٤).

قوله تعالى: {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا} [نوح : ٢٥]، أي: "فبسبب ذنوبهم وإصرارهم على الكفر والطغيان أغرقوا بالطوفان"^(٥).

قال الطبري: أي: "من خطيئاتهم أغرقوا"^(٦).
قال ابن كثير: "أي : من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم {أغرقوا}"^(٧).

قال سفيان: "بخطيئاتهم أغرقوا"^(٨).
قال ابن زيد: "فبخطيئاتهم {أغرقوا}، فأدخلوا ناراً"^(٩).
وقرأ أبو عمرو: «مِمَّا خَطَايَاهُمْ»، بالألف بغير همز^(١٠).
قال ابن زيد: "ما عذب قوم نوح حتى ما كان في الأرض سهل ولا جبل إلا وله عامر يعمره وحائز يحوزه"^(١١).

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي زهير، قال: "بلغني أن قوم نوح عاشوا في ذلك الغرق أربعين يوماً"^(١٢).

قال محمد بن إسحاق: "فلقد غرقت الأرض وما فيها وانتهى الماء إلى ما انتهى إليه، وما جاوز الماء ركبته، ودأب الماء حين أرسله خمسين ومائة كما يزعم أهل التوراة فكان بين أن أرسل الله الطوفان، وبين أن غاض الماء ستة أشهر وعشر ليال، ولما أراد الله أن يكف ذلك أرسل الله ريحا على وجه الماء فسكن الماء، واشتدت ينابيع الأرض الغمر الأكبر وأبواب السماء، فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر فكان استواء الفلك على الجودي فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه، وفي أول يوم من الشهر العاشر رأى رؤوس الجبال، فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح عليه الصلاة والسلام كوة الفلك التي صنع فيها، ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء فلم يرجع إليه، فأرسل الحمامة فرجعت إليه، فلم يجد لرجلها موضعا فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها، فمكث سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له

(١) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٢) تفسير الطبري: ٦٤٠/٢٣.

(٣) إعراب القرآن: ٢٩/٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٨.

(٥) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٦) تفسير الطبري: ٦٤٠/٢٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٤١/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٤١/٢٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٤١/٢٣.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٦٣): ص ١٩٣٣/٦.

(١٢) تفسير ابن أبي حاتم (٨٦٣٨): ص ١٥٠٧/٥.

فرجعت إليه حين أمست وفي فيها ورقة زيتونة، فعلم نوح أن الماء قد قل، عن وجه الأرض، ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع إليه فعلم نوح أن الأرض قد برزت^(١).
قوله تعالى: {فَادْخُلُوا نَارًا} [نوح : ٢٥]، أي: "وأدخلوا عقب الإغراق نارًا عظيمة اللهب والإحراق"^(٢).

قال الطبري: أي: "جهنم"^(٣).
قال ابن كثير: "أي : نقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار"^(٤).
عن الضحاك: " {أَعْرِفُوا فَادْخُلُوا نَارًا}، قال: يعني: في الدنيا، في حالة واحدة؛ كانوا يغرقون من جانب، ويحترقون في الماء من جانب"^(٥).
قوله تعالى: {فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا} [نوح : ٢٥]، أي: "فلم يجدوا من دون الله من ينصرهم، أو يدفع عنهم عذاب الله"^(٦).
قال الطبري: أي: "تقتص لهم ممن فعل ذلك بهم، ولا تحول بينهم وبين ما فعل بهم"^(٧).
قال ابن كثير: "أي : لم يكن لهم معين ولا مُغيث ولا مُجبر ينقذهم من عذاب الله كقوله: {قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ} [هود : ٤٣]"^(٨).
فوائد الآيات: [٢١-٢٥]:

- ١- مشروعية الشكوى إلى الله تعالى ولكن بدون صخب ولا نصب.
- ٢- بيان أن السفلة والفقراء يتبعون الرؤساء والأغنياء وأصحاب الحظ.
- ٣- بيان أن المكر من شأن الكافرين والظالمين.
- ٤- بيان أن المشركين لضلالهم يطلقون لفظ الآلهة على من يعبدونهم من الأصنام والأوثان.
وكانت أسماء تلك الأصنام «سواع، يغوث، ويعوق، ونسر» أسماء لرجال صالحين من أجدادهم، لما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن يقيموا لهم التماثيل والصور؛ لينشطوا - بزعمهم- على الطاعة إذا رأوها، فلما ذهب هؤلاء القوم وطال الأمد، وخلفهم غيرهم، وسوس لهم الشيطان بأن أسلافهم كانوا يعبدون التماثيل والصور، ويتوسلون بها، وهذا من حكم تحريم التماثيل، وتحريم بناء القباب على القبور؛ لأنها تصير مع تطاول الزمن معبودة للجهال.
- ٥- مشروعية الدعاء على الظالمين عند اليأس من هدايتهم.
- ٦- إن خطايا وذنوب قوم نوح هي السبب في الإغراق بالطوفان ودخول نار جهنم بعد إغراقهم، فلم يجدوا حينئذ أحدا يمنعهم من عذاب الله.
- ٧- تقرير عذاب القبر فقوم نوح ما إن اغرقوا حتى ادخلوا نارا، قال تعالى: {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِفُوا فَادْخُلُوا نَارًا} [نوح: ٢٥]، «الفاء» هنا للتعقيب والسرعة، والتعقيب والسرعة لا يناسبها يوم القيامة بل يناسبها بعد الموت، فقد أغرقوا فماتوا فادخلوا النار، وهذا يدل على أنه في البرزخ.

ورد الرازي بأن الذي قاله^(٩) ترك للظاهر من غير دليل لأن المعنى صاروا مستحقين دخول النار، وأما التعبير بقوله: {فَادْخُلُوا} فهو عن المستقبل بلفظ الماضي، لتأكيد وقوعه وصحة وجوده^(١٠).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٦٤٠): ص ١٥٠٧/٥-١٥٠٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٣) تفسير الطبري: ٦٤٠/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٨.

(٥) تفسير الثعلبي ٤٧/١٠، وتفسير البغوي ٢٣٣/٨.

(٦) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٧) تفسير الطبري: ٦٤٠/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٨.

(٩) أي إثبات عذاب القبر بقوله تعالى: {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِفُوا فَادْخُلُوا نَارًا} [نوح: ٢٥].

(١٠) انظر: مفاتيح الغيب: ١٤٥/٣٠.

والحق أن عذاب القبر ونعيمه أمر ثابت بالكتاب والسنة:

أولاً:- الأدلة من الكتاب:

- قال الله تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٦]، والشاهد هو {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}، إذا النار التي يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا هي قبل يوم القيامة.
- قال الله تعالى: {وَلَنُدَبِّقُنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة: ٢١]، فسر ابن مسعود وغيره من الصحابة العذاب الأدنى: أنه عذاب القبر^(١).
- قال الله تعالى: {مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُعْرِفُوا فَاَدْخَلُوا نَارًا} [نوح: ٢٥] «الفاء» هنا للتعقيب والسرعة، كما سبق الإشارة إليه.

ثانياً:- الأدلة على عذاب القبر ونعيمه من السنة:

- عموم حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تفتنون في قبوركم» كما في الصحيحين^(٢).
- عن أبي سعيد، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلاه فرأى ناسا كأنهم يكتشرون قال: أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى، فأكثروا من ذكر هادم اللذات الموت، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبا وأهلا أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إلي، فإذا وليتك اليوم وصرت إلي فستري صنيعي بك قال: فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة. وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحبا ولا أهلا أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إلي، فإذا وليتك اليوم وصرت إلي فستري صنيعي بك قال: فيلتم عليه حتى تلتقي عليه وتختلف أضلاعه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بأصابعه، فأدخل بعضها في جوف بعض قال: ويقيض الله له سبعين تنيئا لو أن واحدا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يفضى به إلى الحساب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار^(٣).
- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين، فقال: "إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما هذا: فكان لا يستتر من بوله، وأما هذا: فكان يمشي بالنميمة" ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين، فغرس على هذا واحدا، وعلى هذا واحدا، ثم قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»^(٤).
- عن أبي سعيد الخدري قال: شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة، فقال: "يا أيها الناس، إن هذه الأمة تبلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن فتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق، فأقعدته فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنا قال: أشهد أن

(١) راجع تفسير الآية للوقوف على الآثار.

(٢) رواه البخاري (١٨٤)، ومسلم (٩٠٥)؛ عن أسماء رضي الله عنها.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ٤ / ٦٣٩، كتاب صفة القيامة (٣٨)، باب (٢٦)، الحديث (٢٤٦٠)، وقال: (حسن غريب)، قوله: "يكتشرون" أي يضحكون، من الكثر وهو ظهور الأسنان للضحك ولعل التاء للمبالغة، وقوله: "قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأصابعه" أي: أشار بها.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٥٢)، ومسلم (٢٩٢)، والترمذي (٧٠)، والنسائي في "الكبرى" (٢٧)، وأبو داود (٣٠)، وابن ماجه (٣٤٧) من طريق وكيع، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري (٢١٨) و (١٣٧٨)، ومسلم (٢٩٢)، والنسائي (٢٢٠٧)، وابن ماجه (٣٤٧) من طرق عن الأعمش، به.

وهو في "مسند أحمد" (١٩٨٠)، و"صحيح ابن حبان" (٣١٢٨).

لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقول له: صدقت، ثم يفرج له باب إلى النار، فيقول: هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذ آمنت به فهذا منزلك، فيفتح له باب إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن ويفسح له في قبره، وإن كان كافرا أو منافقا يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلت، فيقول: لا دريت ولا تليت ولا هديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقال له: هذا لك لو آمنت بربك، فأما إذ كفرت به فإن الله عز وجل أبدلك به هذا، ويفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه بالمطراق يسمعها خلق الله كلهن غير الثقلين " فقال بعض القوم: يا رسول الله، ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطرقة إلا هيل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت} [إبراهيم: ٢٧]"^(١). وبهذا يكون قد ثبت عذاب القبر ونعيمه من الكتاب ومن السنة^(٢).

القرآن

{وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لِمَا تَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَدْرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)} [نوح: ٢٦ - ٢٨]

التفسير:

وقال نوح -عليه السلام- بعد يأسه من قومه: رب لا تترك من الكافرين بك أحدا حيا على الأرض يدور ويتحرك. إنك إن تتركهم دون إهلاك يضلوا عبادك الذين قد آمنوا بك عن طريق الحق، ولا يأت من أصلابهم وأرحامهم إلا مائل عن الحق شديد الكفر بك والعصيان لك. رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا، وللمؤمنين والمؤمنات بك، ولا تزد الكافرين إلا هلاكا وخسرا في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لِمَا تَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} [نوح: ٢٦]، أي: "وقال نوح -عليه السلام- بعد يأسه من قومه: رب لا تترك من الكافرين بك أحدا حيا على الأرض يدور ويتحرك"^(٣).

قال النحاس: "أي: أحدا وهو من: دار يدور. أي: أحدا يدور، وقيل: ديار: صاحب دار"^(٤).

قال مقاتل: "يعني أحدا، وذلك أن الله- تبارك وتعالى- «وأوحى إلى نوح» - صلى الله عليه وسلم- {أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ} [هود: ٣٦]، وذلك أن الله- تعالى- كان أخرج كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم، فلما أخبر بذلك دعا عليهم قال: {رَبِّ لَا تَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}^(٥).

قال ابن كثير: "أي: لا تترك على وجه الأرض منهم أحدا ولا ثومريا، وهذه من صيغ تأكيد النفي.. فاستجاب الله له، فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه، وقال: {سَأُوي إِلَى جِبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ} [هود: ٤٣].. ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح، عليه السلام، وهم الذين أمره الله بحملهم معه"^(٦).

(١) إثبات عذاب القبر للبيهقي(٣٢):ص٤٣.

(٢) انظر: أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، محمد حسن عبد الغفار[دروس صوتية: ٨/٥١].

(٣) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٤) إعراب القرآن: ٢٩/٥.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٨-٢٣٧.

قال القشيري: " وذلك بتعريف الله تعالى إياه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن. فاستجاب الله فيهم دعاءه وأهلكهم"^(١).

قال الطبري: " يعني بـ«الدَّيَّار»: من يدور في الأرض، فيذهب ويجيء فيها وهو فَيَعَال من الدوران ديواراً"^(٢).

قال الفراء: «{دَيَّارًا}: وهو من: دُرْتُ، ولكنه «فَيَعَال» من: الدوران، كما قرأ عُمر بن الخطاب «اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ»^(٣)، وهو من: قمت"^(٤).

قال الزجاج: " يُقَال: ما في الدار أَحَدٌ وما بها دَيَّارٌ. وأصلها «دَيَّوَارٌ»، «فَيَعَال» فقلبت الواو ياء وأدغمت إحداهما في الأخرى"^(٥).

قال الزمخشري: " {دَيَّارًا}: من الأسماء المستعملة في النفي العام"^(٦).

قال الضحاك: " {دَيَّارًا}: واحداً"^(٧).

وقال السُّدِّي : "الديار : الذي يسكن الدار"^(٨).

قال أبو العالية والحسن: " لو أهلك أطفالهم معهم لكان عذاباً من الله لهم، ولكن الله تعالى أهلك ذريتهم وأطفالهم بغير عذاب، ثم أهلكهم"^(٩).

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو رحم الله من قوم نوح أحداً، لرحم امرأة، لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل، فلما بلغها الماء صعدت به منكبها، فلما بلغ الماء منكبها وضعت ولدها على رأسها، فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها. فلو رحم الله منهم أحدا لرحم هذه المرأة"^(١٠).

قوله تعالى: {إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ} [نوح : ٢٧]، أي: " إنك إن تتركهم دون إهلاك يُضِلُّوا عبادك الذين قد آمنوا بك عن طريق الحق"^(١١).

قال الطبري: يقول: " إنك يا رب إن تذر الكافرين أحياء على الأرض، ولم تهلكهم بعذاب من عندك {يُضِلُّوا عِبَادَكَ} الذين قد آمنوا بك، فيصدوهم عن سبيلك"^(١٢).

قال ابن كثير: " أي : إنك إن أبقيت منهم أحداً أضلوا عبادك، أي : الذين تخلقهم بعدهم"^(١٣).

قوله تعالى: {وَلَا يَلِدُوا إِلا فَاَجِرًا كَفَّارًا} [نوح : ٢٧]، أي: " ولا يأت من أصلابهم وأرحامهم إلا مائل عن الحق شديد الكفر بك والعصيان لك"^(١٤).

قال الطبري: يقول: " {وَلَا يَلِدُوا إِلا فَاَجِرًا} في دينك، {كَفَّارًا} لنعمتك"^(١).

(١) لطائف الإشارات: ٦٣٦/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٦٤١/٢٣.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٥٥.

(٤) معاني القرآن: ١٩٠/٣.

(٥) معاني القرآن: ٢٣١/٥.

(٦) الكشف: ٦٢١/٤.

(٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٨.

(٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٨.

(٩) تفسير الثعلبي ٤٨ / ١٠.

(١٠) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٣٧/٨. قال ابن كثير: " هذا حديث غريب، ورجاله ثقات". وله شاهد من حديث عائشة رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٥٩١) والحاكم في المستدرک (٣٤٢/٢) من طريق سعيد بن أبي مريم، عن موسى بن يعقوب، عن فائد مولى عبيد الله بن علي بن أبي رافع : أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة أخبره أن عائشة أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم أم الصبي" وذكره نحوه، وقال الحاكم : "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وتعقبه الذهبي بقوله : "إسناد مظلم، وموسى بن يعقوب المذكور في إسناده ليس بذاك".

(١١) التفسير الميسر: ٥٧١.

(١٢) تفسير الطبري: ٦٤٢/٢٣.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٣٧/٨.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٧١.

قال ابن كثير: "أي : فاجراً في الأعمال كافر القلب، وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً"^(١).

قال مقاتل: "وكان الرجل منهم ينطلق بولده إلى نوح- عليه السلام- فيقول لولده احذر هذا فإنه كذاب وإن والدي قد حذرنيه فيموت الكبير على الكفر، وينشأ الصغير على وصية أبيه"^(٢).

قال الزمخشري: "لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فذاقهم وأكلهم وعرف طباعهم وأحوالهم، وكان الرجل منهم ينطلق بابنه إليه، ويقول: احذر هذا، فإنه كذاب، وإن أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك، وقد أخبره الله عز وجل: {أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ}"^(٣).

قال قتادة: "أما والله ما دعا عليهم حتى أتاه الوحي من السماء: {أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ}، فعند ذلك دعا عليهم نبي الله نوح فقال: {رَبِّ لَا تَذَرُ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا}، ثم دعا دعوة عامة، فقال: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}... إلى قوله: {تَبَارَكَ}"^(٤).
قوله تعالى: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا} [نوح : ٢٨]، أي: "رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً"^(٥).

قال الطبري: "يقول: رب اغفر لي، واستر علي ذنوبي وعلى والدي"^(٦).
قال مقاتل: "وكانا مسلمين، وكان اسم أبيه لمك بن متوشلخ، واسم أمه هيجل بنت لا موش بن متشلوخ"^(٧).

قال الزمخشري: "وقيل: هما آدم وحواء"^(٨).
عن سعيد بن جبير، في قوله: "رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ"، قال: يعني: أباه، وجدّه"^(٩).
قال الحسن: "قال نوح: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ} كانا مؤمنين"^(١٠).
قال قتادة: "ثم دعا دعوة عامة، قال: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا} بلغ: {إِنَّا تَبَارَكْنَا}"^(١١).

وقرأ الحسين بن علي: «ولولدي»، يريد: ساما وحاماً"^(١٢).
قوله تعالى: {وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا} [نوح : ٢٨]، أي: "واغفر لمن دخل بيتي مؤمناً"^(١٣).

قال الثعلبي: "أي: داري.. وقيل: سفينتي"^(١٤).
قال السمعاني: "أي: سفينتي. وقيل: صومعتي. وقيل: بيتي الذي أسكنه"^(١٥).

- (١) تفسير الطبري: ٦٤٢/٢٣.
- (٢) تفسير ابن كثير: ٢٣٧/٨.
- (٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٤.
- (٤) الكشاف: ٦٢١/٤.
- (٥) أخرجه الطبري: ٦٤٢/٢٣.
- (٦) التفسير الميسر: ٥٧١.
- (٧) تفسير الطبري: ٦٤٢/٢٣، ٦٤٣.
- (٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٤.
- (٩) الكشاف: ٦٢١/٤.
- (١٠) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
- (١١) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤٢/٥-.
- (١٢) أخرجه عبد الرزاق ٣٢٠/٢.
- (١٣) انظر: الكشاف: ٦٢١/٤.
- (١٤) التفسير الميسر: ٥٧١.
- (١٥) الكشاف والبيان: ٤٨/١٠.
- (١٦) تفسير السمعاني: ٦١/٦.

قال الطبري: "ولمن دخل مسجدي ومصلاي مصليا مصدقا بواجب فرضك عليه"^(١).
عن الضحاك: "وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا، قَالَ: مسجدي"^(٢).
قال ابن كثير: "ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها، وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن"^(٣).

عن أبي سعيد: - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تصحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي"^(٤).
قوله تعالى: {وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [نوح: ٢٨]، أي: "ربّ واغفر للمؤمنين والمؤمنات بك"^(٥).

قال الطبري: أي: "وللمصدقين بتوحيدك والمصدقات"^(٦).
قال السمعاني: "أي: لكل المؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة"^(٧).
وقال الكلبي: "من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-"^(٨).
قال ابن كثير: "قوله: {وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات، وذلك يعم الأحياء منهم والأموات؛ ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء، اقتداء بنوح، عليه السلام، وبما جاء في الآثار، والأدعية المشهورة المشروعة"^(٩).
قال الزمخشري: "خص أولا من يتصل به، لأنهم أولى وأحق بدعائه، ثم عم المؤمنين والمؤمنات"^(١٠).

قوله تعالى: {وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا} [نوح: ٢٨]، أي: "ولا تزد الكافرين إلا هلاكا وخسرا في الدنيا والآخرة"^(١١).

قال الطبري: "يقول: ولا تزد الظالمين أنفسهم بكفرهم إلا خسارا"^(١٢).
قال الفراء: "إِلَّا تَبَارًا": ضلالا"^(١٣).
قال الزجاج: "«التبار»: الهلاك، وكل شيء أهلك فقد تبر، ولذلك سُمِّيَ كُلُّ مَكْسَرٍ تبرا"^(١٤).

عن مجاهد، قوله: "إِلَّا تَبَارًا"، قال: خسارا"^(١٥).
قال مجاهد: "كانوا يضربون نوحا حتى يُعشى عليه، فإذا أفاق قال: ربّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"^(١٦).

قال مقاتل: "فأفرقهم الله -تعالى- وحمل معه في السفينة ثمانين نفسا أربعين رجلا وأربعين امرأة، وفيهم ثلاثة أولاد لنوح منهم سام وحام ويافث، فولد سام العرب، وأهل السواد، وأهل فارس، وأهل الأهواز، وأهل الحيرة، وأهل الموصل، وأهل العال، وولد حام السودان

(١) تفسير الطبري: ٦٤٢/٢٣، ٦٤٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٤٢/٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٣٧/٨.

(٤) المسند (٣٨/٣) وسنن أبي داود برقم (٤٨٣٢) وسنن الترمذي برقم (٢٣٩٥).

(٥) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٦) تفسير الطبري: ٦٤٢/٢٣، ٦٤٣.

(٧) تفسير السمعاني: ٦١/٦.

(٨) نقلا عن: الكشف والبيان: ٤٨/١٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٣٧/٨.

(١٠) الكشف: ٦٢١/٤.

(١١) التفسير الميسر: ٥٧١.

(١٢) تفسير الطبري: ٦٤٣/٢٣.

(١٣) معاني القرآن: ١٩٠/٣.

(١٤) معاني القرآن: ٢٣١/٥.

(١٥) أخرجه الطبري: ٦٤٣/٢٣.

(١٦) أخرجه الطبري: ٦٤٣/٢٣.

كلها، والقبط، والأندلس، وبربر، والسند، والهند، وولد يافث الترك، والروم، ويأجوج، ومأجوج، والصين، وأهل خراسان إلى حلوان" (١).
فوائد الآيات: [٢٦-٢٨]:

١- مشروعية الدعاء على الظلمة الكافرين والمجرمين.

٢- مشروعية الدعاء للمؤمنين والمؤمنات.

٣- يستحب البدء في الدعاء بنفس الداعي ثم يعطف من يدعوا لهم.

«آخر تفسير سورة (نوح)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، صلى الله على

سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٤-٤٥٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تفسير سورة «الجن»

«سورة الجن» هي السورة الثانية والسبعون في القرآن الكريم، وقد نزلت بعد «سورة الأعراف»، آياتها ثمان وعشرون عند الكل، إلا مكة؛ فإنها في عدهم سبع. عدوا {لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ} [الجن : ٢٢]، وأسقطوا {مُلْتَحَدًا} [الجن : ٢٢] في غير رواية البرزي. وفي رواية البرزي: لم يعد {لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ} [الجن : ٢٢]، ولم يعد {مُلْتَحَدًا} [الجن : ٢٢]، فصار في روايته سبعا وعشرين. وفي الرواية الأخرى: ثمان وعشرين. وكلماتها مائتان وخمس وثمانون. وحروفها تسعمائة وتسع وخمسون. فواصل آياتها على: «الألف»^(١).

■ أسماء السورة:

■ أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الجن»:

سميت هذه السورة سورة «الجن» وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وترجم لها الترمذي في جامعه من كتاب التفسير^(٢)، ووجه تسميتها سورة «الجن»، لاشتغالها على ذكر أحوالهم وأقوالهم، وعلاقتهم بالإنس ورميهم بالشهب لاستراقهم السمع إلى غير ذلك من حديث الجن العجيب، قال تعالى: {قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) [الجن : ١] ، كما تكرر لفظ «الجن» في قوله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن : ٦].

قال المهامي: "سميت بها لاشتغالها على تفاصيل أقوالهم في تحسين الإيمان وتقيح الكفر، مع كون أقوالهم أشد تأثيرا في قلوب العامة لتعظيمهم إياهم"^(٣).
وقد ورد اسم النبي نوح-عليه الصلاة والسلام- في كثير من سور القرآن الكريم^(٤).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٤/١.

(٢) انظر: الترمذي في جامعه من كتاب التفسير: ٤٢٦/٥.

(٣) تفسير المهامي: ٣٦٦/٢.

(٤) مثل قوله تعالى:

- {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران : ٣٣]
- {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْيَسَافَةَ وَعِيسَىٰ وَيُوشَعَ وَدَاوُدَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَشَلْوَانَ وَآدَمَ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّخْبِرٌ} [النساء : ١٦٣]
- {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الأنعام : ٨٤]
- {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأعراف : ٥٩]
- {وَأَوْعَدْنَاهُمْ أَنْ جَاءَكُمْ نِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رِجَالٍ مِثْلِكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذَكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأعراف : ٦٩]
- {أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [التوبة : ٧٠]
- {وَأَتَتْهُمُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكُرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ} [يونس : ٧١]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [هود : ٢٥]
- {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [هود : ٣٢]
- {وَأَوْحِي إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ قَدْ آمَنَ قَلِيلٌ فَتَبَيَّنْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [هود : ٣٦]
- {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} [هود : ٤٢]
- {وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} [هود : ٤٥]
- {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [هود : ٤٦]

■ **ثانياً:- أسمها الاجتهادي: سورة «قل أوحى»:**

جاءت هذه التسمية عن أمّنا عائشة-رضي الله عنها-، فيما أخرجه ابن مردويه عنها أنها قالت: «نزلت سورة {قل أوحى}، بمكة»^(١). وترجم لها البخاري في كتاب التفسير^(٢). قال ابن عاشور: " واشتهرت على السنة المكتبين والمتعلمين في الكتابيب القرآنية باسم {قل أوحى}"^(٣).

- {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَمِعَتْهُمُ ثُمَّ يُمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [هود : ٤٨]
- {وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} [هود : ٨٩]
- {الَّذِينَ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} [إبراهيم : ٩]
- {ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء : ٣]
- {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} [الإسراء : ١٧]
- {وَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} [مريم : ٥٨]
- {وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} [الأنبياء : ٧٦]
- {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَتَمُودٌ} [الحج : ٤٢]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [المؤمنون : ٢٣]
- {وَقَوْمِ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفرقان : ٣٧]
- {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء : ١٠٥]
- {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [الشعراء : ١٠٦]
- {قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ} [الشعراء : ١١٦]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [العنكبوت : ١٤]
- {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا} [الأحزاب : ٧]
- {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ} [الصافات : ٧٥]
- {سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ} [الصافات : ٧٩]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأُوْتَادِ} [ص : ١٢]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [غافر : ٥]
- {مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ} [غافر : ٣١]
- {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} [الشورى : ١٣]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَتَمُودُ} [ق : ١٢]
- {وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [الذاريات : ٤٦]
- {وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ} [النجم : ٥٢]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْذُونٌ وَازْدُجِرْ} [القمر : ٩]
- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد : ٢٦]
- {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ} [التحریم : ١٠].

(١) الدر المنثور: ٢٩٦/٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير: ٣٨٢/٦.

(٣) التحرير والتنوير: ٢١٦/٢٩.

كما تفرد السخاوي بتسميتها: «سورة الوحي»، ولم يذكر سندا لقوله^(١).

■ مكية السورة ومدنيتها:

- عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة الجن بمكة"^(٢)، وروي عن ابن الزبير مثله^(٣).
قال ابن عطية: "هي مكية بإجماع من المفسرين"^(٤).
قال ابن الجوزي: "كلها مكية بإجماعهم"^(٥).
قال ابن عاشور: "هي مكية بالاتفاق، ويظهر أنها نزلت في حدود سنة عشر من البعثة"^(٦).

■ مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها:

- ١- أنه جاء في السورة السابقة: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ} [نوح : ١٠]، وجاء في هذه السورة: {وَأَلِّقُوا سُنُقَكُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْفِينًا هُمْ مَاءٌ غَدَقًا} [الجن : ١٦].
٢- أنه ذكر في هذه السورة شيء يتعلق بالسماء كالسورة التي قبلها.
٣- أنه ذكر عذاب من يعصى الله في قوله: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا} [الجن : ٢٣]، وذكر هناك مثله في قوله: {أَعْرِفُوا فَأَدْخُلُوا نَارًا} [نوح : ٢٥]^(٧).

■ أغراض السورة ومقاصدها

- ١- تقرير سهولة كلام الله وقربه من العباد، وبساطة دينه الهادي إلى الرشد الناهي عن الباطل، وأن من أراد الهدى يؤمن بأسهل الأسباب، كما آمن ذلك النفر من الجن، ليكون فيه درس وموعظة للإنسان فهو المخاطب بالقرآن الكريم.
٢- بيان أن الجن مثل الإنسان مكلفين ويملكون القوة والإرادة على الاختيار ما بين الطاعة والعصيان، والكفر والإيمان. وأنهم مكلفون بمأمورين ومكلفون منهيون، مجازون بأعمالهم. وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول إلى الجن كما هو رسول إلى الإنس. وأن ليس للجن شيء من أمر النبوة والكتاب فهم مأمورون ومنهيون، مبشرون ومنذرون كالإنس تماماً.
٣- بعث موعظة للإنسان مفادها بأنه: كما فعل النفر من الجن حين لاحظوا الآيات والإشارات الربانية، فهم لما منعوا فجأة من الوصول إلى خبر السماء على غير ما اعتادوا من قبل، عرفوا بفطنتهم أن هذا الأمر يريد به الله، ولا يدرون هل هو خير أم شر، فانطلقوا يبحثون عن السبب، حتى إذا سمعوا القرآن كلام الحق والرشاد آمنوا به واتبعوه من فورهم.
٤- التأكيد على أن استعانة الإنسان بالجن لا تسمن ولا تُغني من جوع ولا تجلب النفع للإنسان أبداً، قال تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن : ٦].
٥- إدراك الجن وعلمهم بجدّ الله وعظمته بعد أن كانوا مغترّين بأكاذيب من سبقهم من الجن والإنس الذين أنكروا البعث وأقدموا على الشرك.

(١) انظر: جمال القراء: ٤٨٣/١.

(٢) الدر المنثور: ٢٩٦/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٢٩٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) المحرر الوجيز: ٣٧٨/٥.

(٥) زاد المسير: ٣٤٦/٤.

(٦) التحرير والتنوير: ٢١٦/٢٩.

(٧) انظر: تفسير المراعي: ٩٢/٢٩.

٦- انقسام الجن إلى طائفة مؤمنة وطائفة كافرة وقد حددت الآيات مصير كل منهم، قال تعالى: {وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)} [الجن : ١٤ - ١٥].

٧- إيمان الجن بالهدى طمعاً بالخير والرزق والأمان من الله، وإنكاراً للتشنت الذي كانوا عليه، وظن الكثير منهم بأنهم خارجون عن قدرة الله. فلا يتردد الإنسان ولا يتبع الأمانى ولا كذب وضلالات الشيطان. فإنه باتباع الهدى والاستقامة على طريق الحق تتحقق مصالح الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة.

٨- الحديث عن دعوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكيف أن قومه كانوا يحاولون أن يبعده عن دعوة الحق والتوحيد، ثم تخرم الآيات بأحد مقاصد سورة الجن العظيمة وهو أن يسلم رسول الله أمره كله الله تعالى ويخضع له بكل جوارحه لأنه وحده فقط الذي يضر وينفع ولا يملك ذلك إلا هو وبالتأكيد هذا الكلام له ولغيره ممن آمنوا معه لتثبيتهم.

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: عجائب علوم القرآن، وعظمة سلطان الملك الديان، وتعدى الجن على الإنسان، ومنعهم عن الوصول إلى السماء بالطيران، والرشد والصلاح لأهل الإيمان، وتهديد الكفار بالجحيم والنيران، وعلم الله تعالى بالإسرار والإعلان، وكيفية تبليغ الوحي من الملائكة إلى الأنبياء بالإتقان، وحصر المعلومات في علم خالق الخلق في قوله: {وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} [الجن : ٢٨]"^(١).

■ الناسخ والمنسوخ:

السورة محكمة: لا ناسخ فيها ولا منسوخ^(٢).

■ فضائل السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الجن أعطي بعدد كل جني وشيطان صدق بمحمد وكذب به عتق رقية»^(٣). [موضوع]
هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٤/١-٤٨٥.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٥/١.

(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٤٩/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٠/١٤٠. [حديث موضوع، وقد نبه ابن حجر على ضعف رواية هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

القرآن

{قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)} [الجن : ١-٢]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: أوحى الله إليَّ أنَّ جماعة من الجن قد استمعوا لتلاوتي للقرآن، فلما سمعوه قالوا لقومهم: إنا سمعنا قرآنًا بديعًا في بلاغته وفصاحته وحكمه وأحكامه وأخباره، يدعو إلى الحق والهدى، فصدقنا بهذا القرآن وعملنا به، ولن نشرك بربنا الذي خلقنا أحدًا في عبادته. سبب النزول:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: " انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم، وقالوا: يا قومنا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا} [الجن: ٢]، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: {قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ} [الجن: ١]، وإنما أوحى إليه قول الجن"^(١).

قوله تعالى: {قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ} [الجن : ١]، أي: " قل -أيها الرسول-: أوحى الله إليَّ أنَّ جماعة من الجن قد استمعوا لتلاوتي للقرآن"^(٢). قال الطبري: " يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد أوحى الله إليَّ {أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ} هذا القرآن"^(١).

(١) أخرجه البخاري (٧٧٣) في الأذان: باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، و(٤٩٢١) في تفسير سورة الجن، وأخرجه مسلم (٤٤٩) في الصلاة: باب الجهر بالقراءة في الصباح، والترمذي (٣٣٢٣) في التفسير: باب ومن سورة الجن، والطبري في " جامع البيان " الطبري: ٦٤٧/٢٣-٦٤٨، والطبراني (١٢٤٤٩) ، والحاكم ٥٠٣/٢، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٢٢٥/٢-٢٢٦، والبغوي في "معالم التنزيل" ١٧٣/٤ من طرق عن أبي عوانة به. وقال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه!

تنبيه: روى البخاري الحديث دون قوله: "ما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الجن وما رآهم". قال الحافظ في "الفتح" ٦٧٠/٨: أخرجه أبو نعيم في "المستخرج" عن الطبراني، عن معاذ بن المثني، عن مسدد شيخ البخاري فيه، فزاد في أوله: "ما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الجن ولا رآهم، انطلق ... إلخ" وهكذا رواه مسلم، عن شيبان بن فروخ، عن أبي عوانة بالسند الذي أخرجه البخاري فكان البخاري حذف هذه اللفظة عمداً، لأن ابن مسعود أثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ على الجن، فكان ذلك مقدماً على نفي ابن عباس.

وقال البيهقي في "الدلائل" ٢٢٧/٢: وهذا الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعلمت بحاله، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرههم كما حكاه، ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى، فذهب معه وقرأ عليهم القرآن، كما حكاه عبد الله بن مسعود ورأى آثارهم وأثار نيرانهم، والله أعلم، وعبد الله بن مسعود حفظ القصتين معاً.

ومن فوائد الحديث: إثبات وجود الشياطين والجن، وأنهما لمسمى واحد، وإنما صاروا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم، إنه شيطان، وفيه أن الصلاة في جماعة شرعت قبل الهجرة، وفيه مشروعيتها في السفر، والجهر بالقراءة في صلاة الصبح، وأن الاعتبار بما قضى الله للعبد من حسن الخاتمة، لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ، لأن هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر، ما اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر أن الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك فغلب عليهم ما قضى لهم من السعادة بحسن الخاتمة، ونحو ذلك قصة سحرة فرعون. انظر "الفتح" ٦٧٥/٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٢.

قال السعدي: "أي: {قُلْ} يا أيها الرسول للناس: {أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ} صرفهم الله إلى رسوله لسماع آياته لتقوم عليهم الحجة [وتتم عليهم النعمة] ويكونوا نذرا لقومهم. وأمر الله رسوله أن يقص نبأهم على الناس، وذلك أنهم لما حضروه، قالوا: أنصتوا، فلما أنصتوا فهموا معانيه، ووصلت حقائقه إلى قلوبهم"^(٢).

قال المراغي: "أمر الله رسوله أن يظهر لأصحابه ما أوحى به إليه من قصص الجن، لما في علمه من فوائد ومنافع للناس، منها:

- ١- أن يعلموا أنه كما بعث عليه الصلاة والسلام إلى الإنس فقد بعث إلى الجن.
 - ٢- أن يعلموا أن الجن يستمعون كلامنا ويفهمون لغاتنا.
 - ٣- أن يعلموا أن الجن مكلفون كالإنس.
 - ٤- أن يعلموا أن المؤمن منهم يدعو غيره من قبيلته إلى الإيمان.
 - ٥- أن تعلم قريش أن الجن على أمرهم لما استمعت القرآن عرفت إعجازه وآمنت به.
- وظاهر الآية يدل على أنه عليه الصلاة والسلام علم استماعهم له بالوحي لا بالمشاهدة"^(٣).

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ}، هو قول الله: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ}، لم تُحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد؛ فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم حرست السماء الدنيا، ورُميت الشياطين بالشهب، فقال إبليس: لقد حدث في الأرض حدث، فأمر الجنّ فتفرقت في الأرض لتأتيه بخبر ما حدث. وكان أول من بُعث نفر من أهل نصيبين وهي أرض باليمن، وهم أشراف الجنّ، وسادتهم، فبعثهم إلى تهامة وما يلي اليمن، فمضى أولئك النفر، فأتوا على الوادي وادي نخلة، وهو من الوادي مسيرة ليلتين، فوجدوا به نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة فسمعوه يتلو القرآن؛ فلما حضروه، قالوا: أنصتوا، فلما قُضي، يعني: فرغ من الصلاة، ولوا إلى قومهم منذرين، يعني مؤمنين، لم يعلم بهم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ولم يشعر أنه صُرف إليه، حتى أنزل الله عليه: {قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ}"^(٤).

عن محمد بن إسحاق، قال: "كانت الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى، والكهّان من العرب قد تحدّثوا بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل مبعثه لما تقارب من زمانه؛ أما الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى فعَمّا وجدوا من صفته في كتبهم وصفة زمانه لما كان في عهد أنبيائهم إليهم فيه، وأما الكهّان من العرب فيأتيهم به الشياطين من الجنّ فيما يسرقون من السمع، إذ كانت وهي لا تُحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة من العرب لا يزال يقع منهما ذكر بعض أمره لا تُلقِي العرب فيه بالاً، حتى بعثه الله - عز وجل -، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون، فعرفوها، فلما تقارب أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وحضر مبعثه حُجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فرموا بالنجوم، فعرفت الجنّ أنّ ذلك لأمر حدث من الله - عز وجل - في العباد. يقول الله تعالى لنبيّه - عليه السلام - حين بعثه، وهو يُفصّل عليه خبر الجنّ إذ حُجّبوا عن السمع، فعرفوا ما عرفوا وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا: {قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ} إلى قوله: {أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}. فلما سمعت الجنّ القول عرفت أنها إنما مُنعت من السمع قبل ذلك له، لئلا يُشكّل الوحي شيء من خبر السماء، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله - عز وجل -، وقطع الشبّه، فأمنوا وصدّقوا ثم ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً إلى آخر الآية [الأحقاف: ٢٩ - ٣٠]"^(٥).

(١) تفسير الطبري: ٦٤٧/٢٣.

(٢) تفسير السعدي: ٨٩٠.

(٣) تفسير المراغي: ٩٥/٢٩. وانظر: حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- في سبب نزول السورة.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٤٨/٢٣.

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٩٠ - ٩١.

عن عبد الملك، قال: "لم تُحرس الجنُّ في الفترة بين عيسى ومحمد - صلى الله عليه وسلم -، فلما بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - حُرست السماء الدنيا، ورُميت الجنُّ بالنَّهب، فاجتمعت إلى إبليس، فقال: لقد حدثت في الأرض حدثاً، فَنَعَرَفُوا، فأخبرونا ما هذا الحدث. فَبَعَثَ هؤلاء النَّفر إلى تهامة وإلى جانب اليمن، وهم أشراف الجنِّ وسادتهم، فوجدوا النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - يُصلي صلاة الغداة بَنَخْلَة، فسَمِعوه يتلو القرآن، {فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ} يعني بذلك: أنه فَرغ من صلاة الصبح، {وَلَوْأ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} [الأحقاف: ٢٩] مؤمنين، لم يَشعر بهم حتى نزل: {قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ} ... يقال: سبعة من أهل نَصيبين" (١).

قوله تعالى: {فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} [الجن: ١]، أي: "فلما سمعوه قالوا لقومهم: إنا سمعنا قرآناً بديعاً في بلاغته وفصاحته وحكمه وأحكامه وأخباره" (٢).
قال الطبري: " {فَقَالُوا} لقومهم لما سمعوه: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} " (٣).
قال السعدي: " أي: من العجائب الغالية، والمطالب العالية" (٤).
قال مقاتل: " يعني: عزيزاً لا يوجد مثله" (٥).
قال الراغب: " أي: لم يعهد مثله، ولم يعرف سببه" (٦).
عن ابن عباس: {قُرْآنًا عَجَبًا}، قال: " بليغاً" (٧).
قال السمعاني: " أي: عجباً في نظمه وتأليفه وصحة معناه" (٨).
قال الزمخشري: أي: " بديعاً ميباناً لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه، قائمة فيه دلائل الإعجاز. وعجب مصدر يوضع موضع العجيب. وفيه مبالغة: وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره" (٩).
قال النحاس: " معنى: عجب: عجيب في اللغة، على ما ذكره محمد بن يزيد: أنه الشيء يقل ولا يكاد يوجد مثله" (١٠).

قال ابن قتيبة: " يعني: أنهم قالوا ذلك لقومهم حين رجعوا إليهم" (١١).
قوله تعالى: {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ} [الجن: ٢]، أي: " يدعو إلى الحق والهدى" (١٢).
عن عطاء: {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ}، قال: " إلى الإيمان بالله" (١٣).
قال مقاتل: " يقول: يدعو إلى الهدى" (١٤).
قال الطبري: " يقول: يدلّ على الحقّ وسبيل الصواب" (١٥).
قال ابن كثير: " أي: إلى السداد والنجاح" (١٦).
قال الزمخشري: " يدعو إلى الصواب. وقيل: إلى التوحيد والإيمان" (١٧).

(١) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٣) تفسير الطبري: ٦٤٧/٢٣.

(٤) تفسير السعدي: ٨٩٠.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦١/٤.

(٦) المفردات في غريب القرآن: ٥٤٧.

(٧) التفسير الوسيط للواحد: ٣٦٣/٤.

(٨) تفسير السمعاني: ٦٤/٦.

(٩) الكشف: ٦٢٣/٤.

(١٠) إعراب القرآن: ٣١/٥.

(١١) تأويل مشكل القرآن: ٢٤١.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(١٣) التفسير البسيط للواحد: ٢٨١/٢٢.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦١/٤.

(١٥) تفسير الطبري: ٦٤٧/٢٣.

(١٦) تفسير ابن كثير: ٢٣٧/٨.

قال السعدي: "«الرشد»: اسم جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم" (٢).
 قوله تعالى: {فَأَمَّا بِهِ} [الجن : ٢]، أي: "فصدّقنا بهذا القرآن وعملنا به" (٣).
 قال الطبري: "يقول: فصدّقناه" (٤).
 قوله تعالى: {وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا الَّذِي خَلَقْنَا أَحَدًا} [الجن : ٢]، أي: "ولن نشرك بربنا الذي خلقنا أحدًا في عبادته" (٥).

قال الطبري: يقول: "لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} من خلقه" (٦).
 قال الزمخشري ولما كان الإيمان به إيماناً بالله وبوحدانيته وبراعة من الشرك: قالوا: {وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا}، أي: ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراف به في طاعة الشيطان" (٧).
 قال السعدي: "فجمعوا بين الإيمان الذي يدخل فيه جميع أعمال الخير، وبين التقوى، المتضمنة لترك الشر وجعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه، ما علموه من إرشادات القرآن، وما اشتمل عليه من المصالح والفوائد واجتناب المضار، فإن ذلك آية عظيمة، وحجة قاطعة، لمن استنار به، واهتدى بهديه، وهذا الإيمان النافع، المثمر لكل خير، المبني على هداية القرآن، بخلاف إيمان العوائد، والمربى والإلف ونحو ذلك، فإنه إيمان تقليد تحت خطر الشبهات والعوارض الكثيرة" (٨).

عن الحارث، عن علي، قال: قيل: يا رسول الله، إن أمّك ستفتنن من بعدك، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سئل ما المخرج منها؟ قال: "الكتاب العزيز الذي {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢] من ابتغى الهدى في غيره، فقد أضله الله، ومن ولي هذا الأمر من جبار فحكم بغيره، قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراف المستقيم، فيه خبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، وهو الذي سمعته الجن فلم تنتاه أن قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ}، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عبره، ولا تقنى عجائبه". ثم قال علي للحارث: خذها إليك يا أعور" (٩).

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيم النجاة غدا؟ فقال: «عليك بكتاب الله عزّ وجلّ، فإن فيه نبأ من كان قبلكم وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم من دينكم الذي تعبدكم به الله عزّ وجلّ، به تصلون إلى المعرفة، ومن يرد الهدى في غيره يضلّه الله، هو أمر الله الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الشفاء النافع، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} (١) يهدي إلى الرُّشْدِ فَأَمَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} [الجن: ١-٢]" (١٠).

القرآن

{وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا} (٣) [الجن : ٣]

التفسير:

وأنة تعالت عظمة ربنا وجلاله، ما اتخذ زوجة ولا ولداً.

- (١) الكشاف: ٦٢٣/٤.
- (٢) تفسير السعدي: ٨٩٠.
- (٣) التفسير الميسر: ٥٧٢.
- (٤) تفسير الطبري: ٦٤٧/٢٣.
- (٥) التفسير الميسر: ٥٧٢.
- (٦) تفسير الطبري: ٦٤٧/٢٣.
- (٧) الكشاف: ٦٢٣/٤.
- (٨) تفسير السعدي: ٨٩٠.
- (٩) سنن الدارمي (٣٣٧٥): ص ٢٠٩٩/٤، قال المحقق: إسناده حسن.
- (١٠) رواه سهل التستري في "التفسير": ١٥.

قوله تعالى: {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا} [الجن : ٣]، أي: "وأنه تعالت عظمة ربنا وجلاله"^(١).
 قال السعدي: "أي: تعالت عظمته وتقدست أسماؤه"^(٢).
 واختلف أهل التفسير في قوله تعالى: {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا} [الجن : ٣]، على أقوال:
 أحدها : معناه: تعالى أمر ربنا وسلطانه وقدرته، قاله ابن عباس^(٣)، وقتادة^(٤)، والسدي^(٥)، وابن زيد^(٦).

قال ابن عباس: "يقول: تعالى أمر ربنا"^(٧).
 قال ابن عباس: "يقول: فعله وأمره وقدرته"^(٨). وفي رواية: "أمره وقدرته"^(٩).
 قال قتادة: "تعالى أمر ربنا: تعالت عظمته"^(١٠).
 قال ابن زيد: "تعالى أمره أن يتخذ -ولا يكون الذي قالوا-: صاحبة ولا ولدا، وقرأ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، قال: لا يكون ذلك منه"^(١١).
 قال ابن قتيبة: "يقال: جد فلان في قومه: إذا عظم عندهم"^(١٢).
 قال ابن قتيبة: "«جدُّ الله»: عَظُمُهُ. ومنه قوله: {تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا}، ومنه يقال في افتتاح الصلاة: «تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ»، يقال: جدُّ الرجل في صدور الناس وفي عيونهم، إذا عَظُمَ. ومنه قول أنس: «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران، جدَّ فينا»^(١٣)؛ أي: عَظُمَ"^(١٤).
 قال الزمخشري: "استعارة من: الجد الذي هو الدولة والبخت، لأن الملوك والأغنياء هم المجدودون. والمعنى: وصفه بالتعالي عن صاحبة والولد لعظمته. أو لسلطانه وملكوته. أو لغناه"^(١٥).

قال النحاس: "أحسن ما روي في معنى «جدُّ ربنا» قول ابن عباس: إنه الغنى والعظمة والرفعة، وأصل الجدِّ في اللغة الارتفاع. من ذلك الجدُّ أبو الأب. ومنه الجدُّ الحظ وباللغة الفارسية البخت، ويقال: إنَّ الجنَّ قصدوا إلى هذا وأنهم أرادوا الرفعة والحظ أي ارتفع ربنا عن أن ينسب إلى الضعف الذي في خلقه من اتخاذ المرأة وطلب الولد والشهوة. يدلُّ على هذا أن بعده ما اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلَا وُلْدًا وقد زعم بعض الفقهاء أنه يكره أن تقول: وتعالى جدُّك، واحتجَّ بأن هذا إخبار عن الجنِّ. وذلك غلط لأنه قد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولم يذمَّ الله الجنَّ على هذا القول. وروي عن عكرمة: «وأنه تعالى جدُّ ربنا»^(١٦).
 الثاني : فعل ربنا ، قاله ابن عباس^(١٧)، والضحاك^(١٨).
 الثالث : ذكر ربنا ، وهو قول مجاهد^(١).

-
- (١) التفسير الميسر: ٥٧٢.
 (٢) تفسير السعدي: ٨٩٠.
 (٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٨/٢٣.
 (٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٩/٢٣.
 (٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٩/٢٣.
 (٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٩/٢٣.
 (٧) أخرجه الطبري: ٦٤٨/٢٣.
 (٨) أخرجه الطبري: ٦٤٨/٢٣.
 (٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٩٩): ص ٣٣٧٧/١٠.
 (١٠) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢٣.
 (١١) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢٣.
 (١٢) تأويل مشكل القرآن: ٢٤١.
 (١٣) أخرجه الإمام أحمد ٣/ ١٢٠ - ١٢١، من طريق أنس رضي الله عنه- مطولاً، ونص الشاهد: «وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا، يعني: عظم».
 (١٤) غريب القرآن: ١٩.
 (١٥) الكشاف: ٦٢٣/٤.
 (١٦) إعراب القرآن: ٣٢/٥.
 (١٧) انظر: النكت والعيون: ١١٠/٦.
 (١٨) انظر: الكشف والبيان: ٥٠/١٠.

وقال مقاتل: "ارتفع ذكره وعظمته"^(٢).
 الرابع: غنى ربنا، قاله الحسن^(٣).
 وعن سليمان التيمي، عن الحسن وعكرمة، في قول الله: "وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا"، قال أحدهما: غناه، وقال الآخر: عظمته"^(٤).
 قال الواحدي: "الجد يكون بمعنى الغنى، ومنه الحديث: «لا ينفع ذا الجد منك الجد»"^(٥)، وكذلك الحديث الآخر: "قمت على باب الجنة فإذا عامة من يدخلها الفقراء، وإذا أصحاب الجد محبوسون"^(٦)^(٧). يعني: ذوي الحظ في الدنيا.
 الخامس: علا مَلِكُ ربنا وسلطانه، قاله أبو عبيدة^(٨)، والأخفش^(٩).
 السادس: جلال ربنا وعظمته، قاله مجاهد^(١٠)، وعكرمة^(١١)، قتادة^(١٢)، وبه قال المبرد^(١٣)، والزجاج^(١٤)، وحكاه الواحدي عن الأكثرين وجميع أصحاب اللغة^(١٥).
 قال قتادة: "أي: تعالى جلاله وعظمته وأمره"^(١٦).
 قال الزجاج: أي: "تعالى جلال ربنا وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولدًا"^(١٧).
 قال الواحدي: "الأكثرين على أن المعنى: جلال ربنا وعظمته"^(١٨).

- (١) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٠/٢٣.
 (٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦١/٤.
 (٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٩/٢٣، وتفسير مجاهد: ٦٧٧، وتفسير عبدالرزاق (٣٣٤٦): ص ٣٥١/٣.
 (٤) أخرجه الطبري: ٦٥٠/٢٣.
 (٥) أخرجه البخاري ١/ ٢٧١ ح ٨٤٤، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، وكتاب القدر: باب لا مانع لما أعطى الله: ٤/ ٢١٢ ح ٦٦١٥، وكتاب الاعتصام: باب ما يكره من كثرة السؤال: ٤/ ٣٦٢ ح ٧٢٩٢، ومسلم ١/ ٣٤٣ ح ١٩٤: كتاب الصلاة: باب اعتدال أركان الصلاة، وباب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع: ح ٢٠٥ - ٢٠٦، كتاب المساجد: باب استحباب الذكر بعد الصلاة (ح) ١٣٧ - ١٣٨، وأبو داود ١/ ٣٧٧ - ٣٧٨: كتاب الصلاة: باب ما يقول الرجل إذا سلم من الصلاة.
 ومالك في "الموطأ" ٧/ ٦٨٧ كتاب القدر: باب ما جاء في أهل القدر، والدارمي في "سننه" ٧١ - ٨٨، والترمذي ٢/ ٩٧ ح ٢٩٩: كتاب الصلاة: باب ما يقول إذا سلم من الصلاة، والنسائي ٢/ ٥٤٤ - ٥٤٥ ح ١٠٦٧، كتاب التطبيق، باب ما يقول في قيامه ذلك، وكتاب السهو: باب نوع آخر من القول عند إنقضاء الصلاة: ٣/ ٧٩ - ٨٠ ح ١٣٤٠ - ١٣٤١، وباب نوع آخر من الدعاء عند الانصراف من الصلاة: ٣/ ٨٢ ح ١٣٤٥، والإمام أحمد في "المسند" ٣/ ٨٧، و٤/ ٩٣، و٩٧، و١٠١، و٢٤٥، و٢٤٧، و٢٥٠، و٢٥٤، و٢٨٥.
 قال النووي: (والصحيح المشهور: الجد - بالفتح - وهو الحظ، والغنى، والعظمة، والسلطان، أي لا ينفع ذا الحظ في الدنيا بالمال والولد والعظمة والسلطان منك حظه، أي لا ينجيه حظه منك، وإنما ينفعه وينجيه العمل الصالح، كقوله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ} [الكهف: ٤٦]، والله تعالى أعلم. "شرح صحيح مسلم" ٤/ ٤٤١، وانظر قوله في: "عون المعبود، شرح سنن أبي داود" للأبي: ٤/ ٣٧٢.
 (٦) الحديث أخرجه البخاري في "الجامع الصحيح" ٣/ ٣٨٨ ح ٥١٩٦، من طريق أبي عثمان عن أسامة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجد محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار، فهذا عامة من دخلها النساء".
 (٧) التفسير البسيط: ٢٢٢/٢٨٥-٢٨٦.
 (٨) انظر: مجاز القرآن: ٢/ ٢٧٢.
 (٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/ ٥٠.
 (١٠) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٩٢، وتفسير الطبري: ٦٤٩/٢٣.
 (١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٩/٢٣، وتفسير عبدالرزاق (٣٣٤٦): ص ٣٥١/٣.
 (١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٩/٢٣.
 (١٣) كما في التفسير البسيط للواحدي: ٢٢٢/٢٨٤، ولم أعثر على مصدر لقوله.
 (١٤) انظر: معاني القرآن: ٥/ ٢٢٤.
 (١٥) انظر: التفسير البسيط: ٢٢٢/٣٢٨٤.
 (١٦) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢٣.
 (١٧) معاني القرآن: ٥/ ٢٢٤.
 (١٨) التفسير البسيط: ٢٢٢/٢٨٤.

قال القشيري: "الجدّ: العظمة، والعظمة استحقاق نعوت الجلال"^(١).
 السابع: نعم ربنا على خلقه، قاله محمد بن كعب^(٢).
 الثامن: أي: تعالى ربنا. قاله سعيد بن جبير^(٣).
 التاسع: علا ظفره على كل كافر بالحجة. قاله ابن كيسان^(٤).
 العاشر: أنهم عنوا بذلك الجد الذي هو أبو الأب، ذلك كان من كلام جهلة الجن. وهذا قول أبي جعفر^(٥).
 قال أبو جعفر الباقر وابنه جعفر والربيع بن أنس: "ليس لله جد وإنما وليه الجدّ بالجهالة فلم تؤخذوا به"^(٦).
 وعن ابن عباس، قال: "الجد: أب. ولو علمت الجن أن في الإنس جدا، ما قالوا: تعالى جدّ ربنا"^(٧).

عن جعفر محمد بن عبد الله بن أبي سارة، عن أبيه، عن أبي جعفر: "تعالى جدّ ربنا"، قال: كان كلاماً من جهلة الجن"^(٨).
 قال الواحدي: "وقول من قال: إن الجن قالت هذه بالجهالة لا يصح؛ لأنهم لو قالوه بالجهل لأنكر عليهم ولما أخبر الله بذلك عنهم في القرآن. فأما ما روي عن ابن عباس أنه قال: «لو علمت الجن أن في الإنس جدّاً ما قالت: «تعالى جد ربنا»"^(٩)، فهذا محمول على أن هذا اللفظ مؤهّم، وكان الأولى بهم أن يجتنبوا إطلاقه في وصف الله، وإن كان بمعنى جائز في وصفه"^(١٠).

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: غني بذلك: تعالت عظمة ربنا وقدرته وسلطانه، لأن للجدّ في كلام العرب معنيين أحدهما الجدّ الذي هو أبو الأب، أو أبو الأم، وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النفر الذين وصفهم الله بهذه الصفة، وذلك أنهم قد قالوا: {فَأَمَّا بِهِ وَلَنْ تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} ومن وصف الله بأن له ولداً أو جدّاً أو هو أبو أب أو أبو أم، فلا شك أنه من المشركين، والمعنى الآخر: الجدّ الذي بمعنى الحظ؛ يقال: فلان ذو جدّ في هذا الأمر: إذا كان له حظّ فيه، وهو الذي يُقال له بالفارسية: البَحْت، وهذا المعنى قصده هؤلاء النفر من الجنّ بقليلهم: {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا} إن شاء الله، وإنما عنوا أن حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية، فلا يكون له صاحبة ولا ولد؛ لأن صاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذي يحدث منه الولد، فقال النفر من الجنّ: علا ملك ربنا وسلطانه وقدرته وعظّمته أن يكون ضعيفاً ضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة، أو وقاع شيء يكون منه ولد، وقد بين عن صحة ما قلنا في ذلك إخبار الله عنهم أنهم إنما نزهوا الله عن اتخاذ

(١) لطائف الإشارات: ٦٣٨/٣.

(٢) انظر: الكشف والبيان: ٥٠/١٠.

(٣) انظر: النكت والعيون: ١١٠/٦، وتفسير ابن كثير: ٢٣٧/٨.

(٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ٥٠/١٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٠/٢٣.

(٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ٥٠/١٠.

(٧) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢٣٧/٨. وفي الدر المنثور: ٢٩٨/٨: "لو علمت الجن أية يكون في الإنس ما قالوا: {تعالى جدّ ربنا}."

(٨) أخرجه الطبري: ٦٥٠/٢٣.

(٩) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢٣٧/٨، وانظر: الكشف والبيان: ٥٠/١٠، وقد وصفه بما وصف سابقه من القول بالجهالة، و"تفسير ابن كثير" ٢٣٧/٨، وقال ابن كثير: "إسناد جيد لكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام، ولعله قد سقط شيء، والله أعلم.

(١٠) التفسير البسيط: ٢٨٧/٢٢.

الصاحبة والولد بقوله: {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا}، يقال منه: رجل جدِّي وجديد ومجدود: أي: ذو حظٍّ فيما هو فيه، ومنه قول حاتم الطائي^(١):
أَعَزُّوا بَنِي تَعْلٍ فَالْعَزُّ جَدُّكُمْ ... عَدُّوا الرَّوَّابِيَّ وَلَا تَبْكُوا لِمَنْ قُتِلَا
وقال آخر^(٢):

يُرْفَعُ جَدُّكَ إِيَّيْ أَمْرٌ ... سَقَنِي إِلَيْكَ الْأَعَادِي سَجَالًا^(٣).

قوله تعالى: {مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا} [الجن : ٣]، أي: "ما اتخذ زوجة ولا ولدًا"^(٤).
قال ابن كثير: "أي: قالت الجن : تنزه الرب تعالى جلالة وعظمته، حين أسلموا وآمنوا بالقرآن، عن اتخاذ الصاحبة والولد"^(٥).

قال أبو السعود: "بيان لحكم تعالى جده"^(٦).

قال الشوكاني: "هذا بيان لتعالى جده سبحانه"^(٧).

قال السعدي: "فعلموا من جد الله وعظمته، ما دلهم على بطلان من يزعم أن له صاحبة أو ولداً، لأن له العظمة والكمال في كل صفة كمال، واتخاذ الصاحبة والولد ينافي ذلك، لأنه يضاد كمال الغنى"^(٨).

وقرأ عكرمة: «تعالى جدُّ رَبِّنَا»، بكسر الجيم على ضد الهزل، وقرأ ابن السميع: «جدي رَبِّنَا»، وهو: الجدوى والمنفعة^(٩).

القرآن

{وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤)} [الجن : ٤]

التفسير:

وأن سفيهنا - وهو إبليس - كان يقول على الله تعالى قولاً بعيداً عن الحق والصواب، من دعوى الصاحبة والولد.

اختلف أهل العلم في معنى قوله: {سَفِيهًا} [الجن : ٤]، على قولين:

أحدهما : أي: جاهلنا، وهو كل عاصٍ متمردٍ من الجن، قاله قتادة^(١٠)، ومقاتل^(١١)، وابن قتيبة^(١٢).

قال مقاتل: "يعني: جاهلنا، يعني: كفارهم"^(١٣).

وحكي الواحدي عن ابن عباس، قال: "يريد المشركين من الجن"^(١٤).

(١) البيت لحاتم الطائي (شعراء النصرانية: ١٢٨) وفيه: "حظكم" في موضع "جدكم" وهما بمعنى. قال شارحه: والروابي: الأشراف، أو الأصل والشرف. وفي (اللسان: جدد).

(٢) هذا البيت لم ينسبه المؤلف. وهو أشبه بقول الحطيئة في لاميته المنصوبة، التي يخاطب بها سيدنا عمر بن الخطاب، معتذراً عن هجائه الزبيرقان بن بدر التميمي، ومطلعها: "نأتك أمانة إلا سؤالا"، ولم أجده في ديوان الحطيئة المطبوع، ولا في جمهرة أشعار العرب (١٥١ - ١٥٤). وقوله: يرفع جدك: يدعو له بأن يرفع الله حظه وذكره. والسجال: جمع سَجَل، وهو الدلو يعتذر إليه مما دسه عليه الوشاة.

(٣) تفسير الطبري: ٦٥١-٦٥٠/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٣٨/٨.

(٦) تفسير أبي السعود: ٤٣/٩.

(٧) فتح القدير: ٣٦٥/٥.

(٨) تفسير السعدي: ٨٩٠.

(٩) انظر: الكشف والبيان: ٥٠/١٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٣.

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٢/٤.

(١٢) انظر: غريب القرآن: ٤٨٩.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٢/٤.

(١٤) التفسير البسيط: ٢٨٨/٢٢، لم أعثر على مصدر لقوله.

قال معمر: "تلا قتادة: {وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}، فقال: عصاه والله سفيه الجن، كما عصاه سفيه الإنس" (١).
الثاني: أن السفيه هو إبليس عليه اللعنة، قاله مجاهد (٢)، وقتادة (٣)، ومسلم بن خالد الزنجي (٤).
وأخرج ابن مردويه والديلمي -بسند واه- عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً: "وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهُنَا}، قال: إبليس" (٥).
عن مجاهد: "وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهُنَا}، قال: هو إبليس" (٦).
عن قتادة: "وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا}، وهو إبليس" (٧).
قال سفيان: "سمعت أن الرجل إذا سجد جلس إبليس يبكي يقول: يا ويله أمر بالسجود فعصَى، فله النار، وأمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة" (٨).
قال النحاس: "السفه رقة اللحم، وثوب سفيه، أي: رقيق.. والشطط: البعد" (٩).
قال الطبري: "الشطط من القول، فإنه ما كان تعدياً" (١٠).
عن أبي مالك: "شَطَطًا}: جوراً" (١١).
عن ابن زيد: "شَطَطًا}، قال: ظلماً" (١٢).
قال ابن قتيبة: "أي: جاهلنا يقول شططا، أي: غلوا في الكذب والجور" (١٣).
قال الزمخشري: "الشطط: مجاوزة الحد في الظلم وغيره. ومنه: أشط في السوم، إذا أبعد فيه، أي: يقول قولاً هو في نفسه شطط، لفرط ما أشط فيه، وهو نسبة صاحبة والولد إلى الله" (١٤).

القرآن

{وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥)} [الجن : ٥]

التفسير:

وَأَنَا حَسِبْنَا أَنْ أَحَدًا لَنْ يَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، لا من الإنس ولا من الجن في نسبة صاحبة والولد إليه.
قال ابن قتيبة: "يقولون: كنا نتوهم أن أحدا لا يقول على الله باطلا. يريدون: إنا كنا قبل اليوم نصدّقهم ونحن نظن أن أحدا لا يكذب على الله. وانقطع -هاهنا- قول الجن" (١٥).
قال السمعاني: "كأنهم ظنوا أن كل من قال على الله شيئا فهو كما قال، وأنه لا يجزى الكذب على الله" (١٦).

-
- (١) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٣.
(٤) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان وناقع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي (١٠٧): ص ٦٣.
(٥) الدر المنثور: ٢٩٨/٨. وأخرج عبد بن حميد عن عثمان بن حاضر مثله.
(٦) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وأخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٣ من طريق رجل من المكّيين.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٣.
(٩) إعراب القرآن: ٣٢/٥.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٣.
(١١) النكت والعيون: ١١٠/٦.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٣.
(١٣) تأويل مشكل القرآن: ٢٤١.
(١٤) الكشف: ٦٢٣/٤.
(١٥) تأويل مشكل القرآن: ٢٤١.
(١٦) تفسير السمعاني: ٦٥/٦.

قال الثعلبي: "أي: كنا نظنهم صادقين في قولهم: إنَّ الله صاحبة ولدا حتى سمعنا القرآن" (١).

قال الزمخشري: "أي: وكان في ظننا أن أحدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفترى عليه ما ليس بحق، فكنا نصدّقهم فيما أضافوا إليه من ذلك، حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافترائهم {كذبا}، قولا كذبا، أي: مكدوبا فيه" (٢).

قال الطبري: "يقول: قالوا: وأنا حسبنا أن لن نقول بنو آدم والجنّ على الله كذبا من القول، والظنّ هاهنا بمعنى الشك، وإنما أنكر هؤلاء النفر من الجنّ أن تكون علمت أن أحدا يجترئ على الكذب على الله لما سمعت القرآن، لأنهم قبل أن يسمعه وقيل أن يعلموا تكذيب الله الزاعمين أن الله صاحبة وولداً، وغير ذلك من معاني الكفر كانوا يحسبون أن إبليس صادق فيما يدعو بني آدم إليه من صنوف الكفر؛ فلما سمعوا القرآن أيقنوا أنه كان كاذبا في كلّ ذلك، فلذلك قالوا: {وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا}، فسموه سفيهاً" (٣).

قال السعدي: "أي: كنا مغترين قبل ذلك، وغرنا القادة والرؤساء من الجن والإنس، فأحسنا بهم الظن، وظنناهم لا يتجرأون على الكذب على الله، فلذلك كنا قبل هذا على طريقهم، فالיום إذ بان لنا الحق، رجعنا إليه، وانقدنا له، ولم نبال بقول أحد من الناس يعارض الهدى" (٤).

قال النحاس: "لاستعظامهم ذلك، و«الظن» -هاهنا- الشك" (٥).

قال مقاتل: "ظننا، يعني: حسبنا" (٦).

قال الفراء: "«الظن» -هاهنا- شك" (٧).

قال معمر: "وتلا قتادة: {أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} [الجن: ٥]، فقال: «عصاه والله سفهة الجن كما عصاه سفهة الإنس» (٨).

القرآن

{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦)} [الجن: ٦]

التفسير:

وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن، فزاد رجال الجنّ الإنس باستعادتهم بهم خوفاً وإرهاباً ورعباً.

قوله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ} [الجن: ٦]، أي: "وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن" (٩).

قال الطبري: قالوا: "وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن في أسفارهم إذا نزلوا منازلهم" (١٠).

قال السعدي: "أي: كان الإنس يعبدون الجن ويستعيذون بهم عند المخاوف والأفزع" (١١).

قال ابن عباس: "كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول: أعوذ بعزير هذا الوادي، فزادهم ذلك إثماً" (١).

(١) الكشف والبيان: ٥٠/١٠.

(٢) الكشاف: ٦٢٣/٤.

(٣) تفسير الطبري: ٦٥٤/٢٣.

(٤) تفسير السعدي: ٨٩٠.

(٥) إعراب القرآن: ٣٢/٥.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٢/٤.

(٧) معاني القرآن: ١٩٣/٣.

(٨) تفسير عبدالرزاق (٣٣٤٧): ص ٣٥١/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(١٠) تفسير الطبري: ٦٥٤/٢٣.

(١١) تفسير السعدي: ٨٩٠.

قال مجاهد: " كانوا يقولون إذا هبطوا واديا: نعوذ بعظماء هذا الوادي" (٢).
قال قتادة: " كانوا في الجاهلية إذا نزلوا منزلا يقولون: نعوذ بأعز أهل هذا المكان" (٣).
قال قتادة: " لنا أن هذا الحي من العرب كانوا إذا نزلوا بواد قالوا: نعوذ بأعز أهل هذا المكان؛ قال الله: {فَرَادُوهُمْ رَهَقًا} : أي إثمًا، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة" (٤).
قال الربيع بن انس: " كانوا يقولون: فلان من الجن رب هذا الوادي، فكان أحدهم إذا دخل الوادي يعوذ برب الوادي من دون الله، قال: فيزيده بذلك رهقا، وهو الفرق" (٥).
قال الحسن: " كان الرجل منهم إذا نزل الوادي فبات به، قال: أعود بعزير هذا الوادي من شر سفهاء قومه" (٦).
قال إبراهيم: " كانوا إذا نزلوا الوادي قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من شر ما فيه، فتقول الجن: ما نملك لكم ولا لأنفسنا ضرًا ولا نفعًا" (٧).
قال إبراهيم: " كانوا في الجاهلية إذا نزلوا بالوادي قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي، فيقول الجنيون: تتعوذون بنا ولا نملك لأنفسنا ضرًا ولا نفعًا" (٨).
قال ابن زيد: " كان الرجل في الجاهلية إذا نزل بواد قبل الإسلام قال: إن أعود بكبير هذا الوادي، فلما جاء الإسلام عانوا بالله وتركوهم" (٩).
قوله تعالى: {فَرَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن : ٦]، أي: " فزاد رجال الجن الإنس باستعادتهم بهم خوفًا وإرهابًا ورعبًا" (١٠).
وفي قوله تعالى: {فَرَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن : ٦]، وجوه من التفسير:
أحدها : زاد الكفار طغيانًا، قاله مجاهد (١١).
قال السعدي: أي: " فزاد الإنس الجن طغيانًا وتكبرًا، لما رأوا الإنس يعبدونهم، ويستعيذون بهم" (١٢).
الثاني : فزادهم ذلك إثمًا، قاله ابن عباس (١٣)، وقتادة (١٤)، قال الأعشى (١٥):
لا شيء ينفعني من دون رؤيتها ... هل يشتفي وامق ما لم يصب رهقا
يعني: إثمًا .
قال قتادة: " أي: إثمًا، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة" (١٦).
عن قتادة: " {فَرَادُوهُمْ رَهَقًا}، يقول: خطيئة" (١). وفي رواية: " خطيئة وإثم" (٢).

-
- (١) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٣ .
(٢) أخرجه الطبري: ٦٥٥/٢٣ .
(٣) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٣ .
(٤) أخرجه الطبري: ٦٥٥/٢٣ .
(٥) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٣ .
(٦) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٣ .
(٧) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٣ .
(٨) أخرجه الطبري: ٦٥٥-٦٥٤/٢٣ .
(٩) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٣ .
(١٠) التفسير الميسر: ٥٧٢ .
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٣ .
(١٢) تفسير السعدي: ٨٩٠ .
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٣ .
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٣ .
(١٥) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٣٦٥ من القصيدة المرقومة ٨٠) . وفي اللسان: (رهق) قال: والرهق: غشيان المحارم من شرب الخمر ونحوه. قال ابن بري: وكذلك فسر الرهق في شعر الأعشى: بأنه غشيان المحارم، وما لا خير فيه قوله: " لا شيء ينفعني.. " البيت. قال المحقق-سيد احمد شاکر-: وتفسير ابن بري لا يعجبني، لأن الأعشى لم يكن يعرف المحرمات، وإنما يحسن تفسيره كما قال شارح الديوان: إن الرهق: الدنو من المحبوب والقرب منه، والتمنع بما ينوله، فأما إذا كان بعيدا عنه فلا شفاء ولا قرار.
(١٦) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٣ .

وقال ابن قتيبة: " يريد أنهم يزدادون بهذا التعوّد طغياناً، وإثماً فيقولون: سدنا الجن والإنس" (٣).

وقال ابن قتيبة: " أي: ضللاً، وأصل «الرّهق» العيب. ومنه يقال: يُرَهَّقُ في دينه" (٤).

قال القاسم بن سلام: " يعني: عيا -بلغة قريش- " (٥).

الثالث: خوفاً، قاله أبو العالية (٦)، والربيع بن أنس (٧)، وابن زيد (٨).

قال الربيع: " فيزيدهم ذلك رهقاً، وهو الفرق" (٩).

قال ابن زيد: " زادهم الجنّ خوفاً" (١٠).

الرابع: غيباً، ومقاتل (١١).

قال مقاتل: " يقول: إن الإنس زادت الجن غيا لنعوذهم بهم، فزادوا الجن فخرا في قومهم" (١٢).

الخامس: عظمة، وذلك أنهم قالوا: سدنا الجن والإنس. قاله إبراهيم (١٣)، والكلبي (١٤).

السادس: فزادهم ذلّة وضعفاً. ويجوز أن الإنس الذين كانوا يستعيذون بالجن زادوا الجن رهقاً،

ويجوز أن يكون الجن زادوا الإنس رهقاً. قاله الزجاج (١٥).

قال الطبري: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فزاد الإنس

الجنّ بفعلهم ذلك إثماً، وذلك زادهم به استحلالاً لمحارم الله. والرّهق في كلام العرب: الإثم

وغشيان المحارم" (١٦).

قال عكرمة: " كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، وكان الإنس

إذا نزلوا واديا هرب الجن، فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي. فقال الجن: نراهم

يفرقون منا كما نفرق منهم، فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون، فذلك قول الله: {وَأَنَّهُ

كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن : ٦] (١٧).

القرآن

{وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧)} [الجن : ٧]

التفسير:

وأن كفار الإنس حسبوا كما حسبتم -يا معشر الجن- أن الله تعالى لن يبعث أحداً بعد الموت.

قال الطبري: " يعني: أن الرجال من الجنّ ظنوا كما ظنّ الرجال من الإنس أن لن يبعث

الله أحدا رسولا إلى خلقه، يدعوهم إلى توحيده" (١٨).

(١) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٣.

(٢) تفسير عبدالرزاق (٣٣٤٨): ص ٣٥١/٣.

(٣) تأويل مشكل القرآن: ٢٤١.

(٤) غريب القرآن: ٤٨٩.

(٥) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٣.

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٢/٤.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٢/٤.

(١٣) انظر: الكشف والبيان: ٥١/١٠.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ١١١/٦.

(١٥) انظر: معاني القرآن: ٢٣٤/٥.

(١٦) تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٣.

(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٠٠٠): ص ٣٣٧٧/١٠.

(١٨) تفسير الطبري: ٦٥٧/٢٣.

قال ابن قتيبة: "يقول: ظن الجن كما ظننتم أيها الإنس أن لا بعث يوم القيامة. أي كانوا لا يؤمنون بالبعث كما أنكم لا تؤمنون به"^(١).

قال مقاتل: "يعني: حسب كفار الإنس الذين تعوذوا برجال من الجن في الجاهلية كما حسبتم- يا معشر كفار الجن- {أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا}، يعني: رسولا بعد عيسى بن مريم"^(٢).

قال الكلبي: "ظنّ كفار الجنّ كما ظنّ كفرة الإنس أن لن يبعث الله رسولا"^(٣).

قال ابن كثير: "أي: لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا"^(٤).

قال السعدي: "أي: فلما أنكروا البعث أقدموا على الشرك والطغيان"^(٥).

قال القرطبي: "هذا من قول الله تعالى للإنس، أي: وأن الجن ظنوا أن لن يبعث الله الخلق كما ظننتم"^(٦).

قال الزمخشري: "هو من كلام الجن، يقوله بعضهم لبعض.. وقيل الخطاب في {ظننتم} لكفار قريش"^(٧).

قال ابن عطية: "قولهم: {أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا}، يحتمل معنيين أحدهما: بعث الحشر من القبور، والآخر: بعث آدمي رسولا"^(٨).

قال السمعاني: "في الآية دليل على أنه كان في الجن قوم لا يؤمنون بالبعث كما في الإنس"^(٩).

فوائد الآيات: [٧-١]:

- ١- تقرير النبوة المحمدية وأن محمدا رسول للثقلين الإنس والجن معاً.
- ٢- بيان علو شأن القرآن وكماله حيث شهدت الجن له بأنه عجب فوق مستوى كلام الخلق.
- ٣- تقرير التوحيد والتنديد بالشرك.
- ٤- تقرير أن الإنس كالجن قد يكذبون على الله وما كان لهم ذلك.
- ٥- حرمة الاستعانة بالجن والاستعاذة بهم، لأن هذه الاستعاذة بغير الله، التي نعاها الله على أهل الجاهلية، من الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة النصوح منه. وفي الآية تحذير شديد من اللجوء إلى السحرة والمشعوذين وأشباههم.

القرآن

{وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا (٨)} [الجن : ٨]

التفسير:

وأنا -معشر الجن- طلبنا بلوغ السماء؛ لاستماع كلام أهلها، فوجدناها ملئت بالملائكة الكثيرين الذين يحرسونها، وبالشهب المحرقة التي يُرمى بها من يقترّب منها.

سبب النزول:

عن أبي رجاء العطاردي -من طريق عبيد الصيد- يقول: كنا قبل أن يُبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - ما نرى نجماً يُرمى به، فبينما نحن ذات ليلة إذ النجوم قد رُمي بها، فقلنا: ما

(١) تأويل مشكل القرآن: ٢٤١.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٢/٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٤٠/٨.

(٥) تفسير السعدي: ٨٩٠.

(٦) تفسير القرطبي: ١١/١٩.

(٧) الكشاف: ٦٢٤/٤.

(٨) المحرر الوجيز: ٣٨١/٥.

(٩) تفسير السمعاني: ٦٦/٦.

هذا؟ إن هذا لأمر حَدَثَ. فجاءنا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بُعث، وأنزل الله هذه الآية في سورة الجن: {وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا} (١).
قوله تعالى: {وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ} [الجن : ٨]، أي: "وأنا -معشر الجن- طلبنا بلوغ السماء؛ لاستماع كلام أهلها" (٢).

قال الطبري: أي: "وأنا طلبنا السماء وأردناها" (٣).
قال الشوكاني: "أي: طلبنا خبرها كما به جرت عادتنا" (٤).
قال الألوسي: "أي: طلبنا بلوغها لاستماع كلام أهلها أو طلبنا خبرها. و«اللمس» - قيل-: مستعار من المس للطلب، كالجس، يقول: لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه وأطلبه وتطلبه. والظاهر أن الاستعارة هنا لغوية لأنه مجاز مرسل لاستعماله في لازم معناه و«السماع» على ظاهرها" (٥).

قوله تعالى: {فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا} [الجن : ٨]، أي: "فوجدناها ملئت بالملائكة الكثيرين الذين يحرسونها، وبالشهب المحرقة التي يرمى بها من يقترب منها" (٦).
قال الطبري: "يقول: فوجدناها ملئت حفظة {وشُهَبًا} وهي جمع شهاب، وهي النجوم التي كانت تُرجم بها الشياطين" (٧).

قال القشيري: "يعنى: حين منعوا عن الاستماع" (٨).
قال الزجاج: "أي: كنا نستمع فالآن حين حاولنا الاستماع ورمينا بالشُهَبِ، وهي الكواكب" (٩).

قال مقاتل: "فهي تجرح وتخيل ولا تقتل" (١٠).
قال القرطبي: "هذا من قول الجن، أي: طلبنا خبرها كما جرت عادتنا فوجدناها قد ملئت حرسا شديدا، أي: حفظة، يعني: الملائكة" (١١).
قال ابن عطية: "الشهب: كواكب الرجم، والحرس: يحتمل أن يريد الرمي بالشهب. وكرر المعنى بلفظ مختلف، ويحتمل أن يريد الملائكة" (١٢).

قال الزمخشري: "في قوله: {مُلْتَأَةً}، دليل على أن الحادث هو المل والكثرة، وكذلك قوله: {نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ} [الجن : ٩]، أي: كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب، والآن ملئت المقاعد كلها، وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته" (١٣).

عن سعيد بن جبير، قال: "كانت الجن تستمع، فلما رجموا قالوا: إن هذا الذي حدث في السماء لشيء حدث في الأرض؛ قال: فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبي صلى الله عليه وسلم خارجا من سوق عكاظ يصلي بأصحابه الفجر، فذهبوا إلى قومهم مُنذرين" (١٤).

(١) أخرجه يحيى بن سلام ٢/ ٥٢٦، ٨٢٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٣) تفسير الطبري: ٦٥٧/٢٣.

(٤) فتح القدير: ٣٦٦/٥.

(٥) روح المعاني: ٩٧/١٥.

(٦) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٧) تفسير الطبري: ٦٥٧/٢٣.

(٨) لطائف الإشارات: ٦٣٨/٣.

(٩) معاني القرآن: ٢٣٤/٥.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٣/٤.

(١١) تفسير القرطبي: ١١/١٩.

(١٢) المحرر الوجيز: ٣٨١/٥.

(١٣) الكشاف: ٦٢٦/٤.

(١٤) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢٣.

القرآن

{وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩)} [الجن : ٩]
التفسير:

وأنا كنا قبل ذلك نتخذ من السماء مواضع؛ لنستمع إلى أخبارها، فمن يحاول الآن استراق السمع يجد له شهابًا بالمرصاد، يُحرقه ويهلكه.

قوله تعالى: {وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ} [الجن : ٩]، أي: "وأنا كنا قبل ذلك نتخذ من السماء مواضع؛ لنستمع إلى أخبارها"^(١).

قال الطبري: يقول: "وأنا كنا معشر الجنّ نقعد من السماء مقاعد لنسمع ما يحدث، وما يكون فيها"^(٢).

قوله تعالى: {فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا} [الجن : ٩]، أي: "فمن يحاول الآن استراق السمع يجد له شهابًا بالمرصاد، يُحرقه ويهلكه"^(٣).

قال الطبري: يقول: " {فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ} فيها منا، {يَجِدْ لَهُ} شهاب نار قد رصد له به"^(٤).

قال ابن كثير: "أي : من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له، لا يتخطاه ولا يتعداه، بل يحرقه ويهلكه"^(٥).

قال الزجاج: " {رَصَدًا}، أي: حَفَظَةً تمنع من الاستماع. وقيل إن الانقضاض الذي رميت به الشياطين حدث بعد مَبْعَثِ النبي عليه السلام وهو أَحَدُ آيَاتِهِ"^(٦).

قال ابن عطية: " قوله: {فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ}، الآية: قطع على أن كل من استمع الآن أحرقه شهاب. فليس هنا بعد سمع، إنما الإحراق عند الاستماع، وهذا يقتضي أن الرجم كان في الجاهلية. ولكنه لم يكن يستأصل وكان الحرس ولكنه لم يكن شديدا، فلما جاء الإسلام اشتد الأمر حتى لم يكن فيه ولا يسير سماحة"^(٧).

قال قتادة: "كانت الجنّ تسمع سمع السماء؛ فلما بعث الله نبيه، حُرست السماء، ومُنعوا ذلك، فتنقّدت الجنّ ذلك من أنفسها"^(٨).

قال ابن زيد: "فلما وجدوا ذلك رجعوا إلى إبليس، فقالوا: منع منا السمع، فقال لهم: إن السماء لم تُحرس قط إلا على أحد أمرين: إما لعذاب يريد الله أن ينزله على أهل الأرض بغيته، وإما نبيّ مرشد مصلح؛ قال: فذلك قول الله: {وَأَنَا لَا نُدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}"^(٩).

عن معمر: "قلت للزهري: أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: رأيت قوله تعالى: {وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ}، فقال: غلظت وشدت أمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم"^(١٠).

عن محمد ابن شهاب الزهري، قال: "إن الله حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم، انقطعت الكهنة فلا كهانة"^(١١).

(١) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٢) تفسير الطبري: ٦٥٨/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٤) تفسير الطبري: ٦٥٨/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٤٠/٨.

(٦) معاني القرآن: ٢٣٤/٥.

(٧) المحرر الوجيز: ٣٨١/٥.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٥٨/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٥٨/٢٣.

(١٠) نقلا عن: الكشاف: ٦٢٦/٤.

(١١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢/٢٣٧.

عن ابن عباس قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من أصحابه، قال: فرمي بنجم، ثم ذكر نحوه، إلا أنه زاد فيه: قلت للزهري: أكان يُرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنها غلظت حين بُعث النبي صلى الله عليه وسلم"^(١).

عن ابن عباس، قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من الأنصار، إذ رمي بنجم فاستنار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه؟ قالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإنه لا يرمى به لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك اسمه إذا قضى أمرا سبَحَ حمله العرش، ثم سبَحَ أهل السماء الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش: ماذا قال ربنا؟ فيخبرونهم، ثم يستخبر أهل كل سماء، حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا، وتخطف الشياطين السمع، فيرمون، فيقذفونه إلى أوليائهم، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يزيدون"^(٢).

القرآن

{وَأَنَا لَأَنْدَرِي أَشْرًا أُرِيدَ بَمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجن : ١٠]

التفسير:

وأنا -معشر الجن- لا نعلم: أشرا أراد الله أن ينزله بأهل الأرض، أم أراد بهم خيرا وهدى؟ قوله تعالى: {وَأَنَا لَأَنْدَرِي أَشْرًا أُرِيدَ بَمَنْ فِي الْأَرْضِ} [الجن : ١٠]، أي: "وأنا -معشر الجن- لا نعلم: أشرا أراد الله أن ينزله بأهل الأرض"^(٣).

قال الطبري: يقول: "وأنا لا ندري أعذابا أراد الله أن ينزله بأهل الأرض، بمنعه إيانا السمع من السماء ورجمه من استمع منا فيها بالشهب"^(٤).

قال النحاس: "المعنى: لا ندري أشرا أراد الله بمن في الأرض حين منعنا الاستماع من السماء"^(٥).

قال الزمخشري: "يقولون: لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق، قلنا: ما هذا إلا لأمر أَرَادَهُ اللهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ"^(٦).

قال الفراء: "يعني: رجم الشياطين بالكواكب"^(٧).

قوله تعالى: {أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجن : ١٠]، أي: "أم أراد بهم خيرا وهدى"^(٨). قال الطبري: "يقول: أم أراد بهم ربهم الهدى بأن يبعث منهم رسولا مرشدا يرشدهم إلى الحق"^(٩).

قال الفراء: "هذا من قول كفره الجن قَالُوا: ما ندري أخير يراد بهم فَعَلَ هَذَا"^(١٠).

قال النحاس: "أم أراد بهم ربهم أن يرسل إليهم رسولا فيرشدهم -هذا مذهب ابن زيد-، وكانت هذه من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم أنه شدد على الشياطين في استماعهم من السماء ورموا بالشهب"^(١١).

(١) أخرجه الطبري: ١٤/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ١٣/٢١-١٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٤) تفسير الطبري: ٦٥٨/٢٣.

(٥) إعراب القرآن: ٣٣/٥.

(٦) الكشف: ٦٢٧/٤.

(٧) معاني القرآن: ١٩٢/٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٩) تفسير الطبري: ٦٥٨/٢٣.

(١٠) معاني القرآن: ١٩٢/٣.

(١١) إعراب القرآن: ٣٣/٥.

عن الكلبى في قوله: "وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بَمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا"، أن يطيعوا هذا الرسول فيرشدهم أو يعصوه فيهلكهم"^(١).

قال ابن كثير-في الآية-: "أي: ما ندري هذا الأمر الذي قد حدث في السماء، لا ندري أشر أريد بمن في الأرض، أم أراد بهم ربهم رشدا؟ وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله عز وجل. وقد ورد في الصحيح: «والشر ليس إليك»"^(٢)^(٣).

قال الحسن البصري: "وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بَمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا" أنهم قالوا: هذا أمرٌ حدث حين رُمي بالنجوم، فلا ندري أشرُّ أراد الله بأهل الأرض أن يهلكهم، أم أراد بهم ربهم رشداً؟ أم أحدث لهم منه نعمة وكرامة!"^(٤).

قال ابن جريج: "قالوا: لا ندري لم بعث هذا النبي؛ لأن يؤمنوا به ويتبعوه فيرشدوا، أم لأن يكفروا به ويكذبوه فيهلكوا كما هلك من قبلهم من الأمم"^(٥).

عن ابن زيد: "وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلَيْتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا حَتَّى بَلَغَ: {فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا}: فلما وجدوا ذلك رجعوا إلى إبليس، فقالوا: منع منا السمع. فقال لهم: فإن السماء لم تحرس قط إلا على أحد أمرين: إما لعذاب يُريد الله أن يُنزله على أهل الأرض بغتة، وإما نبي مُرشد مُرسل. قال: فذلك قول الله: {وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بَمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}"^(٦).

القرآن

{وَأَنَا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَ دُونِ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قِدَادًا (١١)} [الجن : ١١]

التفسير:

وأنا من الأبرار المتقون، ومن قوم دون ذلك كفار وفساق، كنا فرقا ومذاهب مختلفة.

قوله تعالى: {وَأَنَا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَ دُونِ ذَلِكَ} [الجن : ١١]، أي: "وأنا من الأبرار المتقون، ومن قوم دون ذلك كفار وفساق"^(٧).

قال الطبري: يقول: " {وَأَنَا مِّنًا} المسلمون العاملون بطاعة الله، ومن دون الصالحين"^(٨).

قال ابن عباس: "يقول: منا المسلم ومنا المشرك"^(٩).

(١) أخرجه الطبري: ٦٥٨/٢٣.

(٢) صحيح مسلم (٧٧١): ص ٥٣٤/١. عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه كان إذا قام إلى الصلاة، قال: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيئا، وما أنا من المشركين، إن صلاتي، ونسكي، ومحياي، ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»، وإذا ركع، قال: «اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظمي، وعصبي»، وإذا رفع، قال: «اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد»، وإذا سجد، قال: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه، وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين»، ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت».

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٤٠/٨.

(٤) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/٤٥ -.

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٥٨/٢٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٨) تفسير الطبري: ٦٥٩/٢٣.

قوله تعالى: {كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا} [الجن : ١١]، أي: "كنا فرقا ومذاهب مختلفة"^(٢).
قال الطبري: "يقول: وأنا كنا أهواء مختلفة، وفرقا شتى، منا المؤمن والكافر.
والطرائق: جمع طريقة، وهي طريقة الرجل ومذهبه. والقِدْد: جمع قَدَّة، وهي الضروب
والأجناس المختلفة"^(٣).

قال مقاتل: "يقول: أهل ملل شتى، مؤمنين وكافرين ويهود ونصارى"^(٤).
قال الفراء: "كُنَّا فرقا مختلفة أهواؤنا، و«الطريقة»: طريقة الرجل، ويقال -أيضا-
للقوم: هُم طريقة قومهم إذا كانوا رؤساءهم"^(٥).

قال الزجاج: {قِدْدًا}: متفرقون، أي: كنا جماعات، متفرقين، مُسَلِّمِينَ وغير مسلمين"^(٦).
قال ابن قتيبة: "أي: أصنافا، وكل فرقة قَدَّة، وهي مثل قطعة في التقدير وفي المعنى،
فكأنهم قالوا: نحن أصناف وقطع"^(٧).

قال أبو عبيدة: "واحد «الطرائق»: الطريقة، واحد «القَدْد»: قَدَّة، أي: ضروبا أو
أجناسا"^(٨).

قال سعيد بن جبیر: "ألوانًا شتى"^(٩).

قال الحسن: "قِدْدًا": مختلفين"^(١٠).

عن عكرمة، في قوله: "طَرَائِقَ قِدْدًا"، يقول: أهواء مختلفة"^(١١).

قال مجاهد: "مسلمين وكافرين"^(١٢).

قال سفيان: "شتى، مؤمن وكافر"^(١٣).

قال ابن زيد: "صالح وكافر"^(١٤).

قال ابن عباس: "يقول: أهواء شتى، منا المسلم، ومنا المشرك"^(١٥).

قال قتادة: "كان القوم على أهواء شتى"^(١٦).

قال ابن كيسان: "شيعا وفرقا، لكل فرقة هوى كأهواء الناس"^(١٧).

قال ابن أبي زمنين: "وفي الجن مؤمنون ويهود ونصارى ومجوس وعبدة الأوثان"^(١٨).

قال السدي: "الجن مثلكم فيهم قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة"^(١٩).

عن أبي معاوية، قال: "سمعتُ الأعمش يقول: تروح إلينا جني، فقلت له: ما أحب
الطعام إليكم؟ فقال: الأرز. قال: فأتيناهم به، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا. فقلت: فيكم
من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم. قلت: فما الرافضة فيكم؟ قال: شرنا"^(١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٠٠٣): ص ٣٣٧٧/١٠

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٣) تفسير الطبري: ٦٥٩/٢٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٣/٤.

(٥) معاني القرآن: ١٩٢/٣.

(٦) معاني القرآن: ٢٣٥/٥.

(٧) تأويل مشكل القرآن: ٢٤٣.

(٨) مجاز القرآن: ٢٧٢/٢.

(٩) تفسير الثعلبي ١٠ / ٥١، وتفسير البيهقي ٨ / ٢٤٠.

(١٠) تفسير الثعلبي: ٤٣٢/٢٧.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٥٩/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦٦٠-٦٥٩/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦٦٠/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٦٦٠/٢٣.

(١٥) أخرجه الطبري: ٦٥٩/٢٣.

(١٦) أخرجه الطبري: ٦٥٩/٢٣.

(١٧) تفسير الثعلبي: ٤٣٢/٢٧، وتفسير البيهقي: ٨/٢٤٠.

(١٨) تفسير ابن أبي زمنين: ٤٥/٥.

(١٩) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٥١/١٠.

القرآن {وَأَنَا ظَنُّنَا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢)} [الجن : ١٢]

التفسير:

وأنا أيقنا أن الله قادر علينا، وأنا في قبضته وسلطانه، فلن نفوته إذا أراد بنا أمراً أينما كنا، ولن نستطيع أن نُفُلت من عقابه هرباً إلى السماء، إن أراد بنا سوءاً.

قوله تعالى: {وَأَنَا ظَنُّنَا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ} [الجن : ١٢]، أي: "وأنا أيقنا أن الله قادر علينا، وأنا في قبضته وسلطانه، فلن نفوته إذا أراد بنا أمراً أينما كنا"^(٢).

قال الطبري: "يقول: وأنا علما أن لن نُعْجِزَ الله في الأرض إن أراد بنا سوءاً"^(٣).
قال الماتريدي: "أي: لن نفوته، ولا يتهياً لنا أن نعجز الله بأهل الأرض عن إيصال نقمته وعذابه إلينا"^(٤).

قال ابن أبي زمنين: "علمنا {أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ} أن نسبق الله حتى لا يقدر علينا؛ فبيعتنا يوم القيامة"^(٥).

قال ابن قتيبة: "ظننَّا، أي: استيقنَّا"^(٦).
قال السمعاني: "معنى «الظن» -هاهنا-: اليقين، أي: أيقنا أن لن نعجزه في الأرض أي: لن نفوته، ولا يعجز عنا بأخذه إيانا"^(٧).

قال الزمخشري: "أي: لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنا فيها، وقيل: لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمراً"^(٨).

قال ابن جريج: "قالوا: لن نمتنع منه في الأرض، ولا هرباً"^(٩).
قوله تعالى: {وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا} [الجن : ١٢]، أي: "ولن نستطيع أن نُفُلت من عقابه هرباً إلى السماء، إن أراد بنا سوءاً"^(١٠).

قال الطبري: "أن طلبنا فنفوته. وإنما وصفوا الله بالقدرة عليهم حيث كانوا"^(١١).
قال الزمخشري: أي: "ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء. وقيل: ولن نعجزه هرباً إن طلبنا. و«الظن» بمعنى: اليقين، وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم: منهم أخيار، وأشرار، ومقتصدون، وأنهم يعتقدون أن الله عز وجل عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجى عنه مهرب"^(١٢).

قال ابن كثير: "أي: نعلم أن قدرة الله حاکمة علينا وأنا لا نعجزه في الأرض، ولو أمعنا في الهرب، فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا"^(١٣).

قال الماتريدي: "فيه إقرار بأننا لا نقدر بالحيل والأسباب أن نحترز من عذاب الله تعالى، كما يتهياً الاحتراز عن ملوك الأرض بالحيل والأسباب"^(١).

(١) رواه الحافظ ابن عساكر في "تاريخ دمشق" كما في تفسير ابن كثير: ٢٤١/٨. وقال: "عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزيّ فقال: هذا إسناد صحيح إلى الأعمش".

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٣) تفسير الطبري: ٦٦٠/٢٣.

(٤) تأويلات أهل السنة: ٢٥٢/١٠.

(٥) تفسير ابن أبي زمنين: ٤٥/٥.

(٦) غريب القرآن: ٤٩٠.

(٧) تفسير السمعاني: ٦٨/٦.

(٨) الكشف: ٦٢٧/٤.

(٩) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(١١) تفسير الطبري: ٦٦٠/٢٣.

(١٢) الكشف: ٦٢٧/٤.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٤٢/٨.

القرآن

{وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا} [الجن : ١٣]

التفسير:

وإنا لما سمعنا القرآن آمناً به، وأقررنا أنه حق من عند الله، فمن يؤمن بربه، فإنه لا يخشى نقصاً من حسناته، ولا ظملاً يلحقه بزيادة في سيئاته.

قوله تعالى: {وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ} [الجن : ١٣]، أي: "وإنا لما سمعنا القرآن آمناً به، وأقررنا أنه حق من عند الله" (٢).

قال الطبري: "يقول: قالوا: وأنا لما سمعنا القرآن الذي يهدي إلى الطريق المستقيم صدقنا به، وأقررنا أنه حق من عند الله" (٣).

قال السمعاني: "«الهدى»: هو القرآن، لأنه يهدي الناس" (٤).

قال ابن عطية: "«الهدى»: يريد القرآن، سموه هدى من حيث هو سبب الهدى" (٥).

قال الماتريدي: "«الهدى»: هو الدعاء إلى الحق، فيحتمل أن يكون لما دعينا إلى الحق

-وهو القرآن- آمناً به.. ويجوز أن يكون الهدى هو الاهتداء، أي: لما سمعنا ما به اهتدينا" (٦).

قوله تعالى: {فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا} [الجن : ١٣]، أي: "فمن يؤمن بربه، فإنه لا يخشى نقصاً من حسناته، ولا ظملاً يلحقه بزيادة في سيئاته" (٧).

قال الطبري: "يقول: فمن يصدق بربه فلا يخاف أن ينقص من حسناته، فلا يجازى

عليها؛ ولا إثماً يحمل عليه من سيئات غيره، أو سيئة يعملها" (٨).

قال الفراء: "لا يُنْقَصُ من ثواب عمله، {وَلَا رَهَقًا}: ولا ظملاً" (٩).

قال ابن قتيبة: "أصل «الرَّهَقُ»: ما رَهَقَ الإنسان من عيب أو ظلم" (١٠).

عن قتادة: "{فَلَا يَخَافُ بَخْسًا}: أي: ظملاً، أن يظلم من حسناته فينقص منها شيئاً، أو

يحمل عليه ذنب غيره، {وَلَا رَهَقًا}: ولا مأثماً" (١١).

قال ابن عباس: "يقول: لا يخاف نقصاً من حسناته، ولا زيادة في سيئاته" (١٢). وفي

رواية: "ولا أن يحمل عليه ذنب غيره" (١٣).

قال ابن عباس: "يقول: ولا يخاف أن يبخس من عمله شيء" (١٤).

عن سفيان الثوري: "{وَلَا يَخَافُ بَخْسًا} قال: يُبْخَسُ حَقُّهُ كُلُّهُ، {وَلَا رَهَقًا} يُبْخَسُ بعض

حقه" (١٥).

قال عطاء: "{رَهَقًا}: عذاباً" (١٦).

(١) تأويلات أهل السنة: ٢٥٢/١٠.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٣) تفسير الطبري: ٦٦٠/٢٣.

(٤) تفسير السمعاني: ٦٨/٦.

(٥) المحرر الوجيز: ٣٨١/٥.

(٦) تأويلات أهل السنة: ٢٥٢/١٠.

(٧) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٨) تفسير الطبري: ٦٦٠/٢٣.

(٩) معاني القرآن: ١٩٣/٣.

(١٠) غريب القرآن: ٤٩٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٦٠/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦٦٠/٢٣.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٠٠٤): ص ٣٣٧٨/١٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٦٦٠/٢٣.

(١٥) تفسير سفيان الثوري ص ١٩٧.

(١٦) التفسير البسيط: ٣٠٥/٢٢.

قال ابن زيد: " لا يخاف أن يبخس من أجره شيئاً، ولا رهقاً؛ فيظلم ولا يعطى شيئاً"^(١).

القرآن

{وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)} [الجن : ١٤-١٥]

التفسير:

وأنا منا الخاضعون لله بالطاعة، ومنا الجائرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق، فمن أسلم وخضع لله بالطاعة، فأولئك الذين قصدوا طريق الحق والصواب، واجتهدوا في اختياره فهداهم الله إليه، وأما الجائرون عن طريق الإسلام فكانوا وقوداً لجهنم.

قوله تعالى: {وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الجن : ١٤]، أي: "وأنا منا الخاضعون لله بالطاعة"^(٢).
قال الطبري: "الذين قد خضعوا لله بالطاعة"^(٣).

قوله تعالى: {وَمِنَ الْقَاسِطِينَ} [الجن : ١٤]، أي: "ومنا الجائرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق"^(٤).

قال الفراء: "وهم: الجائرون الكفار، والمقسطون: العادلون المسلمون"^(٥).

قال الطبري: "وهم الجائرون عن الإسلام وقصد السبيل"^(٦).

قال الزجاج: "هذا تفسير قولهم: {كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا}، و«القاسطون»: الجائرون"^(٧).

قال ابن قتيبة: "القاسطون: الجائرون. يقال: قسط؛ إذا جار. وأقسط: إذا عدل"^(٨).

عن مجاهد، قوله: "القاسطون"، قال: هم الظالمون"^(٩).

عن عكرمة: "ومنا القاسطون"، قال: هم الظالمون"^(١٠).

قال قتادة: "الجائرون"^(١١).

قال ابن عباس: "العادلون عن الحق"^(١٢).

قال ابن زيد: "المقسط: العادل، والقاسط: الجائر وذكر بيت شعر"^(١٣):

قَسَطْنَا عَلَى الْأَمْلَاكِ فِي عَهْدِ نُبُعٍ ... وَمَنْ قَبْلَ مَا أَدْرَى النُّفُوسَ عِقَابَهَا"^(١٤).

قوله تعالى: {فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا} [الجن : ١٤]، أي: "فمن أسلم وخضع لله

بالطاعة، فأولئك الذين قصدوا طريق الحق والصواب، واجتهدوا في اختياره فهداهم الله إليه"^(١٥).

قال الطبري: "يقول: فمن أسلم وخضع لله بالطاعة، فأولئك تعمدوا وترجَّوا رشداً في

دينهم"^(١٦).

(١) أخرجه الطبري: ٦٦٠/٢٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٣) تفسير الطبري: ٦٦١/٢٣.

(٤) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٥) معاني القرآن: ١٩٣/٣.

(٦) تفسير الطبري: ٦٦١/٢٣.

(٧) معاني القرآن: ٢٣٥/٥.

(٨) غريب القرآن: ٤٩٠.

(٩) تفسير مجاهد: ص ٦٧٧، أخرجه الطبري: ٦٦١/٢٣، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٠) أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٧٧-.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٦١/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦٦١/٢٣.

(١٣) الشعر بلا نسبة في: تفسير الطبري: ٦٦١/٢٣، والكشف والبيان: ٥٢/١٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٦٦١/٢٣.

(١٥) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(١٦) تفسير الطبري: ٦٦١/٢٣.

- قال الزجاج: " يعني: قصدوا طريق الحق والرشد" (١).
- قال ابن كثير: " أي : طلبوا لأنفسهم النجاة" (٢).
- قال الفراء: " يقول: أمّوا الهدى واتبعوه" (٣).
- قال أبو عبيدة: " توخّوا وعمدوا، قال امرؤ القيس (٤):
- ديمة هطلاء فيها وطف ... طبق الأرض تحرى وتدر" (٥).
- قوله تعالى: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن : ١٤]، أي: " وأما الجائرون عن طريق الإسلام فكانوا وقودًا لجهنم" (٦).
- قال الطبري: " يقول: {وَأَمَّا} الجائرون عن الإسلام، {فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} توقد بهم" (٧).
- قال الزجاج: " يقال: قسط الرجل إذا جَارَ، وأقسط إذا عدَلَ" (٨).
- عن قتادة: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ}، قال: " هم الجبارون" (٩).
- فوائد الآيات: [٨-١٥]:
- ١- وجود تجانس بين الجن والملائكة لقرب مادتي الخلق من بعضها إذ الملائكة خلقوا من مادة النور، والجن من مادة النار، ولذا يرونهم ويسمعون كلامهم ويفهمونه.
 - ٢- إبطال مزاعم السحرة والمشعوذين، الذين يدّعون علم الغيب، ويغررون بضعة العقول؛ بكنبهم واقترائهم.
 - ٣- من الجن أدباء صالحون مؤمنون مسلمون أصحاب لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
 - ٤- ذم الطرق والأهواء والاختلافات.
 - ٥- الإشادة بالعدل وتحري الحق والخير.

القرآن

{وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً عَذَقًا (١٦) لِنُقْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧)} [الجن : ١٦-١٧]

التفسير:

وأنه لو سار الكفار من الإنس والجن على طريقة الإسلام، ولم يحدوا عنها لأنزلنا عليهم ماءً كثيرًا، ولو سَعْنَا عليهم الرزق في الدنيا؛ لنختبرهم: كيف يشكرون نعم الله عليهم؟ ومن يُعرض عن طاعة ربه واستماع القرآن وتدبره، والعمل به يدخله عذابًا شديدًا شاقًا.

قوله تعالى: {وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ} [الجن : ١٦]، أي: " وأنه لو سار الكفار من الإنس والجن على طريقة الإسلام، ولم يحدوا عنها" (١٠).

وفي هذه الاستقامة، قولان :

أحدهما : أنها الإقامة على طريق الكفر والضلالة، قاله زيد بن أسلم (١١)، والكلبي (١٢)، والثمالي (١)، ويمن بن رباب (٢)، وابن كيسان (٣)، ومحمد بن كعب (٤)، وأبو مجلز (٥)، والفراء (٦) (٧).

(١) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٤٢/٨.

(٣) معاني القرآن: ١٩٣/٣.

(٤) ديوانه من الستة: ص ١٢٥، واللسان (حرى).

(٥) مجاز القرآن: ٢٧٢/٢.

(٦) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٧) تفسير الطبري: ٦٦١/٢٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٩) أخرجه عبد الرزاق / ٢ / ٣٢٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(١١) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.

(١٢) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.

قال الفراء: "«الطريقة»: طريقة الشرك، أي: لو استمروا عليها فعلنا ذلك بهم" (٨).
 الثاني: الاستقامة على الهدى والطاعة، قاله ابن عباس (٩)، وسعيد بن جبير (١٠)، والحسن (١١)،
 ومجاهد (١٢)، وقتادة (١٣)، والضحاك (١٤)، سعيد بن المسيب (١٥)، وعطاء بن رباح (١٦)، وعبيد بن
 عمير (١٧)، وعطية (١٨)، والسدي (١٩)، ومقاتل (٢٠)، وبه قال الطبري (٢١)، والزجاج (٢٢) (٢٣).
 قال ابن عطية: "وهذا قول أبيين، لأن استعارة «الاستقامة» للكفر قلقة" (٢٤).

- (١) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.
 (٢) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.
 (٣) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.
 (٤) انظر: النكت والعيون: ١١٦/٦.
 (٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٣/٢٣.
 (٦) انظر: معاني القرآن: ٣٣٥/١.
 (٧) ودليل هذا التفسير، قوله تعالى:
- {وَلَوْ أَن يُكَفِّرَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُفُوفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} [الزخرف: ٣٣]، فجعل تماديهم في الكفر سببا لتوسيع النعم عليهم.
- {قَلَمًا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: ٤٤]، الآية، ومعناه: أبواب كل شيء من الخيرات والنعم.
- {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} [الشورى: ٢٧].
- {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ} [العلق: ٦-٧]
- [انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٣٥/٥-٢٣٦، والكشف والبيان: ٥٤/١٠، وتفسير السمعي: ٦٩/٦]
- (٨) معاني القرآن: ٣٣٥/١. وقال في صفحة: ١٩٣/٣: "على طريقة الكفر".
- (٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٢/٢٣.
 (١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٣/٢٣.
 (١١) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠، وزاد المسير: ٣٤٨/٤.
 (١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٢/٢٣.
 (١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٣/٢٣.
 (١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٤/٢٣.
 (١٥) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.
 (١٦) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.
 (١٧) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.
 (١٨) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.
 (١٩) انظر: النكت والعيون: ١١٦/٦، وزاد المسير: ٣٤٨/٤.
 (٢٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٤/٤.
 (٢١) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٢/٢٣. قال الطبري: يقول: "وأن لو استقام هؤلاء القاسطون على طريقة الحق والاستقامة".
- (٢٢) انظر: معاني القرآن: ٢٣٦/٥.
 (٢٣) انظر: ودليل هذا التفسير قوله سبحانه وتعالى:
- {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ} [المائدة: ٦٦].
- {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الثَّرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأعراف: ٩٦].
- {مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧].
- {قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} [نوح: ١٠-١١].
- (٢٤) المحرر الوجيز: ٣٨٣/٥.

قال الزجاج: "والذي يختار وهو أكثر التفسير أن يكون يعنى بـ«الطريقة»: طريق الهدى، لأن «الطريقة» معرفة بالألف واللام. والأوجب أن يكون طريقة الهدى" (١).
قال ابن عباس: "يعني بالاستقامة: الطاعة" (٢).
وقال ابن عباس: "قاموا ما أمروا به" (٣).
قال مجاهد: "طريقة الإسلام" (٤). وفي رواية: "طريقة الحق" (٥).
قال سعيد بن جبير: "الدين" (٦).
قال قتادة: "لو آمنوا كلهم" (٧). وفي رواية: "لو اتقوا" (٨).
قال الضحاك: "هذا مثل ضربه الله كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، والماء الغدق يعني: الماء الكثير ﴿لِنَقْتَنَّهُمْ فِيهِ﴾ لنبتليهم فيه" (٩).
فعلى القول الأول يكون المعنى: لو آمنوا لوسعنا عليهم لنختبرهم فيه فننظر كيف شكرهم، وعلى القول الثاني: يكون المعنى: لو استقاموا على الكفر فكانوا كفاراً كلهم، لأكثرنا لهم المال لنفتنهم فيه عقوبة واستدراجاً، ثم نعذبهم على ذلك. وقيل: لأكثرنا لهم الماء فأغرقناهم، كقوم نوح (١٠).
قراءة العامة: «لو»، بكسر الواو. وقرأ الأعمش: «لُو استقاموا»، بضم الواو (١١).
قوله تعالى: ﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن : ١٦]، أي: "لأنزلنا عليهم ماءً كثيراً، ولوسعنا عليهم الرزق في الدنيا" (١٢).
قال الطبري: "يقول: لوسعنا عليهم في الرزق، وبسطناهم في الدنيا" (١٣).
قال ابن عباس: "فأما الغدق: فالماء الطاهر الكثير" (١٤).
وعن ابن عباس: "﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾، قال: معنا" (١٥).
قال سعيد بن جبير: "ملا كثيراً" (١٦).
قال ابن زيد: "الغدق الكثير: مال كثير" (١٧).
قال قتادة: "لأوسعنا عليهم من الدنيا" (١٨). وفي رواية: "لوسع عليهم في الرزق" (١٩).
قال مجاهد: "نافعا كثيراً، لأعطيناهم مالا كثيراً" (٢٠).

-
- (١) معاني القرآن: ٢٣٦/٥.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٣.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٠٠٥): ص ٣٣٧٨/١٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٦٣/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٦٣/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٦٤/٢٣.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٣٤٨/٤.
(١١) انظر: السبعة في القراءات: ٦٥٦، والكشف والبيان: ٥٣/١٠.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٧٣.
(١٣) تفسير الطبري: ٦٦٢/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٣.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٠٠٥): ص ٣٣٧٨/١٠.
(١٦) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٣.
(١٧) أخرجه الطبري: ٦٦٣/٢٣.
(١٨) أخرجه الطبري: ٦٦٣/٢٣.
(١٩) أخرجه الطبري: ٦٦٣/٢٣.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٣.

قال الربيع بن أنس: "عِشَا رَغَدًا"^(١).
قوله تعالى: {لِنَقْتَبَهُمْ فِيهِ} [الجن : ١٧]، أي: "لنختبرهم: كيف يشكرون نعم الله عليهم؟"^(٢).

قال ابن قتيبة: "أي: لنختبرهم، فنعلم كيف شكرهم"^(٣).

قال الطبري: يقول: لنختبرهم فيه"^(٤).

قال ابن عباس وسعيد بن جبیر: "يقول: لنبتليهم به"^(٥).

وقال قتادة: "لنبتليهم فيه"^(٦).

قال ابن زيد: "لنختبرهم فيه"^(٧).

قال مجاهد: "حتى يرجعوا لما كتب عليهم من الشقاء"^(٨). وفي رواية: "حتى يرجعوا إلى علمي فيهم"^(٩). وفي رواية: "لنبتليهم به حتى يرجعوا إلى ما كتب عليهم من الشقاء"^(١٠).

عن التيمي، قال: "قال عمر رضي الله عنه في قوله: {وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا}، قال: أينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة"^(١١).

قال الحسن، قال: "كان والله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين لله مطيعين فتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر، ففتنوا بها فوثبوا بإمامهم فقتلوه". يعني: عثمان بن عفان^(١٢).

قوله تعالى: {وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا} [الجن : ١٧]، أي: "ومن يُعرض عن طاعة ربه واستماع القرآن وتدبره، والعمل به يدخله عذابًا شديدًا شاقًا"^(١٣).
قال الطبري: "معناه: ومن يعرض عن استماع القرآن واستعماله، يسلكه الله عذابًا شديدًا شاقًا"^(١٤).

قال مقاتل: "يعني: شدة العذاب الذي لا راحة له فيه"^(١٥).

قال أبو عبيدة: "صَعَدًا": مصدر «الصعود»، وهو أشدّ العذاب"^(١٦).

قال ابن قتيبة: "أي: عذابا شاقا. يقال: تصعدني الأمر، إذا شق علي، ومنه قوله: {سَأْرَهُهُ صَعُودًا} [المدثر : ١٧]، أي: عقبة شاقة. ونرى أصل هذا كله من «الصعود»: لأنه شاق، فكني به عن المشقات"^(١٧).

عن قتادة، قوله: "يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا"، عذابا لا راحة فيه"^(١٨).

قال قتادة: "صَعُودًا من عذاب الله لا راحة فيه"^(١٩).

(١) أخرجه الطبري: ٦٦٣/٢٣.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٣) غريب القرآن: ٤١٩.

(٤) تفسير الطبري: ٦٦٢/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٣-٦٢٣.

(٦) تفسير الطبري: ٦٦٣/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٦٣/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٢٣-٦٢٢/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٦٣/٢٣.

(١٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(١٤) تفسير الطبري: ٦٦٤/٢٣.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٤/٤.

(١٦) مجاز القرآن: ٢٧٢/٢.

(١٧) غريب القرآن: ٤١٩.

(١٨) أخرجه الطبري: ٦٦٤/٢٣.

(١٩) أخرجه الطبري: ٦٦٤/٢٣.

عن مجاهد، قوله: «عَذَابًا صَعَدًا»، قال: مشقة من العذاب^(١).
 قال ابن عباس: "يقول: مشقة من العذاب يصعد فيها"^(٢).
 عن ابن عباس: "عَذَابًا صَعَدًا"، قال: جبل في جهنم"^(٣).
 قال ابن زيد: "الصعد: العذاب المنصب"^(٤).

قال الفراء: "نزلت في وليد بن المغيرة المخزومي، وذكروا أن «الصعد»: صخرة
 ملساء في جهنم يكلف صعودها، فإذا انتهى إلى أعلاها حدر إلى جهنم، فكان ذلك دأبه، ومثلها
 في سورة المدثر: {سَارُّهُفُهُ صَعُودًا} [المدثر: ١٧]"^(٥).
 وقرئ: «نُسَلْغُهُ» بالنون اعتبارا بقوله: {لِنَقْتِنَهُمْ}، أنها بالنون، وقرأ ذلك عامة قرءاء
 الكوفة بالياء، بمعنى: يسلكه الله، ردًا على الرب في قوله: {وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ}"^(٦).

القرآن

{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨)} [الجن: ١٨]

التفسير:

وأن المساجد لعبادة الله وحده، فلا تعبدوا فيها غيره، وأخلصوا له الدعاء والعبادة فيها؛ فإن
 المساجد لم تُبَنِّ إلا لِعِبَادَةِ اللَّهِ وحده فيها، دون من سواه.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال قتادة: "كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم أشركوا بالله، فأمر الله
 نبيه أن يخلص له الدعوة إذا دخل المسجد"^(٧).

وقال قتادة: "كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم أشركوا بالله، فأمر الله
 نبيه أن يوحد الله وحده"^(٨).

الثاني: قال سعيد بن جبير: "قالت الجن لنبى الله: كيف لنا نأتى المسجد، ونحن ناعون عنك،
 وكيف نشهد معك الصلاة ونحن ناعون عنك؟ فنزلت: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ
 أَحَدًا}"^(٩).

عن الأعمش قال: "قالت الجن: يا رسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك،
 فأنزل الله: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}، يقول: صلوا لا تخالطوا الناس"^(١٠).

قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ} [الجن: ١٨]، أي: "وأن المساجد لعبادة الله وحده"^(١١).

وفي تفسير قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ} [الجن: ١٨]، وجهان:

أحدهما: أنها المساجد التي هي بيوت الله للصلوات، قاله ابن عباس^(١٢)، ومقاتل^(١٣).

قال مقاتل: "يعني: الكنائس والبيع والمساجد لله"^(١٤).

وعن عكرمة: "وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ"، قال: المساجد كلها"^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٦٦٤/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٦٤/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٦٤/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٦٥-٦٦٤/٢٣.

(٥) معاني القرآن: ١٩٤/٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٥/٢٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٥/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٦٥/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٦٥/٢٣.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٠٠٧): ص ٣٣٧٨/١٠.

(١١) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٩٠٠٦): ص ٣٣٧٨/١٠، والنكت والعيون: ١١٩/٦.

(١٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٤/٤.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٤/٤.

وقال الحسن: "أراد بها البقاع كلها وذلك، أن الأرض جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجداً، وكان المسلمون بعد نزول هذه الآية إذا دخل أحدهم المسجد قال: أشهد أن لا إله إلا الله والسلام على رسول الله"^(٢).

عن ابن عباس في قوله: "{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}" [الجن : ١٨]، قال: لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام، ومسجد إيليا ببيت المقدس"^(٣). قال الزجاج: "معناه: الأمر بتوحيد الله في الصلوات"^(٤).

الثاني : أنها الأعضاء التي يسجد عليها لله، أي : هي الله فلا تسجدوا بها لغيره. قاله سعيد بن جبير^(٥)، والربيع^(٦)، وعطاء^(٧)، وطلق بن حبيب^(٨)، والشافعي^(٩).

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أسجد على سبعة أعظم : على الجبهة - أشار بيديه إلى أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين"^(١٠).

قال ابن عطاء: "مساجدك أعضاؤك التي أمرت أن تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها"^(١١).

قال الإمام الشافعي: " يعني: ب«المساجد»: ما يسجد عليه ابن آدم في صلاته من الجبهة وغيرها"^(١٢).

قال الفراء : " يُقَالُ: هَذِهِ الْمَسَاجِدُ، وَيُقَالُ: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ. يريد: مساجد الرجل: ما يسجد عليه من: جبهته، ويديه، وركبتيه، وصدور قدميه"^(١٣).

وقال ابن قتيبة: "أي: السجود لله. هو جمع "مَسَجَدٌ"؛ يقال: سجدت سجودًا ومَسَجَدًا؛ كما يقال: ضربت في البلاد ضربًا ومَضْرَبًا. ثم يجمع فيقال: المساجد لله. كما يقال: المضارب في الأرض لطلب الرزق"^(١٤).

قوله تعالى: "{فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}" [الجن : ١٨]، أي: "فلا تعبدوا فيها غيره، وأخلصوا له الدعاء والعبادة فيها"^(١٥).

قال الطبري: "{فَلَا تَدْعُوا} أيها الناس {مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} ولا تشركوا به فيها شيئاً، ولكن أفردوا له التوحيد، وأخلصوا له العبادة"^(١٦).

قال الفراء : "فلا تشركوا فيها صنما ولا شيئاً مما يعبد"^(١٧).

قال مقاتل: " وذلك أن اليهود والنصارى يشركون في صلاتهم في البيع والكنائس، فأمر الله المؤمنين أن يوحدوه"^(١٨).

(١) أخرجه الطبري: ٦٦٥/٢٣.

(٢) نقلاً عن: الكشف والبيان: ٥٤/١٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٠٠٦) ص: ٣٣٧٨/١٠.

(٤) معاني القرآن: ٢٣٦/٥.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٤٤/٨.

(٦) انظر: النكت والعيون: ١١٩/٦.

(٧) انظر: "الكشف والبيان": ٥٤/١٠.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ٥٤/١٠.

(٩) انظر: تفسير الإمام الشافعي: ١٤٠٥/٢.

(١٠) رواه البخاري في صحيحه برقم (٨١٢)، صحيح مسلم برقم (٤٩٠).

(١١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٥٤/١٠.

(١٢) تفسير الإمام الشافعي: ١٤٠٥/٢.

(١٣) معاني القرآن: ١٩٤/٣.

(١٤) غريب القرآن: ٤٩١.

(١٥) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(١٦) تفسير الطبري: ٦٦٥/٢٣.

(١٧) معاني القرآن: ١٩٤/٣.

(١٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٤/٤.

قال سهل: "أي: لا تدعوا مع الله شريكاً، أي: ليس لأحد معي شريك في شيء يمنع عبادي من ذكري، كذلك ما كان لله تعالى فهو على هذه الجهة، ليس لأحد فيه سبيل المنع والزجر"^(١).

القرآن

{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩)} [الجن : ١٩]

التفسير:

وأنه لما قام محمد صلى الله عليه وسلم، يعبد ربه، كاد الجن يكونون عليه جماعات مترامكة، بعضها فوق بعض؛ من شدة ازدحامهم لسماع القرآن منه.

قوله تعالى: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ} [الجن : ١٩]، أي: "وأنه لما قام محمد صلى الله عليه وسلم، يعبد ربه"^(٢).

قال قتادة يعني: "لما قام عبد الله بالدعوة"^(٣).

قال الحسن: "لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا إله إلا الله ويدعو الناس إلى ربهم"^(٤).

قال الطبري: "يقول: وأنه لما قام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله يقول: «لا إله إلا الله»"^(٥).

قال الفراء: "يريد: النبي صلى الله عليه ليلة أتاه الجن ببطن نخلة"^(٦).

قال الزجاج: "المعنى: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما صَلَّى الصَبْحَ بذات نخلة"^(٧).

قوله تعالى: {كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} [الجن : ١٩]، أي: "كاد الجن يكونون عليه جماعات مترامكة، بعضها فوق بعض؛ من شدة ازدحامهم لسماع القرآن منه"^(٨).

قال الطبري: "يقول: كادوا يكونون على محمد جماعات بعضها فوق بعض"^(٩).

قال الفراء: "كادوا يركبون النبي صلى الله عليه رغبة في القرآن، وشهوة له"^(١٠).

قال مقاتل: "يقول كادوا أن يرتكبوه حرصاً على حفظ ما سمعوا من القرآن، تعجباً به، وهم الجن التسعة"^(١١).

قال الزجاج: "كادت الجن - لما سمعوا القرآن وتعجبوا منه - أن يسقطوا على النبي - صلى الله عليه وسلم -"^(١٢).

عن سعيد بن جبير في قوله: {كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا}، قال: تراكبوا عليه"^(١٣).

وفي قوله تعالى: {كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} [الجن : ١٩]، وجهان من التفسير:

أحدهما: يعني: أعواناً، قاله ابن عباس^(١٤).

(١) تفسير التستري: ١٧٩.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٣) تفسير الثعلبي: ٤٥٧/٢٧-٤٥٨. [ط. دار التفسير]

(٤) الدر المنثور: ٣٠٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) تفسير الطبري: ٦٦٥/٢٣-٦٦٦.

(٦) معاني القرآن: ١٩٤/٣.

(٧) معاني القرآن: ٢٣٧/٥.

(٨) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٩) تفسير الطبري: ٦٦٦/٢٣.

(١٠) معاني القرآن: ١٩٤/٣.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٥/٤.

(١٢) معاني القرآن: ٢٣٧/٥.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦٦٨/٢٣.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٨/٢٣.

الثاني : جماعات بعضها فوق بعض، قاله سعيد بن جبير^(١)، وهو معنى قول مجاهد^(٢)، وبه قال ابن زيد^(٣)، وأبو عبيدة^(٤)، والطبري^(٥)، ومنه: اللبد لاجتماع الصوف بعضه على بعض ، وقال ذو الرمة^(٦):

ومنهل آجن قفرٍ مواردهُ ... خُضِرَ كواكبُه من عَرْمَصٍ لَبِدٍ

قال أبو عبيدة: " {لَبِدًا} : جماعات، واحدها: «لبدة»، وكذلك يقال للجراد الكثير، قال عبد مناف بن ربع^(٧):

صابوا بستة أبيات وأربعة ... حتى كأن عليهم جابيا لبدًا

الجابي: الجراد الذي يجبي كل شيء يأكله"^(٨).

عن مجاهد، وابن زيد، قوله: " {كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لَبِدًا}، قال: جميعًا"^(٩).

قال ابن زيد: " اللبد: الشيء الذي بعضه فوق بعض"^(١٠).

وفي كونهم عليه لبدًا ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم المسلمون في اجتماعهم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. قاله ابن عباس في رواية ابن جبير^(١١)، وبه قال ابن جبير^(١٢).

قال ابن عباس: " لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، قال:

عجبوا من طواعية أصحابه له؛ قال: فقال لقومهم لما قام عبد الله يدعوه: {كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لَبِدًا}"^(١٣).

قال سعيد بن جبير: " كان أصحاب نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم يأتون به، فيركعون

بركوعه، ويسجدون بسجوده"^(١٤).

الثاني : أنهم الجن حين استمعوا من رسول الله قراءته، قاله الزبير بن العوام^(١٥)، وابن عباس^(١٦)، والضحاك^(١٧).

قال الضحاك: " كادوا يركبونه حرصا على ما سمعوا منه من القرآن"^(١٨).

قال ابن عباس: " يقول: لما سمعوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن، ودنوا منه فلم

يعلم حتى أتاه الرسول، فجعل يقرئه: {قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ}"^(١٩).

الثالث : أنهم الجن والإنس في تعاونهم على رسول الله في الشرك ، قاله قتادة^(٢٠)، وبه قال الطبري^(١).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٨/٢٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٨/٢٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٨/٢٣.

(٤) انظر: مجاز القرآن: ٢٧٢/٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٦/٢٣.

(٦) انظر: النكت والعيون: ١٢٠/٦.

(٧) في ديوان الهذليين ٤٠ / ٢ والطبري ٦٤ / ٢٩ واللسان (جبي).

(٨) مجاز القرآن: ٢٧٢/٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٦٨/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٦٨/٢٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٧/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٧/٢٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦٦٧/٢٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٦٦٧/٢٣.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ١٢٠/٦.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٦/٢٣.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٦/٢٣.

(١٨) أخرجه الطبري: ٦٦٦/٢٣.

(١٩) أخرجه الطبري: ٦٦٦/٢٣.

(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٧/٢٣.

قال ابن كثير: " وهو الأظهر لقوله بعده: {قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا}، أي : قال لهم الرسول - لما أذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه، ليبيطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته"^(٢).

قال قتادة: " تلبدت الإنس والجنّ على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه، ويظهره على من ناوأه"^(٣).

قال قتادة: " لما قام النبيّ صلى الله عليه وسلم تلبّدت الجنّ والإنس، فحرصوا على أن يطفئوا هذا النور الذي أنزله الله"^(٤).

قال ابن زيد: " تظاهروا عليه بعضهم على بعض، تظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(٥).

قال الطبري: " أولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لما قام يدعوهم كادت العرب تكون عليه جميعا في إطفاء نور الله، لأن قوله: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ} عقيب قوله: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ} وذلك من خبر الله فكذلك قوله: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ}، وأخرى أنه تعالى ذكره أتبع ذلك قوله: {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} فمعلوم أن الذي يتبع ذلك الخبر عما لقي المأمور بأن لا يدعو مع الله أحدا في ذلك، لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوين وسرعتهم إلى الإجابة"^(٦).

قال الحسن: " لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "لا إله إلا الله" ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تكون عليه جميعا"^(٧).

القرآن

{قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠)} [الجن : ٢٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكفار: إنما أعبد ربي وحده، ولا أشرك معه في العبادة أحدا. سبب النزول:

قال مقاتل: " وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- بمكة: إنك جئت بأمر عظيم لم نسمع مثله قط، وقد عادتت الناس كلهم، فارجع عن هذا الأمر فنحن نجبرك، فأنزل الله- تعالى- {قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا}"^(٨).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي العرب الذين ردوا عليك ما جنتهم به من النصيحة: إني لا أملك لكم ضرا في دينكم ولا في دنياكم، ولا رشدا أرشدكم، لأن الذي يملك ذلك، الله الذي له ملك كل شيء"^(٩).

قال ابن كثير: " أي : إنما أعبد ربي وحده لا شريك له، وأستجير به وأتوكل عليه، {وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا}"^(١٠).

قال السعدي: " أي: أوحده وحده لا شريك له، وأخلع ما دونه من الأنداد والأوثان، وكل ما يتخذ المشركون من دونه"^(١١).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٨/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٤٥/٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٦٧/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٦٧/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٦٨-٦٦٧/٢٣.

(٦) تفسير الطبري: ٦٦٨/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٦٨/٢٣.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٥/٤.

(٩) تفسير الطبري: ٦٦٩/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٤٥/٨.

(١١) تفسير السعدي: ٨٩٠.

قال النسفي: " {وَلَا تُشْرِكْ بِهِ أَحَدًا} في العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون علي" (١).

القرآن

{قُلْ إِنِّي لَأَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُنْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا (٢٣)} [الجن : ٢١-٢٣]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهم: إني لا أقدر أن أدفع عنكم ضراً، ولا أجلب لكم نفعاً، قل: إني لن ينقذني من عذاب الله أحد إن عصيته، ولن أجد من دونه ملجأ أفرُّ إليه من عذابه، لكن أملك أن أبلغكم عن الله ما أمرني بتبليغه لكم، ورسالته التي أرسلني بها إليكم. ومن يعص الله ورسوله، ويُعرض عن دين الله، فإن جزاءه نار جهنم لا يخرج منها أبداً.
سبب النزول:

عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: "زعم حضرمي أنه ذكر له أن جنياً من الجن من أشرافهم إذا تبع، قال: إنما يريد محمد أن نجيره وأنا أجيره فأنزل الله: {قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ}" (٢).

قوله تعالى: {قُلْ إِنِّي لَأَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا} [الجن : ٢١]، أي: "قل -أيها الرسول- لهم: إني لا أقدر أن أدفع عنكم ضراً، ولا أجلب لكم نفعاً" (٣).
قال مقاتل: "يقول: لا أقدر على أن أدفع عنكم ضراً ولا أسوق إليكم رشداً، والله يملك ذلك كله" (٤).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي العرب الذين ردوا عليك ما جنتهم به من النصيحة: إني لا أملك لكم ضراً في دينكم ولا في دنياكم، ولا رشداً أرشدكم، لأن الذي يملك ذلك، الله الذي له ملك كل شيء" (٥).

قال ابن كثير: "أي: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي، وعبد من عباد الله ليس إلي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله عز وجل" (٦).
قال السعدي: "فإني عبد ليس لي من الأمر ولا من التصرف شيء" (٧).

قوله تعالى: {قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ} [الجن : ٢٢]، أي: "قل: إني لن ينقذني من عذاب الله أحد إن عصيته" (٨).

قال الطبري: "من خلقه إن أرادني أمراً، ولا ينصرنني منه ناصر" (٩).

قال ابن كثير: "أي: لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على إنقاذه من عذابه" (١٠).

قال السعدي: "أي: لا أحد أستجير به ينقذني من عذاب الله، وإذا كان الرسول الذي هو أكمل الخلق، لا يملك ضراً ولا رشداً، ولا يمنع نفسه من الله شيئاً إن أراد به بسوء، فغيره من الخلق من باب أولى وأحرى" (١١).

(١) تفسير النسفي: ٥٥٢/٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٦٩/٢٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٥/٤.

(٥) تفسير الطبري: ٦٦٩/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٤٥/٨.

(٧) تفسير السعدي: ٨٩٠.

(٨) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٩) تفسير الطبري: ٦٦٩/٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٤٥/٨.

(١١) تفسير السعدي: ٨٩١.

قوله تعالى: {وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا} [الجن : ٢٢]، أي: "ولن أجد من دونه ملجأ أفرُّ إليه من عذابه"^(١).

قال مقاتل: "يعني: ملجأ ولا حرزاً"^(٢).

قال ابن قتيبة: "أي: معذلاً وموئلاً"^(٣).

قال الطبري: "يقول: ولن أجد من دون الله ملجئاً ألبأ إليه"^(٤).

عن سفيان: "وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا"، يقول: ناصراً"^(٥).

قال سفيان: "يقول: ولن أجد من دون الله ملجئاً ألبأ إليه"^(٦).

قال الضحاك: "ملجأ"^(٧).

قال قتادة: "أي: ملجئاً ونصيراً"^(٨).

قال السدي: "حرزاً"^(٩).

قال الكلبي: "مدخلاً في الأرض، مثل السَّرَب"^(١٠).

قال سهل: "أمره بالافتقار واللجوء إليه، ثم بإظهارهما بقوله، ليزيد بذلك للكافرين ضللاً وللمؤمنين إرشاداً، وهي كلمة الإخلاص في التوحيد. إذ حقيقة التوحيد هو النظر للحق لا غير، والإقبال عليه، والاعتماد، ولا يتم ذلك إلا بالإعراض عما سواه، وبإظهار الافتقار واللجوء إليه"^(١١).

قوله تعالى: {إِنَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ} [الجن : ٢٣]، أي: "لكن أملك أن أبلغكم عن الله ما أمرني بتبليغه لكم، ورسالته التي أرسلني بها إليكم"^(١٢).

قال الطبري: "يقول: إلا أن أبلغكم من الله ما أمرني بتبليغكم إياه، وإلا رسالاته التي أرسلني بها إليكم؛ فأما الرشد والخذلان، فبيد الله، هو مالكة دون سائر خلقه يهدي من يشاء ويخذل من أراد"^(١٣).

قال السعدي: "أي: ليس لي مزية على الناس، إلا أن الله خصني بإبلاغ رسالاته ودعوة الخلق إلى الله، وبهذا تقوم الحجة على الناس"^(١٤).

قال ابن قتيبة: "هذا استثناء من: {لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا} إلا أن أبلغكم"^(١٥).

قال مقاتل: "فذلك الذي يجيرني من عذابه"^(١٦).

عن قتادة، قوله: "إلا بلاغاً من الله ورسالاته"، فذلك الذي أملك بلاغاً من الله ورسالاته"^(١٧).

(١) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٥/٤.

(٣) غريب القرآن: ٤٩١.

(٤) تفسير الطبري: ٦٧٠-٦٦٩/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٧٠/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٧٠/٢٣.

(٧) الدر المنثور: ٣٠٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٧٠/٢٣.

(٩) تفسير الثعلبي: ٤٦٠/٢٧ [ط. دار التفسير]، وتفسير البغوي: ٢٤٣/٨.

(١٠) تفسير الثعلبي: ٤٦٠/٢٧ [ط. دار التفسير].

(١١) تفسير التستري: ١٧٩.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(١٣) تفسير الطبري: ٦٧٠/٢٣.

(١٤) تفسير السعدي: ٨٩١.

(١٥) غريب القرآن: ٤٩٢.

(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٥/٤.

(١٧) أخرجه الطبري: ٦٧٠/٢٣.

قال ابن كثير: "ويحتمل أن يكون استثناء من قوله: {لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ}، أي: لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها علي، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: ٦٧]"^(١).

قوله تعالى: {وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الجن: ٢٣]، أي: "ومن يعص الله ورسوله، ويُعرض عن دين الله، فإن جزاءه نار جهنم لا يخرج منها أبدًا"^(٢).

عن سعيد بن جبير: " {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"^(٣).
قال الطبري: يقول: "ومن يعص الله فيما أمره ونهاه، ويكذب به ورسوله، فجدد رسالاته، فإن له نار جهنم يصلها، ماكنين فيها أبدًا إلى غير نهاية"^(٤).
قال ابن كثير: أي: أنما أبلغكم رسالة الله، فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبدًا، أي لا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها"^(٥).
قال السعدي: "وهذا المراد به المعصية الكفرية، كما قيدتها النصوص الأخر المحكمة، وأما مجرد المعصية، فإنه لا يوجب الخلود في النار، كما دلت على ذلك آيات القرآن، والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمة هذه الأمة"^(٦).

القرآن

{حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا} {الجن: ٢٤}

التفسير:

حتى إذا أبصر المشركون ما يوعدون به من العذاب، فسيعلمون عند حلوله بهم: من أضعف ناصرًا ومعينًا وأقل جندًا؟
قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ} [الجن: ٢٤]، أي: "حتى إذا أبصر المشركون ما يوعدون به من العذاب"^(٧).

قال الطبري: يقول: "إذا عاينوا ما يعدهم ربهم من العذاب وقيام الساعة"^(٨).
قال ابن كثير: "أي: حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة"^(٩).

قال السعدي: "أي: شاهده عيانًا، وجزموا أنه واقع بهم"^(١٠).
قال ابن عباس: "يريد يوم القيامة"^(١١).
قوله تعالى: {فَيَسْئَلُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ جِنْدًا} [الجن: ٢٤]، أي: "سيعلمون عند حلوله بهم: من أضعف ناصرًا ومعينًا وأقل جندًا؟"^(١٢).
قال الطبري: أي: "أجدد الله الذي أشركوا به، أم هؤلاء المشركون به"^(١٣).

(١) تفسير ابن كثير: ٢٤٥/٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٥٩): ص ٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠): ص ١٨٣٣/٦.

(٤) تفسير الطبري: ٦٧١/٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٤٦/٨-٢٤٧.

(٦) تفسير السعدي: ٨٩١.

(٧) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٨) تفسير الطبري: ٦٧١/٢٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٤٦/٨.

(١٠) تفسير السعدي: ٨٩١.

(١١) التفسير البسيط للواحدي: ٣٢٩/٢٢.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(١٣) تفسير الطبري: ٦٧١/٢٣.

قال ابن كثير: أي: "فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرًا وأقل عددًا، هم أم المؤمنون الموحدون لله عز وجل، أي: بل المشركين لا ناصر لهم بالكلية، وهم أقل عددًا من جنود الله عز وجل"^(١).

قال السعدي: " {فَسَيَعْلَمُونَ} في ذلك الوقت حقيقة المعرفة {مَنْ أضعفُ ناصِرًا وأقلُّ عددًا} حين لا ينصرهم غيرهم ولا أنفسهم ينتصرون، وإذ يحشرون فرادى كما خلقوا أول مرة"^(٢).

فوائد الآيات: [١٦-٢٤]:

١- الاستقامة على منهج الله تعالى القائم على الإيمان والطاعة لله ورسوله يفضي بسالكة إلى الخير الكثير والسعادة الكاملة في الدنيا والآخرة.

٢- المال فتنة وقل من ينجح فيها قال عمر رضي الله عنه أينما يكون الماء يكون المال وأينما يكون المال تكون الفتنة.

٣- حرمة دعاء غير الله في المساجد وفي غيرها إلا أنها في المساجد أشد قبحا، وفي هذا وجوب تنزيه المساجد من كل ما يشوب الإخلاص لله، ومتابعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

٤- الخير والغير والهدى والضلال لا يملكها إلا الله فليطلب ذلك منه لا من غيره.

٥- معصية الله والرسول موجبة لعذاب الدنيا والآخرة.

القرآن

{قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرِبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)} [الجن : ٢٥-٢٨]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: ما أدري أهذا العذاب الذي وعدتم به قريب زمنه، أم يجعل له ربي مدة طويلة؟ وهو سبحانه عالم بما غاب عن الأبصار، فلا يظهر على غيبه أحدًا من خلقه، إلا من اختاره الله لرسالته وارتضاه، فإنه يُطلعهم على بعض الغيب، ويرسل من أمام الرسول ومن خلفه ملائكة يحفظونه من الجن؛ لئلا يسترقوه ويهمسوا به إلى الكهنة؛ ليعلم الرسول صلى الله عليه وسلم، أن الرسل قبله كانوا على مثل حاله من التبليغ بالحق والصدق، وأنه حُفظ كما حُفظوا من الجن، وأن الله سبحانه أحاط علمه بما عندهم ظاهرًا وباطنًا من الشرائع والأحكام وغيرها، لا يفوته منها شيء، وأنه تعالى أحصى كل شيء عددًا، فلم يخف عليه منه شيء.

قوله تعالى: {قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرِبُ مَا تُوعَدُونَ} [الجن : ٢٥]، أي: "قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: ما أدري أهذا العذاب الذي وعدتم به قريب زمنه"^(٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: ما أدري أقرب ما يعدكم ربكم من العذاب وقيام الساعة"^(٤).

قال القشيري: "أي: لا أدري ما توعدون من العقوبة، ومن قيام الساعة أقرب أم بعيد؟ فكونوا على حذر، ويجب أن يتوقع العبد العقوبات أبداً مع مجارى الأنفاس ليسلم من العقوبة"^(٥).

قال السعدي: " {قُلْ} لهم إن سألوكم فقالوا {متى هذا الوعد} ؟ {إِنْ أَدْرِي أَقْرِبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا} "^(٦).

(١) تفسير ابن كثير: ٢٤٦/٨.

(٢) تفسير السعدي: ٨٩١.

(٣) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٤) تفسير الطبري: ٦٧١/٢٣.

(٥) لطائف الإشارات: ٦٤٠/٣.

(٦) تفسير السعدي: ٨٩١.

قوله تعالى: {أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا} [الجن : ٢٥]، أي: "أم يجعل له ربي مدة طويلة؟"^(١).

قال ابن قتيبة: "أي: غاية"^(٢).

قال الطبري: "يعني: غاية معلومة تطول مدتها"^(٣).

قال السعدي: "أي: غاية طويلة، فعلم ذلك عند الله"^(٤).

قال ابن كثير: "وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه السلام، لا يؤلف تحت الأرض، كذب لا أصل له، ولم نره في شيء من الكتب. وقد كان صلى الله عليه وسلم يسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها، ولما تبيد له جبريل في صورة أعرابي كان فيما سأله أن قال: يا محمد، فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»^(٥) ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد، متى الساعة؟ قال: "ويحك. إنها كائنة، فما أعددت لها؟" قال: أما إنني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام، ولكني أحب الله ورسوله. قال: "فأنت مع من أحببت". قال أنس: فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث"^(٦).

عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا بني آدم، إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده، إنما توعدون لآت"^(٧).

عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم"^(٨).

عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إني لأرجو ألا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم". قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسمائة عام"^(٩).

قوله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} [الجن : ٢٦]، أي: "وهو سبحانه عالم بما غاب عن الأبصار، فلا يظهر على غيبه أحدًا من خلقه"^(١٠).

قال السعدي: "بل انفرد بعلم الضمائر والأسرار والغيب"^(١١).

قال الطبري: "يعني بـ{عالم الغيب}: عالم ما غاب عن أبصار خلقه، فلم يروه فلا يظهر على غيبه أحدًا، فيعلمه أو يريه إياه"^(١٢).

قال قتادة: "{عالم الغيب} عالم الوحي"^(١٣).

قال مقاتل بن سليمان: {عالم الغيب} يعني: غيب نزول العذاب، {فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} من الناس"^(١٤).

(١) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٢) غريب القرآن: ٤٩٢.

(٣) تفسير الطبري: ٦٧١/٢٣.

(٤) تفسير السعدي: ٨٩١.

(٥) هو جزء من حديث جبريل الطويل، رواه مسلم في صحيحه برقم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٤٦/٨.

(٧) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٤٦/٨، ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (١٠٥٦٤) من طريق الحسن بن سفيان، عن محمد بن المصفي، به.

(٨) سنن أبي داود برقم (٤٣٤٩)، ورواه الحاكم في المستدرک (٤٢٤/٤) من طريق ابن وهب، به. وقال الحاكم: "صحيح على شرطهما ولم يخرجاه".

(٩) سنن أبي داود برقم (٤٣٥٠)، وشريح بن عبيد لم يدرك سعد بن أبي وقاص، فهو منقطع.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(١١) تفسير السعدي: ٨٩١.

(١٢) تفسير الطبري: ٦٧١/٢٣.

(١٣) ذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٤٧ -.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٤٦٦.

قال الحسن: " الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"^(١).
قوله تعالى: {إِنَّمَا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ} [الجن : ٢٧]، أي: "إلا من اختاره الله لرسالته وارتضاه، فإنه يُطلعهم على بعض الغيب"^(٢).

قال الطبري: " إلا من ارتضى من رسول، فإنه يظهره على ما شاء من ذلك"^(٣).
قال ابن قتيبة: " أي: اصطفى للنبوة والرسالة: فإنه يُطلع على ما شاء من غيبه"^(٤).
قال السعدي: " أي: فإنه يخبره بما اقتضت حكمته أن يخبره به، وذلك لأن الرسل ليسوا كغيرهم، فإن الله أيدهم بتأييد ما أيده أحدا من الخلق، وحفظ ما أوحاه إليهم حتى يبلغوه على حقيقته، من غير أن تتخبطهم الشياطين، ولا يزيدوا فيه أو ينقصوا"^(٥).

قال ابن كثير: " وهذا يعم الرسول الملكي والبشري"^(٦).
قال قتادة: " فإنه يصطفهم، ويطلعهم على ما يشاء من الغيب"^(٧).
قال قتادة: " فإنه يظهره من الغيب على ما شاء إذا ارتضاه"^(٨).
قال ابن عباس: " فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحي وأظهرهم عليه بما أوحى إليهم من غيبه، وما يحكم الله، فإنه لا يعلم ذلك غيره"^(٩).

قال ابن زيد: " ينزل من غيبه ما شاء على الأنبياء أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيب القرآن، قال: وحدثنا فيه بالغيب بما يكون يوم القيامة"^(١٠).
قوله تعالى: {فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا} [الجن : ٢٧]، أي: " ويرسل من أمام الرسول ومن خلفه ملائكة يحفظونه من الجن؛ لئلا يسترقوه ويهمسوا به إلى الكهنة"^(١١).
قال الطبري: " يقول: فإنه يرسل من أمامه ومن خلفه حرسا وحفظة يحفظونه"^(١٢).
قال ابن قتيبة: " أي: يجعل بين يديه وخلفه {رَصَدًا} من الملائكة: يدفعون عنه الجن أن يسمعوا ما ينزل به الوحي، فيلقوه إلى الكهنة قبل أن يخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- الناس"^(١٣).

عن قتادة، قوله: " {فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا}، قال: الملائكة"^(١٤).
عن إبراهيم: " {مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا}، قال: ملائكة يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم"^(١٥). وفي رواية: " الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجن"^(١٦). وفي رواية أخرى: " الملائكة رصد من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من الجن"^(١٧).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٠٤): ص ١٨٦٤-١٨٦٥.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٣) تفسير الطبري: ٦٧١/٢٣.

(٤) غريب القرآن: ٤٩٢.

(٥) تفسير السعدي: ٨٩١.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٤٧/٨.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٧٢/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٧٢/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٧١/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٧٢/٢٣.

(١١) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(١٢) تفسير الطبري: ٦٧٢/٢٣.

(١٣) غريب القرآن: ٤٩٢.

(١٤) أخرجه الطبري: ٦٧٣/٢٣.

(١٥) أخرجه الطبري: ٦٧٢/٢٣.

(١٦) أخرجه الطبري: ٦٧٢/٢٣.

(١٧) أخرجه الطبري: ٦٧٢/٢٣.

قال ابن عباس: " هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان حتى يتبين الذي أرسل به إليهم، وذلك حين يقول: {لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ}"^(١).

قال الضحاك: " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث إليه الملك بالوحي بعث معه ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه، أن يتشبه الشيطان على صورة الملك"^(٢).

قال مقاتل: " كان إذا بعث الله- عز وجل- نبيا أتاه إبليس على صورة جبريل، وبعث الله- تعالى- من بين يدي النبي- صلى الله عليه وسلم- ومن خلفه رسدا من الملائكة فلا يسمع الشيطان حتى يفرغ جبريل- عليه السلام- من الوحي إلى- صلى الله عليه وسلم- فإذا جاء إبليس أخبرته به الملائكة وقالوا: هذا إبليس، وإذا أتاه جبريل"^(٣).

قوله تعالى: {لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ} [الجن : ٢٨]، أي: " ليعلم الرسول صلى الله عليه وسلم، أن الرسل قبله كانوا على مثل حاله من التبليغ بالحق والصدق، وأنه حفظ كما حفظوا من الجن"^(٤).

وفي قوله تعالى: {لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ} [الجن : ٢٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : ليعلم محمد أن قد بلغ جبريل إليه رسالات ربه ، قاله ابن عباس^(٥).
عن ابن عباس، في قوله: " {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا}، قال: أربعة حفظة من الملائكة مع جبرائيل {لِيَعْلَمَ} محمد {أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}، قال: وما نزل جبريل عليه السلام بشيء من الوحي إلا ومعه أربعة حفظة"^(٦).
الثاني : ليعلم محمد أن الرسل قبله قد بلغت رسالات الله وحفظت ، قاله قتادة^(٧)، وبه قال مقاتل^(٨)، وابن قتيبة^(٩).

قال مقاتل: " يقول: ليعلم محمد- صلى الله عليه وسلم- أن الأنبياء قبله قد حفظت، وبلغت قومهم الرسالة، كما حفظ محمد- صلى الله عليه وسلم- وبلغ الرسالة"^(١٠).

عن قتادة: " {لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ}، ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرسل قبله قد أبلغت عن ربها وحفظت"^(١١).

قال قتادة: " ليعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم أن الرسل قد أبلغت عن الله، وأن الله حفظها، ودفع عنها"^(١٢).

قال ابن قتيبة: " {لِيَعْلَمَ} محمد أن الرسل قد بلغت عن الله عز وجل، وأن الله حفظها ودفع عنها، وأحاط بما لديها"^(١٣).

الثالث : ليعلم من كذب الرسل أن الرسل قد بلغت عن ربها ما أمرت به، قاله مجاهد^(١٤).

قال مجاهد: " ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم"^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٦٧٣-٦٧٢/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٧٢/٢٣.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٦/٤-٤٦٧.

(٤) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٣/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٧٣/٢٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٣/٢٣.

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٦/٤.

(٩) انظر: غريب القرآن: ٤٩٢.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٦/٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٧٣/٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦٧٣/٢٣.

(١٣) غريب القرآن: ٤٩٢.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٣/٢٣.

قال ابن عطية: " وهذا العلم لا يقع لهم إلا في الآخرة" (٢)
وعلق ابن كثير على قول مجاهد، قائلاً: " في هذا نظر" (٣).
الرابع : لتعلم الجنّ أن الرسل قد بلغوا ما أنزل الله عليهم ، ولم يكونوا هم المبلغين باستراق
السمع عليهم، ذكره الفراء (٤).
ويُقرأ: «لِتَعْلَمَ» بالتاء، يريد: لتعلم الجنُّ أن الرسل قد بلّغَتْ عن إلههم بما وُتُوا من
استراق السمع (٥).
الخامس : ليعلم الله أن رسله قد بلغوا عنه رسالاته ، لأنبيائه ، قاله الزجاج (٦).
قال الطبري: " أولى هذه الأقوال عندنا بالصواب، قول من قال: ليعلم الرسول أن الرسل
قبله قد أبلغوا رسالات ربهم؛ وذلك أن قوله: {لِيَعْلَمَ} من سبب قوله: {فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا} وذلك خبر عن الرسول، فمعلوم بذلك أن قوله ليعلم من سببه إذ كان ذلك
خبراً عنه" (٧).
قوله تعالى: {وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ} [الجن : ٢٨]، أي: " وأن الله سبحانه أحاط علمه بما
عندهم ظاهراً وباطناً من الشرائع والأحكام وغيرها، لا يفوته منها شيء" (٨).
قال ابن جريج: " أحاط علماً" (٩).
قال الطبري: " يقول: وعلم بكلّ ما عندهم" (١٠).
قال الزمخشري: " بما عند الرسل من الحكم والشرائع، لا يفوته منها شيء ولا ينسى
منها حرفاً، فهو مهيمن عليها حافظ لها" (١١).
قوله تعالى: {وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} [الجن : ٢٨]، أي: " وأنه تعالى أحصى كل شيء
عدداً، فلم يَخْفَ عليه منه شيء" (١٢).
قال مقاتل: " يعنى: نزول العذاب بهم" (١٣).
قال الطبري: " يقول: علم عدد الأشياء كلها، فلم يخف عليه منها شيء" (١٤).
قال السمعاني: " أي: وأحصى كل شيء معدوداً، ويقال: عد كل شيء عدداً، وهذا على
معنى أنه لا يخفى على الله شيء كثير أو قليل، جليل أو دقيق" (١٥).
قال ابن عطية: " معناه: كل شيء معدود" (١٦).
قال الزمخشري: " من القطر والرمل وورق الأشجار، وزبد البحار، فكيف لا يحيط بما
عند الرسل من وحيه وكلامه، و{عَدَدًا}: حال، أي: وضبط كل شيء معدوداً محصوراً. أو
مصدر في معنى: إحصاء" (١٧).

-
- (١) أخرجه الطبري: ٦٧٣/٢٣.
 - (٢) المحرر الوجيز: ٣٨٥/٥.
 - (٣) تفسير ابن كثير: ٢٤٧/٨.
 - (٤) انظر: معاني القرآن: ١٩٦/٣.
 - (٥) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٩٢، والبحر المحيط: ١٩٦/٣، وهي قراءة ابن عباس، وزيد بن علي
 - (٦) انظر: معاني القرآن: ٢٣٨/٥.
 - (٧) تفسير الطبري: ٦٧٤/٢٣.
 - (٨) التفسير الميسر: ٥٧٣.
 - (٩) النكت والعيون: ١٢٢/٦.
 - (١٠) تفسير الطبري: ٦٧٤/٢٣.
 - (١١) الكشاف: ٦٣٣/٤.
 - (١٢) التفسير الميسر: ٥٧٣.
 - (١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٦/٤.
 - (١٤) تفسير الطبري: ٦٧٤/٢٣.
 - (١٥) تفسير السمعاني: ٧٥/٦.
 - (١٦) المحرر الوجيز: ٣٨٥/٥.
 - (١٧) الكشاف: ٦٣٣/٤.

عن سعيد بن جبیر: " أنه قال في هذه الآية: {إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ} ... إلى قوله: {وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}، قال: ليعلم الرسل أن ربهم أحاط بهم، فبلغوا رسالاتهم" (١).

فوائد الآيات: [٢٥-٢٨]:

- ١- استنثار الله تعالى بعلم الغيب فلا يعلم الغيب إلا الله.
- ٢- قد يطلع الله تعالى من ارتضى أن يطلع من الرسل على غيب خاص ويتم ذلك بعد حماية كاملة من الشياطين كيلا ينقلوه إلى أوليائهم فيفتنوا به الناس.
- ٣- بيان إحاطة علم الله بكل شيء وإحصائه تعالى لكل شيء عدًا.

«آخر تفسير سورة (الجن)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء السادس والثلاثون من التفسير، يليه الجزء السابع والثلاثون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (١) من سورة «المزمل».

(١) أخرجه الطبري: ٦٧٤/٢٣.